وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

المسار السياسي والفكري للمهدي بن بركة

1934 - 1965

مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب: **تحت إشراف :**

قـــادة ديـــن **الأستاذ الدكتور مصطفى نويصر**

لجنة المناقشة

د/ لزهر بديدة	**رئيسا**
أ.د/ مصطفى نويصر	**مقررا**
د/ محمد بلقاسم	**عضوا**
د/ محمد الحسن زغيدي	**عضوا**

السنة الدراسية 2013 // 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

أهدي عملي هذا إلى الوالدين الكريمين أدام الله ظلهما، وأهديه لزوجتي وشقيقاتي، وولدي إسلام وزكريا، كما أهديه لروح صديقي وأخي المرحوم عيسى مقبول، ولجميع الأصدقاء والإخوة والأحباب : جمال بخيرة، عبد القادر ملياني، الهواري حميدة، عمار مجدوب، بلقندوز بن ساسي، بلقاسم لوماني، محمد عامري، محمد خيثر، فريد بغداد، بوسماحة مقبول، حسين ضالع، نورالدين شبيل، إبراهيم خريس، محمد خريس، سليمان معطالله، لحسن حساني،عبد الوهاب ذياب، الناصر بن عطالله، سعد بن حليمة، عبد السلام بوقفة، أحسن علقمة، بلقاسم شكرين، غانم بودان. وأهديه لجميع الإخوة والأصدقاء الذين عرفتهم ولم أذكرهم في هذا المقام.

شكـــــر وعرفـــــان

أتقدم بكل شكري وامتناني للأستاذ الفاضل الدكتور مصطفى نويصر، بداية على قبول الإشراف على موضوع الرسالة وثانيا على المساعدة والتوجيهات القيمة التي قدمها، وعلى جميل المعاملة وكريم الأخلاق، وعلى كل ما قدمه من أجل إنجاز هذا البحث، وأتمنى من الله القدير أن يجازيه خير الجزاء عنا وعن كل جهد بذله في سبيل خدمة العلم والتعلم.

فهـــــــرس المحتويات

إهداء.....03

شكر وعرفان.....04

فهرس المحتويات.....05

قائمة الرموز والمختصرات.....10

مقدمة.....11

الفصل الأول: دور المهدي بن بركة في الحركة الوطنية المغربية
ونضاله السياسي حتى سنة 1956.....22

المبحث الأول: النشأة والدراسة والعائلة.....24

- نشأة المهدي ودراسته.....24
- البكالوريا والجامعة.....27
- بين الرياضيات والسياسة و العائلة.....29

المبحث الثاني: الانتماء للحركة الوطنية ومرحلة التكون السياسي1934- 1942.....32

- مرحلة الانخراط في الحركة الوطنية والبدايات النضالية 1934- 1939.....32
- نشاط المهدي السياسي خلال دراسته الجامعية بالجزائر 1940-1942.....44

المبحث الثالث: مرحلة النضال السياسي في العمل الوطني 1942- 1950..... 48

- بداية النشاط السياسي المباشر للمهدي بن بركة 1942 – 1944.....48
- تأسيس حزب الاستقلال ومعركة المطالب 1944 -1945.....53
- في قيادة حزب الاستقلال والعمل الوطني 1946-1950.....60

المبحث الرابع: سنوات المخاض السياسي المغربي 1950- 1954.....71

- مجلس شورى الحكومة يفجر الوضع.....71
- سنوات الاعتقال 1951- 1954.....73
- في معتقل أغبالو نكردوس 1952- 1954.....77
- الخروج من المعتقل وإعادة هيكلة حزب الاستقلال.....79

المبحث الخامس: علاقة المهدي بن بركة بالمقاومة المسلحة.....81

- ولادة العمل العسكري :1947- 1954.....81
- علاقة المهدي بجيش التحرير المغربي.....84
- دور المهدي بن بركة في تنظيم المقاومة.....87
المبحث السادس: الانفراج السياسي، المفاوضات والاستقلال1955- 1956.....91
- لقـــاءات إيكس ليبان.....91
- موقف المهدي بن بركة من عودة الملك.....94
- المهدي يشرف على تحضيرات عودة الملك.....96
الفصل الثاني: مسيرة المهدي بن بركة السياسية في المغرب المستقل 1956- 1965.....99
المبحث الأول: النضال السياسي من مؤسسات الدولة ومعركة البناء 56-1957.....100
- أولوية تنظيم الحزب وبسط نفوذه السياسي.....100
- رئاسة الجمعية الوطنية الاستشارية.....104
- طريق الوحدة المغربية.....108
المبحث الثاني: صـــــراع احتكار القوة.....110
- معركة السيطرة على جيش التحرير.....110
- بسط نفوذ حزب الاستقلال على المجموعات المسلحة.....115
- قضية عباس المسيعدي.....117
المبحث الثالث: تأزم الوضع السياسي في المغرب 1958- 1959.....119
- حزب الاستقلال يصارع من أجل زعامة المشهد السياسي.....119
- تمرد الريف والأطلس.....124
- القطيعة بين المهدي بن بركة و الأمير الحسن.....125
- اليسار يستلم الحكم في المغرب.....127
المبحث الرابع: أزمة حزب الاستقلال وميلاد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.....132
- جذور الخلاف داخل حزب الاستقلال.....132
- أزمة قيادة حزب الاستقلال 1958- 1959.....135
- تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية UNFP 139
المبحث الخامس: المعارضة والمعارك السياسية، نوفمبر 1959- ماي 1963.....143

- بوادر الخلافات بين الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والنظام، 1960.....143
- عزل حكومة عبدا لله إبراهيم وانقلاب ماي 1960.....147
- وفاة محمد الخامس وتولي الحسن الثاني.....150
- عودة المهدي بن بركة إلى المغرب، المؤتمر الثاني، الدستور والانتخابات التشريعية.....152
  - المؤتمر الثاني للإتحاد الوطني للقوات الشعبية.....153
  - معركة الدستـور.....156
  - الانتخابات التشريعية.....160

المبحث السادس: الصدام بين النظام واليسار1963-1965.....165
- حملة جوان 1963 على الUNFP أو المؤامرة البلانكية.....165
- المنفى الأخير والتسوية التي لم تتم 1964- 1965.....169

الفصل الثالث: نضال المهدي بن بركة القومي والعالمي.....175

المبحث الأول: المهدي بن بركة والجزائر.....178
- التنسيق لإطلاق الكفاح المسلح:.....179
- مواقف المهدي من الجزائر بين 1956 و 1959.....181
- علاقات المهدي بالثورة الجزائرية بعد تأسيس الUNFP 1959-1962.....185
- علاقة المهدي بالجزائر المستقلة، 1962- 1965.....187
  - حرب الرمال وموقف المهدي بن بركة.....189

المبحث الثاني: القضايا القومية في نضال المهدي بن بركة.....192
- الحضور القومي في نضال المهدي بن بركة حتى 1959.....192
- فترة انحياز المهدي للقضايا القومية العربية 1960- 1965.....195
- القضية الفلسطينية في اهتمام المهدي بن بركة.....197
  - طبيعة الدور الإسرائيلي ومراميه.....198
  - طبيعة المعركة مع إسرائيل.....200

المبحث الثالث: نضال المهدي بن بركة على الصعيد العالمي.....202
- المنفى الاختياري والانفتاح على العالم 1960-1962.....202

- المنفى الإجباري ورحلة الكفاح ضد الأمبريالية 1963-1965.....206
- المهدي بن بركة والصراع الصيني السوفياتي.....209
- دور المهدي بن بركة في حركة القارات الثلاث.....211
المبحث الرابع: نهاية المهدي بن بركة أو قضية بن بركة.....216
- حيثيات اختطاف المهدي بن بركة ، 29 أكتوبر 1965 216
- دوافع التخلص من المهدي بن بركة والجهة التي تقف خلفه.....220
  - الدوافع الداخلية.....220
  - الدوافع الخارجية.....222

الفصـــل الرابـــع: التوجه الفكري للمهدي بن بركة.....227
المبحث الأول: الحضور الإيديولوجي في نضال المهدي بن بركة.....229
- النزعة الفكرية عند المهدي بن بركة.....229
- خصائص وأسس فكر المهدي بن بركة.....233
  - العلمية والحداثة.....234
  - الشمولية.....236
  - النقد الذاتي.....237
المبحث الثاني:العوامل والمؤثرات التي صاغت التوجه الفكري للمهدي بن بركة.....240
- ظروف العائلة و طبيعة الطفولة.....240
- الدراسة و المطالعة 243
- الاحتلال ونظام الحماية والبرجوازية.....246
- حرب الريف ومختلف المقاومات.....249
- تأثير مدينة الدار البيضاء.....250
المبحث الثالث: فترة التوجه الإصلاحي في فكر المهدي بن بركة "زمن الأوهام".....253
- طبيعة الفكر الإصلاحي للمهدي.....253
  - الإصلاح وسيلة من أجل التحرر.....253
  - الإصلاح في عهد المغرب المستقل.....256

- أهم مظاهر الفكر الإصلاحي للمهدي بن بركة.....258
  - الالتزام بالشرعية الملكية.....259
  - إصلاحية الوسائل.....260
- مشاريع المهدي الإصلاحية.....261

المبحث الرابع : فترة التوجه الثوري في فكر المهدي بن بركة.....265
- من الإصلاح إلى الثورة.....265
- نقد أنصاف الحلول والتسويات.....266
- معالم الخيار الثوري عند المهدي بن بركة.....268
- بعض المفاهيم في فكر المهدي الثوري.....273
  - هل كان المهدي يحمل فكرا انقلابيا.....273
  - المهدي بن بركة والشيوعية.....275
  - مفهوم الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف.....277

خاتمة.....282
ملاحق.....287
قائمة المصادر والمراجع.....331
فهرس الأعلام.....343
فهرس الأماكن.....351

قائمة الرموز والاختصارات

- UNFP الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.
- CAM لجنة العمل المغربي.
- AEMNA جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا
- PCM الحزب الشيوعي المغربي.
- FAR القوات المسلحة الملكية.
- UNEM الاتحاد المغربي للطلبة
- UMCIA، الاتحاد المغربي للتجار والصناعيين والحرفيين
- UMA، الاتحاد المغربي للفلاحين
- FAPI، الفيديراليات المستقلة لحزب الاستقلال.
- UMT الاتحاد المغرب للعمال.
- UGTM الاتحاد العام للعمال المغاربة" نقابة حزب الاستقلال".
- CAB 1، مكتب القضايا السرية رقم:1، "مصلحة استخبراتية".
- FDIC، جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية.
- MP، الحركة الشعبية.
- USFP، الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية.
- CNUCED، ندوة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية.
- OSPAA، منظمة التضامن لشعوب أفريقيا وأسيا.

مقـــــدمة

مـــــــــقدمـــــــــــة

حفل تاريخ الشعوب على اختلافها بأحداث كبيرة وهامة تركت أثرها عليها، ووجهت حاضرها ومستقبلها، كما حفل أيضا بأسماء سطرت بطولات ولحظات مجيدة لا تزال محفورة في الذاكرة العامة، ولعبت أدوارا مهمة في حياة الأمة وسياق قيامها ونهوضها، واشترك مسارها مع مسار الوطن، حتى أضحى وجودهم جزء لا يتجزأ من وجود الوطن نفسه، والحديث عنها هو بالضرورة تخليدا لمآثره وإحياء لتاريخه وماضيه الأثيل، هؤلاء الذين يمثلون النماذج المضيئة التي يبقي ذكرها خالدا دوما، ولا يمحها تقدم الزمن، أو تنسيها الأغراض والأهواء السياسية، لحاضر الأوطان، ولا يمكن بأي حال عند كتابة التاريخ القفز على وجودها ودورها.

فالمغرب الأقصى مثله مثل بلدان المغرب كلها – وفي غمرة منازلة المحتل والبحث عن كيانه، ومحاولة ابتعاث نفسه كدولة مستقلة وكأمة قائمة لها حاضر مثل ما لها ماض وتاريخ – شهد تاريخه المعاصر بروز أسماء عديدة، كان لها السبق في التضحية والنضال والعمل من أجل أن يوجد المغرب دولة وشعبا، مستقلا، حرا ومزدهرا، فتعددت هاته الأسماء تعدد الأحداث والبطولات والنضالات والمعارك، وتعدد السنوات التي قضاها المغاربة يبنون مشروع التحرر ومشروع البناء.

وسيقف المتابع لتاريخ المغرب الأقصى المعاصر، ولتاريخ الحركة الوطنية على شخصيات كثيرة تركت بصمتها في مسار البلاد وفي مجرى الأحداث، وتوقف بدرجة كبيرة مصير الأمة على المواقف التي باشرتها واتخذتها، ولا شك أن من أبرز هؤلاء الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف وعلال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني رائدا الحركة الوطنية، لكن الساحة السياسية والتاريخ المغربيان سجلا حضور شخصيات أخرى كانت لها أيضا مساهمة في مسيرة التحرر وفي عهد الاستقلال والبناء، ولعبت أدوارا معينة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية المغربية، وسيكون أحد تلك الشخوص حتما هو المهدي بن بركة.

فبالنسبة لكثير من المؤرخين والمتابعين يبقى المهدي بن بركة الشخصية الأكثر جدلا في التاريخ المغربي القريب، ليس بسبب دوره السياسي فحسب في الحركة الوطنية وفي عهد المغرب المستقل، لكن

أيضا لعوامل أخرى متعددة ميزته عن بقية الطبقة السياسية المغربية التقليدية، سنحاول تسليط الضوء عليها في هذا البحث، كما نحاول أساسا إبراز مسيرة الرجل ودوره .

إن التعرض بالدراسة لشخصية مثل المهدي بن بركة تحتاج منا لطرح العديد من الأسئلة في سبيل التعرف عليها وتتبع مسارها السياسي والفكري، وإبراز المحطات التي مرت بها، وسجلها خطها النضالي، والوقوف على تفاصيلها، وسيكون السؤال الرئيسي للوصول إلى ذلك: من هو المهدي بن بركة ؟ وكيف كان مساره السياسي؟

وستتفرع عن هذا الإشكال أسئلة فرعية كثيرة، من قبيل :

من هو المهدي بن بركة الإنسان، وكيف نشأ وتطور وما هي الظروف التي صاغت وصنعت توجهه وشخصيته؟

ما هو دوره في حركة التحرر الوطني المغربي؟ وفيما تمثل دوره في ما بعد الاستقلال؟ ماذا قدم للمغرب، وماذا أضاف؟

ماذا مثل في الساحة السياسية المغربية كطرح ومشروع وتيار ؟ ما هي أهداف هذا التيار ؟ وما هي خصائصه ؟

ما طبيعة علاقته بالجزائر والعرب والعالم؟ لماذا برز على الصعيد الدولي؟ وفيما تمثل دوره العالمي ؟ كيف ولماذا كانت تلك نهايته ؟.

وكلها أسئلة تحتاج إجابات وافية وتحتاج ضرورة أن تدرس حياته ومسيرته، فأهمية الموضوع تكتسي درجتها من أهمية التعرف على شخصية المهدي بن بركة، وتبيين دوره داخليا وخارجيا، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، ومن أهمية إبراز إسهاماته الفكرية، فدراسة حياة المهدي ونشاطه ومساره لها أهمية أكاديمية: علمية، سياسية، تاريخية وفكرية.

ودوافع الموضوع كثيرة وعديدة، لعل أهمها:

– أن جل الكتابات عن المهدي بن بركة رغم كثرتها، تبقى كتابات تنطلق من عاملين مهمين، إحداها متأثرة بطريقة نهايته المأساوية، فتحاول اختصار المهدي بن بركة في ما عرف بقضية بن بركة التي بدأت يوم 29 أكتوبر 1965، وفي سعيها للوصول لحقيقة وفاته تغرق في تفاصيل

العملية مغفلة تاريخ الرجل، والنوع الثاني: هي كتابات تحتفي به بشكل كبير، كتبها خصوصا المتأثرين بفكره والمنتمين لتياره، ولهذا فهناك حاجة لدراسة أكاديمية علمية بعيدة عن العاطفة وغير متأثرة بالواقع المغربي وخلافاته وصراعاته.

– والدافع الثاني للاهتمام بشخصية ودور المهدي بن بركة هو وجود مساهمة ما له في تاريخ الحركة الوطنية المغربية، أغفلت كثيرا خاصة من المؤرخين المغاربة الذين تناولوا التاريخ المغربي المعاصر بسبب إفرازات الوضع السياسي المغربي الداخلي، فمن هذا المنطلق لا يمكن لمن يدرس ويتابع تاريخ الحركة الوطنية المغربية أن لا يتعرف جيدا على ما مثله المهدي وما قدمه؟ فالكتابة عن شخصية المهدي إضافة مهمة لتاريخ المغرب.

– كما كان للمهدي بن بركة مسارا أيضا على الصعيد الإقليمي والعالمي، وحضورا في الوضع الجزائري والعربي والإفريقي وجب التعريف به والتأريخ له، وتتبع تفاصيله وتبيين مساهمته ودوره فيه على وجه الدقة، والتطرق لانعكاس وتداعيات هذا المسار على تطوره الشخصي وعلى مكانته الداخلية بالمغرب، لأن كل ذلك يصب في تسليط الضوء على مرحلة معينة من تاريخ البلاد العربية وإفريقيا والعالم.

– هناك أيضا كثير من اللبس حول بعض مواقف المهدي داخليا وخارجيا، وعن بعض التطورات والتحولات والطفرات في مساره وأسبابها، لا زال كثير منها غامضا ولم تحدد طبيعتها بشكل واضح ولم يجزم بنهايتها، ولا زالت ليومنا هذا حمالة أوجه، ووجب التعامل معها والسعي للتأكد على قدر الاستطاعة من حقيقتها، خاصة مع وجود كثير من المتحاملين والمتعاطفين، وكل يفسرها تفسيره الخاص به والذي يخدم توجهه، فوحدها الإجابة العلمية المؤسسة بالدليل والحجة من ستكون الجواب الشافي عن مثل هذه القضايا.

– وأحد أهم أسباب كون المهدي بن بركة أيضا موضوعا مغريا وجديرا بالدراسة أنه كان يتوفر إلى جانب مساره السياسي النضالي على مسار فكري موازي، وكان حاملا لمشروع معين يريد تطبيقه على أرض الميدان، وساهم بإنتاج فكري على قلته لكنه يؤسس لرؤية واتجاه، فوجب الوقوف عنده والبحث فيه عن خلفية الرجل ومنطلقاته ومشاربه، وعن أهدافه ومشاريعه وتصوراته.

إطار البحث الزماني تم تحديده من سنة 1934 وحتى سنة 1965، وهي الفترة الفعلية لنشاط المهدي بن بركة السياسي المباشر، فمع بداية سنة 1934 ورغم أنه كان يبلغ من العمر فقط أربع عشرة سنة لكنه انخرط في أولى خلايا الحركة الوطنية وانطلق في توزيع المنشورات والدعوة لأهدافها، فمثلت سنة 1934 بداية المهدي السياسية، وانتهى نشاطه بموته سنة 1965، فمثل هذا امتداد عمر المهدي السياسي والفكري.

بطبيعة هذا البحث الذي هو تتبع لمسيرة مناضل سياسي، والحاجة لسرد كمية كبيرة من المعلومات فإن الأسلوب الذي سيكون غالبا هو السردي الإخباري، حتى وإن كانت الحاجة في بعض المرات للتحليل، والإنشاء من أجل توضيح بعض القضايا خاصة في الجانب الفكري، الذي يتطلب المقارنة والاستنتاج، وأيضا في الاستدلال والربط بين بعض الأحداث.

بالنسبة للصعوبات التي اعترضت طريق انجاز هذا البحث يمكن تلخيصها في أربعة نقاط:

– صعوبة الوصول إلى الوثائق والأرشيف فرغم مرور نصف قرن على وفاة الرجل، ورغم الانفتاح الذي يطبع توجهات المغرب الداخلية وزوال كثير من الطابوهات، ورغم تداول جزء مهم من الوثائق ونشرها، مزال موضوع واسم المهدي بن بركة يعرف نوع من الحساسية خاصة إذا طرح من جزائري، فلا زال التعامل بحذر وكثيرون يرفضون التعاون.

– قلة توفر كتب عن الرجل وعن الحركة الوطنية المغربية بالجزائر، فباستثناء العناوين المشهورة، لا تتواجد كتب كثيرة ومفيدة.

– غياب المراجع والمصادر باللغة العربية، فجل ما هو متوفر باللغة الفرنسية، ولا تطرح الصعوبة هنا في التعامل مع المادة وإن كانت موجودة، ولكن في غياب النظرة المغربية المهمة حول الموضوع، فجل من تناولوا مسار الرجل فرنسيين، وبالمغرب فقلة تعرضت لمساره وهي من النخبة المفرنسة، وباللغة العربية فباستثناء ما ألفه الصحفي عبد اللطيف جبرو أو محمد عابد الجابري، تكاد كتب المؤرخين المغاربة تنسى وجود شخص اسمه المهدي بن بركة، ولو لا وجود اسمه في بيان الاستقلال لما ذكر مطلقا.

- الاختلاف حول الرجل، ووجود كثير من الشهادات المتناقضة حول مواقفه من قضايا معينة، التي لازالت تعطى حولها تفسيرات متضاربة ومتعاكسة، وهو الأمر الذي يتطلب وقتا أكبر وكمية أكثر من الوثائق والمادة العلمية، من أجل الفصل والوصول للحقيقة الثابتة، وللتفسير الصحيح.

لكن يبقى أن أهمية الرجل وخصوبة الموضوع، وكثير من التساؤلات حول حياته ونهايته قد دفعت بالكثيرين للكتابة والنشر والحديث، خاصة الاهتمام الذي لقيه من الإعلام المرئي، في السنوات الأخيرة مما ساعد في توفر كثير من الشهادات حوله، ومكنت من تجميع ما يمكن الاستفادة منه من مادة علمية من مصادر ومراجع ووثائق وشهادات، وقد تم الاعتماد على الشهادات الشفهية المسجلة لكثير ممن عرفوا المهدي من السياسيين والمؤرخين والصحفيين والمناضلين، وهي شهادات موزعة عبر الحصص التلفزيونية مثل: برنامج "بن بركة المعادلة المغربية"، الذي أنجز من قبل المخرج سيمون بيتون (Simone Bitton) لحساب قناة (arte) سنة 2001، والذي حوى عدة شهادات مهمة مثل شهادة رفاقه وزملاءه في النضال وكثير ممن عرفوه: البصري، اليوسفي، اليازغي، أمحمد عواد (سكرتير بن بركة)، أبوبكر القادري، أمحمد بوشتا، حميد برادة (رئيس UNEM)، جون تابات(مناضل في شبكة كورياك)، محمد بن سعيد آيت إيدر، أحمد عثمان (مدير سابق للديوان الملكي) وشهادة الرئيس الراحل أحمد بن بلة، بالإضافة لشهادة شقيقاته.

وهناك برنامج آخر من إعداد قناة الجزيرة الوثائقية سنة 2012، اشتمل أيضا على عدد مهم من الشهادات، مثل: شهادة ابنه البشير، صهره عثمان بناني، صديقه موريس بوتان، المناضل الهاشمي طود، عبد الرحمان بن عمرو (أمين عام حزب الطليعة)، زكي مبارك (صحفي)، رينيه غاليسو (مؤرخ)، فريديريك بلوكان (صحفي)، وتوجد أيضا شهادات أخر مسجلة مثل شهادة الضابط البخاري، كما توجد كلمات مقتضبة مسجلة للمهدي نفسه.

تم أيضا الرجوع لمجموعة وثائق أرشيفية متوفرة مثل: - وثيقة بيان الاستقلال، الشهادة الشرفية التي سلمت بمناسب نهاية طريق الوحدة المغربية، وثيقة تسجيل المهدي في مدرسة أبناء الوجهاء، ورسالتي المهدي لزوجته ورسالته لإسماعيل توري، كما تتوافر أيضا مجموعة وثائق أرشيفية مطبوعة مثل: - تقرير المهدي للأمم المتحدة سنة 1948، - تقريره لمنظمة التضامن الأفرو- أسيوي

في نوفمبر 1960، – بيان شجب العدوان المغربي في أكتوبر 1963، مختلف وثائق حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، والتي نشرت كملاحق لمجموعة كتب، مثل كتاب الاختيار الثوري، المطبوع بالعربية و الفرنسية، ما نشره ملتقى "المهدي بن بركة من استقلال المغرب إلى حركة القارات الثلاث".

كما تم الاعتماد بشكل رئيسي على مجموعة محاضرات المهدي وكتاباته، كمصادر رئيسية مثل: كتاب "الاختيار الثوري"، محاضرة:" نحو مجتمع جديد"، محاضرة:" مسؤوليتنا"، مقدمة المهدي لكتاب محمد لحبابي "حكومة المغرب في فجر القرن العشرين"، محاضرة:" تغلغل إسرائيل في إفريقيا "، مقاله: " الاستعمار الجديد و الاستقلال المزيف"، كتاب: "الإصلاح الزراعي"، حواراته مع جريدة المنبر الحر التي جمعت في كتاب بعنوان " problèmes d'édification du Maroc et du Maghreb" وهي كلها مصادر مهمة احتوت على أفكار المهدي وتصوره وأعطت فكرة جيدة عن توجهه.

فكراس الاختيار الثوري الذي كتب كتقرير للمؤتمر الثاني سنة 1962، يعتبر أكبر مرجع لفكر المهدي، والمعبر عن توجهه، وقد لخص فيه مشروعه للتغير، وأعطى فيه خلاصة تحليله للواقع المغربي، ولمسيرة الحركة الوطنية، وأعتبر أيضا عملية مراجعة لمسار هذه الحركة، ونقد ذاتي للأخطاء والقرارات الخاطئة من وجهة نظر المهدي، التي لم تمكن من تحقيق مشروع الديمقراطية والنهوض بالمغرب، وضمنه خلاصة نظريته الفكرية لأسلوب الحكم ولمشروعه الاشتراكي.

و نفس الشيء بالنسبة لمحاضرة "مسؤوليتنا" فكانت أيضا نقدا موجه للحركة الوطنية وحالة الخيبة التي ظهرت بعد مرور سنة على المغرب المستقل ولم تظهر أي بوادر على التغيير، وبقاء نفس مظاهر التخلف، والفوارق الطبقية واللاعدالة، وتنفّذ أعوان الاستعمار، أما بخصوص محاضرة: "نحو مجتمع جديد" فكانت نقدا موجها لعموم المجتمع المغربي، وتحليل تاريخي لأسباب التخلف والوقوع في براثن الاستعمار، كما تضمنت أيضا بعض الخطوات والمشاريع ونظرة المهدي لعمليه النهوض.

تمّ الرجوع في هذا البحث لمجموعة الكتب التي أرخت وتناولت شخصية المهدي منها ما هو بشكل مباشر، مثل: عبد القادر بن بركة: " El Mehdi ben Benbarka mon frère" الذي هو شهادة مهمة ومصدر رئيسي احتوى على نظرة شاملة وعن قرب لمسيرة المهدي الشخصية

والسياسية، وزكية داود ومعطي منجب: "Ben Berka "، الذي يعتبر أكبر محاولة شاملة لتتبع حياة المهدي بن بركة، وتحليلها بشكل من العلمية، ويمثل ترجمة وافية لمساره النضالي، وكذلك كتاب عبد اللطيف جبرو: " الرياضيات مدرسة للوطنية" وهو الجزء الأول في سلسلة تتناول نضال المهدي وأفكاره، وقد أعطى نظرة قيمة عن الرجل بأسلوب جميل، مزجت بين فكره وممارسته، وعبد الرحيم الورديغي:"l'itinériraire d'un natoinaliste, Mehdi Ben Barka"، وجاك ديرجي: "خفايا إغتيال المهدي بن بركة"، وروجي موراتي "on a tue Ben Barka".

وأعتمد أيضا على مجموعة مداخلات قيمة بمناسبة ملتقى نظم في جامعة باريس 8، من مجموعة مؤرخين ومثقفين ومقربين من المهدي، مثل: محمد حربي، عبد الله السعاف، المهدي المنجرة، زكية داود، البشير بن بركة، رينيه غاليسو، أبراهام السرفاتي، موريس بوتان.

كما تمت الاستعانة بمجموعة مذكرات مثل حوار الحسن الثاني مع إيريك لوران: "lamémoire d'un roi"، أبو بكر القادري:" مذكراتي في الحركة الوطنية"، والحاج أحمد معنينو: "المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956-1959"، وموريس بوتان:" Ben Barka, Hassan II, De Gaulle: ce que je sais d'eux"، ومحمد عابد الجابري:" مواقف وإضاءات"، وفاطمة أوفقير: "حدائق الملك"، مومن ديوري: " réalités Marocaines" و" réquisitoire contre un despote"، وأحمد البخاري: " le secret".

وكانت هناك مجموعة كتب عامة تعرضت بشكل متفاوت للمهدي بن بركة ولدوره مثل: شارل أوندري جوليان:"le Maroc face aux impérialisme 1415-1956"، مصطفى بوعزيز: "aux origines de la koutla démocratique"، رومان فنجاس: "alert en Afrique du nord"، أتيليو غوديو: "Allal Elfassi ou l'histoire del'istiqllal"، عبد الكريم غلاب " تاريخ الحركة الوطنية " و" المغرب في مواجهة الغرب"، جورج أوفيد:"la gauche française et le nationalisme Marocain"، ومجموعة كتب أخرى.

كما كانت هناك مجموعة مقالات وموضوعات من مجموعة صحف قي تلك الفترة، مثل جريد الشعب سنة 1963، حيث هناك مقلات عديدة بعضها بقلم المهدي، وأخرى تتناول أحداث المغرب وتركز على الحركة اليسارية المغربية مثل تلك التي كان يكتبها محمد باهي، كما اعتمد على بعض أعداد جريدة التحرير والاستقلال المغربيتين، وبعض الدوريات مثل مجلة كان التاريخية ونشرة تواصل، الخاصة بقدماء المحاربين المغاربة.

جاء هذا البحث في شكل مقدمة، وأربعة فصول وخاتمة، فالفصل الأول تناول دور المهدي بن بركة في الحركة الوطنية المغربية ونضاله السياسي حتى سنة 1956، بداية بإعطاء نبذة عن حياته الشخصية والعائلية ودراسته، والظروف المحيطة التي رافقت نشأته، ثم تم تناول بداياته مع السياسة والحركة الوطنية، والتي تزامنت مع دراسته الثانوية والجامعية، وكيف انخرط شيئا فشيئا في النضال الوطني، وتلتها مرحلة ارتماءه في العمل الوطني وتفاصيل مساهمته المباشرة في أحداث انطلاق المشروع الوطني وحزب الاستقلال.

كما تم تخصيص جزء للحديث عن دور المهدي بن بركة في سنوات المخاض الوطني بداية من 1950 والتي توجت بالاستقلال سنة 1956 ، وكل ما عرفته من أحداث وتطورات، من نشاطه في حزب الاستقلال وتكوين خلايا الحزب ومتابعة نشاطاته، وكذا دوره في جريدة العلم، وعبر مؤسسات الحماية مثل مجلس شورى الحماية وأزمة 1951 بين الملك والإقامة، مرورا بسنوات الاعتقال والمقاومة ودوره في جيش التحرير، و بدايات الخلاف داخل حزب الاستقلال، وانتهاء بالمفاوضات وعودة الملك محمد الخامس، وحصول المغرب على استقلاله.

الفصل الثاني؛ تطرق لمسيرة المهدي في المغرب المستقل، بداية بدوره في تقوية الحزب ومحاولة إيجاد مكان له في الساحة السياسية، وما تبع ذلك من صراع ظاهر وصامت، وكذلك دوره في مؤسسات المغرب، من خلال الجمعية الوطنية الاستشارية، وإشرافه على طريق الوحدة المغربية، وكذلك صراعه من أجل السيطرة على المقاومة وتكوين قوة عسكرية، وما خلفه من مواقف ونتائج، ثم تم العرض لبداية الأزمة السياسية في المغرب، أسبابا ومظاهرا وما تركته في الساحة من صراعات وانقسامات، وعلاقة المهدي بكل ذلك.

كما كان لأزمة حزب الاستقلال سنتي 1958 و1959 وتأسيس حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أيضا مبحث خاص، احتوى على تفاصيل الأزمة وأسبابها، وأهم مخرجاتها، وانشقاق الحركة الوطنية المغربية لتيارين متوازين، وبداية الصراع داخل المغرب المستقل، بين القصر والمعارضة، على المؤسسات وعلى شكل النظام، عبر الصحافة وعبر الانتخابات، وانتهى بقطيعة نهائية، واتهامات متبادلة، وانطلاق موجة القمع ضد رفقاء بن بركة، وخروجه من المغرب، وبداية عهد المنافي والمطاردة.

الفصل الثالث: خصص لدور المهدي على الصعيد الإقليمي والعربي والدولي، فبداية بطبيعة علاقته بالجزائر وأهم ما ميزها من تطورات ومراحل، ثم علاقته بقضايا المد القومي العربي، والقضية الفلسطينية، وكيف تشكلت ونمت هذه العلاقة، وما الدور الذي لعبه المهدي إزاءها؟ وخصص مبحث لدور المهدي ونشاطه العالمي، كيف بدأ؟ وكيف نما؟ وكيف أضحى له حضورا مميزا وفاعلا، ومعتبرا في حركات التحرر العالمية وفي منظمات العالم الثالث؟

وكيف جعل منه الدور العالمي ذلك الشخص المحوري في النشاط الدولي؟ من خلال سعيه الحميم لتوسيع حركة التضامن العالمي عبر العالم، ومساهمته في حلحلة كثير من القضايا، ومساعدة حركات التحرر، وكيف أيضا جعل منه ذلك رجلا خطيرا؟ يهدد مصالح الدول الكبرى، وجلب له مطاردة كثير من الأجهزة الأمنية من المغرب وخارجه، وهو ما يتعرض له المبحث الرابع، وهو نهاية المهدي بن بركة وما أثارته من جدل في تفاصيلها وحول من يقف وراءها ومن المستفيد منها؟

أما الفصل الرابع، فقد تطرق لتوجه المهدي الفكري، ومساره الإيديولوجي، بداية بإثبات وجود النزعة الفكرية والميل للتنظير لديه، وإظهار الإطار العام لتوجهه ونزعته العقلية، وخصائصه كمفكر، وأهم ميزات نهجه وطروحاته، مرورا بالظروف التي أثرت وطبعت وصاغت فكره منذ الصغر، وجعلته يأخذ ذلك الاتجاه الجديد في الساحة المغربية، ومساهمة كثير من العوامل في صنع تلك النزعة ومنها على الخصوص ثقافته وتعليمه، ومن دون شك المسيرة النضالية بكل نتائجها وعواملها الموضوعية ومراحلها وما عرفته من نجاحات وخيبات وصدامات، والتي صاغت في النهاية الشكل الذي أضحى عليه توجهه.

وتمّ التطرق لتطور المسار الفكري للمهدي بداية بالمرحلة الإصلاحية، وأهم خصائصها ومميزاتها، وركائزها ومظاهرها، وما هي أهدافها ووسائلها؟ ثم الانتقال للمرحلة الثورية من عمر فكر المهدي، بإرهاصاتها من زمن الحركة الوطنية، والنزوع نحوها شيئا فشيئا، والأسباب التي وقفت وراء ذلك، والمظاهر التي أخذها هذا التوجه في هذه المرحلة، وتصورات المهدي وأهدافه ومشاريعه

بخصوصها، وأهم الوسائل التي كانت تجسد الثورية في نظر المهدي، وتم تسليط الضوء على بعض المفاهيم من فكر المهدي كموقفه من الانقلاب على النظام الملكي، وموقفه من الشيوعية، وكذلك نظرته بخصوص الصراع الدولي، وما يسميه المهدي الاستعمار الجديد.

وأنهي العمل بخاتمة عرضت لأهم النتائج التي استخلصت من دراسة مسار المهدي السياسي والفكري، وأجابت عن الإشكالية المطروحة، وما يمثله المهدي بن بركة في تاريخ المغرب من قيمة لا ينازعه فيها إلا القليل من الشخصيات، رغم أن فترته كانت زاخرة برجال العمل الوطني، وأهمية دوره على الساحة الداخلية والخارجية، وتسخير حياته للمغرب، والتضحيات الجليلة التي قدمها وعلى رأسها حياته.

الفصل الأول:

دور المهدي بن بركة في الحركة الوطنية المغربية ونضاله السياسي حتى سنة 1956

المبحث الأول: النشأة والدراسة والعائلة .

المبحث الثاني: الانتماء للحركة الوطنية ومرحلة التكون السياسي1934– 1942.

المبحث الثالث:مرحلة النضال السياسي في العمل الوطني 1942– 1950.

المبحث الرابع: سنوات المخاض السياسي المغربي 1950– 1954.

المبحث الخامس: علاقة المهدي بن بركة بالمقاومة المسلحة.

المبحث السادس: الانفراج السياسي، المفاوضات والاستقلال 1955– 1956.

الفصل الأول: دور المهدي بن بركة في الحركة الوطنية المغربية ونضاله السياسي حتى سنة 1956م

عندما اعترفت فرنسا باستقلال المغرب سنة 1956م كان المهدي بن بركة يبلغ من العمر ستة وثلاثون سنة، وخلال هذه الفترة وهذا العمر القصير كان قد خط مسارا سياسيا كبيرا، جعل منه أحد ألمع الساسة المغاربة، وأكثرهم حضورا ونشاطا وتأثيرا بل وخطورة، وخلال خمسة عشرة سنة فقط قفز المهدي لصدارة المشهد وأضحى مؤثرا بشكل لا يقاربه فيه إلا الملك نفسه أو علال الفاسي؛ الشخصية العلمية والسياسية المغربية، وبات أحد الأرقام المهمة في الشأن الداخلي، واسم يتوقف عنده الكثير من السياسيين والإعلاميين.

لكن عبر هذه السنوات كانت هناك تطورات وتحولات ونضالات ومراحل مختلفة قد مر بها، كلها ساهمت في رسم وصياغة مسيرته، التي تبدأ من نشأته في محيط العائلة الرباطية البسيطة، وتمر بسنوات الدراسة وتنتهي بارتمائه وانخراطه بكل قوة في المسرح السياسي المغربي والحركة الوطنية، فكل مرحلة من هذا المسار لها خصائصها وتأثيراتها ونتائجها، حتى وإن كان هناك تداخل كبير بينها وتماه يصعب معه فصل الواحدة بحدود وتاريخ واضحين، لكن هناك ضرورة لفصلها وتميزيها لجعل مسيرته أكثر وضوحا وأكثر قابلية للفهم وتتبع خطواته وتبيين تطور مساره السياسي إلى الشكل النهائي الذي بلغه غداة الاستقلال.

تمثل هذه المرحلة من حياة المهدي، الجزء الذي لا يحظى بالتركيز الكافي – في ظل بروز شخصه ودوره اللافت في المراحل اللاحقة– رغم أهميتها في حياته وفي تشكل أفكاره وقناعاته التي رافقته عبر مسيرته السياسية والمراحل التالية، و ستكون لمكتسبات هذه الفترة قيمتها في الحظوة والموقع السياسي الذي سيبلغه المهدي لاحقا، ففيها تكونت معالم شخصيته الرئيسية، وصنع فيها وجوده النضالي.

المبحث الأول: النشأة والدراسة والعائلة.

ولد المهدي بن بركة؛ ابن أحمد وفطومة بوعناني، سنة 1920 [1]، بحي سيدي بن عيسى بالرباط، حيث كان والده "أحمد" يسكن وسط عائلة أصهاره آل البوعنان، الذين يحترفون الدباغة ويمارسونها أبا عن جد كمهنة ذات حضور معتبر آنذاك، تتمسك بها وتتوارثها كثير من الأسر الرباطية ولها حي صناعي خاص بها يطل على نهر أبي رقراق غير بعيد عن زنقة القناصل، وتنتمي أسرة بن بركة إلى منطقة بن سليمان بنواحي الدار البيضاء، حيث تتحدر العائلة من القبيلة العربية زيايدة التي تقع بين منطقتي تامسنا وزعير، وهي المنطقة الريفية التي كان جد المهدي الكبير يزاول بها مهنة الخياطة، قبل أن يقدم إلى الرباط ويتزوج منها، ويورث ابنه أحمد فن خياطة الجلابة، ثم يلحقه بمدرسة قرآنية تعلم فيها القرآن الكريم ودروس اللغة العربية، وليجعل منه ذلك إماما يؤم الناس في الصلاة مقابل راتب من الحبوس يقدر بحوالي ثلاثين فرنكا للشهر آنذاك، ومن أجل ضمان توفير حاجيات أسرته كان أيضا يمارس تجارة الشاي والسكر[2].

أ- نشأة المهدي ودراسته:

كان المهدي الابن الثالث من بين سبعة إخوة، ثلاثة ذكور وأربعة بنات، الابن البكر إبراهيم رفيق المهدي الأول توفي في سن الواحدة والعشرين نتيجة خطأ طبي، وقد جمعته مع المهدي علاقة قوية وتفاهم كبير، كما جمعتهما الدراسة رغم الفارق في السن، وتركت وفاة إبراهيم بالغ الأثر في حياة وتفكير المهدي، كما ستترك جميع ظروف العائلة ووضعيتها الاجتماعية والمحيط وطبيعة المدينة والحي؛ أثرها في نشأته وتوجهاته [3].

---

(1) - Bachir BEN BARKA, **Mehdi Ben barka recueil de textes**, CETIM, Geneve, 2013,p:04.

(2) -Abdelkader BEN BARKA, **El mehdi ben Benbarka mon frère**, Robert Lafont, paris, 1966, p:10.

جبرو عبد اللطيف ،المهدي بن بركة، **الرياضيات مدرسة للوطنية**، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ،1986، ص:58

(3) - Abdelkader Benbarka, op-cit ,p :11.

أدخل المهدي كتاب تحفيظ القرآن الكريم في درب أوالزهراء، حيث سيبقى هناك إلى سنة 1929م، حيث انتهى من إتمام حفظ القرآن الكريم كاملا، وكان خلال هذه الفترة يتنقل ما بين سكناه بسيدي بن عيسى ودكان والده لبيع الشاي والسكر بفران الزيتونة وبوقرون بالقرب من زاوية سيدي قاسم، وبين درب أو الزهراء حيث الكتّاب.

وبعد إتمام المهدي حفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات، أراد والده إدخاله وأخوه إبراهيم المدرسة الرسمية، مدرسة أبناء الوجهاء الواقعة بالقرب من سجن لعلو، وهي نفس المدرسة التي مر عبرها كثير من أبناء الذوات مثل أحمد بلافريج، فقبل إبراهيم في حين رفض المهدي نتيجة صغر سنه، فإدارة المدرسة لم تكن تقبل في فصولها أيا كان خاصة من أبناء الفقراء والطبقة الكادحة، وخصوصا بعد قبول أخيه إبراهيم، لكنه ألح في أن يقبل بالمدرسة وظل يخرج كل يوم ويتوجه إلى المدرسة ويرابض أمام بابها في شكل من أشكال الاحتجاج الطفولي، وأمام إصراره على التشبث بولوج المدرسة تدخل أحد الأصدقاء للمساعدة، وهو أحد المعلمين " الفقيه الطيبي بن المعطي الركراكي "والذي أقنع زوجة المدير – والتي تشغل أيضا منصب معلمة بالمدرسة – بقبول المهدي[4].

دخل المهدي مدرسة لعلو وهو ليس من أبناء الأعيان، والتحق بالقسم التحضيري في منتصف السنة الدراسية، وستكون مدة ثلاثة سنوات ونصف كافية لنيله شهادة الابتدائية، فقد مكنته فطنته ونبوغه من الانتقال سريعا بين الفصول والسنوات[5]، وقد كان التلاميذ في مدرسة أبناء الأعيان وفي مقابل التعليم الفرنسي الغالب يدرسون القرآن والثقافة التقليدية ساعة في الصباح قبل جرس الثامنة وفي المساء بعد نهاية الدوام، فكانت هذه الدروس من أجل ضمان أن يرسل الآباء أبناءهم، وخشية أن يرفضوا فعل ذلك لمدرسة فرنسية بالكامل[6]، فكان من معلمي هذه المدرسة التهامي السملالي، وهو أحد رجال الحركة الوطنية وبواسطته سيتعرف المهدي على الثقافة المغربية الأصيلة وأولى مبادئ الوطنية[7].

---

[4]– جبرو، مرجع سابق، ص– ص: 62 – 65/.Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p,p:11,12

[5]– جبرو، مرجع سابق، ص: 65.

[6] – Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p: 19.

[7]– جبرو، مرجع سابق، ص: 66./صورة السجل الذي يحوي اسم المهدي في مدرسة أبناء الوجهاء، ملحق:01.

ومع بداية انتظام المهدي بالمدرسة تبناه أحد الأقرباء وهو زوج عمته الميسور الذي كان يشتغل بالبلدية [8]، وهي وظيفة محترمة بقياس ذلك العهد، وكان رجل له حضوره وسط العائلة كشخصية مرموقة وترك أثرا بالغا في تكوين المهدي وحياته فيما بعد، لقد كان المهدي محظوظا ومفضلا بين إخوته حيث أن تبنيه من قبل العم السرغيني أعطاه استقلالية كبيرة جعلته يركز فقط على تعليمه ودروسه، فقد حظي بمكتب صغير في غرفة صغيرة وكانت له عناية خاصة [9].

حصل المهدي في عمر الثالثة عشرة سنة على الشهادة الابتدائية، وبعدها استطاع الولوج مباشرة إلى الصف السادس بثانوية مولاي يوسف عقب إجراء امتحان، وقد بدأ اهتمامه في هذه المرحلة بعلوم الفيزياء والكيمياء، فكان بلهفة يتوجه إلى كوليج مولاي يوسف ويتابع الدروس هناك، وتعلق أكثر بالعلوم وبالتجارب التي يقوم بها أستاذ المادة في المخبر[10].

وبعد سنتين من وجود المهدي بثانوية مولاي يوسف تم سحبه منها بتدخل من أفراد الحركة الوطنية المغربية خشية عليه من تأثير أستاذ لبناني كاثوليكي يدعى الخياط، الذي شوهد برفقته في أحد القداسات، وتحت تأثير حادث آخر هو ارتداد الطالب محمد عبد الجليل شقيق عمر عبد الجليل أحد أبرز الوطنيين المغاربة إلى المسيحية وتحوله إلى راهب[11]، لقد تخوف الوطنيون من التأثير الذي قد يحدثه في التلميذ أستاذ الترجمة، وهو اللبناني الماروني والذي كان ناشطا خارج المدرسة يسجل للإذاعة أناشيد الأعياد والمناسبات، وقد كان الناشط الوطني محمد اليزيدي وراء هذا القرار، وتم إلحاق المهدي بثانوية غورو[12].

---

[8]- عرفت أسرة بن بركة ثلاث إقامات بالرباط، سيدي فاتح، سيدي بن عيسى والقزح في مدة 28 سنة من عمر المهدي، وكانت أسرة بن بركة تتقاسم مع أسرتين أخريين مكان إقامتها؛ بن عيسى بوعنان شقيق فطومة زوجة أحمد بن بركة، وأسرة العم السرغيني زوج شقيقة أحمد بن بركة كنزة، وينتمي السرغيني لقبيلة الحياينة التي شاركت في تمرد 1912 على السلطان عبد الحفيظ ورفضت دفع الضرائب وشاركت في حصار فاس.

Zakya DAOUD– Maati MONDJIB, **Ben Barka**, Michalon, Paris, 1996, p,p: 61,62.

[9] - Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p: 19

[10]- جبرو، مرجع سابق، ص: 66.

[11] - Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p:37.

[12]- جبرو، مرجع سابق، ص،ص: 68، 69./ صورة المهدي قي المدرسة ، ملحق رقم:10.

دفع المهدي في الخامسة عشرة من عمره حوالي منتصف الثلاثينات؛ نتيجة نقص موارد العائلة إلى العمل في الصباح الباكر في سوق بيع الخضار بالجملة بباب الحد، وفي العطلة الصيفية كان يشتغل في بدال تلفون (ستاندار) بإدارة فرعية لناحية الرباط، ثم محاسب عند تاجر في سوق الخضار المركزي بالرباط، كما اشتغل في مصلحة المالية والضرائب لتحصيل ضريبة (الترتيب) الفلاحية مقابل راتب شهري يقدر بمائة وعشرين فرنكا، وهي مصلحة كانت تخصص وظائف للراغبين في العمل من الثانويين بالرباط وسلا عند نهاية الموسم الفلاحي لإحصاء ما يتوجب على الفلاحين والكسّابين من رسوم وجبايات بحكم هذه الضريبة التي أحدثت في عهد السلطان عبد العزيز[13]، لقد كانت إدارة الحماية في حاجة إلى إطارات محلية من ذوي الشهادات الابتدائية لملئ العديد من المناصب المناسبة للمغاربة، كسعاة البريد والمعلمين وبعض الموظفين الإداريين، فالمهدي وأخويه لم يكونوا يعرفون شيء اسمه عطلة صيفية[14].

ب- البكالوريا والجامعة:

تواجد المهدي خلال السنة الدراسية 1937/1936 في ثانوية غورو وهي السنة التي تسبق سنة البكالوريا، حيث يحفظ إسمه " المهدي بن أحمد بن بركة مواليد سنة 1920" في سجلات الثانوية، وخلال موسم 1938/1937 عاد من جديد إلى كوليج مولاي يوسف لينال في جوان 1938 شهادة البكالوريا الأولى وشهادة نهاية الدروس الثانوية الإسلامية، فلم يكن أول مغربي ينال الشهادتين وعمره 18 سنة فحسب بل كان أول من نال البكالوريا بدرجة جيد جدا وتهنئة اللجنة المشرفة على الامتحان، ومنح جائزة الاستحقاق الأولى ولوحة الشرف في اللغتين اللاتينية والإنجليزية ومختلف فروع اللغة الفرنسية والترجمة والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والعلوم واللغة العربية والتربية الإسلامية، وقد حصل على الجائزة الثانية في التربية البدنية نتيجة نقص بنيته وضعفه الجسماني[15].

---

[13]- نفسه، مرجع سابق، ص:66.

[14] - محمد عابد الجابري، **إضاءات وشهادات- المهدي بن بركة** ، مواقف، الجزء الأول، العدد السادس، ،دار النشر المغربي، الدار البيضاء، 2002، ص، ص: 42 ،43.

[15]- جبرو ، مرجع سابق، ص: 68، 69.

عاد المهدي ليجتمع مع العائلة من جديد بالتزامن مع نجاحه الباهر، بعد أن بقي لمدة سنوات عند متبنيه [16]، وبمناسبة نجاحه تم استقباله في القصر من قبل مسؤولي الإقامة والمخزن مرفوقا بمجموعة من أفراد العائلة منهم والدته فطومة التي كانت غارقة في فرحة عارمة، وكان جاك بارك أحد الذين استقبلوه، لقد أذهل المهدي معلميه بمستواه الرفيع فكتبت عنه الصحف، وتلقى مجموعة هدايا من الكتب تطلبت منه استئجار عربة لنقلها إلى البيت، كما منح رحلة إلى فرنسا [17].

تكفلت الإقامة بمصاريف المهدي من أجل إتمام دراسته الجامعية وأعطي منحة لمواصلة الدراسة، فالتحق بثانوية ليوطي بالدار البيضاء في أكتوبر 1939 لدراسة الرياضيات، قبل أن يتوجه إلى الجزائر في نهاية العطلة الصيفية لسنة 1940[18]، وقد كان قرر مواصلة دروسه في فرنسا لكن الحرب العالمية الثانية المشتعلة جعلته يغير وجهته إلى الجزائر، فانتقل بعد العطلة إلى هناك وسجل في تخصص رياضيات وفيزياء رفقة عبد الكبير الفاسي ابن عم علال الفاسي وأحد رموز الحركة الوطنية لاحقا[19]، في هذا الحين كان عبد القادر الشقيق الأصغر يخطو خطواته الأولى في المدرسة وتزوجت الشقيقة الكبرى فاطمة، بينما الأخ الأكبر إبراهيم يعاني تحت وطأة المرض وتوفي بعد فترة قصيرة، لقد كانت وفاة إبراهيم حدثا مؤثرا وذكرى سوداء حزينة في حياة المهدي، وظل يذكّره دائما بمستوى معيشته ويمثل له أصدق تعبير عن قساوة حياة تلك الفترة وصعوبتها[20].

مثلت مدينة الجزائر مرحلة أخرى من حياة المهدي أضافت لسابقاتها الكثير، فالجو الفكري في هذه الفترة كان أكثر تنوعا من الرباط، حيث الجامعة الفرنسية العريقة ووجود شخصيات بارزة، وكذالك وجود تيارات فكرية فاعلة، لم يكن للمهدي الطالب المتزمت المحافظ سابق علم ومعرفة بها[21]،كانت إضافة مهمة في نضج المهدي وثقافته وفكره وتوجهاته السياسية، من خلال الاحتكاك والاطلاع والانفتاح على عالم جديد وأناس جدد وظروف أخرى، لقد مثلت البكالوريا للمهدي

---

(16) - Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p:35.

(17) -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:74.

(18)- جبرو، مرجع سابق، ص: 108.

(19) -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:75.

(20) - Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p:10.

(21)- جبرو، مرجع سابق، ص: 110.

نجاحا فتح أمامه العديد من الأبواب المغلقة، فبالإضافة لما حققته له على الصعيد الاجتماعي والثقافي، فقد جعلته يحرق العديد من الأشواط ويستدرك ما حرمته منه ظروف العائلة وحالة البؤس والعوز، لقد محت كثير من الفوارق بينه وبين الطبقة البرجوازية التقليدية، فالمجتمع المغربي يقدس العلم ويضع العالم في نفس مرتبة الأمراء والأغنياء، كما أن تفوق المهدي في المدرسة الفرنسية جعله قريبا من الطبقة المثقفة الفرنسية وعلية القوم، كل هذا سيفتح أمامه أبواب السياسة على مشرعيها.

ج – بين الرياضيات والسياسة و العائلة:

حصل المهدي سنة 1942 على الإجازة في الرياضيات الفيزيائية، وقد كان يريد تحضير شهادة الأستاذية لكن الظروف اضطرته للعودة إلى المغرب وقاطع تحضيراته للشهادة نزولا عند طلب الحركة الوطنية بالعودة السريعة بعد إنزال القوات الأمريكية بالمغرب سنة 1942، كان في سن الثانية والعشرين وفي أوج العطاء والحماسة العلمية، لكنه عاد ليصبح أستاذا بثانوية قورو بالرباط[22]، وبالإضافة لعمله هذا كان يعطي دروسا خصوصية بالعربية في الرياضيات بالمدرسة الخاصة للرجل الوطني أحمد الشرقاوي في مدينة الرباط، كما كان يدرس في الثانوية الملكية المخصصة لأبناء العائلة الملكية، كان أحد تلاميذه ولي العهد الحسن الثاني[23].

كان المهدي في هذه الفترة يعيش بين جذبين الرياضيات والعمل الوطني واستطاع أن يوفق بينهما، كان يمضي نصف وقته في قاعات التدريس من دون أن يحول هذا من كونه أحد أنشط الوطنيين وأكثرهم حركية وبروزا وتحملا للمهمات والوظائف، لقد كان الجبر حبه والوطنية شغفه[24]، ومن فترة الطفولة وهو تلميذ بكوليج مولاي يوسف ظهر ميله للرياضيات، ثم بثانوية قورو حيث يدرس أبناء الجالية الفرنسية ومعهم أقلية من أبناء العلية من المغاربة [25]، كما تحدث عبد القادر: "الرياضيات احتلت مكانة خاصة في قلب المهدي بالرغم من أنه كان يميل إلى تجنب الأسئلة في هذا

---

[22] -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p,p:75,76.

[23] – HASSANE II, **la mémoire d'un roi**, entretiens avec Eric laurent, Plon, Paris, 1993, p:48.

[24] - Ibid, p:108.

[25]– جبرو، مرجع سابق، ص: 121.

الموضوع، لقد كان يخشى من دون شك انطباع التجرد المؤلم لشخصيته كمثقف، بالرغم من أنه نجح دوما بفضل طاقته ونهمه العقلي والذي قاده ليتصدر كل الأعمال والنشاطات، ودائما عندما كان مسجونا يطلب من بين الكتب كتبا علمية، وكان يواصل دراسة الرياضيات، وكان معروفا أنه في كل مرة ومن أجل التهدئة والخروج من أي نقاش ساخن يكفي إرسال طفل يحمل مسألة رياضية من أجل حلها، حيث ينزوي المهدي معه في زاوية يسترسل في الشرح والتبيان[26].

لم تدع له الأحداث وقتا ليسخره للحساب والرياضيات، لقد كان يحلم بأن يكون باحثا مرموقا ويسر للمقربين بذلك، رغم يقينه بأن هذا حلم وترف لن يوفره له المغرب، وظروف الكفاح من أجل الوطن[27]، وحسب جاك بارك فإن بن بركة استأنف بحوثه العلمية في سنوات الخمسينات، لكن تسارع الأحداث وانغماسه كلية في العمل الوطني وتحمله لكثير من المسؤوليات باستثناء فترات الاعتقال جعله يؤجل الموضوع، لقد أشار كثير من المثقفين الذين عاصروه: بارك، شارل أوندري جوليان، جون دريش، ريجي بلاشير، أنه كان ليكون من ألمع متخصصي الرياضيات لو لم تبلعه السياسة[28]، ولاحقا تحدث الحسن الثاني: " أظن أنه لو لم يكن مشتتا كان ليكون باحثا رائعا، لقد تحول شغفه بالعلم للسياسة"[29].

يعتبر المهدي أول من درّس الرياضيات باللغة العربية في المغرب، كما كان يكتب مقالات في الصحافة المغربية لدفع الشباب لاهتمام بالعلوم وخلق رأي عام جديد في نظرته للتوجّهات العلمية، وكان أحد مقالاته في مجلة "رسالة المغرب" حول الأعداد ومعجزة الصفر[30]، كان للرياضيات وللعلوم تأثير بالغ في أفكاره وطريقة استدلاله، وستبقى الإحصاءات والأرقام حاضرة دوما في تقاريره وكتاباته، وسيرافقه هاجس العلم والتعليم والحداثة والتحديث لآخر عمره.

---

[26] - Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p:43.

[27] - Ibid, p:44.

[28] - DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:77.

[29] - HASSANE II, op-cit, p:108.

[30]- جبرو ، مرجع سابق، ص،ص: 114، 115.

سنة 1948 تزوج المهدي في نفس اليوم رفقة أخيه عبد القادر حيث عقد قرانه على غيثة بناني، وجاء زواج المهدي متأخرا نسبيا مقارنة بتقاليد تلك الفترة نتيجة انشغاله بعالم السياسة ونشاطه في الحركة الوطنية، ورزق بابنه الأول البشير سنة 1950[31]، وسيرزق بخمسة أطفال آخرين، كان لوالدتهم الفضل الكبير في الاعتناء بهم في ظل استغراق المهدي في النشاط والنضال، والتنقل بين السجون والمنافي.

ستبقى عائلة المهدي تعاني الأمرين جراء ارتباطاته ونشاطاته، وتدفع ثمن كل المواقف التي اتخذها، سواء الوالدين أو الزوجة أو الأبناء، فبين ما يخصصه للنضال وللعمل وبين ما سرقته منه السجون والمنافي والمطاردات لم يتبقى الكثير للعائلة، لكن رغم ذلك كان حريصا على متابعتهم جميعا بما فيهم أخواته اللائي طلب من أخته الصغرى زبيدة الإشراف على تعليمهن باعتبارها متعلمة، وكان يسرق القليل من وقته ليتوقف يسأل ويرى أين وصلن[32]، لقد تعرضت عائلته دوما للمضايقات في عهد الاستقلال، قبل أن تقرر زوجته الرحيل إلى القاهرة رفقة أبنائها، فيما اختار عبد القادر ألمانيا كمقر إقامة دائم.

---

(31) -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p,p:106,107.

(32)- زبيدة شقيقة المهدي الصغرى، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.

المبحث الثاني: الانتماء للحركة الوطنية ومرحلة التكون السياسي 1934– 1942.

كان ارتباط المهدي بالعمل السياسي وبالحركة الوطنية مبكرا، فقد لعبت مجموعة الأحداث التي انطلقت مع جيل المهدي أبرز جاذب ومكون سياسي لجيل بأكمله، فقد شهدت فترة صباه أحداث زاخرة ومؤثرة في مسار المغرب مثل حرب الريف، حيث مثلت بطولات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ومقاومون آخرون مثل موحا أوحمو الزياني[33] مضرب مفاخرة لكل شباب وصبيان المغرب، ثم جاء الحدث الأبرز في تاريخ المغرب؛ "الظهير البربري" ليدفع بهم وبكل المغاربة سريعا لقلب المعركة السياسية.

أ– مرحلة الانخراط في الحركة الوطنية والبدايات النضالية 1934–1939:

شيد قادة العمل الوطني ورجال الحركة الوطنية منذ سنوات العشرينات في جل المدن المغربية الرئيسية مدارس عربية، هذا المدارس أو الكتاتيب الخاصة شكلت معقلا من معاقل المقاومة ومهد الوعي السياسي وبداية تخريج أجيال وطنية وإحدى وسائل الدفاع عن الهوية الوطنية في مواجهة المدارس الفرنسية [34]، فكان المغاربة حريصين على ولوج أبنائهم لها وتعلم القرآن والعربية قبل اتجاه بعضهم للمدارس الفرنسية كحالة المهدي، كانت أولى العلاقات التي جمعت المهدي بالوطنيين والوطنية من خلال معلمه الأول سي الطيب بالمعطي، الرجل المتشبع بالقيم المغربية، والتي غرسها فيهم صغارا في الكتاب[35].

كان التعليم الفرنسي هو السائد في مدرسة أبناء الوجهاء، مع وجود بعض الحصص المخصصة لبعض الدروس العربية التقليدية والقرآن قبل وبعد الدوام الرسمي، ومن أجل إغراء الطبقة التقليدية المغربية والأهالي بإرسال أولادهم الذين قد يمتنعون إذا كان التعليم في مجمله غربيا[36]، لقد

---

[33]– محمد أو حمو بن أكّا بن أحمد ويعرف أيضاً باسم" أمحزون بن موسى"(1921 – 1863) عُيِّن قائدا على الزيانيين في خنيفرة من قبل السلطان مولاي الحسن الأول في 1886، من أبطال المقاومة المغربية الأمازيغ للاحتلال الفرنسي للمغرب.
موحا أوحمو الزياني http://www.marefa.org/index.php/

[34] – عبد الله الجراري، **من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا**، مطبعة الأمنية، الرباط،ط1، 1971، ج1،ص:251.

[35] – DAOUD – MONDJIB, op-cit, p,p:65,66.

[36] – الجراري، مرجع سابق، ص:41.

كان الرجل الذي حمل على عاتقه مهمة تربية جيل مغربي وطني داخل المدرسة هو التهامي السملالي وهو مناضل مثقف ووطني له رؤية بعيدة، لقد كان بالفعل المعلم الأول لزملاء بن بركة، فقد كان على دراية واسعة ووعي عميق بحقيقة الوضع المغربي، وفي نفس الوقت كان يتقن من الوسائل التربوية مثل الكورال والمسرح، التي تمكن من توصيل كثير من الرسائل ومن غرس الأفكار والمبادئ، فقد لعبت الفرق المسرحية الوطنية دورا كبيرا في تقديم أعمال ومشاهد تحتفي وتمجد ماضي المغرب العريق وتتغنى بأمجاده، لقد كان التاريخ متنفسا وجد فيه المغاربة والوطنيين تاريخهم وقضيتهم وتطلعاتهم[37].

أنشأت الحركة الوطنية حراكا ثقافيا في المنطقة الفرنسية والإسبانية وكانت البداية بالفرق المسرحية، فتقدم نماذج من مسرحيات مشهورة هادفة مثل طارتوف لموليير مترجمة وقلب الأسد في الحروب الصليبية، ولم يكن الهدف تقديم فن مسرحي بقدر ما كان إيصال رسالة وطنية بطريقة غير مباشرة لا تمنعها الإدارة[38]، ولما كان المسرح واجهة من واجهات حركة الوطنية لتوسيع الاتصال بالجمهور كانت تقارير الحماية تحذر من خطر تكاثر تمثيل المسرحيات باللغة العربية دون أن تعرف الحكومة بالضبط الغايات التي يسعى لها الفنانون الهواة أو المحترفون ودون أن تكون مطلعة على الانعكاسات المحتملة لتلك التمثيليات على الأوساط الإسلامية، وقد شارك المهدي في الأعمال المسرحية وأدى العديد من الأدوار حيث جسد في إحداها شخصية الأمير وتقمص في أخرى ابن الفقير، وشارك أيضا في أولى الأغاني الوطنية التي سجلت وبثت عبر الإذاعة [39].

وجهت الحركة الوطنية جل تركيزها للتربية والتكوين للأجيال الشابة، وفي كل المدن المغربية كان هناك من المناضلين من هو مكلف باختيار التلاميذ الموهوبين ومتابعتهم وتحصيل وتدبير كل الوسائل الممكنة لمواصلة دراستهم، وإذا كانت الأسرة ميسورة فإن الأمر يمكن أن يقتصر على إقناع الأب بترك ابنه يواصل مسيرته الدراسية، وفي غالب الأحيان كانت الحركة الوطنية تأخذ على عاتقها تكاليف سنوات الدراسة للتلاميذ بفضل صناديق مجمعة في البلاد كلها[40]، لقد كان أثرياء فاس

---

[37] - Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p:19.

[38]- عبد الكريم غلاب، **قصة المواجهة بين المغرب والغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،د س، ص:224.

[39]- جبرو، المرجع السابق، ص: 67.

[40] - Abdelkader BEN BARKA ,op-cit, p:26

والرباط يساهمون بالمجوهرات في تمويل بناء المدارس والصرف على الأطفال الفقراء المستحقين للمساعدة[41].

تكفلت الحركة الوطنية بالمهدي وهو في سن الثالثة عشر، فاستطاع الولوج مباشرة إلى الصف السادس بثانوية مولاي يوسف، وفي نفس الوقت بدأ نشاطه النضالي الذي عرف تشكل أولى الخلايا سنتي 1933- 1934 وبدء سريان أولى المنشورات المطبوعة والتي كانت تترك عميق الأثر في نفسيته، ويمكن من خلال التبني الذي قامت به الحركة الوطنية للمهدي أن نتصور العلاقة الوثيقة والعاطفية التي ستنشأ بينها وبين هذا المراهق، وحيث أضحت بشكل ما عائلته الثانية[42].

كانت الرباط عاصمة المغرب منذ 1915م والمدينة العريقة بتاريخها إحدى أسباب تعلق المهدي وبروزه[43] لاحقا بسبب الأسماء السياسية الكبيرة التي كانت تقطن بها من الزعماء الوطنيين مثل: أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي، وخاصة هذا الأخير الذي كان في تلك الفترة يلقب ب"بوشعيب"، والذي التقاه المهدي خلال مشاركته في بعض المسرحيات، فقد كان اليزيدي[44] وهو أحد قادة الحركة الوطنية يشارك في العمل المسرحي ويرتقي الخشبة بنفسه في أدوار شتى [45].

لقد كان اليزيدي بالإضافة لنشاطه السياسي وتصدره المشهد وقيادة الاحتجاج ضد الظهير البربري سنة 1930م مكلفا بربط الاتصال بمختلف الأوساط التي يجب أن تتفتح عليها الحركة الوطنية وخاصة الشباب، وقد سافر المهدي مع الفرقة المسرحية التي كان يشرف عليها اليزيدي إلى الدار البيضاء ومدن أخرى كممثل، وكان هذا الأخير قد انتبه لذكاء المهدي وتفوقه وأخذ في استمالته، فكان يقول لأفراد الفرقة: "ردوا بالكم، حذار من ضياع هذا الولد منا في الزحام"، لقد كان

---

[41] - DAOUD – MONDJIB, op-cit, p,p:70, 71.

[42] - Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p,p: 26, 27.

[43] – الجابري، مرجع سابق، ص:41.

[44]– محمد اليزيدي المدعو بوشعيب أحد أبرز قادة العمل الوطني المغربي، قاد حملة الاحتجاج على الظهير البربري سنة 1930، استقال من إدارة المحافظة العقارية احتجاجا، فأعتقل ونفي إلى قلعة السراغنة، وبعد عودته إلى الرباط كلف في قيادة الحركة الوطنية بمهام عديدة، كان إلى جانب الزعيم علال الفاسي ومحمد ديوري، ممن قدم للإقامة في شهر نوفمبر ما عرف بمطالب الشعب المغربي، ظل في واجهة الأحداث حتى نهاية الحماية. جبرو ، مرجع السابق، ص،ص:67، 68.

[45]– غلاب، **قصة المواجهة بين المغرب والغرب** ، مرجع سابق، ص: 324.

المهدي نشيطا وحركيا، لهذا كانوا يقومون بحراسته خوفا من ضياعه وهو صغير، وذلك لحرص اليزيدي عليه، واستشرافا لدور مستقبلي له، لقد أخذه تحت رعايته ومتابعته متأثرا بذكائه وفضوله [46].

كان الحدث الأبرز في تاريخ المغرب المحتل هو إقرار الظهير البربري سنة 1930، بكل ما حمله الحدث من تداعيات على الصعيد الشعبي وعلى مستوى الحركة الوطنية، وهو القرار الذي أصدره المقيم لوسيان سان[47] (Lucien Saint) بهدف إحداث شق بين العرب والأمازيغ، وعرف الظهور الأول للحركة الوطنية المغربية، وشهد رد فعل قوي من الشعب المغربي، فبدأت الاجتماعات في المساجد حيث لم تكن هناك مقرات للتجمع، وخرج المصلون إلى الشوارع في ذلك الاحتجاج المشهور بقراءة دعاء اللطيف، وحدثت المظاهرات في جل المدن المغربية الكبيرة، وانطلقت الصدامات مع المستعمر الفرنسي"[48]، لقد شكل الظهير البربري بداية الوعي السياسي للمهدي بن بركة ولجيل كامل، خاصة بسبب ذلك القمع الذي أعقب الحدث، فالمهدي قد فتح عينيه بذلك على حقيقة الوضع المغربي وعلى هذا الأمر الجلل، فبالنسبة له شكل هذا الموضوع – الفصل بين العرب – والأمازيغ طابو طيلة حياته، فليس هناك بالمغرب عرب أو أمازيغ بل مغاربة [49].

وإن كانت الجذور الأولى للمقاومة الوطنية المغربية تعود لبداية القرن العشرين مع ظهور أولى التمردات ضد المخزن في عهد السلطان عبد العزيز بسبب رضوخه للأطماع الأوروبية، ثم تلك المقاومة التي تصدت للجيش الفرنسي سنة 1912، فقد بدأت في الفترة بين 1920 و1930 تتبلور حركة وطنية مغربية سياسية، فكان هناك تياران أو نزعتان تتجاذبان الشباب المغربي، حركة إصلاحية بفاس يقودها علال الفاسي والأخرى تسمى بمجموعة " أصدقاء الحقيقة" بالرباط يقودها أحمد بلافريج

---

[46]– جبرو ، المرجع السابق، ص: 68.

[47] – لوسيان سان (Lucien Charles Xavier Saint) ، 1897- 1938،محامي وسياسي فرنسي، المقيم العام الفرنسي بالمغرب مابين 1929 و 1933.http://fr.wikipedia.org/wiki/Lucien_Saint .

[48] – خالد طحطح، **نشأة الحركة الوطنية المغربية**، دورية كان التاريخية، العدد: 04، جوان 2009، ص: 30- 32. / محمد حسن الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية– مرحلة الانطلاق والكفاح 1930–1934**، مؤسسة محمد حسن الوزان، الطبعة الأولى، 1984، ص: 83.

[49] -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p :64.

أكثر نزوعا نحو الحداثة والتسيس وأقل ميولا دينية[50] ، وفي سنة 1927 اتحدت الحركتان لكنهما لم تمرا إلى العمل الحقيقي حتى جاء الظهير البربري، الذي شكل صدمة للشباب المغربي[51]، ومثّل بداية لحراك استمر في النمو والتطور قاده بداية علال الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني، أحمد بلافريج، عمر بن عبد الجليل، محمد اليزيدي، ثم أخذت في الانضمام إليه أجيال جديدة واتسع حجمه تبعا للأحداث والظروف ومستوى الوعي، كما وجب التنويه للحراك في شمال المغرب في المنطقة الإسبانية في هذه الفترة بقيادة الحاج عبد السلام بنونة حيث تأسس المعهد الحر وهي مدرسة ثانوية، وكان منهج جماعة تطوان شبيها بمنهج جماعة فاس الإصلاحي، ينطلق من التعليم ويرى في الارتباط مع الشرق ضرورة وقد ساهم في تكوينه الأمير شكيب أرسلان من خلال اتصالاته بالوطنيين هناك[52].

دخلت الحركة الوطنية المغربية بين سنتي 1930 و1933م في طور جديد يمكن تلخيصه في مجموعة نقاط: توحد الحركة، إنشاء الخلايا والتوسع، القيام بدروس عامة من أجل التكوين، العمل في الخارج "فرنسا والشرق الأوسط"، إنشاء الجرائد الوطنية، بذر المقاومة السلمية، اللقاءات الشعبية مع الملك، إنشاء المدارس، ومستلهمين تجربة الحركة الوطنية الجزائرية ومصالي الحاج بتأسيس حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1927، قام الوطنيون المغاربة بهيكلة عملهم ونشاطاتهم، فشرعوا في تكوين الخلايا، حيث بات لزاما أمام تعنت الإدارة الفرنسية وعدائها لأي تحرك التوجه نحو السرية، فنُظّم الأعضاء في جماعة صغيرة تتوزع تبع لنوع العمل واختلاف الأحياء، كان للتلاميذ والطلبة خلايا تجتمع أسبوعيا

---

[50]– مجموعة طلبة كانت تجتمع في الرباط بهدف القيام بعمل سياسي لإنقاذ البلاد، منطلقة من فشل حركة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، تكونت حينما اجتمعت مجموعة شبابية من الرباط وتطوان وأقسمت على المصحف، واتفقت على تأسيس جمعية وفروع لها في جل المدن من أجل بث الوعي والشعور الوطني ونشر التعليم وتأسيس الفرق المسرحية والرياضة ومحاربة الانحرافات والخرافات، وهو ظاهر العمل وباطنه محاربة الاستعمار، كان من بين أعضائها أحمد بلافريج، المكي الناصري، محمد قباج، محمد بنونة. / عبد الكريم غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية المغربية** ،مطبعة الرسالة، الرباط ،1987ج :1 ، ص:38./

Roman FANJAS, **alert en Afrique du nord**,J.Pyronnet et cie, 1953, p:93.

[51] – Attilio GAUDIO , **Allal Elfassi ou l'histoire de l'istiqllal**, edit :Alain moreau, 1972, p, p :33,34./ Moumen DIOURI, **réalités marocaines–la dynastie allaouite de l'usurpation al'impasse**, Harmattan,paris,1987,p :69.

[52]– غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية** ، مرجع سابق،ج1، ص،ص: 38، 39./ أنظر: الطيب بنونة، **نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة**، ط1، مطبعة دار الأمل، طنجة، 1980.

ويراعَى فيها وحدة المدرسة والسن، وكذلك الأمر بالنسبة للتجار والحرفيين، وأطلقت على هذه الوحدات التنظيمية أسماء حركية[53].

كانت الخلية الأبرز تحمل اسم "الزاوية"، والتي لا يزيد عدد أعضاءها عن عشرين شخصا، تأسست بداية من سنة 1931، وكانت بمثابة اللجنة العليا للعمل، وقد ضمت قيادات بارزة كعلال الفاسي، أحمد بلافريج، عمر بن عبد الجليل، محمد بن الحسن الوزاني، محمد اليزيدي، محمد الديوري، الحاج عبد السلام بنونة وآخرون، وشُكلت خلية ثانية أطلق عليها اسم "الطائفة"، كانت بمثابة مجلس تعرض عليه قرارات الزاوية، ثم شكلت لجنة "السافر"، وهي المكلفة بالتسيير "لجنة تنفيذية " ضمت الفاسي، اليزيدي، محمد غازي وعمر بن عبد الجليل، وكان يشرف على خلايا الطلبة والتلاميذ والعمال شخص قائم على التوجيه والاتصال بين القيادة والقاعدة[54].

وتشكلت بداية من سنة 1933 لجنة العمل المغربية (Comité d'Action Marocaine) أو كتلة العمل الوطني، والتي كانت تسعى لقيادة مسار المطالب الإصلاحية وضمت علال الفاسي، عمر بن عبد الجليل، عبد العزيز بن ادريس، أحمد الشرقاوي، محمد الديوري، محمد غازي، أبوبكر القادري، محمد اليزيدي، مكي الناصري، محمد حسن الوزاني، وقد اقترحت مطالبا إصلاحية معتدلة[55]، وقامت بنشر مجموعة منشورات تعريفية وإصلاحية كانت بداية بجريدة "المغرب"، والتي كانت تحرر وتطبع انطلاقا من باريس وكانت ممنوعة في المنطقة الفرنسية، ولتجاوز هذا المنع قام الوطنيون بطبع جريدة "عمل الشعب" "L'Action du peuple" بفاس، ولما منعت بدورها جاءت جريدة "إرادة الشعب " "La Volonté du peuple "[56].

---

[53]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص- ص: 66-82. /

Mostafa BOUAZIZ, **aux origines de la koutla démocratique**, edit: faculté des lettres, Casablanca, 1997, p: 52.

[54]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص، ص:66، 67 /

DIOURI, **réalités marocaines**, op-cit, p: 69.

[55] -Ibid: 70.

[56] - GAUDIO, **Allal Elfassi ou l'histoire de l'istiqllal**, op-cit, p: 34.

بدأ المهدي الذي بلغ الرابعة عشر وصار يتقن اللغة الفرنسية، يقرأ ويوزع منشورات كتلة العمل الوطني (CAM)، وغدا أنشط مجموعته الثانوية، وفي هذا الشأن قال أبو بكر القادري: "سمعتهم يتحدثون عن المهدي، وهو بعد تلميذ في متوسطة مولاي يوسف فزملاءه المنحدرين من سلا كانوا يتحدثون عنه باحترام وقبول وكانوا يصفونه بالعبقري ويثنون على ذكائه وحيويته، لقد قمنا بضمه للعمل وللزاوية"[57]، وكتب شقيقه عبد القادر: "سنة 1934 نسخ المهدي أولى منشوراته في المساء بعد الصف، تخص لجنة العمل المغربية التي تشكلت في فاس . . . الخلايا الأولى أين مارس المهدي تدريباته تشكلت بفاس، الرباط، سلا ومراكش"[58].

كان المهدي يمارس كثير من النشاطات في المدرسة وسط زملائه، فغدا زعيما في نظرهم، فمرة حرروا عريضة للمطالبة بتعريب التعليم بتحريض منه، وفي نهاية أحد المواسم الدراسية اختارته إدارة كوليج مولاي يوسف ليلقي خطابا باللغة الفرنسية أُعد بمناسبة الاختتام، ففوجئ التلاميذ والإدارة والمعلمون بكون المهدي كان يقرأ النص الفرنسي الذي في الورقة باللغة العربية، وهو أمر يوضح المدى الوعي الذي كان يختمر في ذهن الصبي في تلك الفترة، والمدى الذي بلغه تعصبه للانتماء لمقومات الشعب المغربي، وقال هو نفسه في أحد حواراته في كبره: "إننا نحن الأطفال كنا ننظم الإضرابات في المدارس الفرنسية المفروضة علينا من أجل المطالبة بحصص في الدروس العربية"[59].

كانت بداية المهدي الحقيقة مع العمل الوطني السياسي من خلال كتابة وتوزيع منشورات لجنة العمل المغربي (CAM)، كما أن قراءته النهمة للجرائد الوطنية "عمل الشعب "، " المغرب"، "إرادة الشعب"، وفي فترة لاحقة: "الدفاع" و"الأطلس" شكلت لديه وعيا خاصا وجعلته يواكب الأحداث ويتفاعل معها سريعا، لقد تعلم المهدي وكثير من أبناء جيله لأول مرة لغة الرفض، وتطور

---

[57] – أبو بكر القادري، **مذكراتي في الحركة الوطنية 1930– 1940**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ج1، ص: 85 / أبوبكر القادري، شهادة شفهية، برنامج المعادلة المغربية، arte، 2001.

[58] – Abdelkader BEN BARKA , op-cit,p,p : 20-31.

[59]– الجابري، مرجع سابق، ص، ص: 43، 44.

الخطاب السياسي في شكل جديد، مبتعدا عن الخطاب التقليدي واللغوي البليغ إلى الواقعية السياسية، ومن لغة المطالبة المسالمة إلى لغة الاحتجاج[60].

كانت سنة 1934م هي سنة ولوج المهدي ثانوية قورو بعد حادثة الأستاذ اللبناني الخياط وتدخل اليزيدي، والتي قال عنها شقيقه عبد القادر: ". . لا أحد لمس عند المهدي في هاته الفترة أدنى ميل للتصوف أو لأفكار رجال الدين المسيحيين، لقد كان يتطور في الاتجاه العقلي، والتفسير الوحيد لمرافقة الأستاذ الخياط اللبناني هو الفضول وحب التعرف المباشر على الأشياء"، وفي هذه الظروف بدأت شخصية المهدي تزداد صلابة ووعي، فقد تأثر في هذا السن المبكر بصحبة تلك الشخصيات الوطنية الكبيرة[61].

بعد دخول المغرب عهد الكتلة الوطنية وعودة علال الفاسي من أول جولة أوروبية له ولقاءه شكيب أرسلان، إلتقى بمحمد بن يوسف سلطان المغرب، حيث شرح له أهداف الحراك والعمل السياسي فكان هناك توافق كبير أعقبته زيارة محمد بن يوسف لمدينة فاس يوم 08 مايو 1934م، فكانت مناسبة لانفجار المشاعر الشعبية واحتفالها بالتقاء القيادة الشرعية بالقيادة الشعبية، ومنذ ذلك اليوم أصبح السلطان يحمل لقب الملك[62]، كانت أولى المحاولات لإيجاد حزب سياسي، حتى وإن قيل عنها أنها مجرد جماعة من دون برنامج، لذا سارعت كتلة العمل لتبني برنامج إصلاحي مستعجل يتعلق بمطالب في ميادين العدل والحريات العامة والتعليم والحياة الديمقراطية [63].

في يوم 18نوفمبر 1934 تولى زعماء الكتلة الوطنية تقديم مطالب الشعب المغربي، فتكفل بالمهمة لدى ملك البلاد بقصره بالدار البيضاء؛ محمد غازي وأحمد الشرقاوي وعبد العزيز بن ادريس وأبو بكر القادري، وقدمها إلى الإقامة العامة كل من علال الفاسي ومحمد اليزيدي ومحمد ديوري، ولدى الحكومة الفرنسية كل من عمر بن عبد الجليل ومحمد بن الحسن الوزاني[64].

---

(60) -DAOUD, MONDJIB, op-cit, p:69.

(61) -Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p :37

(62)- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1 ،ص:81. /

GAUDIO, **Allal Elfassi ou l'histoire de l'istiqllal**, op-cit,p : 34.

(63) - FAJANS, op-cit,p :93.

(64)- القادري، مرجع سابق ،ج2، ص: 59. / BOUAZIZ, op-cit,p ,p: 54- 56

كانت خطوة الحركة الوطنية بمقياس ذلك الزمن قفزة نوعية، فقد غدا في إمكانها تقديم البديل للحكم الاستعماري في المغرب وإعلان نقد واضح للحماية ونظامها، وإظهار مخالفته للقانون الدولي وفشله في تحقيق تطور اقتصادي واجتماعي وعجزه عن ضمان وجود ديمقراطية وحرية، كما مثل هذا الحدث تجددا للمعارضة ومقاومة الوجود الفرنسي التي غابت منذ انتهاء حرب الريف ولو بشكل سلمي، ومثل ظهور لاعب ثالث في الساحة السياسية من غير إدارة الحماية ونظام المخزن، وقد أتبعت الكتلة الوطنية خطوتها هذه بمجموعة اجتماعات في فاس والرباط بحضور صحفيين ومناضلين فرنسيين من اليسار[65]، حتى لا تبدو الخطوة كصرخة في واد بل عمل جاد تنتظر منه نتيجة وطرح لا يبقي المغاربة في دائرة الانتظار السلبي، وردت الحكومة الفرنسية بتغيير المقيم العام مارسيل بيروتون (Marcel Peyrouton) [66] بمقيم آخر هو موريس نوغاس (Maurice Noguès) [67]، الذي كان أحد تلامذة ليوطي ويعرف المغرب جيدا[68].

عقدت الكتلة الوطنية في17 نوفمبر 1936م مؤتمرا صحفيا في الدار البيضاء، الأمر الذي أدى لاعتقال علال الفاسي ومحمد اليزيدي ومحمد بلحسن الوزاني مدة شهر[69]، فقد نظمت الكتلة مهرجانا خطابيا بسلا وتغاضت الإدارة عنه لكن مع موعد الاجتماع الثاني بالدار البيضاء تقرر منعه، فحدثت مظاهرة خطب فيها الفاسي، فتم الاعتقال وكان هذا دافعا لانطلاق موجة جديدة من الاحتجاج شبيهة بتلك لسنة 1930، تبعتها موجة قمع واعتقالات ملأت السجون لكن أمام إصرار الحشود تراجعت الإدارة الفرنسية وتم الإفراج عن الزعماء وإلغاء جميع الأحكام التي صدرت بحق الوطنيين وأعتبر ذلك انتصارا كبيرا للكتلة الوطنية[70].

---

[65] – Georges OVED, **la gauche française et le nationalisme Marocain 1905–1955**, l'harmattan, tome 2, p, p :77, 78.

[66] – مارسيل بيروتون (Marcel Peyrouton)، المقيم العام الفرنسي في المغرب، من مارس 1936 إلى سبتمبر 1936.

[67] – موريس نوغاس (Maurice Noguès)، المقيم العام الفرنسي في المغرب، من سبتمبر 1936 إلى جوان 1943.

[68]– غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1 ،ص– ص: 123– 130

[69]– جبرو، المرجع السابق،ص:105.

[70]– غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1 ،ص: 131–137./ الجراري، مرجع سابق، ص:237.

كان للانفراج الذي حدث تأثير في سير الكتلة نحو خطوة جديدة، فكانت عملية تنظيم نفسها والخروج للعلن كحزب سياسي دون حتى إن تطلب إذنا رسميا من السلطات الفرنسية، فوضعت قوانينها وأجرت انتخابات للجنتها التنفيذية يوم 27 فبراير 1937، والتي أفرزت: علال الفاسي رئيسا، محمد بن الحسن الوزاني أمينا عاما، أحمد مكوار أمينا للمال، وأعضاء كل من: محمد اليزيدي، عمر بن عبد الجليل، عبد العزيز العمراوي، محمد غازي، وفتحت مركزها الرئيسي في مدينة فاس وشرعت في تسجيل المنخرطين، وكان خلال هذه الفترة محمد بن الحسن الوزاني وعمر بن عبد الجليل بفرنسا لملاقاة بعض أصدقاء المغرب وشرح الموقف لهم وعند العودة للمغرب لم ترق التشكيلة لمحمد الوزاني فانسحب من الكتلة وشرع في العمل لوحده واستقطاب مناضلين جدد له [71].

اندفع الشاب المهدي بن بركة في هذه الفترة وسط نشاط الحراك السياسي، وانخرط سريعا في الهيكل الجديد المؤسس، بل كان أحد أصغر المنخرطين وهو بعد في الثانوية، لقد كان لديه من الوعي في هاته الفترة ما يؤهله لفهم كثير من الحقائق، فمرافقته وتعلقه ببعض الشخصيات البارزة ومطالعته النهمة لصحف ومنشورات ومطبوعات الحركة الوطنية كلها جعلته في مقدمة المنخرطين النشطين[72].

جاءت سنة 1937 والتي شهدت بعض الأحداث المهمة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية، كانت بدايتها بحوادث تحويل مياه بعض الأنهر والوديان لصالح المعمرين الفرنسيين، مثل ما حدث في قبيلة آيت عمور بمراكش أين حاولت الإدارة احتكار مياه السد، فنظم الوطنيون في الجنوب حركة احتجاج هائلة، وأرسلوا وفدا من الفلاحين يضم 700 فلاح، ذهبوا إلى مراكش فاعتقلوا من قبل المراقب المدني للمدينة وحكم عليهم بالسجن، وكان الحادث الثاني هو الذي عرف بقضية بوفكران بنواحي مكناس حيث حاولت الإدارة تحويل نهر بوفكران لصالح بضعة معمرين وأراضيهم الشاسعة في الإقليم وحرمان الآلاف من المواطنين وعائلاتهم من الشرب والسقي، فنظم الوطنيون في المدينة مظاهرة يوم 01 سبتمبر 1937 وبعد انتهاءها عمدت الإدارة إلى اعتقال خمسة قيادات، وعلى إثر ذلك ثارت المدينة وأضربت عن العمل وأقفلت المتاجر وتظاهر سكانها وتدخل

---

[71]- طحطح، مرجع سابق، ص – ص: 30- 32.

[72]- القادري، شهادة شفهية، برنامج المعادلة المغربية، arte، 2001.

الجيش وحدثت مشادّات انتهت باستشهاد إحدى عشر مواطنا وجرح تسعة عشر، واعتبرت قضية بوفكران من أوجه التصعيد الذي مارسته الحركة الوطنية ضد الوجود الاستعماري [73].

وبدأت الإدارة الفرنسية ترد على تحركات الوطنيين بمنع النشاطات ورفض اعتماد النوادي والجمعيات وانتهى الأمر بحل كتلة العمل الوطنية حينما استقبل الجنرال نوجاس يوم 18 مارس 1937 وفدا عن لجنة العمل الوطني وأخبرهم أن وجودها يعتبر مخالفا للقانون وخروجا عن سلطة الملك ومعاداة للحكومة الفرنسية، وتوجه الوطنيون لتأسيس حزب آخر، وفي انتظار ذلك أطلقوا على الكتلة اسم الحركة الوطنية لتحقيق المطالب، وأرسلوا وفدا إلى باريس للتحاور مع الحكومة والأوساط الديمقراطية ولما لم يفلح الحوار مع الفرنسيين لاعتماد حزب آخر عقدت الحركة الوطنية مؤتمرا في 22 جويلية 1937 أعلنت فيه تأسيس الحزب الوطني من أجل تحقيق المطالب[74].

وفي يوم 24 سبتمبر 1937م، اندلعت أحداث عنيفة في مراكش ردا من المواطنين البؤساء على زيارة أحد الوزراء الفرنسيين، فكان الرد الفرنسي قاسيا، فهوجم المتظاهرون وأعتقل مسؤولو الحراك[75]، وخلال يومي22 و23 أكتوبر 1937 اندلعت مواجهات عنيفة بمدينة الخميسات ردا على سياسية التبشير الذي تمارسه الأوساط الفرنسية بين البربر وانتهت برد عنيف وسقوط عشرات الضحايا .

وفي هذا الجو المشحون وردا على تصرفات الإدارة الفرنسية عقد الحزب الوطني يوم 13 أكتوبر مؤتمرا عاما لدراسة الموقف ووجه المؤتمر الحزب والوطنيين نحو العداء الصريح للوجود الفرنسي وخرج بوثيقة نهائية من ثمانية نقاط وديباجة كانت ميثاق الحزب، وقد ندد النص بتكميم الصحافة وحظر التجمعات وندد بالرجعية السائدة في نمط الحماية، وتحدث صراحة في بنده الخامس أنه على المؤتمرين مقاومة الوسائل والإجراءات القمعية للسلطات، وترك لقادة الحزب حرية التقدير لطبيعة المواجهة[76].

---

[73]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1 ،ص: 134، 144. / FAJANS, op-cit, p:93.

[74] -BOUAZIZ, op-cit, p,p :56, 57.

[75]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ج1، ص: 150.

[76] - نفسه، ص: 154.

وجاءت النقطة التي أفاضت الكأس، حين أبلغ اليزيدي الإقامة العامة ميثاق الحزب، وبدأت حملة مضادة حل بمقتضاها الحزب واعتقل الزعماء الرئيسيون يوم 25 أكتوبر 1937م وهم علال الفاسي، محمد اليزيدي، عمر بن عبد الجليل، أحمد مكوار، و نقلوا إلى الجنوب لميدليت ثم قصر السوق بالسجن العسكري، ونفي الفاسي إلى الغابون، حيث سيبقى تسع سنوات بمنفاه وحتى يوم 26 جوان 1946، ونتيجة لهذه الأحداث انطلقت موجة ثالثة من المظاهرات العنيفة والإضرابات كانت نتيجتها آلاف من المعتقلين وحملة من الإرهاب والاضطهاد والقمع والتعذيب [77].

كان المهدي في هاته الفترة بثانوية قورو يخضع لتدريب وعمل مركز وصارم تحت إشراف الحركة الوطنية، ولم يشغله هذا أبدا عن مواصلة الدراسة بجد والتفوق، ونتيجة لذلك بات من هذه الوقت ملاحظا من قبل السلطات الفرنسية كأحد تلاميذها وإنتاجاتها وهو الأمر الذي تجلى في نهاية سنة 1938م بعد تحقيقه البكالوريا بعلامة جيد جدا، فتم الاحتفاء به بشكل كبير وتحدثت عنه الصحافة ولم يكن في الحسبان أبدا أنه بات أحد أمال الحركة الوطنية التي تعول عليه كثيرا، حتى أن عمر بن عبد الجليل يحكي أنه كان رفقة الجنرال برلانج في سنة 1938م بعد فوز المهدي بشهادة البكالوريا، بإحدى المزارع كمهندس زراعي، فلمح برلانج المهدي من بعيد بأحد الحقول فقال لبن عبد الجليل هل ترى ذلك الصغير إنه لنا، فرد بن عبد الجليل أخطأت إنه لنا، واعترف برلانج لاحقا بخطأ تقديره وخسرانه الرهان[78].

لقد ساهمت سياسة الفرنسية المبنية على القمع، وخاصة بعد اعتقال الزعماء البارزين والمسؤولين المباشرين على العمل في بروز الشباب خاصة النابغ مثل المهدي بن بركة على السطح وبداية إمساكهم بخيوط العمل خاصة التنظيمي، فقد نضج المهدي في هاته الفترة وبات أكثر تفاعلا مع أقرانه وأكثر قدرة على التفكير وأخذ زمام المبادرة وصار أكثر قدرة على إبداء الرأي[79]، وعن هذه المرحلة يقول شقيقه " أتذكر في هاته الفترة اجتماعات الخلايا المكلف بها المهدي في نفس السنة

---

[77] - DIOURI, **réalités marocaines**, op-cit, p:75. / GAUDIO, **Allal Elfassi ou l'histoire de l'istiqllal**, op-cit, p:38./ BOUAZIZ ,op-cit,p :58 .

[78] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p- p:35-38.

[79] -DAOUD –MONDJIB, op-cit, p:73.

التي راهن عليه فيها برلانج 1938، ورغم منع الاجتماعات لأكثر من خمسة أشخاص ، ، ، فقد كان يحافظ على نشاطه ولقاءاته حتى في فترة تحضيره للرياضيات بالدار البيضاء "[80].

ب- نشاط المهدي السياسي خلال دراسته الجامعية بالجزائر 1940- 1942.

انتقل المهدي إلى الجزائر نهاية سنة 1939م حيث كان هناك مناخ آخر غير الذي ألفه بالمغرب والحياة المحافظة التقليدية، فقد وجد في ظل الحرب العالمية الثانية - وهجرة كثير من المفكرين الفرنسيين إلى الجزائر- جامعة تموج بالتيارات الفكرية بعضها يعايشها للمرة الأولى كالتّيارات اليسارية باعتبار انتماءه في المغرب لأسرة محافظة، وباعتبار الإطار الوطني التقليدي الذي كان منحصرا فيه وبالنظر عموما للوضع الفكري المغربي ولطبيعة الحركة الوطنية المغربية التي نشأت من بيوتات برجوازية تقليدية تنتمي لكبريات المدن المغربية الإسلامية مثل فاس، الرباط، مراكش، ولا تعرف تباعد كبيرا بين أطيافها، وبالإضافة لخصوبة الجامعة بالتيارات الفكرية الفرنسية المتنوعة، كان هناك تنوعا آخر في الحياة الجزائرية أملاه تعدد ألوان الحركة الوطنية الجزائرية ونخبتها بين تقليدين إصلاحيين وشباب إدماجي حديث ووطنيين متعصبين، وكذلك تواجد الفكر اليساري بقوة نتيجة نشاط الحزب الشيوعي الفرنسي ثم الجزائري ونزوح العديد من اليساريين من فرنسا بعد سقوطها في يد هتلر واليمين النازي المعادي للشيوعية[81].

انخرط المهدي بنشاطه وحركيته وحيويته في هذا الجو وحيثياته، خاصة في جزءه النضالي الطلابي من خلال انتماءه سريعا لاتحاد طلبة مسلمي شمال إفريقيا (AEMNA) وهو التنظيم الذي أسس في باريس في نهاية العشرينيات (1927)، ولعب دورا كبيرا في تكوين الوعي القومي والسياسي لطلبة المغرب والجزائر وتونس وكان أول رئيس له بفرنسا أحمد بلافريج [82]، كان اليسار هو التيار الفكري المسيطر في هذه الفترة، وهو التيار الناضح بمعاداة الفاشية، وربما هذا الجو الذي غير كثيرا من طباع الشاب المهدي التقليدي وأكسبه خصائص جديدة وساهم في حدوث طفرة فكرية

---

[80] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p :40.

[81]- حسن أوريد، **المهدي بن بركة**، جريدة المساء، عدد: 2173، 19 سبتمبر2013.

[82] -DAOUD –MONDJIB, op-cit, p:75.

لديه، وربما أيضا هو الذي لم يدفعه مطلقا للتعاطف مع النازية وهتلر رغم وجود هذه العاطفة بين سكان شمال إفريقيا[83].

لقد مكنه مكوثه بالجزائر لمرحلة أخرى من مستويات الوعي والنضال، إنه الوعي العالمي والانفتاح على الآخرين والهم المغاربي المشترك لقد كون علاقات كثيرة ومتنوعة وانتخب رئيسا لجمعية طلبة شمال إفريقيا وارتبط بالحركات الوطنية بالجزائر وتونس ووضع مع بعض مناضليها أسس و مبادئ التضامن المغاربي[84]، لقد كون المهدي علاقة بالأمين دباغين، أحمد فرنسيس بو منجل، شوقي مصطفاي، بل إن بعض المصادر تؤكد وجود علاقة بينه وبين مصالي الحاج مثل ما يورده الصحفي ألبرت بول لونتان (Albert Paul Lentin)[85]؛ عن قيام المهدي بإقناع مصالي بتجنب التعامل مع الألمان والانجرار وراء دعواتهم[86].

تركت سنوات الدراسة بالجزائر الأثر الأعمق في تصورات وأفكار المهدي، خاصة عن الواقع الاستعماري، بعدما شاهد وعايش وجها آخر له أكثر رسوخا وسيطرة في أرض عربية لها نفس الخصائص الإنسانية والاجتماعية والتاريخية للمغرب، ورغم ذلك فهناك حركة سياسية نشطة تواجهه وتسعى بشتى الأساليب والطرق للحد من هيمنته على العنصر المحلي، وتجتهد الوسائل لمواجهته، وتعرّف المهدي في هذه الفترة خاصة على التيار اليساري بمفكريه، كما احتفظ المهدي من هذه الحقبة بحدث مميز عبارة عن مأساة عايشها عن قرب حيث كان شاهدا بمدينة الجزائر سنة 1941م على محنة مجموعة من الطلبة الوطنيين، ففي مسعى لإنقاذ بعض الطلبة الوطنيين من الإعدام قام زملائهم بخطوة لدى السلطات الألمانية والتي قامت بإبلاغ الشرطة الفرنسية التي أوقفتهم، وكان هذا في بداية

---

(83) -Ibid, p:75.

(84) - André HERAULT, **le Maroc a visage découvert**, nouvelle édition debresse , paris, p :166. /Abdelkader Benbarka ,op-cit,p,p :46,47.

(85)- صحفي فرنسي ولد بقسنطينة في 28 أوت 1923 وتوفي سنة 1993، عمل في مختلف الصحف Action, Farance Observateur, مناضل في حركة القارات الثلاث ومقرب من بن بركة.

(86) - DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:76.

الحرب، المهدي خرج بنتيجة بارزة من هذا الحدث مفادها تضامن القوى الأوروبية الرأسمالية واستحالة انتظار العون منها للقضاء على الاستعمار [87].

بقي المهدي طيلة حياته يحمل علاقة مع الجزائر سواء في كتاباته أو في توجهاته، ففي إحدى محاضراته في الخمسينيات يُبِينُ عن فهم عميق للوضع الجزائري وللتطور الذي عرفته حركتها الوطنية، حينما يشير إلى رفض الجزائريين للتجنيس رغم أنواع الضغوط التي تعرضوا لها، وبالرغم من الامتيازات التي خولتها إياهم المواطنة الفرنسية لم يتجاوز عدد الجزائريين الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية سبعة آلاف من بين عدد سكان يبلغ تسعة ملايين [88].

خلال فترة الدراسة بالجزائر كان المهدي بن بركة يتردد على المغرب، فارتباطه بالحركة الوطنية ودوره النشط هناك لم يعد محل شك، أو يمكن أن تقف في طريقه الدراسة أو شيء آخر رغم ذلك الجو من الحرية والخصب الفكري الذي وجده بالجامعة والجزائر، فكان عند أول إشارة يغادر نحو المغرب، في هذا الوقت كان كأنه موجود بكل مكان، بالجزائر بالمغرب، كان ينظم الروابط ويقيم الخلايا وينسق بينها، ويقوم بجولات يحاضر فيها عن الوضع الداخلي والدولي[89].

وفي العطلة الربيعية لسنة 1941م جاء المهدي إلى المغرب لزيارة الأهل والأحباب والاتصال بالرفاق والإخوان وفي نهاية العطلة حينما كان عائدا إلى الجزائر توقف بفاس ليحضر اجتماعا للشباب ويلقي محاضرة موضوعها التنظيم عند الشبيبة الألمانية، وفي نهاية المحاضرة جرى نقاش بينه وبين شاب من سلا[90]، جاء إلى فاس يعمل كمعلم وهو لا زال طالبا يحضر البكالوريا في العلوم التجريبية، وبعد

---

[87] -Abdelkader BEN BARKA,op-cit,p,p:46,47/ أوريد، المهدي بن بركة، جريدة المساء، مقال سابق

[88]- جبرو، مرجع سابق، ص: 110.

[89] - DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:76.

[90] – عبد الرحيم بوعبيد، سياسي ومحام مغربي، ولد بسلا في 23 مارس 1922 وتوفي يوم 08 جانفي 1992، عمل معلما ثم محاميا بعد إلتحاقه بباريس بعد الحرب العالمية الثانية ودراسته القانون ، رفيق المهدي في النضال والسجن، أصغر من وقعوا على بيان الاستقلال، وعضو وفد المفاوضات في إيكس ليبان، خلف المهدي في قيادة الUNFP، ثم الUSPF، حتى وفاته http://ar.wikipedia.org/wik/ عبد_الرحيم_بوعبيد

سنة سيلتقيان الأول أستاذ للرياضيات والثاني معلم بمدرسة السور بسلا وسيجمعهم تاريخ من النضال، كان هذا الشاب هو عبد الرحيم بوعبيد[91].

وقبل إنهاء تحضيراته لنيل درجة التحصيل النهائي اضطر المهدي للعودة إلى المغرب، مكتفيا بدرجة الإجازة في الرياضيات بطلب من الحركة الوطنية بعد إنزال القوات الأمريكية بالمغرب وتسارع الأحداث، لقد كان هذا أسلوبه وهذه طريقته في حرق المراحل، وأضحى سنة 1942 أستاذا للرياضيات والفيزياء بثانوية قورو وأيضا بالثانوية الملكية المخصصة لأبناء العائلة الملكية، وسيتفرغ للعمل الوطني وينخرط بكل قوته في الساحة السياسية[92].

[91]–جبرو، مرجع سابق،ص:111.

[92] - Abdelkader BEN BARKA ,op-cit,p:44.

المبحث الثالث: مرحلة النضال السياسي في العمل الوطن 1942– 1950.

كان رجوع المهدي من الجزائر ومرحلة الدراسة الجامعية بما حملته من تطور في وعيه السياسي، وانفتاحه على عوالم جديدة بمثابة نقلة نوعية ظاهرة، أهلته لمرحلة جديدة ومستوى جديد من العمل وأكسبته من المؤهلات والقدرات ما يجعله مستعدا لتحمل مسؤوليات جديدة، لهذا لن يتأخر كثيرا في الانغماس في الوسط السياسي بكل حيثياته وتفاصيله وينخرط في معاركه، بل سيبزغ نجمه سريعا رغم صغر سنه كواحد من أكثر السياسيين نشاطا وفاعلية.

أ– بداية النشاط السياسي المباشر للمهدي بن بركة 1942 – 1944.

بعد نهاية مرحلة الدراسة الجامعية بالجزائر وبداية عمله كأستاذ مرموق في الرياضيات، استفاد المهدي بن بركة من حركّيته الكبيرة ونشاطه الفائض، وكذلك من خبرته النضالية التي كونها من سنواته السابقة ومن سنين الدراسة ومن الجامعة، وكذلك استفاد من مركزه الجديد وسط الطبقة البرجوازية المغربية، وفي ظل غياب كثير من زعماء الحركة الوطنية البارزين كعلال الفاسي، قفز بسرعة إلى دائرة الضوء ودائرة الأحداث، فبدأ يشارك في كل الاجتماعات السرية والعلنية التي ينظمها قادة العمل الوطني أو تنظمها الأسر البرجوازية المغربية المنخرطة في العمل السياسي، كان المهدي يتحدث بحرية وببلاغة وبفهم عميق ويعطي تحليلات تنم عن ذكاء خارق ووطنية حقيقية، فبدأ يصنع لنفسه مكانة، وبدأ أيضا من هذه الفترة يلفت جيدا انتباه مصالح الأمن والاستخبارات الفرنسية [93].

أخذ المهدي خلال هذه الفترة ينظم الدروس السياسية للتلاميذ وخاصة القدماء منهم – والذين كان أحدهم عبد الرحمان اليوسفي[94] الذي كان هو من جنده وأقسم أمامه شخصيا يمين الولاء[95] – وانغمس في عمق العمل السياسي تنظيرا وتنظيما واتضحت أكثر رؤيته للأشياء ولحقيقة

---

[93] - Ahmed BOUKHARI, le secret –Benbarka et le Maroc, Lafon, Cedex, 2002, p:127.

[94] – عبد الرحمن اليوسفي: محامي وسياسي مغربي ولد في مارس1924، قيادي في حزب الاستقلال والمقاومة والUNFP، ورئيس الحكومة من 1998 حتى 2002،/عبد_الرحمن_اليوسفي/http://ar.wikipedia.org/wiki

[95]– جبرو، مرجع سابق، ص: 122.

الوضع وأيضا للوسائل، تقرب أكثر من الشباب واستغل كل الوسائل ومنها الجمعيات الرياضية رغم ضعفه البدني وقصره كان يولي لها أهمية كبيرة ويحث شباب مدينة الرباط على التكتل في الجمعيات الرياضية، ونشر بضع مقالات في الصحف المغربية في هذا الشأن، وكان دائم الحضور مع أفراد الجمعية الرياضية السلاوية لكرة القدم[96]، واهتم أكثر وأكثر بالقضايا التنظيمية متأثرا بالأساليب الفاشستية التي قرأ عنها وسمع عنها فترة وجوده بالجزائر وشاهدها تحقق أعظم الانتصارات لدول المحور، فلقد كانت أساليب تقوم على الاهتمام بالهيكلة الدقيقة لكل فئات الشعب والاهتمام بالشباب وتوعيته وتدريبه وتنظيمه[97].

لم تكن هناك فضاءات كثيرة متاحة للعمل في هذه الفترة التي زامنت الحرب العالمية الثانية، وكانت حالة الطوارئ معلنة في كل المستعمرات وكل شيء معلق ومحظور وجميع الأنشطة السياسية موقوفة، الجماعات الوحيدة التي يسمح لها بالظهور لأوقات لم تدم طويلا هي جمعيات قدماء المؤسسات التعليمية والثانوية أو بعض مدارس أبناء الأعيان وقليل من الأندية الرياضية، مع الالتزام في قوانينها الأساسية وفي نشاطها بالامتناع عن الخوض في أي نشاط سياسي أو ديني وأن لا تعقد اجتماعاتها إلا بحضور مراقب فرنسي يحمل اسم المستشار الفني والذي يقوم في الحقيقة بمراقبة نشاط الجمعية، ومع أن أعضاء مكاتب هذه الجماعات ينتخبون من طرف جمعيات عمومية فلا يمكن أن يقوموا بمهمتهم إلا إذا صادقت على قبولهم الإدارة الفرنسية التي تحفظ هكذا لنفسها حق إقصاء الذين تراهم غير مرغوبين من أجل آراءهم[98]، كانت عملية الفوز بالانتخابات في هذه الجمعيات قضية إثبات وجود للحركة الوطنية فاندفعت بقوة في عملية دعم مرشحها "المهدي بن بركة" للفوز برئاسة جمعية قدماء تلاميذ مدرسة مولاي يوسف، ومثل نجاح المهدي انتصارا حقيقيا للجناح الوطني، ضد بعض البرجوازيين الموالين للسلطات الفرنسية[99].

---

(96) -DAUOD – MONDJIB, op-cit, p, p:78 ,79.

(97) -Ibid,p,p :78,79.

(98) -Rapport du Mehdi BEN BARKA aux ONU,08 Octobre 1948, colloque Mehdi Ben Berka de l'indépendance a la tricontinentale, karthala, paris,1997, p :68.

(99) – جبرو، مرجع سابق، ص:112.

مثلت هذه السنوات من تاريخ المغرب فترة حاسمة على صعيد التطور الاجتماعي، فبدأت كثير من القضايا الحساسة تطرح، تارة بتدخل من السلطات الفرنسية وأحيانا بتحرك ذاتي من القصر والوطنيين، وتزامن خلالها طرح فرنسا فكرة إنشاء مدارس للبنات فاستدعى الملك محمد بن يوسف جمعيات قدماء التلاميذ لاستشارتهم وإبداء أرائهم حول القضية، جاء من فاس أحمد الزغاري رئيس جمعية قدماء كوليج مولاي إدريس ومن مراكش العربي بن الحسن العلوي ومن الرباط المهدي بن بركة[100].

كلف الملك محمد بن يوسف المهدي بتحضير ملف حول هذه القضية وقام المهدي بإعداد نظرة واقعية وتحليل دقيق حول الموضوع وإن اتسم بالحذر نتيجة كثير من التحفظات التي كانت موجودة في تلك الفترة من العائلات المحافظة، وقدم تقريره يوم 06 مارس 1943، حيث يمكن التعامل معه كوثيقة متميزة كتبها وعمره ثلاثة وعشرون سنة تتعلق بالطرائق الأولى حول تعليم المرأة، فيظهر المهدي سباقا في الاهتمام بضرورة تمكين المرأة من التطور مع المجتمع[101] الذي صار يشهده المغرب نتيجة عوامل عديدة منها الاحتكاك مع الأساليب الحديثة للمحتل على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، من دون أن ينسى المهدي التطرق للظروف الراهنة التي تميز المجتمع المغربي من المحافظة على التقاليد، وما بات يتوجب التعامل معه من باب الضرورة الملحة من تطور طارئ خاصة في بنيات ووسائل التعليم الذي وضعته الإدارة الاستعمارية كي يستجيب لحاجياتها ومستوياتها الاجتماعية والاقتصادية ودمج المدرسين المغاربة في المنظومة الناتجة عن هذا السياق التطوري.

تبرز الوثيقة طموحات الحركة الوطنية المغربية في تغيير الواقع المجتمعي الفكري والاقتصادي حتى يتمكن من مواجهة تغلغل الاستعمار، وفي نفس الوقت حرصها على التمسك بالتقاليد الأصيلة وخصوصيتها، كل هذه المعطيات أخذها المهدي بعين الحسبان وهو يضع تقريره، وتدلل على مرحلة مهمة في تكوين المهدي السياسي والتعامل مع قضية شائكة بالنسبة لتلك الفترة .

---

[100]- الجراري، مرجع سابق، ص: 69.

[101]- فاطمة أوفقير، **حدائق الملك**، تر: حسن عمر، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010، ص: 30.

بدأ المهدي تقريره بطرح الإطار العام، حيث تطرق فيه لتأسيس تعليم ابتدائي باعتباره ضروري لكل تعلم، يثبت الدعائم ويوطد أسس التربية الصحيحة حتى تستطيع كل فتاة القيام بمهمتها الاجتماعية الأساسية المنوطة بها في إطار الدين الإسلامي الحنيف، والأخلاق السامية والعادات المتعارف عليها، ويمكن تلخيص التقرير في محورين : – المحور الأول: تطرق فيه لتقييم الواقع السائد، حيث يعرض المشاكل التي تواجه تعليم المرأة مثل: انعدام توحيد البرامج، إهمال العربية والتربية الدينية، – أما المحور الثاني فتناول وضع أُسُس جديدة لتعليم البنات حتى تصبح المرأة عاملا قويا في رقي المجتمع، حيث يقترح تلقين الفتاة نفس برنامج الذكور بالنسبة للدراسة الابتدائية مع بعض التحويرات الضرورية، أما بالنسبة للسن الذي يمكن أن تقبل فيه الفتاة في الدراسة فقد قال حوله: "نحن نضع الحجرة الأولى في تأسيس تعليم البنات ولكن من المستحسن قبول التلميذات ما بين ست وسبع سنوات".

ويفصل المهدي بن بركة برنامج الدراسة المقترح من خلال أربع محاور: – العلوم العربية و–العلوم الفرنسية و– المواد الخاصة بالتدبير المنزلي وعلم الصحة وتربية الأطفال، و– الأشغال اليدوية والرياضة البدنية، ويقترح المهدي أن تستخدم اللغة الفرنسية مؤقتا في التدريس لحين تكوين أطر مغربية، كما يقترح عدم تكليف الفقيهات لتدريس دروس اللغة العربية لعدم كفاءتهن، ويطالب بتوكيل أساتذة أَكْفَاء على شرط حسن اختيارهم لطمأنة العائلات[102]، وأول ما يستنتج من هذا التقرير هو الثورية التي أضحت تميز فكر المهدي بن بركة حين نعلم أنه في هذه الفترة "سنة 1943" لم تكن أي فتاة مغربية قد وصلت للشهادة الابتدائية [103].

وقد سجل تقرير للاستخبارات في هذه الفترة 24 أكتوبر 1943 انتباه مصالح الاستخبارات التابعة للإقامة لتحركات وطروحات المهدي، "هذا الأستاذ الذكي بدأ نشاطه يزداد وصار في الصورة منذ تحصيله على الإجازة وصار رئيسا لجمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف

[102] – الجراري، مرجع سابق، ص– ص: 69– 74.

[103] – جبرو، مرجع سابق، ص: 112– 114.

بالرباط، لقد أعرب عن بعض المطالب بشأن الشباب المغربي تخص المحاماة والطب، حيث الحاجة لمائة وخمسين وظيفة، وهي إدعاءات غير مبرر من الشبيبة المغربية حسب التقرير"[104].

مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية وازدياد دور الشيوعية الفرنسية في تنظيمات فرنسا الحرة المستقرة بلندن ثم الجزائر؛ جاء شيوعيون فرنسيون إلى المغرب والتقى بهم المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد لمعرفة إمكانية الالتقاء بين التقدميين الفرنسيين والحركة الوطنية المغربية، فالشيوعيون الفرنسيين ينظرون نظرة خاصة إلى مستقبل المغرب "الاستقلال سيجعل بلدكم يسقط تحت سيطرة النازية إذا لم ينهزم المحور نهائيا أو تحت الهيمنة الأمريكية إذا انتهت بانتصار الحلفاء فعلى المغرب أن يرتبط بفرنسا التي ستكون تقدمية بعد تحريرها من الاحتلال النازي[105].

"إنها مرحلة غير معروفة من حياة المهدي" يقول عبد القادر شقيقه: " لقاءه في الرباط نهاية 1942 أو بداية 1943 مع أندري مارتي (André Marty) سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي، وأحد أشهر الوجوه في هذه الفترة من الشيوعية الأممية، وجاك غريزا (Jacques Grésa) الذي سيصبح رئيس ديوان موريس طوريز (Mauris Tauris)[106]، وقد عقد اللقاء في منزل موظف سامي فرنسي وعضو بالحزب الشيوعي، وجمع شبابا مغربيين معروفين بنزعتهم التقدمية ورسم صورة لهم عن الوضع السياسي العالمي وحثهم على الانضمام للحزب الشيوعي، فالمهمة الرئيسية في هذا الوقت هي الكفاح ضد قوى المحور حتى النصر الشامل".

كان هم الشيوعيين في هذا الوقت معاداة ألمانيا، والشباب المغربي الحاضر أو على الأقل المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد لم يعترضا على هذه النقطة، والأسئلة التي طرحت فيما بعد على المسؤولين الشيوعيين ركزت على ما بعد الحرب، فحتى تتم التعبئة إلى جانب الحلفاء من الضروري الاشتراك في أمال النصر، باختصار هل الحزب الشيوعي يساند تطلعات الوطنيين المغاربة؟ هل سينطق كلمة الاستقلال؟ أجاب جاك غريزا عن ذلك نافيا، وفي رأيه التقدميين المغاربة يجب أن يتنازلوا عن

---

[104] – نفسه، ص: 121.

[105]– نفسه، ص: 122.

[106] – موريس طوريز (Mauris Tauris) 1900- 1964، الأمين العام التاريخي للحزب الشيوعي الفرنسي، ما بين 1930- 1964. http://fr.wikipedia.org/wiki/Maurice_Thorez.

مطلب الاستقلال، لأن الاتحاد مع فرنسا هو الذي سيوفر لهم بعد الحرب أفضل طريق نحو الاشتراكية، وعقد اجتماع لاحق في سينما رويال ولم تكن عودة المهدي وبوعبيد إلا من باب المجاملة التي أخفت الخيبة[107].

كانت هاته محاولات من الشيوعيين الفرنسيين لاختراق صف الحركة الوطنية المغربية من خلال جناحها الأكثر تقدمية والذي كانت عناصره معجبة بدور المثقفين الفرنسيين في دعم القضية المغربية والوقوف إلى جانب مناضليها، والمتأثرين بالدعاية المضادة النازية والفاشية، لكن هؤلاء الشباب وقفوا على حقيقة أهداف الشيوعية الفرنسية التي لن تقف في الأخير ضد مصالح فرنسا، لكن الشباب المغربي استفاد بقربه من هؤلاء في تحريك العمل النقابي عبر اتحاد النقابات المتحدة المغربية[108]، وحيث كان للحزب الشيوعي الفرنسي (PCM) تأثير عليها خاصة بالدار البيضاء، فالقيادات الشبابية في الحركة الوطنية المغربية مثل: المهدي بن بركة، عبد الرحيم بوعبيد، عبد الرحمن اليوسفي وعبد الله إبراهيم اهتمت من هذه المرحلة بالعمل النقابي[109]، في حين أن الحزب الشيوعي المغربي المنبثق عن الحزب الشيوعي الفرنسي بقي حبيس تلك النظرة الضيقة عن الحركة الوطنية المغربية وعن مستقبل المغرب فلم تسمح له أبدا بممارسة أي نفوذ وسط الحركة الوطنية المغربية، وكان ضحية ما سماه الشيوعيون أنفسهم انحراف أمبريالي [110].

---

[107] - Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p :50-52.

[108]- في سنة 1936 وبمجيء الجبهة الشعبية للحكم، اعترفت للمغاربة بحق ممارسة العمل النقابي، وفي نهاية 1936 وبداية 1937 فتحت في المغرب فروع للنقابات المركزية الفرنسية من قبل الأممية والمناضلين الشيوعيين الذين قبلوا دخول المغاربة في التنظيمات المخصصة للأوروبيين، وبدأت نتائج ذلك تلمس في الميدان حيث بدأت الإضرابات تنظم من قبل العمال المغاربة، لكن سقوط الجبهة الشعبية وبداية الحرب العالمية الثانية أدى إلى حظر العمل النقابي على المغاربة من جديد.

DAOUD – MONDJIB, op-cit, p,p :83.

[109] - Ibid,p,p :83, 84.

[110] -Abdelkader BEN BARKA,op-cit :50

ب- تأسيس حزب الاستقلال ومعركة المطالب 1944 -1945:

كان للحرب العالمية الثانية بالغ الأثر في تطور الحركة الوطنية في شمال إفريقيا، خاصة على مستوى الوعي، وبالنسبة للمغرب انبعث شعور لدى الوطنيين بإمكانية الحديث عن الاستقلال والحصول عليه، كان هناك أربعة أحداث هامة ساهمت في تكون هذا الوعي وسيادة هذا الشعور: هزيمة فرنسا تلك الهزيمة المدوية التي حررت المغاربة من عقدة التفوق الفرنسي خاصة بعد انتصاراتها على المقاومة في حرب الريف، ونزول الحلفاء بالمغرب سنة 1942 مما جعل المغاربة يعلقون أمالا كبيرة على الأمريكان في صراعهم مع فرنسا، والإحساس باقتراب نهاية الحرب، وهي ساعة حاسمة واستحقاق ضروري لابد للمغاربة من الجاهزية معه لأي قرار مصيري، وأخيرا المقابلة التي حدثت بين الملك محمد بن يوسف والرئيس روزفلت في مؤتمر الدار البيضاء في 05 جويلية 1943 [111]، وهناك أيضا حدث خارجي آخر دفع باتجاه المطالبة بالاستقلال هو حصول سوريا والعراق على استقلالهما بعد معارك دامية ومواجهات عنيفة.

بالإضافة لذلك فمطلب الاستقلال لم يكن طارئا وإن غيبته وسائل النضال، فلقد كنا هدف النضال الأول واختفى في طيات المطالب الإصلاحية نتيجة الظروف المحيطة القاهرة، فلم تكن الحركة الوطنية في شكلها الأول "كتلة العمل الوطني" ثم "الحزب الوطني من أجل المطالب"، حركة إصلاحية منتهى كفاحها تحسين شروط المواطنة في ظل الوجود الفرنسي، بل كانت حركة تحررية بمعنى الكلمة تنتظر اللحظة المناسبة للإعلان عن نفسها، ولم يكن عملها الجبار في السر والعلن، بالتكوين والتثقيف والتدريب والهيكلة والربط بالتاريخ والوطن من أجل الاكتفاء بتحقيق مطالب اجتماعية واقتصادية[112].

في ديسمبر 1943 اجتمع أعضاء ومناضلين من لجنة العمل المغربية (CAM) القديمة والعديد من الشخصيات المستقلة ذات الحضور وتم الاتفاق على تأسيس حزب باسم الاستقلال، كان المهدي بن بركة أحد أصغر المؤسسين، فقد كان هناك اعتماد بشكل كبير على جمعيات قدماء

---

[111] - Maurice BUTTIN, **Ben Barka**, **Hassan II**, **De Gaulle**: **ce que je sais d'eux**, Karthala, paris,2010,p: 33.

[112] - GAUDIO, **Allal Elfassi ou l'histoire de l'istiqllal**, op-cit,p:38.

التلاميذ خاصة بالرباط (مولاي يوسف) وفاس (مولاي إدريس)[113]، لقد كان الهدف واضحا من وراء تجميع الوطنيين في هيكل بهذا الاسم الدال بشكل واضح على الغاية، وهي: المطالبة بالاستقلال، كان المهدي يملك الوعي الكافي حول الموضوع وكتب لاحقا: "إن حزبنا لم يؤسس بدافع البحث عن مقاعد أو الحكم والمناصب والمال والجاه، فهذه ليست طريقنا، لقد تأسس الحزب للقيام بمهمة اجتماعية إلى جانب المهمة السياسية" [114].

ومن أجل التحضير الجيد للخطوة قبل الإعلان عنها، سواء على الصعيد التنظيمي أو الشعبي والرسمي، لم يدخر الوطنيون جهدا في ذلك وتحركوا للتبشير بالفكرة بين الخلايا وبين أفراد الشعب وتحضيرهم لرد الفعل الاستعماري، ونجحوا في الحشد حول الفكرة، كما تم الاتصال بالهيئات السياسية الموجودة مثل الحركة القومية للوزاني[115]، وتم الاتصال أيضا بالملك محمد بن يوسف، حيث تم اجتماع بين قادة الحزب الجديد وهم أحمد بلافريج، عمر بن عبد الجليل، محمد اليزيدي، محمد غازي، محمد الفاسي، وقد أشرف على إقامة الاجتماع ونسق بين الطرفين أحمد بن سعود أمين سر الملك وأحد الوطنيين، واستمر الاتصال والتنسيق في الشؤون السياسية حتى استقر رأي الوطنيين والحزب على إصدار وثيقة الاستقلال فاستشير الملك وتحمس للقضية وأعطى الضوء الأخضر[116]، وبعد تقرر مبدأ المطالبة بالاستقلال حررت عريضة من قبل لجنة من الحزب وأعيد النظر في التحرير حتى انتهت إلى صيغتها النهائية، وعرضت على الملك فوافق عليها، واتفق معه على موعد الخروج بها، يوم: 11 جانفي 1944م[117].

توجهت صبيحة يوم 11 جانفي عدة وفود من حزب الاستقلال بالعريضة، فاتجه أحمد بلافريج واليزيدي وعبد الله إبراهيم وإدريس المحمدي والهاشمي الفيلالي وعبدالعزيز بن دريس وعبد

---

[113] -DIOURI, **réalités marocaines**, op- cit,p :77.

[114]- المهدي بن بركة، **نحو مجتمع جديد**، محاضرة ، تطوان، 31 جويلية 1958، نشر محمد عابد الجابري، سلسلة مواقف، عدد:06، أوت 2002، دار النشر المغربية، 2002، ص- ص:72- 96.

[115]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص: 220.

[116]- نفسه، ص:222.

[117] -BOUAZIZ, op-cit,p,p :60,61. / Gaudio ,op-cit, p:38

الكريم بن جلون وأحمد الحمياني وعبد الحميد الزموري إلى القصر الملكي لتقديمها للملك[118]، واتجه وفد يضم عمر بن عبد الجليل ومحمد غازي ومحمد الزغاري ومحمد الديوري نحو الإقامة العامة، واتجه المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد إلى المفوضية الأمريكية، واتجه كل من أحمد مكوار وأحمد أباحنيني إلى المفوضية الإنجليزية، وإن كانت بعض الشهادات تقول بذهاب المهدي بن بركة إلى المفوضية الإنجليزية [119]، وقد تمثلت مطالب وثيقة الاستقلال في مايلي [120]:

1- الاستقلال.

2- وحدة الأراضي.

3- سعي الملك لاعتراف الدول بالاستقلال.

4- انضمام المغرب إلى الدول الموقعة على ميثاق الأطلسي.

5- مشاركة المغرب في مؤتمر الصلح.

6- إحداث نظام سياسي ديمقراطي.

وقد كان المهدي بن بركة رفقة عبد الرحيم بوعبيد أصغر عضوين من مجموع الأعضاء الذين مضوا على وثيقة الاستقلال[121].

استقبل الشعب المغربي بكل شرائحه بالترحيب البالغ وبالحماس مطالب الاستقلال، وبدأت العرائض المماثلة تمضى من مختلف الطبقات، العلماء، الطلبة، التجار والحرفيون والعمال، وانطلقت في كل مكان مظاهر التعبير عن الفرحة الغامرة والاستعداد للاستقلال المنتظر، وبين قيادات حزب الاستقلال كان هناك وعي أكثر بحقيقة الوضع وبطبيعة الرد الفرنسي، الذي لن يكون بعيدا عن عادته في البطش، أما بالنسبة للملك فواجه الأمر بشجاعة ملموسة وتبنى العريضة، الأمر الذي جعل المقيم العام غبريل بيو يزوره ويبدأ في حملة الضغط عليه للتبرؤ من التصرف[122].

---

[118]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص، ص: 224،225.

[119] - DAOUD – MONDJIB, op-cit, p: 85.

[120]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص: 232.

[121] - وثيقة بيان الاستقلال، ملحق رقم: 02.

[122]-غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص، ص : 234، 235.

وقدمت الحركة القومية بقيادة الوزاني وثيقة مماثلة إلى الملك بنفس المطالب في تأييد واضح لخطوة حزب الاستقلال وإن كن البعض يشير إلى اتصال قادة الاستقلال بالحركة القومية للتنسيق حول العريضة، لكن رفقاء الوزاني لم يشاركوا في الإمضاء عليها وقدموا وثيقة موازية، ولم يتخلف من الساحة السياسية إلا الحزب الشيوعي الذي عارض الخطوة واعتبرها مؤامرة فاشستية هتلرية[123].

بعثت الحكومة الفرنسية في الجزائر بمفوض الشؤون الخارجية السيد مسيغلي، وقابل الملك وأعلن بعض المسؤولين الفرنسيين إمكانية القيام ببعض الإصلاحات لكن الاستقلال مرفوض واستمرت الجهود بين 11 و12 جانفي من أجل استبيان الرأي والتباحث ومحاولة ثني قيادة حزب الاستقلال عن مطالبها، وأرسلت الإقامة وفدا ليحاور حزب الاستقلال وأعلن الوزير المعمري أن الإقامة ترغب في حذف كلمة استقلال مقابل المساواة بين المغاربة والفرنسيين[124].

كان الاعتقاد السائد لدى الفرنسيين وخاصة مصالح الاستخبارات أن من يقف وراء خطوة الوطنيين أيادي أمريكية وبريطانية، فهذه مؤامرة ضد فرنسا الحرة من أجل قص أجنحة ديغول قبل عبور الحلفاء إلى أوروبا، كان هذا استخلاص الشيوعيين الفرنسيين أكثر من غيرهم بما لاحظوه من تعاظم الدور الأمريكي في المغرب منذ الإنزال في نوفمبر 42، وكذلك لما علم أن السلطات الأمريكية والبريطانية كانتا على علم بفحوى الوثيقة قبل طرحها ولم تسارعا لإخبار فرنسا[125]، كما استغل مسؤولو الإقامة اتصالات سابقة لبلافريج سكرتير الحزب العام بالألمان لاتهام الحزب بالتواطؤ والتآمر ضد فرنسا[126].

سارع الملك لإلقاء خطاب في الإذاعة لإظهار أن هذه الخطوة ليست ضد الجهود الحربية والمغرب لن يطعن الحلفاء من الظهر[127]، وأضحى من الضروري أن يصدر حزب الاستقلال بيانا توضيحيا ردا على حملة الإقامة المشككة والمتهمة، فأصدرت اللجنة التنفيذية بيانا يوم 19 جانفي

---

[123]- نفسه، ص: 236.

[124]- جبرو، مرجع سابق، ص،ص: 131، 132.

[125]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص: 245.

[126]- جبرو، مرجع سابق، ص: 130.

[127]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص: 237.

للتذكير بظروف تقديم عريضة الاستقلال والذي جاء فيه: "إننا لا ننوى تحقيق أمالنا باستعمال وسائل العنف والقوة وكفاحنا دليل على مشروعية أهدافنا، وما حصلنا عليه من تأييد وتعضيد من طرف مواطنينا، ولن يجرأ أحد على مؤاخذتنا لمطالبنا بحق وحرية لم تتسلح إلا بالقوة وبالإيمان"[128].

مثلت عملية تقديم العريضة انطلاقة جديدة وقوية للحركة الوطنية المغربية، وعدت الحدث الأبرز في تاريخ النضال الوطني المغربي، وجاءت وفود إلى الرباط من جميع أنحاء المغرب وتغير وجه العاصمة بمواكب الحافلات والشاحنات والسيارات والعربات والحشود التي تحتفي بالحدث وتدعم خطوة الوطنيين، وبدأت أصوات العملاء والمتعاونون تتصاعد بالتخويف من الخطوة[129]، وفي يوم الجمعة 28 يناير انتهت الأفراح والأعراس وبدأت يوم 29 عملية الهجوم على حزب الاستقلال، فتم اعتقال القيادات: أحمد بلافريج، محمد اليزيدي، عبد العزيز بن إدريس، الهاشمي الفيلالي، عبد الرحيم بوعبيد، وبدأت موجة من الاحتجاجات والإضرابات[130].

أفلت المهدي بن بركة من موجة الاعتقالات الأولى ونظم الهجوم المضاد، حيث انطلقت تظاهرات شعبية ضخمة في الرباط وسلا وامتدت إلى فاس حيث سقط أربعون قتيلا ومئات الجرحى وأغلقت الأماكن التعليمية وثار التلاميذ في مدرسة مولاي يوسف وتعاملوا بخشونة مع معلميهم وكسرت يد المدير رو (ROUX) ودخل جميع تلاميذ المهدي في إضراب بما فيها المدرسة الملكية ولم يستثنى منهم حتى الأمير الحسن[131].

اعتقل الآلاف في عموم المغرب وحكم بالسجن على 1063 شخص من بينهم 450 في فاس وحدها ووصل القمع إلى درجات غير مسبوقة وحوصرت المدن خاصة الرباط وترك المجال للمجموعات الفرنسية من أجل ممارسة القمع والإهانة والاعتداء على المغاربة[132]، وأبعد بلافريج إلى كورسيكا وأعتقل اليزيدي من جديد بعد إطلاق سراحه لتهدئة الأجواء، وأخيرا أعتقل المهدي بن بركة

---

[128]- جبرو، مرجع سابق: 130.

[129]- نفسه، ص:131.

[130] - BOUZIZ ,op-cit,p: 63.

[131] -DAOUD –MONDJIB, op-cit, p: 85.

[132]- جيل بيرو، **صديقنا الملك**، تر: ميشيل خوري، دار الطباعة للنشر والتوزيع ، دمشق، 2002، ص: 23.

والتحق بصديقه بوعبيد بسجن لعلو بالرباط في فبراير 1944، متهما بأنه كان المحرض الرئيسي على العنف والاحتجاج وحكم عليه بسنتين سجن[133].

عاش المهدي بن بركة في السجن تجربة جديدة من حياته النضالية، فتعمقت علاقاته بعبد الرحيم بوعبيد، وتواصل نشاطاته السياسية، وفي الوقت الذي لم يزعجه وضعه هذا كثيرا فقد خلّف وراءه فراغا كبيرا ومحسوسا في العائلة، خاصة بعد فصل شقيقه عبد القادر من عمله[134]، وبخصوص هذا يتحدث عبد القادر: "كنت أحمل إلى المهدي كل يوم طعامه في سجن الرباط . . . خلال أربعة أشهر لم تتعطل مواهب المهدي، فمدير السجن أوكل له تسيير مالية السجن وهو الأمر الذي جعله يتحرك بحرية كبيرة داخل السجن، لقد واجه سجنه كأمر منطقي وطبيعي . . . من جانبنا كنا فخورين بكونه أحد الممضين على بيان الاستقلال ومنظم مظاهرات الرباط وأزرو"[135].

أظهر المهدي في سجنه ملكات في التنظيم والتضامن، فقد مكنته علاقته بمدير السجن الذي استفاد منه في تدريس ابنته الرياضيات مقابل حرية التحرك وإدخال الأكل والسجائر للسجناء والكتب والرسائل، وأفاده نفوذه هذا في مواصلة نشاطه السياسي واتصالاته، ومن داخل زنزانته كتب أول مذكرة بتاريخ 07 مارس 1945، وأمضاها اليزيدي السكرتير المساعد للحزب وأرسلت إلى الجامعة العربية بالقاهرة[136]، المهدي في الرسالة هنأ الجامعة العربية على الدور الذي تلعبه لصالح الدول التي لا تزال محتلة، وأضاف إذا لم تكن المغرب في الظروف السياسية التي لا تجهلونها فإنها سوف تمثل بوفد رسمي في الجامعة العربية وأضاف ملتمسا مساعدة أعضاء الجامعة في دعم قضية المغرب في المحافل الدولية[137]، وخلال مشاركة وفد الجامعة العربية في سان فارنسيسكو بالولايات المتحدة لوضع ميثاق الأمم المتحد طرحت قضية المغرب لأول مرة في محفل دولي[138].

---

(133) - DAOUD – MONDJIB, op-cit, p: 88.

(134) - Ibid,p :88.

(135) -Abdelkader BEN BARKA ,op-cit,p :52-54.

(136) - Ibid,p : 52-54.

(137)- جبرو، مرجع سابق، ص: 145.

(138) -DAOUD –MONDJIB, op-cit, p:88.

وفي يوم 8 ماي 1945 أطلق سراح بعض قادة الحزب، فيما كان أمام المهدي ستة أشهر أخرى ليقضيها في السجن[139]، استمرت حتى نوفمبر 1945 حيث غادر سجن لعلو بالرباط وعاد لنشاطه من جديد، وخلال الفترة التي بقي فيها المهدي وقيادة حزب الاستقلال معتقلين انحسرت نشاطات الحزب خاصة في الجانب الدبلوماسي، وبعد خروجه وبسبب الوضع وظروف الحزب الذي أصبح ممنوعا، توقف عن التدريس الرسمي وتحول لإعطاء الدروس في الرياضيات والفيزياء في المدارس الوطنية وفي المساجد وفي الأماكن التي يستدعى لتكوين المناضلين فيها[140].

ج- في قيادة حزب الاستقلال والعمل الوطني 1946-1950:

بعد الخروج من السجن عاد المهدي بن بركة لمكانه ونشاطه السابق، فقد صار أخوه عبد القادر التاجر الحذق هو المتكفل المالي بالعائلة، والتفت هو أكثر إلى الحزب لقد التحق بقيادته وعمره لم يتجاوز الخامسة والعشرين بعد، وبات مسؤولا عن إدارة الحزب ومنغمسا كلية في شؤونه حتى صار عائلته الفعلية، لقد تم تجهيزه بهيكل نخبوي فاعل ومسيطر، في قمته لجنة تنفيذية مكونة من أربعة (04) أعضاء :- محمد اليزيدي "أمين عام مساعد"، عمر بن عبد الجليل، عبد الكريم ين جلول ويساعده لاحقا محمد الغزاوي مكلف بالقضايا المالية، وترأس هذه اللجنة التنفيذية لجنة مركزية مكونة من اثنا عشرة (12) عضوا سنة 1945[141].

كانت الاجتماعات سرية، تعقد تارة في الرباط وتارة في فاس، وكان المهدي قريبا من هؤلاء الزعماء خاصة اليزيدي أبيه الروحي بما مثله من قيمة على الساحة السياسية كمحاور محترم كافح للإبقاء على الحزب في السنوات الصعبة التي تلت بيان الاستقلال، وبقيت صلة المهدي به دائما قوية وبقي دائم التردد على بيته[142]، كان المهدي خلال هذه الفترة يقوم بالإشراف على الشباب، بنات وبنين، والذين كانوا يشكلون الخلايا الكشفية والتي سميت "الحسنية" أو "الحسنيين"؛ تيمنا باسم ولي

---

(139) -Ibid,p : 90.

(140) -Ibid,p : 96.

(141)- جبرو ، مرجع سابق، ص:143 / DAOUD –MONDJIB, op-cit, p: 96.

(142)- أوفقير، مرجع سابق، ص: 30.

العهد، وكان المهدي أيضا المسؤول السياسي عن طلبة الرباط، فقد كان قريبا من الشباب أكثر من أي مسؤول استقلالي آخر، فهو كما يوصف شابا في لباسه وشكله وأفعاله[143].

عين المهدي أمينا إداريا للحزب، حتى وإن التمس إبقاءه يقدم دروس الرياضيات لنخبة من التلاميذ المغاربة ومنهم ولي العهد الحسن وبعض زملاءه، والتي كان يحضر بعض منها الملك محمد بن يوسف، وكان الحسن على غرار والده قريبا من الحركة الوطنية وعناصرها التقدمية، فالحركة الوطنية كانت ترى فيه حليفا للحاضر والمستقبل[144]، وساهمت دروس المهدي في القصر في ربط العلاقة بين الحزب والعائلة المالكة، فالمهدي قام بتشكيل خلايا للحزب في قلب ثانوية القصر، ونشأت علاقة خاصة بينه وبين ولي العهد الأمير الحسن الذي كتب عنها لاحقا: "كانت بيننا علاقة صداقة وبفضله كنت أقرا المنشورات وبيانات الحزب وكل ما كان يتم"[145].

الذين عرفوا المهدي في هذا العهد قالوا كان في قمة الحركية والنشاط ويمتاز بالألفة وحسن المعشر، يتصل بالجميع مثل المحرك الذي لا يتعب، كان يلقي الدروس في أكثر من مكان، ينظم خلايا الحزب، وكانت علاقته بتلامذته قوية جدا واستمرت طيلة حياته، مثل ما هو الحال مع أحدهم المدعو: "التهامي الزموري" الذي ظل وفيا له طويلا، كان المهدي يهتم بالتربية والتكوين مثل ما يشهد بذلك ريجيس بلاشي (Regis Plachier) أستاذ السربون: " كان يأتي ليراني ويستشيرني حول مشاكل تمس تعليم العربية في بعض الدفعات ذات الثقافة العربية الإسلامية، لقد بقينا على علاقة فكرية"[146].

كان المهدي يتحرك وينشط حتى مع قلة الموارد ، فقد كان في هذه الفترة يعتمد على الحزب في مصروفه، ولم يكن ذلك ليكفيه، كما يحكي أحد زملاءه "عبد الرحيم كديرة " حيث اشترى له مرة الدواء لأنه لم يجد المال، ويضيف عبد الرحيم كديرة: "كان المهدي وحده من بين الزعماء يتوفر على ذاكرة قوية ودراية واسعة ليخاطب المسفيوي والسوسي والوجدي والفاسي والتازي والفيلالي، وحينما

---

(143) - DAOUD –MONDJIB, op-cit, p:96.

(144) -Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p,p: 58, 59.

(145) -HASSAN II, op-cit : p,p: 48,108./ Jean LACOUTURE, **Profils perdus**, éditions A.M.Métailié, Paris,1983,p :40.

(146) - DAOUD –MONDJIB, op-cit, p,p :58, 59.

كنا نضطر أن ننام في بيته كان ينام على (هيدورة) حتى لا يستسلم للراحة، كان يقول النوم المريح لا يتركه يستيقظ مبكرا، فكانت هذه طريقته حتى لا يضيع واجبات العمل في الصباح"[147].

بدأ المهدي في إحدى مسؤولياته الجديدة الإشراف على نشرية سرية، بمساعدة كل من مولاي مصطفى العلوي كضارب على الآلة الراقنة بالعربية ومحمد التادلي على الآلة الفرنسية، وكانت نفس الآلة تنقل كل ليلة من بيت إلى آخر في حلقة من ثلاث بيوت تسحب فيها النشرية بالعربية والفرنسية، بعدما يراجعها اليزيدي، ويحكي كديرة عن ظروف إعدادها: "كان المهدي يحضر الاجتماع الأسبوعي الذي تعقده اللجنة التنفيذية وبعد منتصف الليل ينفض الاجتماع ويرافق مخبرو الشرطة من بعيد المهدي إلى منزله على أساس أنه دخل لينام وبعد ساعة يتأكد خلالها من انسحاب عيون الإقامة العامة يخرج ليلتحق بالإخوان، ويبدأ معهم طبع النشرة وسحبها وترتيبها وتوزيعها وما إن تشرق شمس الغد حتى يكون خطاب القيادة قد أخذ طريقه إلى جموع المناطق التي تتواجد فيها تنظيمات حزب الاستقلال"، كانت النشرة تتضمن مقالات وأخبارا توجيهية توزع داخل تنظيمات الحزب وتحتوي أيضا على بيانات ومواقف الحزب، لقد كانت قيادة الحزب تطمئن لهذا الشاب وتترك له صلاحية اتخاذ المبادرات مثل مبادرة بعث رسالة للجامعة العربية[148].

بعد نهاية الحرب وبالضبط يوم 18 جوان 1945، استقبل الجنرال ديغول بباريس محمد بن يوسف تكريما له على مجهوده رفقة المغاربة في الحرب، ولأن موضوع الساعة كان التحرر؛ اغتنم محمد بن يوسف الفرصة ليطلب من الجنرال ديغول إنهاء معاهدة الحماية ويطالب بإطلاق سراح المعتقلين من زعماء الحركة الوطنية[149]، في هذا الوقت كان حزب الاستقلال يراقب الوضع بحذر في الرباط وفي باريس، حيث كان يوجد عبد الرحيم بوعبيد منذ إطلاق سراحه، ومولاي أحمد العلوي عميد طلبة طب المغاربة وعبد الله إبراهيم طالب الأدب، والذين واصلوا نضالهم في فرنسا أين قاموا بتشكيل الخلايا الطلابية وأقاموا مكتب إعلامي وبدأوا في تحسيس المثقفين الفرنسيين، وكانت هذه النشاطات وراء البيان الفرنسي المغربي في 13 فيفري 1946 الذي اعترف أن اتفاقية الحماية قد تجاوزها الزمن،

---

[147]- جبرو، مرجع سابق، ص،ص :143، 144.

[148]- نفسه، ص: 143.

[149]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص، ص: 296، 297.

وطالب بمنح الحريات الرقابية والصحفية وحرية التجمع، وقد وقعت الوثيقة من قبل شخصيات فكرية ودينية[150].

بدأت صفحة جديدة من التعامل الفرنسي مع المغرب، كان عمادها الإصلاحات الاقتصادية التي حملها المقيم العام الجديد إريك لابون (Eirik Labonne) [151]، مع بعض التخفيف في القبضة الأمنية وانفتاح على الحريات العامة، فتم إطلاق سراح أمين عام حزب الاستقلال؛ أحمد بلافريج الذي كان منفيا إلى جزيرة كورسيكا منذ فبراير 1944، ومحمد بلحسن الوزاني الذي كان مبعدا إلى إتزر بالجنوب المغربي منذ 1937، ثم عاد الزعيم علال الفاسي المبعد إلى الغابون منذ 1937، وأفرج عن بقية أفراد الحزب المسجونين، وأعتبر الإفراج عنهم نصرا كبيرا للحركة الوطنية احتفت به كثيرا، فمثل هذا انفراجا في الوضع المغربي والعلاقة بين الوطنيين والإقامة[152].

نتج عن اتصال إيريك لابون بزعماء الحركة الوطنية إلغاء قرار 1937 الذي بموجبه منع على الوطنيين إصدار الصحف، فشرع المهدي بن بركة في صيف 1946 في إصدار صحيفة يومية باللغة العربية هي جريدة (العلم)، لقد قام بالاتصال بأحد رافقه القدامى المقيم بحي بوقرون (عبد الجليل القباج) – وهو موظف سابق طرد نتيجة أحداث 1941، ليتحول لممارسة التجارة – أخبره المهدي أنه وقع عليه الاختيار من القيادة كمدير للجريدة [153]، ومن ثم تم اللقاء بالمكان الذي اختير مقرا للجريدة ومطبعتها بزنقة بواتي بجانب سوق الخضر، كانت مهام المهدي بالجريدة متعددة خاصة في أيامها الأولى، فكان يوجه صيغة الأخبار ويشرف على التعاليق ويسهر على سير الإدارة والطباعة والتوزيع، وكان الأمين العام أحمد بلافريج يكتب الافتتاحيات[154].

تم إصدار أول عدد من جريدة العلم يوم 11 سبتمبر 1946 ثم أتبعت بصحيفة ناطقة بالفرنسية هي (رأي الشعب) تحت إدارة عبد الكريم بن جلون[155]، حيث كانت هناك عناية فائقة

---

[150]– جبرو، مرجع سابق، ص،ص: 99، 100.

[151] – إريك لابون: المقيم العام الفرنسي في المغرب, مارس 1946– 1947.

[152] – غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص، ص:301، 302 .

[153] – الجابري، مرجع سابق، ص، ص: 23، 24.

[154]– جبرو ، مرجع سابق:150/ .BOUAZIZ, op-cit,p :63

[155]– غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص :302.

بأخبار البلاد العربية وفي مقدمتها الجزائر وتونس، لكن ظلت الرقابة مفروضة على الصحف فكانت كثيرا ما تصدر وبعض أعمدتها بيضاء تحمل عنوان حذفته الرقابة، فكان يحذف كل ما يمس بالحماية ونظامها وبفرنسا، ويتجاوز بحذف أي مقال به كلمة استقلال أو ولي العهد أو اسم لوطني ما أو زعيم مغاربي[156].

تزايد اهتمام حزب الاستقلال في هذه المرحلة في سياق الاندفاع الوطني ببناء المدارس الحرة بهدف تدعيم اللغة العربية والثقافة الوطنية والتربية الدينية وكان اقتراح المهدي هو دمج معلمي الكتاتيب القرآنية بالمدارس الجديدة لإعطاء دروس دينية ولغوية ولتحفيظ القرآن، فتنوعت مهام المهدي في الصحافة والتعليم الحر والاجتماعات مع القيادة ومع الفروع خاصة فرع الرباط[157].

بدأ المغرب يعرف أوضاعا جديدة وتطورات اجتماعية واقتصادية مع مجيء رؤوس الأموال الأجنبية أثناء الحرب العالمية الثانية وإقامة بعض الصناعات وهجرة الآلاف من الفلاحين من البوادي هربا من الفقر والظلم ونزع الأراضي، فتشكل حول المدن حزاما أسودا من أحياء الصفيح التي سكنها المهاجرون المحرومون، إنها شروط جديدة خلقت ظروفا موضوعية للتحولات الاجتماعية التي عرفها الشعب المغربي، وجعلت مهمة الحركة الوطنية تزداد صعوبة مع كل هذا الاتساع والتغيرات على قدر ما جلبت من أتباع ومنخرطين[158].

كانت قيادة حزب الاستقلال تواجه صعوبات جمة في مناطق عديدة في الأطلس حيث إدريس المحمدي، الذي كان يطرح نفسه وصيا على التنظيمات التابعة للحزب في مناطق الأطلس ويعرقل قرارات الحزب إذا لم تمر عبره بمدينة مكناس، وفي الدار البيضاء كانت مشاكل من نوع آخر بسبب الانفجار السكاني الناتج عن الهجرة، وسيواصل المهدي محاولاته بكل ما أوتي من قوة للتغلب على مشاكل الدار البيضاء التنظيمية والعمالية بالتنسيق مع المناضلين الميدانيين هناك مثل عبد الرحمن اليوسفي، حتى مجيء عبد الرحيم بوعبيد ودوره ابتداء من سنة 1949 كمنسق منتدب لدى اللجنة

---

[156]- نفسه، ص: 303.

[157]- جبرو، مرجع سابق، ص: 153./ الجراري، مرجع سابق، ص – ص :54- 60.

[158]- جبرو، مرجع سابق، ص: 153.

العمالية بالدار البيضاء، سيبدأ عملا هادئا لإعداد التنظيمات النقابية الوطنية والتي سيظهر وزنها في الأحداث اللاحقة [159].

لم تكن لأفراد القيادة السياسية من الجيل الأول الذين كان جلهم في إقامات هادئة ما بين حي "ديور الجامع" وحي "الليمون" بالرباط، بالضرورة نفس النظرة للأشياء كما هو الحال للكادر السياسي المحتك بالمجتمع والطبقات الشعبية خاصة بأحياء الدار البيضاء، وسيسعى المهدي بكل قوة جاهدا لتجاوز بعض المشاكل ومنها تلك التي بالأطلس حيث الأمازيغ، عن طريق ربط الاتصال بأبناء مدرسة أزرو[160].

كان اليوسفي صديق بن بركة الحميم والمقرب منه يعمل جاهدا لغرس جذور الحزب في الأوساط العمالية بالدار البيضاء، وهو الذي طرد من ثانوية مولاي يوسف في سن العشرين عقب إضراب 1944م واشتغل معلما لمدة سنة ثم كاتبا عموميا مختفيا في المناطق العميقة عن المطاردة الأمنية مهتما بتوعية العمال وبجمعيات كرة القدم، كان دوره مهما جدا واستفاد من خلاله حزب الاستقلال من مئة ألف منخرط عمالي في الدار البيضاء وحدها، المهدي كان يتنقل في المغرب، وفي كل مكان كان يقوم بتشكيل الخلايا ويؤسس الاتحادات الجهوية وحيث الأولوية دوما للشباب والطلبة، كما يصف شقيقه "إنه ليس من المبالغة القول أن المهدي قد سمي سكرتيرا إداريا للحزب وقد أضاف أسلوبا جديدا في الحياة السياسية المغربية، تخلي عن المجاز الشعري البدوي الذي يزين أقوال وكتابات الجيل السابق، لقد كان يعبر بلغة عربية عامية خالية من المحسنات والتي تستخدم صيغا جافة وواضحة سالكا أسلوب الاستدلال الرياضي، كان ينتقل من اجتماع لآخر على دراجته التي تعرفها كل الرباط مسرورا بحواراته الدائمة، في اتصال مباشر يجمع المعلومات عن قرب من الشباب"[161].

أخذت علاقة المهدي من هذا الوقت تتقوى بكل من عبد الرحيم بوعبيد ابن النجار السلاوي، المعلم السابق الذي طرد من عمله، وامتحن من جديد لشهادة البكالوريا بسجن لعلو عندما كان رفقة المهدي هناك وسيعود طالبا من جديد ويغادر لفرنسا لمواصلة تعليمه بالحقوق، ومحمد

---

[159]- نفسه، ص،ص: 155، 156.

[160] - نفسه ، ص : 155.

[161] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p,p:58 ,62.

البصري المناضل الثوري اللغز الذي كان يختبئ تحت اسم الفقيه في مراكش، وكذلك عبد الرحمن اليوسفي[162].

جاءت بعض الأحداث في سنة 1947 لتؤكد وجود اختلافات في وجهات النظر داخل اللجنة التنفيذية وفي الحزب ككل بين الجيل الأول من السياسيين البرجوازيين والجيل الجديد المشتغل في عمق الأحياء الفقيرة وبتنظيمات الحزب بالدار البيضاء مثل: " إبراهيم الروداني وأحميدو الوطني وعبد الرحمان اليوسفي"، ففي 02 أبريل 1947 حدثت مأساة الدرب الكبير ودرب العفو نتيجة خلاف بسيط بين الأهالي وجنود سنغاليين مما أدى إلى وقوع مجزرة كبيرة نفذها هؤلاء الجنود تحت سمع وبصر أفراد وقيادات الجيش الفرنسي المتواطئين، كان عدد القتلى مروعا ثلاثة وستون (63) من المواطنين العزل[163].

نتيجة هذا الحدث المروع جاء عبد الرحمن اليوسفي من الدار البيضاء لمقابلة الأمين العام المساعد اليزيدي يوم 08 أبريل 1947 يحمل معه روبرتاجا مصورا عن جرائم الاستعمار بالدار البيضاء من أجل أن تخصص جريدة العلم صفحة للمأساة، لكن اليزيدي أفهم اليوسفي أن نشر هذه الصور من شأنه تأجيج المشاعر الشعبية ويضفي جوا متوترا على رحلة الملك إلى طنجة التي أولتها الحركة الوطنية اهتماما بالغا، فالقيادة السياسية كانت تراهن على الرحلة الملكية إلى طنجة وتراها خطوة في طريق التعريف بالقضية المغربية في المحافل الدولية، في حين كان المناضلين البسطاء المنغمسون في صفوف الطبقات الشعبية يرون في فضح أساليب الاستعمار والانتصار للضعفاء أولى من أي شيء آخر[164].

سافر المهدي بن بركة في أكتوبر 1948 إلى فرنسا ملتحقا بعبد الرحيم بوعبيد الذي كان يكمل دراسته الثانوية والاقتصادية بالجامعة الفرنسية ويقوم في الوقت نفسه بالإشراف على التنظيمات الخاصة بالطلبة والعمال المغاربة بفرنسا وبلجيكا وكانت منظمة الأمم المتحدة حتى هذا الوقت لازالت

---

(162) - Ibid,p : 60-62

(163) -Charles-André JULIEN, **le Maroc face aux impérialisme 1415-1956**, Edition J.A , Paris, 1979, P :199.

(164)- جبرو ، مرجع سابق ، ص: 158 .

تعقد اجتماعاتها ودوراتها بباريس، وقد قدم المهدي أمام الجمعية الدولية تقريرا مفصلا عن وضعية حقوق الإنسان وأحوال الحريات العامة بالمغرب[165]، وتحول نتيجة لذلك مكتب حزب الاستقلال باريس بشارع كليبير إلى مركز نشاط لوفود المغرب العربي الأربعة: الجزائر، تونس، المغرب وليبيا حيث تم اجتماع تنسيقي بين الحركات الاستقلالية كان إلى جانب المهدي وعبد الرحيم بوعبيد، شوقي مصطفاي ممثلا عن حزب البيان الجزائري، والسيد جلولي فارس ممثلا عن الحزب الدستوري والسيد الفاكيني من ليبيا[166].

قدم المهدي مذكرة بإمضائه وهو في سن الثامنة والعشرين، فقد أضحى على قدم المساواة مع زعماء الحزب الآخرين ولم يعد يكتب التقارير فحسب بل أيضا يوقع عليها، وقد منعت هذه الوثيقة من النشر بالمغرب بتدخل من الرقابة وجاء فيها: "في الوقت الذي تجتمع فيه الوفود المحترمة في الأمم المتحدة لدراسة تصريح حقوق الإنسان يطيب لحزبنا أن يلفت بكل احترام كريم إلى الظروف التي يعيش فيها المواطن المغربي: مساهمة المغرب في انتصار الأمم المتحدة وهو محروم من حقوقه الأولية، البعد عن المشاركة في الشؤون العامة واقتصار الهيئات الموجودة على خدمة الفرنسيين، غياب النقابات ومطالبة المغاربة بممارسة هذا الحق، نظام سياسي باغي منافي للديمقراطية ورفض المغاربة لنظام الحماية، المطالبة بضمان التمتع بالحقوق الأولية والحريات الأساسية لجميع الشعوب دون استثناء"، وكانت هذه الوثيقة التي قدمها المهدي أمام الأمم المتحدة في أكتوبر 1948 محاكمة لنظام الحماية القائم بالمغرب[167].

وبدء من يوم 14 مايو 1947 تم عزل إريك لابون وجاء الجنرال ألفونس جوان (Alphonse Juin) [168] كمقيم عام بالمغرب يحمل معه العداء الصريح للوطنيين، فاحتد صراع

---

[165] - Rapport du Mehdi BEN BARKA, aux ONU, op-cit.

[166] - Déclaration des Partis d'Afrique du Nord aux ONU, 02 Novembre 1948 , colloque Mehdi Ben Berka, de l'indépendance a la tricontinentale op-cit, p :69.

[167] -Rapport du Mehdi BEN BARKA, aux ONU, op-cit.

[168] – الجنرال ألفونس جوان (Alphonse Juin)، المقيم العام الفرنسي بالمغرب من 14 ماي 1947 إلى 1951.

الحركة الوطنية المتحالفة مع الملك في مواجهة الإقامة والاستعماريون والمتحالفون معهم[169]، وفي هذه الظروف عاد عبد الرحيم بوعبيد من فرنسا ليشكل مع المهدي بن بركة قوة إضافية في قيادة الحركة الوطنية، وحيث قرر علال الفاسي مغادرة المنطقة السلطانية ليستقر مؤقتا بطنجة قبل اللجوء إلى القاهرة ويتبعه أحمد بلافريج الذي سيستقر هو أيضا مؤقتا بطنجة قبل مدريد ونيويورك[170].

كان المقيم الأول ليوتي قد اتخذ قرارا في 18 مارس 1919 بإنشاء مجلس شوري للحكومة، يتشكل من قسم فرنسي وآخر مغربي، حيث تجتمع الهيئة الأولى برئاسة المقيم والمديرين الفرنسيين، والهيئة الثانية يحضرها المقيم والمدرين ومعهم الصدر الأعظم والوزراء[171]، كان مجلس شورى الحكومة لا قيمة تمثيلية له على الإطلاق ولكن الحركة الوطنية رأت سنة 1950 أن ترشح ممثلين عنها لعضوية الغرف التجارية من أجل خوض تجربة جديدة في معركة الكفاح ضد المستعمر، ففاز المرشحون الوطنيون فوزا ساحق مما أعطى الحزب قاعدة انتخابية لتعيين أحدى عشر عضوا في مجلس شورى الحكومة، كان هؤلاء الفائزون والذين مثلوا حزب الاستقلال في مجلس شورى الحكومة هم: محمد الغزاوي، أحمد اليزيدي، عباس القباج، العباس بن جلول، الجيلالي نباتي، محمد الحبيب، عبد السلام أكديرة، المهدي زنيبر، محمد عمور، محمد الزيدي، محمد العراقي[172].

ومن أجل جعل عمل الفريق النيابي أكثر سلاسة وفعالية قام المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد بإنشاء مجموعة عمل لجمع المعلومات وإعداد التقارير والتي ستكون منطلق وأساس التدخلات وخطب الوطنيين أمام الجنرال جوان خلال مختلف النقاشات التي تمس فروع الميزانية فخطت بذلك الحركة الوطنية المغربية خطوة نحو النشاط الاقتصادي والمالي والاجتماعي[173].

كان المهدي بن بركة يحضر جلسات مجلس الشورى الحكومي رغم عدم كونه عضوا وهو ما يدلل على الأهمية القصوى التي أولتها الحركة الوطنية في هذه الفترة لدور هذا المجال، فكان يحضر إلى

---

[169] – غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق،ج1، ص : 475.

[170]– جبرو، مرجع سابق، ص:161

[171]– نفسه، ص : 163.

[172] – DAOUD – MONDJIB, op-cit, p :105.

[173] -Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p: 62.

مقر المجلس كصحفي منتدب من قبل صحيفة العلم، ومنحته هاته الصفة مقعدا ممتازا داخل القاعة يمكنه من الاتصال بالفريق الوطني والأعضاء الذين يخول لهم مخاطبة المقيم والمديرين مباشرة، وكان حضور المهدي بهدف التنسيق وتقديم الملاحظات وتوجيه الأعضاء في الكواليس في أوقات الراحة بين الجلسات أو خلال الالتقاء في المراحيض إذا اقتضت الضرورة بعد اصطناع حادث وفوضى وتشويش، مما حذا بالجنرال جوان لوصف المهدي برئيس الأوركسترا الخفية، وهو الذي وصفه منذ 1947 بعدو فرنسا رقم واحد[174].

كان فريق المهدي وبوعبيد يقوم بعمل جيد في جمع المعلومات وتحليلها تحليلا دقيقا يدحض تبريرات نظام الحماية وعملائها داخل المجلس، وتجلى هذا في التقرير المستفيض والعلمي الذي أعده المهدي ردا على مدير المالية الفرنسي بالمغرب (مسيو لامي)، والذي قدم بحثا عن ميزانية تجهيز المغرب في عهد الحماية منذ 1912 إلى 1950، فكانت ميزانية تبلغ ثلاثمائة مليار فرنك، وقد جاءت مواردها من تمويل الخزينة الفرنسية بفضل جهود وأموال فرنسا في الوطن الأم فرنسا، فكان رد المهدي أن هذه حجة تستخدمها الإدارة لتبرير الاستعمار وبقاءه وأنه سبب الخير والرغد والإنجازات العمرانية والاقتصادية للبلدان المستعمرة، "وكان المقيم نفسه قد عزف على هذا الوتر أمام منتقديه بالمجلس والحقيقة هي ما صرح به غير واحد من المسيرين الفرنسيين المتعاقبين على الإدارة المالية المغربية من أن فرنسا لم تتحمل أدنى نفقة في تجهيز بلادنا على العكس الميزانية المغربية هي التي في غير ما مرة تحملت نفقات خاصة بالحكومة الفرنسية:كنفقات الجيش الاحتياطي والجندرمة بالمغرب، نفقات تتعلق بالشؤون الفرنسية في منطقة طنجة والنفوذ الإسباني، بعض الأشغال العمومية ذات الطابع العسكري، علاوة على ما قدمه المغرب لفرنسا خلال الحرب الأخيرة ومنها ثلاثة ملايير للحكومة المؤقتة.

وبيّن المهدي بالحسابات الدقيقة تفاصيل ميزانية التجهيز المغربية والتي جزء منها من المداخيل الجمركية وأرباح بعض المشاريع، وجزء منها قروض بفوائد كانت تقترضها الحماية باسم المغاربة وتسدد بخدمة دين من الميزانية السنوية للمغرب، والتي يتحملها الفلاحون والفقراء المغاربة، فليست

(174) -BOUKHARI, op-cit, p:128.

تلك المساعدة المزعومة لتجهيز المغرب إلا عملية مالية تتربح من ورائها كثير من المؤسسات الرأسمالية الفرنسية[175].

دلَّ هذا التحليل من قبل المهدي على وعي عميق بالجانب الاقتصادي، ساعده فيه مستواه العلمي وتخصصه الدقيق في الرياضيات، لكن أيضا دلَّ على موسوعية وحنكة سياسية عالية تجعل من استغلال وسائل الحماية والاستعمار إحدى سبل الكفاح والنضال من أجل إظهار إفلاسهم ومخططاتهم الاستعمارية المبنية على المغالطات وعلى الثقة في جهل وعجز الطرف المقابل الضعيف وهو المغاربة، وعن اللقاءات التي كانت تعقد بهذا الشأن يقول عبد القادر بن بركة: "أتذكر كثيرا من الأشخاص الذين كانوا يأتون إلى بيتنا لكي يحفظوا خطاباته . . . كان يلتقي عندنا: اليزيدي؛ تاجر النخالة والغزاوي؛ الناقل البسيط، صحيح أن المهدي اكتسب أشياء جديدة من خلال جلسات المجلس، لقد اجتهد في الاستعداد لاعتراضات المدراء الفرنسيين على أدلة ناطق الحزب وحضر سابقا الردود"[176].

---

[175] – جبرو، مرجع سابق، ص: 165- 170.

[176] -Abdelkader BEN BARKA, op-cit,p,p :60-62.

المبحث الرابع: سنوات المخاض السياسي المغربي 1950– 1954.

استمر الصراع داخل غرفة المجلس بين الوطنيين والمسؤولين الفرنسيين وحلفائهم حتى انفجر الموقف وهو الأمر الذي كان منتظرا حدوثه منذ مدة بسبب مناورات وخداع نظام الحماية والمواقف الصلبة التي باتت عليها الحركة الوطنية وممثليها، فمواقف الوطنيين المغاربة وردودهم القوية المؤسسة كانت إن عاجلا أم آجلا ستدفع الفرنسيين خاصة الجنرال جوان للضيق واللجوء لأساليب أخرى.

أ– مجلس شورى الحكومة يفجر الوضع:

يوم 10 ديسمبر 1950 حينما كان السيد محمد الغزاوي يعرض تقريرا حول الأشغال العمومية؛ اعترض عليه مدير الأشغال (المسيو جيرار) معتبرا ما جاء في التقرير قذفا في حق فرنسا، فتدخل الجنرال جوان وطلب من الغزاوي مغادرة القاعة فتضامن معه الأعضاء الوطنيون وغادروا جميعا، ثم توجهوا إلى الملك محمد بن يوسف الذي استقبلهم وقدموا له تفصيلا عما حدث واحتجاجا، فتضامن معهم ضد الجنرال جوان[177]، فظهر للأخير مدى التحالف الذي أضحى بين القصر والوطنيين ولم يعد أمامه خيارات عديدة إما القضاء على حزب الاستقلال أو القضاء على الملك، فالظروف ليست نفسها وفرنسا لم تعد تستطع أن تفعل ما تشاء وقت ما تشاء في ظل بروز قوة دولية جديدة وما بات يحظى به محمد بن يوسف نفسه، لذا وجب اتخاذ طريق آخر يعتمد على القوى المغربية التقليدية الموالية للاستعمار، الباشاوات والمخزن نفسه[178].

فجاء الكلاوي إلى القصر يوم 21 ديسمبر وتحلل من كل لياقة وأدب سابق وأعراف التعامل مع الملك وصاح فيه: " أنت لم تعد سلطان المغرب أنت سلطان حزب الاستقلال الشيوعي الملحد"، فطرده الملك وطلب منه عدم العودة للقصر ثانية، ولم يتأخر الدعم السياسي والإعلامي للكلاوي من الفرنسيين، وانطلقت الصحافة الفرنسية تصور الصراع على أنه خلاف مغربي – مغربي[179]، فتدخل الجنرال جوان في هذا الصراع الداخلي المزعوم من أجل حفظ الأمن والدين الإسلامي، ووقف في صف القواد والباشاوات التقليديين في خصومتهم مع الملك، وفي يوم 26 جانفي

---

[177]– غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ، مرجع سابق،ج1، ص :477.

[178]– بيرو، lرجع سابق، ص: 24.

[179] – DAOUD – MONDJIB, op-cit, p, p:112, 113.

1951 قدم إلى الملك مجموعة طلبات: - التوقيع على 37 ظهيرا لإنشاء نظام السيادة المزدوج. - إعادة تشكيل الديوان الملكي وصرف الوزراء المقربين من الحركة الوطنية وخاصة أحمد بكداش، وطلب منه الاختيار بين التنكر لحزب الاستقلال أو التنحي عن العرش[180].

رفض الملك محمد الخامس الرضوخ في ذلك الجو من الضغوط والشائعات وحصار القصر وطالب بتدخل الحكومة الفرنسية التي ردت ببيان للصحف تتضامن فيها مع جنرالها وتستنكر مواقف حزب الاستقلال، لكنها لم تسمح بالمساس بالملك[181]، وأمام تواصل رفض الملك للرضوخ حركت الإقامة أعوانها من القبائل لحصار القصر وأرسلت نائب المقيم ليضغط على الملك للقبول بطلبات الجنرال جوان، وأرسل رئيس الجمهورية الفرنسية السيد "فانسنت أوريول" أيضا للملك للاستجابة، فوقّع الملك يوم 26 فيفري 1951 تحت الضغط [182].

اعتبر الجنرال جوان توقيع الملك انتصارا، وسحبت الإقامة فرسان القبائل الذين يعسكرون في ضواحي الرباط وسلا وفاس والذين لم يعرفوا أصلا لما أتوا، والتفت الجنرال إلى حزب الاستقلال لينتقم من الوطنيين على كل ما جرى، وبدأت عملية اعتقال الوطنيين بكامل التراب المغربي، بدء باللجنة التنفيذية حيث كان أول من أعتقل عبد العزيز بن إدريس ممثل اللجنة في فاس والمهدي بن بركة ممثل اللجنة في الرباط ثم أعتقل اليزيدي وعمر بن عبد الجليل ومحمد غازي وعبد الكريم بن جلون[183]، ووصفا لعملية اعتقال المهدي كتب شقيقه: "كنت أعمل بالبنك وفي إحدى العشيات من فيفري 1951 استدعيت بالهاتف إلى مقر البريفاكتورة (الولاية)حيث سلمت لي دراجة المهدي وأخبرت بإيقافه وأنه في طريقه إلى المعتقل "[184].

حينما أعتقل المهدي بن بركة يوم 28 فيفري 1951 كان الكثيرون لا يعرفونه، فلم يكن معروفا كزعيم للحزب، فقط القلة التي احتكت به كانت تعرفه، من تلاميذه ومن الشباب الذي عرفه

---

[180]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص : 481

[181]- نفسه، ص : 481.

[182] - JULIEN, op-cit, p,p :238, 239.

[183]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص : 510.

[184] -Abdelkader BEN BARKA, op-cit :63.

عن قرب ومن أعضاء حزب الاستقلال، كان في الواحدة والثلاثين من عمره وبات غيابه يشكل معضلة داخل الحزب وفراغا في جملة الوظائف التي تركها، فيحكي بعض المناضلين أنهم كانوا يوزعون أعدادا أعدت سابقا في وجود المهدي من النشرية السرية للحزب حتى يبدو وكأن العمل جماعي ولا يتأثر بغياب شخص[185]، وحاولت سلطات الحماية أن تمنع نشر خبر اعتقال المهدي ورفاقه من خلال مراقبة الصحف خاصة جريدة العلم وحذف أي خبر حول الموضوع[186].

ب – سنوات الاعتقال 1951- 1954:

اقتيد المهدي في شهر مارس 1951 إلى الإقامة الجبرية، فأبعد بداية إلى ميدليت –مركز الأطلس التجاري– حوالي 150كلم غرب مكناس، فتم احتجازه في فندق لا يستطيع الخروج منه سوى ساعة واحدة في اليوم تحت الحراسة المشددة، ونتيجة هذا واجهت السلطات المحلية بعد بضع أسابيع اضطرابات بالمدينة صنفت في خانة الحراك البربري، ولم يكن هناك إدراك أن الحركة الوطنية موجودة بالمدينة، وهناك خلية لحزب الاستقلال بها، كان للمهدي اتصال سابقا وقادته زيارة لها[187].

نقل المهدي بعد ذلك إلى قصر السوق (الراشدية) التي هي مقر قيادة تافيلالت[188]، وأسكن بنزل ملك لشؤون الأهالي وسمح له بالحصول على طعامه من على بعد مسافة، كان على امتدادها ينتظره كثير من الأشخاص ليلقوا عليه نظرة، واستغل المهدي هذه الظروف، ففي هذه البلدة الصغيرة وبالتعاون مع قايد المنطقة ومدير البريد ومعلم شرع في هيكلة خلية للحزب وهو رهن الاعتقال، ونتيجة لذلك تعرضت السلطات المحلية في المدينة للتوبيخ، وبعد استقراره في هذه المدينة بدأت عائلته – أمه وزوجته مصطحبين ابنه البشير وبعض أفراد العائلة – تقوم بزيارته، وفي هذه المدينة أيضا التقى الجنرال برلانج الذي راهن عليه قديما وعاد ليعترف بخسارة رهانه[189]، وبعد فترة أبعد

---

[185]– جبرو ، مرجع سابق،ص،ص: 174- 176.

[186]– نفسه، ص: 177.

[187] -Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p, p: 67,68.

[188] - Abderrhim OUARDIGHI, **l'itinériraire d'un natoinaliste**, **Mehdi Ben Barka 1920–1965**, Moncho, Paris,1982, p:32.

[189] -Abdelkader BEN BARKA op-cit, p:68./.12:صورة زيارة عائلة المهدي له بالمعتقل، ملحق رقم

المهدي إلى منطقة بوذنيب[190] لمدة قصيرة قبل الاستقرار في تالسينت، حيث المناخ قاس جدا والولوج للمنطقة صعب، ومستفيدة من درس قصر السوق قامت السلطات الفرنسية بوضع حراسة شديدة عليه، فمنعت عنه النزهات ولم يسمح له سوى بساعة صباحا وأخرى مساء ويتبع خطوة بخطوة من قبل حارس، وعزل في غرفته بجدار إضافي[191].

رفعت الرقابة عن الصحف في صيف 1951 ، وفي شهر أكتوبر صار للحزب بالإضافة للصحيفة الصباحية "العلم" أخرى مسائية هي "المغرب" وثالثة بالفرنسية هي الاستقلال (l'indépendance)، وفي العدد الثاني ليوم 20 أكتوبر 1951 نشرت صورة للمهدي بن بركة في تالسينت وعرف الرأي العام يومها وسمع عن هذا الشاب بوصفه أحد زعماء حزب الاستقلال الذي يتم ترحيله من سجن إلى آخر من دون محاكمة[192]، وفي كامل منطقة الأطلس كان الناس يتحدثون عن المهدي بوصف "سجيننا"[193]، وقد أفاد المهدي جيدا من سنوات عزلته هذه، بل كان في حاجة ماسة لها وجاءته في شكل هدية، فلم تتركه سنوات العمل الوطني المضني ليتفرغ للتثقف وتغذية النهم العلمي، وجاءته الفرصة ليشبع ذلك الفضول في كافة الصنوف، والذي سيمثل له شحن إضافي وسيصقل أفكاره أكثر وأكثر، ويراجع نظرته للأمور، وسيعيد التفكير في كثير من الأشياء ويصل إلى بعض الاستنتاجات.

صارت المطالعة هي سلوى المهدي في هذه السنوات، فسجل نفسه في مدرسة تعليم الإنجليزية بالمراسلة وسجل في دروس الاقتصاد السياسي دون أن ينسى الرياضيات، تضاعف عدد كتبه وامتلأت خزانته، ودرس المغرب في جوانبه الاجتماعية مركزا على المناطق البربرية، والتي انكب بعض الوقت لتعلم لهجاتها وقرأ ما كتبه الأجانب خاصة ضباط الجيش الفرنسي عن المقاومة في الأطلس، اهتم كثيرا بكتاب الجنرال جيوم (البرابرة المغاربة وتهدئة الأطلس الأوسط)، أدرك المهدي خلال هذه

---

[190]- أوفقير، مرجع سابق، ص : 50.

[191] - صورة المهدي في تالسينت، ملحق رقم : 11.

[192] - جبرو، مرجع سابق : 178

[193] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p:71.

الفترة وحدة الشعب المغرب ببربره وعربه، وكذلك وجود عوامل القوة التي تمكنه من تحقيق الكثير بالاعتماد على النفس[194].

اهتم المهدي بحركات المقاومة في العشرينيات والثلاثينيات وبدأ يدرك أن الشعب يملك وسائل مقاومة غير موظفة، درس شخصيات مقاومة مثل سيدي المكي الزعيم المقاوم في تازيغزاوت في الثلاثينات، ووجدت في وثائق المهدي لاحقا نسخة من كتاب" التهدئة في الأطلس الأوسط" للجنرال جيوم (Guillaume) [195]، تحوي تعليقات له وكذلك كتيبات ودراسات لشخصيات ومحاضرات لضباط من مصلحة الأهالي في السنوات الأولى للحماية، ساعدت كل هذه الوثائق المهدي في تحضير كتاب أعتبر أرضية لحزب الاستقلال، وهو الوحيد من هذا الحجم الذي نشر قبل الاستقلال وقد أطلق عليه المناضلون اسم "المطوال"، وهو عبارة عن دراسة للمغرب تاريخيا، اجتماعيا، اقتصاديا وسياسيا، تعرب بوجه أقرب للدقة عن نظرة المغاربة للحماية وتعطي كذلك لمحة عن تطلعاتهم، في حوالي أربعمائة صفحة بالآلة الراقنة، مرفوقا بمجموعة جداول ورسوم بيانية، كان المهدي يرسله على شكل مخطوطات إلى رفاقه الذين طبعوها ووزعوها[196] .

كتب المهدي مقالات من معتقله أرسلها إلى مجلة "رسالة المغرب" ومنها مقال نشر في يناير 1952 بعنوان"حاجتنا إلى دراسات اجتماعية واقتصادية وسياسية" وهي عبارة عن اقتراحات وتوجيهات حول طريقة الكتابة في هذه المواضيع، ودعوته للتركيز على العلمية وإن كان استهل مقاله بـ "لست أنكر دور الدراسات التاريخية والأدبية"[197]، لقد أحدثت جهود المهدي بن بركة من أجل إضفاء شيء من العلمية على الحركة الوطنية حالة من الصدام في الصف بسبب قلة الإدراك والفهم، وبدأت بعض الخلافات بين الطبقة التقليدية في الحزب التي رأت في رفاق المهدي حالمين، وفي نهاية

---

(194) -Abdelkader BEN BARKA, op-cit,p :73 /.179 جبرو ، مرجع سابق، ص:

(195) - أوغستين جيوم (Augustin Léon Guillaume) 30 جويلية 1895- 9 مارس 1983 ، جنرال فرنسي أشرف على مصلحة الأهالي بمكناس سنة 1919، ثم عين سنة 1928 على رأس فرقة من الجيش الفرنسي تولت تحقيق التهدئة في الأطلس الأوسط.

(196) -Abdelkader BEN BARKA, op-cit,p: 75./ 186 جبرو ، مرجع سابق، ص:

(197)- نفسه، ص: 180.

1952 التحق عبد الرحيم بوعبيد بالمهدي في معتقله، لقد كان هناك تطابق في الأفكار بينهما وتوافق حول نقاط عديدة[198].

خلال هذا الوقت انطلقت شرارة موجة أخرى من الأحداث، ففي 05 ديسمبر 1952 قتل الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد على يد مجموعة فرنسية متطرفة تعرف باليد الحمراء[199]، وتضامن حزب الاستقلال مع الأشقاء في تونس بإعلان الإضراب الشامل، وجاء هذا القرار أيضا كرد من اللجنة التنفيذية على تصرفات الفرنسيين بالمغرب، ولتأكيد قوة الحزب وظهيره الشعبي بعد موجة الاعتقالات[200].

وجاء الانتقام الفرنسي وحشي وعنيف، فدوريات المعمرين والشرطة أطلقت النار على جموع العمال يومي 07 و08 ديسمبر وكانت الحصيلة عشرات القتلى والجرحى (33) قتيلا بمنطقة المحاجر المعروفة "بكاريير سونترال" في ضواحي الدار البيضاء الفقيرة، وعمليات تنكيل بالعزل والأبرياء أمام أنظار الشرطة وبتواطؤ منها، تبعتها محاكمات ظالمة متعسفة طالت العشرات بحكم الإعدام والسجن[201]، ولم تجد السلطات الفرنسية غير اتهام الشيوعيين والنقابات المتحالفة مع حزب الاستقلال بأنها محركة من الاتحاد السوفياتي والقاهرة[202]، وتحملت وزر هذه الأحداث الأحياء الشعبية في الدار البيضاء والرباط، وواجهت القمع الدموي بشجاعة حيث كانت تردد شعارات حزب الاستقلال، وفي ليلة 09 ديسمبر 1952 أوقف جميع مسؤولي حزب الاستقلال على كامل التراب المغربي ومنعت الصحافة الوطنية[203].

لقد مثلت هذه الأحداث بداية بروز الطبقة الشعبية كعامل مهم في الصراع السياسي مع المحتل بعد أن كانت البرجوازية المغربية التقليدية ذات الجذور الدينية أو القبلية هي المحرك الرئيسي في الساحة السياسية، بدأ العمال المكدسون في مدن الصفيح في ضواحي كبريات المدن المغربية – الدار

---

(198) - Abdelkader BEN BARKA, op-cit,p: 75.

(199) - François MAURIAC, **la drame marocaine**, p: 63.

(200) -JULIEN, op-cit,p :258.

(201) -OVED, op-cit, p:273.

(202) - MAURIAC, op-cit,p- p: 63-69.

(203) - BUTTIN, op-cit,p,p:37, 38.

البيضاء – يشكلون دافعة جديدة في الحراك الوطني، المهدي بن بركة وبوعبيد واليوسفي صاروا يدركون ذلك جيدا وبات في نظرهم التعويل على هؤلاء هو الحل، مستفيدين من أفكار النخبة الفرنسية اليسارية في التنظيم النقابي، وصارت قوة الحزب الرئيسية هي النقابة الموازية التي تضم آلاف العمال.

ج - في معتقل أغبالو نكردوس 1952- 1954:

جمع المعتقلون الوطنيون في النهاية في معتقل أغبالو نكردوس[204]، وهو عبارة عن مقر ضيافة يقع في المنطقة الصحراوية المنعزلة على سفح جبل حمدون الممتد على شمال كليميمة، وهو ما جعل فرنسا تختاره كمعتقل للرموز الوطنية، ولأنه بعيد عن الطرق والمناطق الآهلة[205]، وقد أخذ المهدي إلى أغبالو نكردوس في نهاية سنة 1953، وقد تحدث عنه لاحقا: " في أغبالو نكردوس كنا نشكل جماعة من أربعين فردا وكانت هذه الجماعة تضم المديني والبدوي والناطق بالشلحة والمتكلم بتمازيغت والتازي والفاسي والرباطي، كنا جميعا متحدين في الكفاح"[206].

ويذكر مختار السوسي أحد المعتقلين عن هذا المعتقل وتنظيم الحياة فيه: "في هذا المعتقل وزعت لجنة تكونت منا البيوت،(أي وزع الأفراد على مجموعة الغرف الموجودة) كانت هناك مراعاة للعلاقات بين الأفراد وضيق البيت والمستوى، وكان البيت التاسع يسمى الجمهورية التاسعة، تماما مثل جمهورية الولايات المتحدة بعد الحرب الأخيرة فلها أفكار وأنظار وجرأة وخطط، وما ذلك إلا لكونها متركبة من رجال عظماء، ، ، هنا تمركزت سياسة المعتقل وتوجيه أفكاره؛ كانت هذه غرفة المهدي بن بركة الرباطي، بعد قدوم المهدي بن البركة تحول المعتقل إلى مركز ينظم فيه الدروس من لغات وفنون، فقام بذلك التنشيط المهدي بتفان وكان كل واحد يدرس ما يحبه، فاستطاع هو ومن يعاونه أن ينظموا دروس عربية من نحو وتفسير وسيرة وتاريخ المغرب وفرنسية وإنجليزية وحساب، كان بن بركة هو الذي

---

[204]– تواصل، نشرية تصدر عن المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير ،عدد.09،يناير2009، ص: 94.

[205]– مختار السوسي، **معتقل الصحراء**، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ،2011، ص: 218

[206]– المهدي بن بركة ، **مسؤوليتنا**، محاضرة ،الدار البيضاء، 19 ماي 1957، نشرها محمد عابد الجابري، سلسلة مواقف، عدد:06، أوت 2002، دار النشر المغربية، 2002،ص– ص:47– 56.

تولى مهمة الأخبار فكان كلما وقعت في يده جريدة أو سمع خبر مما يتشوق إليه الناس يستدعيهم إلى القاعة ليخبرهم "[207].

تأسف المهدي بعد نقله إلى معتقل أغبالو نكردوس على أيام الوحدة الجميلة التي قضاها في إميلشيل، حيث كان يتثقف ويرسل الرسائل عبر حارسه وعن طريق والدته التي تخبئها جيدا في ملابسها، وأيضا عن طريق أفراد عائلته[208]، لكن هل كان هذا السبب الوحيد لأسفه ؟ ففي أغبالوا نكردوس وسط أربعين (40) من قيادات حزب الاستقلال وفي جو المغرب الذي بدأ يتجه إلى اللحظات الحاسمة كان لابد من أن يفتح النقاش حول النقاط الحساسة، حول استخدام السلاح وحول المستقبل، وبدا أن هناك نقاطا من الخلاف بين القيادات التقليدية سليلة البرجوازية وبين الجيل الجديد الذي بدأ يمسك بمقاليد الحزب وبدأت سرعته تتجاوز الشيوخ وتقلقهم، " في اللجنة التنفيذية الانقسام لم يكن واضحا بعد للمحيط، أخوة السلاح اختفت بنسبة كبيرة، لقد كانت موجودة خلال الإقامة في أغبالو نكردوس، التفسيرات الحقيقية للتصرفات البسيطة عند زيارة المهدي في صيف 1954 للأسف فاتتني " هكذا علق عبد القادر بن بركة على موضوع الخلاف[209].

بدأ بالفعل صعود المحركين الجدد يقلق شيوخ الحزب، ففي اليوم الموالي لعملية السوق المركزي في ديسمبر 1953 سبعة عشر (17) من الوجهاء منهم أحمد بن الجيلالي بناني صهر أحمد بلافريج أدانوا علانية هذا التفجير والذي اعتبروه ضد الإسلام وضد مبدأ الوطنية[210]، نقطة ثقل الحزب انتقلت شيئا فشيئا نحو الطبقة الشعبية في حين أن عمليات المسلحة في هذا الفترة بدأت تتوسع خارج الدار البيضاء، خاصة في الريف أين شكلت أولى المجموعات العسكرية[211].

---

[207]- السوسي، مرجع سابق، ص:218.

[208]- زبيدة بن بركة، شهادة شفهية، مصدر سابق.

[209] -Abdelkader BEN BARKA, p: 89.

[210] -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:123.

[211]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:39.

د- الخروج من المعتقل وإعادة هيكلة حزب الاستقلال:

أعلن المقيم العام الجديد في سبتمبر 1954 عن إصلاحات جديدة، فتم إطلاق سراح الوطنيين: المهدي بن بركة، عبد الرحيم بوعبيد، المحجوب بن الصديق، أمحمد بوشتا، اليزيدي، وخرج الزعماء من مختلف المعتقلات وعادوا للساحة السياسية، والتي طبعتها ميزة جديدة هي الأهمية التي باتت تحتلها المقاومة في الحياة اليومية للشعب[212]، وخلال هذه السنوات التي عرفت اعتقال قادة العمل الوطني حدثت أشياء كثيرة، فقد ظهرت أحزاب سياسية على الواجهة، كثير منها كرتوني شكلي، دفعت بها الإقامة ومصالح الاستخبارات إلى الساحة من أجل تحقيق أغراض سياسية تكتيكية، فقد كان الهدف عدم ترك الساحة للوطنيين، فظهرت أحزاب من قبيل: الحزب الديمقراطي للاستقلال، حزب الوحدة، الحزب الإصلاحي، المستقلين الأحرار، والباشاوات أنفسهم تجمعوا حول الكلاوي مشكلين لجنة[213].

كانت وضعية حزب الاستقلال صعبة بعد غياب أربع سنوات للقيادات وتغلغل فكرة المقاومة المسلحة بين أعضاء قاعدته، بدأ شيء من التصدع والخلاف يسري في هيكلته، البعض من أفراد القاعدة صاروا لا يعرفون شيئا عن حزب الاستقلال، مجموعات سرية تبادر من تلقاء نفسها في الريف وحركة تحرير قائمة يسيرها أناس مجهولون[214]، في هذا الوقت التي أضحت فيه قضية استقلال المغرب تطرح بشكل جدي كانت أولوية المهدي جعل حزب الاستقلال يقف عل رجليه من جديد وقيادة عملية التحرر، عبر تنظيم خلاياه والتنسيق بين مسؤوليه[215]، كانت هذه الانطباعات الأولية التي تركتها أولى اتصالاته بعد خروجه من السجن وعودته لاستئناف دوره السياسي[216]، وكان إطلاق

---

[212]- جبر ، مرجع سابق ،ص: 211.

[213] – Abdelkader BEN BARKA, p,p :91, 92.

[214]- الهاشمي طود، حوار، المساء الأسبوعي، 02 أفريل 2012./ JULIEN,op-cit,p:336

[215] -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p, p:127,128.

التهامي الكلاوي 1879- 1956 باشا مراكش، أقوى رجال المخزن وأشهر حلفاء الاستعمار الفرنسي.

[216]- موريس بوتان صديق بن بركة ومحامي العائلة لاحقا قال:" لقد فوجئت عندما التقيته ولم أكن أعرفه من قبل استغربت أنه خارج من السجن لتوه وهو ملم بتفاصيل الوضع ". موريس بوتان، شهادة شفهية، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

سراح الزعماء مناسبة لاستقبالات شعبية، فكانت الوفود ترد إليهم لإعادة ربط الاتصال والمباركة بالتحرر، في الرباط كان بيت الحاج عمر بن عبد الجليل بديور الجامع قبلة للذين جاءوا من مختلف الأنحاء في شهر أكتوبر 1954[217].

خرج المهدي من المعتقل وقد فقد بعض أوهامه عن عدد كبير من الشخصيات الموقرة في الحزب، لكنه أخفى ذلك بعناية، لأن المعركة التي انطلقت كانت تحتاج إلى تدعيم قوة الحزب مهما كان الثمن، لقد أدرك منذ عودته من المعتقل التغير الذي حدث خاصة بالنسبة للطبقة الشعبية التي قطعت خطوات مهمة، وغاص من جديد في العمل التنظيمي البحث مع كثير من الاجتماعات واللقاءات في مختلف المدن والأحياء وفي بيته، "ومن جهتها القيادة تركت له حرية التصرف بكل ثقة واطمئنان في قدرته وهوسه التنظيمي، وكل شخص كان له علاقة بالمهدي يعرف مواهبه في القيام بالعديد من الأعمال وإعطاء كل ما يملك، كان البيت لا يتوقف عن الاستقبال ونساءه لا يتوقفن عن الطبخ، وبدأت النتائج تثمر وتقدمت هيكلة الحزب، وبعدما كان حكرا على الطبقة البرجوازية الحضرية غدا يتوغل في الوسط الشعبي ووسط العمال، إذن فالتطور والنضج السياسي لأمين تنظيمه قد انعكس عليه، في نفس الوقت الذي بدأ فيه يدرك قيمة العمل المسلح"[218].

---

[217]- جبرو، مرجع سابق، ص :211.

[218] -Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p: 95,96. /

المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، دار الطليعة بيروت، 1966، ص، ص : 38، 39.

المبحث الخامس: علاقة المهدي بن بركة بالمقاومة المسلحة.

بعد سنوات من العمل وحدوث كثير من التطورات على صعيد حالة البلاد وعلى صعيد الحركة الوطنية، التي بات كثير من أعضاءها في حالة نضج ثوري، بعد سلوكهم كثير من السبل والطرق البعيدة عن العنف، وأمام تواصل تعنت الإدارة الفرنسية، مضاف إلى ذلك التطورات الخارجية التي باتت تعترف للدول بتحقيق مصائرها بيدها وما وقف عليه المغاربة من نجاعة السلاح في كثير من الأماكن، كل هذا بات ينذر بمستقبل ووسائل غير تلك التي ألفتها الحركة الوطنية

أ- ولادة العمل العسكري :1947- 1954:

لم تكن المقاومة المسلحة وليدة لحظة عزل الملك، بل كان لها زمن من الوجود، فكثير من الخلايا التي كان ظاهرها وهدف وجودها رياضي وثقافي واجتماعي أخذت في التحول لخلايا للمقاومة، لكنها بقيت منفصلة وتعمل بشكل انفرادي واجتهادي وسري، وبعيدا عن قيادة وتوجيه حزب الاستقلال بادر كثير المناضلين لتأسيس خلايا مسلحة شرعت في العمل المباشر، أخذت على عاتقها تسليح نفسها والقيام بعمليات ضد المعمرين والمصالح الفرنسية والمتعاونين معها، لقد جاء انطلاق المقاومة كرد فعل طبيعي وعفوي من الشعب[219].

تشكيل إحدى هذه الخلايا جاء عقب مجزرة الدار البيضاء سنة 1947، حيث تحولت لجنة تزيين أنشأها حزب الاستقلال لتقوم بتزيين المدن بالرايات في المناسبات، وفي غمرة الحزن على الضحايا إلى اقتناء السلاح والعمل العسكري، كان يقود هذه الخلية التي أضحت منظمة المدعو: الزرقطوني، وقد وضعت قانونا خاصا بها ونزعت نحو السرية، وجاءت بعض الكلمات المساندة وإن تلميحا من بعض القادة مثل عمر بن عبد الجليل كسند معنوي لها، ثم جاءت نكبة اغتصاب فلسطين لتزيد في الحنق والغضب، وكانت أولى عمليات هذه المنظمة سنة 1951 عندما نسفت ثلاثة منازل لبعض العملاء، ثم أتبعتها بحرق منازل وأعمال لمتواطئين مع الاستعمار[220].

---

[219] - JULIEN, op-cit, p,p :336-338.

[220]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص- ص : 597- 599.

يورد عبد القادر بن بركة سياقا آخرا لانضمام الزرقطوني للعمل المسلح: "قيادة حزب الاستقلال كلفت مناضل خبير ومنضبط (محمد الزرقطوني) في التحقيق في بعض الأعمال المسلحة، فشرع الأخير في تتبع فروع المنظمة المسماة "المنظمة السرية " وفي البحث اكتشف أخيرا الحقيقة وعرف المسؤول الأول عن المنظمة (عبد الله الصنهاجي) الذي كان يختفي تحت صفة مسير مقهى، لقد ولد العمل المسلح في قلب خلايا حزب الاستقلال، الزرقطوني القيادي المنضبط أقنع من قبل المناضلين البسطاء بأحقية المنظمة السرية ومن دون الرجوع للقيادة أصبح هو رأس المنظمة السرية"[221].

بدأت في هذه الظروف المشحونة كثير من الحوادث المسلحة، بداية بمعركة آيت سعيد بتادلة بين جموع من الفلاحين القبليين والمعمرين، حيث استخدم السكان السلاح ورد الجيش الفرنسي بعنف وطوق المنطقة واستشهد الكثيرون[222]، ثم جاء تمرد أحمد الحنصالي بناحية أفورار بتادلة دائما، حيث غنم بندقية يوم 09 ماي 1951 من أحد المخازنية وبضعة رصاصات ردا على إهانات الإدارة الفرنسية وتعسفها مع المواطنين، وتمركز بجبال المنطقة ليمارس عمليات قنص في حق المعمرين، وجندت الإقامة آلاف الجنود لتصفيته وهو ما حدث في الأخير بعد حالة من الرعب في صفوف الفرنسيين خوفا من عموم الظاهرة [223].

وكانت البداية الفعلية للأحداث المسلحة بتنحية الملك محمد الخامس، فقد تجرأت باريس أخيرا بعد تطور الأحداث ورفض الملك لأي رضوخ أو تنديد بالعمل السياسي والمقاومة أن تخلع الملك، فأجبرته يوم 13 أوت 1953 على التوقيع على برتوكول يجرده من صلاحياته في خطوة قصد منها الإذلال والانتقام، ثم بدأت عملية عزله بتدخل الكلاوي وحلفاءه الذين بايعوا محمد مولاي بن عرفة، وحاصرت قوات الحماية قصر السلطان يوم 20 أوت 1953 وأجبرته على ركوب الطائرة نحو كورسيكا ومنها إلى مدغشقر، حيث سيبقى بالمنفى حتى نوفمبر1955[224].

---

[221] -Abdelkader BEN BARKA, op-cit,p: 84

[222]- غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص: 516.

[223] -JULIEN, op-cit,p :338.

[224] -Ibid, p-p :281-306.

خطب علال الفاسي من صوت العرب بالقاهرة معلنا مواصلة الكفاح ضد المستعمر ومواصلة اعتبار محمد الخامس هو الملك الشرعي[225]، وتوالت العمليات الفدائية مثل ما قام به علال بن عبد الله يوم 11 سبتمبر 1953 حين هجم على موكب بن عرفة الذي نصبته فرنسا سلطانا مكان محمد الخامس بعد نفيه، ورغم عدم تمكنه من قتله فقد شكلت عمليته مثالا في التضحية والشجاعة وأعلنت صراحة رفض المغاربة لبن عرفة وللوجود الاستعماري، ثم عملية تفجير مسجد بريمة بمراكش والتي جرح فيها بن عرفة والكلاوي يوم 04 مارس 1954، ثم جاء تفجير السوق المركزي بالدار البيضاء والذي خلف 17 قتيلا و28 جريحا[226]، ثم توالت مجموعة عمليات تفجير خطوط السكة الحديدة بين الدار البيضاء ووجدة وبين ووجدة والجزائر، وبين مراكش والدار البيضاء، ثم تبعتها عمليات استهدفت المسؤولين الفرنسيين مثل الجنرال غيوم 25 ماي 1954 وبونيفاس حاكم الدار البيضاء 10 مارس 1955، وآخرون[227].

تم يوم 18 جوان 1954 إيقاف الزرقطوني الذي أقدم على الانتحار بابتلاع كبسولة سيانير[228] من أجل تجنب كشف أي تفاصيل عن المنظمة تحت التعذيب، وخلفه على رأس المنظمة محمد البصري[229]، وفي كامل البلاد أصبح لا صوت يعلو فوق صوت العنف وبلغ ذروته بالدار البيضاء حيث التخريب والحرق والهجمات على المقاهي والحافلات والسينما وأماكن الشرطة، ونما أيضا الإرهاب المضاد، حيث تأسس في سبتمبر 1953 تنظيم إرهابي يدعى اليد الحمراء من قبل طبيب يدعى إيرود (Eyraud) والذي إغتيل يوم 30 جوان 1954 من قبل المقاومة[230].

---

[225] - Ibid, p-p: 281-337.

[226] -vincent MONTEIL, **Maroc**, edit :petite planète, s a, p: 162.

[227] - JULIEN, op-cit,p,p: 337-344.

[228] – السيانير (Cyanure): سيانيد البوتاسيوم، مركب لا عضوي بلوري مثل السكر، عديم الرائحة ، ذو سمية عالية ، يستخدم في الانتحار عادة.

[229]– محمد البصري: مناضل من صفوف حزب الاستقلال يتبع نفس نهج الزرقطوني، من منطقة دهنات ، زاول دراسته بجامعة بن يوسف بمراكش وكان متأثرا بأستاذه عبد الله إبراهيم، تعرف من خلاله على التيارات السياسية الفكرية الغربية وخاصة الماركسية، لكنه كان ذو ثقافة عربية وارتباط عربي، طرده الكلاوي من مراكش نتيجة نشاطه السياسي فانتقل إلى الدار البيضاء، رأس المنظمة السرية ، ويعتبر أبرز زعيم للمقاومة، وأحد مؤسسي جيش التحرير و مهندسي الاستقلال

Abdelkader BEN BARKA, p: 87.

[230] - JULIEN, op-cit,p,p: 341-345.

ب – علاقة المهدي بن بركة بجيش التحرير المغربي :

كانت فكرة التحرير المشترك لدول المغرب تراود رواد الحركة الوطنية في البلدان الثلاث، وقد سعى الخطابي عبر لجنة تحرير المغرب العربي لوضع ميثاق التحرير والدفع بالعملية منذ سنة 1948 ووضع آليات هذا الجيش لتفجير الصراع في الوقت المناسب، كانت الفكرة تختمر في كل جزء من الأقطار، ويذهب البعض لنفي أي علاقة مباشر لحزب الاستقلال بجيش التحرير لا من حيث التنظير ولا من حيث التحضير، بل يذهب إلى موقف الحزب المسجل الذي يزدري فيه العمليات المسلحة وتصنيفها في خانة العنف والإرهاب ويستدل بموقف القيادة التقليدية التي كانت تعول على المفاوضات، مثل ما يورده كثير من أعضاء جيش التحرير في مذكراتهم من أمثال عبد الله الصنهاجي الذي تحدث عن مرافقته في هذه الفترة المشتعلة لعلال الفاسي إلى الشمال وإحجامه عن الحديث عما يحدث أو سؤاله عن أحوال المجاهدين هناك[231].

ويروي الهاشمي طود أنهم عندما قرروا خوض الكفاح المسلح سنة 1952 ذهبوا إلى علال الفاسي هو وعبد الحميد الوجدي وحمادي العزيز الريفي[232] ولما أخبروه بأنهم ينون إطلاق الكفاح المسلح عبر دول المغرب قال لهم الحزب تحت تصرفكم . . . ويضيف : "وفي 18 نوفمبر 1952 الذي صادف عيد العرش وهي ذكرى كانت لجنة المغرب العربي تحتفل بها استطعنا أن نعرف من القيادات الجزائرية والتونسية أن حزب الاستقلال المغربي لن يشاركنا في العمل المسلح عكس ما كان وعد به علال الفاسي، وهو ما يعني أن علال الفاسي لم يكن يملك القرار داخل الحزب"[233]، وأكد بول بالطا في كتابه المغرب الكبير أن الهواري بومدين أكد له أن القيادة السياسية خشيت أن يكنسوا

---

[231] – DIOURI, **réalités marocaines**, op_cit, p:130./

طود، حوار، جريدة المساء الأسبوعي، مقال سابق.

[232] – مناضلون ووطنيون مغاربة، وكان لحمادي العزيز دور مهم في الثورة الجزائرية، حيث حمل السلاح رفقة الجزائريين وأعتقل من قبل الفرنسيين.

[233]– طود ، حوار، جريدة المساء ، مقال سابق.

في هرج حرب شاملة من طرف عناصر جيش التحرير المغربي، وبروز وسيطرة عناصر ذات نزعة راديكالية في حزب الاستقلال التي يحركها المهدي بن بركة[234].

لكن رغم كل تلك الأصوات ورغم معارضة القيادة التقليدية في حزب الاستقلال للعنف ولاستخدام السلاح، وتفضيلها الأسلوب السياسي، كان هناك دور لشباب حزب الاستقلال[235] في موضوع انطلاق جيش التحرير مثل: المهدي بن بركة، اليوسفي، محمد البصري، الصنهاجي، وغيرهم، كما تحدث بن بركة لاحقا "المقاومة نبعت من قاعدة حزب الاستقلال، ومن خلايا الدار البيضاء، الرباط، مراكش ووجدة "[236].

بدأت القصة بمجموعة من شباب مراكش الذين اعتقلهم الكلاوي نتيجة أعمالهم الوطنية ونفيهم إلى الدار البيضاء وهم: محمد البصري، عمر البيضاوي، بوشعيب الدكالي، الفقيه الفكيكي، عبد السلام الجبلي، بوشعيب البيضاوي، محمد بن سعيد، كان استقراهم بالدار البيضاء دم جديد في صفوف الحركة الوطنية هناك، وانضمت لهم عناصر جديدة: " التهامي النعمان، سليمان العرايشي وأحسن العرايشي" مضاف إليهم محمد الزرقطوني، وبعد بعض العمليات الفدائية السرية والفردية واستشهاد الزرقطوني واعتقال البعض، انتقل البقية إلى المنطقة الاسبانية[237]، واستقبلهم هناك عبد الرحمن اليوسفي[238].

كان موضوع انطلاق العمل المسلح يتداول بكثرة بين مناضلي الحركات الوطنية الجزائرية والمغربية بالقاهرة ، حيث كان بن بلة وخيضر وعلال الفاسي وعبد الكبير الفاسي[239]، وبوجود وعود مصرية بتوفير الدعم والسلاح، وهو ما يؤكده الحسن الثاني نفسه: " المصريون دخلوا على الخط في فترة

---

(234) -Paul BALTA, **le Grand Magreb**,**des indépendance a l'an 2000** ,laphomic ,paris ,alger ,1990 ,p :22.

(235) – الجابري، مرجع سابق، ص: 15.

(236) -Mehdi BEN BARKA, **problèmes d'édification du Maroc et du Maghreb** , 4 entretiens avec Ben barka, Tribune libre , recueillis par Raymond Jean , Plon, paris, 1959, p :30.

(237)– جبرو، مرجع سابق، ص، ص: 216، 217.

(238) -Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p :98 .

(239) – صورة من الأرشيف، تجمع هؤلاء المناضلين بالقاهرة، ملحق رقم: 35.

نفينا فمولوا جيش التحرير، فقد كان الملحق العسكري المصري في إسبانيا جد نشيط" [240]، وفي الداخل كانت اللجنة التنفيذية تبحث عن صيغة توفق بين أهمية دور العمل المسلح وبين إستراتيجية التفاوض، كان بلافريج يخشى على دور الحزب ومستقبله، بينما كان علال الفاسي مندفعا لربط الحزب بجيش التحرير من هنا كانت صعوبة الدور الذي يضطلع به المهدي بن بركة كموحد ومصالح ومنسق.

عقد في ربيع 1955 بتطوان اجتماع مهم بين عدد من الأفراد سيعرفون فيما بعد بالمجلس الوطني للمقاومة: علال الفاسي، حسن صفي الدين، عبد اللطيف بن جلول، عبد الرحمن اليوسفي، سليمان العرايشي، الحسين برادة، عبد الكبير الفاسي، عبد الكريم الخطيب، سعد ولد الحاج عبد الله، السعيد بونعيلات، محمد المكناسي، الناصري الطويل، أحمد الدغمومي، أحمد شنطر، الغالي العراقي، بالحاج القابي، عبد العزيز الماسي، المدني الأعور، عبد الله الصنهاجي، محمد بن موسى، بوشعيب الدكالي، محمد البصري، عبد السلام الجبلي، محمد بن سعيد.

كانت الفكرة هي إطلاق الثورة في الجبال المغربية بموازاة الثورة الجزائرية في الفاتح من أكتوبر1955، فكان بالتنسيق يتم نقل المناضلين إلى الإقليم الشمالي بالمغرب وإلى مصر وتدريبهم، بغض طرف وتجاهل متعمد من فرانكو، وشكلت لجنة تنسيق لتشرف على رئاسة جيش التحرير ضمت: عبد الله الصنهاجي، عباس المسيعدي، محمد بو ضياف والعربي بن مهيدي، وتم توفير السلاح من مصر فوصلت أول دفعة على متن اليخت دينا إلى الناظور واستقبله محمد بوضياف والسعيد بونعيلات[241].

وبرز عنصر آخر في هذه الفترة في قيادة جيش التحرير هو الطبيب عبد الكريم الخطيب الذي كان يقيم في فرنسا وينتقل عبرها وإسبانيا ليجمع المال ويدبر السلاح، فكلفه الفاسي بقيادة الجيش[242] وأذيع البيان الأول من القاهرة يوم:13 أكتوبر1955، وجاءت انطلاقة الكفاح المسلح

---

[240] -HASSANE II, op-cit, p: 55.

[241] -JULIEN, op-cit, p:461.

[242]- تشير بعض المصادر أن هذا تم باقتراح من بوضياف لسابق معرفة بينهما حيث أن الخطيب ذو الأصول الجزائرية، تكون بفرنسا على يد مناضلين جزائريين، عبد الله مقلاتي، **العلاقات الجزائرية المغاربية أثناء الثورة التحريرية 1954– 1962**، رسالة دكتورة، جامعة قسنطينة 2008/2007، ص: 126.

في شكل عمليات ضد المصالح الاستعمارية في الريف والأطلس المتوسط، بتازا وتيزي وزلي، بوزنياد، إيمونار مرموشة، بركبة، وأعلنت الإقامة أن الحركة المسلحة التي شهدها المغرب من تدبير لجنة تحرير المغرب العربي[243]، فانطلاقة جيش التحرير كانت بجهد ومساهمة مباشرين من مجموعة ورفاق المهدي المقربين.

ج - دور المهدي بن بركة في تنظيم المقاومة:

"وجدت الجماهير الشعبية في المغرب نفسها تخوض غمار المعركة المسلحة خلال الأزمة التي امتدت من 1952 إلى 1956، وليس بين صفوف المقاومة وجيش التحرير من يؤطر نضالهم ويعبر عن مطامحهم بل حتى من يحرر لها المناشير السرية، بينما كانت الأقلية المخلصة المثقفة في المعتقلات وكان آخرون يتفرجون على المعركة، في هذه الفترة انخرط جزء من قاعدة حزب الاستقلال في المقاومة"[244]، وعندما عاد المهدي إلى البيت بعد ثلاث سنين ونصف ومغادرة عبد الرحيم بوعبيد إلى فرنسا الوضعية لم تكن سلسة، ظهر جليا أن باريس تدفع باتجاه المفاوضات لكن في أي إطار ومع من؟ المهدي كان يدفع باتجاه معارضة هذا الخيار داخل الحزب ويرفض أي تسوية تكون على حساب سنوات من الكفاح، لقد جعله موقفه الأكثر عداء لفرنسا[245].

كانت هناك حالة من انعدام الثقة بين أعضاء القاعدة والقيادة، لقد رفض كثير من المناضلين منهاج الحزب ولم ينسوا تنكره لهم، وبدأت موجة من الخيبة اتجاه الحزب تكبر وتتطور وسط المقاومة، البعض أعلن ولاءه للملك والبعض أعلن تضامنه مع الثوار الجزائريين، هذا النهج المعادي

---

[243]- غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق،ج1، ص: 676.

[244] -Mehdi BEN BARKA, **problèmes d'édification du Maroc et du Maghreb**, op-cit, p:28.

[245] -Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p,p :90, 91.

للحزب لقي هوى لدى البعض مثل عباس المسيعدي[246]، ومثل عبد الكريم الخطيب الذي في غياب اليوسفي انتخب كأحد قادة التحضيرات للثورة في الشمال[247].

أدان المناضلون الذين رأوا الحل في الكفاح المسلح موقف برجوازيي الحزب الذين كانوا يؤثرون المفاوضات والمطالب السياسية الإصلاحية، هذه الوضعية أقلقت المهدي وكعادته في الحركية والنشاط كان عليه التحرك سريعا من أجل تنظيم الحزب والاتصال بمختلف الاتجاهات، فهو يتمتع بعلاقات جيدة بالجميع[248]، إنها مهام خطيرة على عاتقه وعليه أن يتعامل معها، فكان كما يصفه البعض: لا يعبأ بكل ذلك الجو من الرقابة الشديدة من المخبرين ومصالح الأمن، وكل صباح يخرج من بيته بشارع تمارا يركب دراجته العادية وينزل إلى المدينة ويستقل القطار إلى الدار البيضاء ويعود إلى البيت ويشرع في الاستقبالات، فكانت الدار في شارع تمارا كأنها خلية نحل، فلا تخرج جماعة إلا لتترك مكانها لجماعة أخرى، إن المهدي الآن في قلب الأحداث وبسرعة عاد إلى احتلال موقعه في تطوير الحياة السياسية وتوجيهها[249].

بات المهدي يضطلع بالمهمة الصعبة بعد خروجه من السجن: "إعادة بعث وإنعاش دور حزب الاستقلال" الذي دخل في سبات منذ سنوات، حاول عقد لقاءات مع المناضلين والمجموعات المسلحة ومنهم من كان منفيا في المنطقة الاسبانية مثل محمد البصري خليفة الزرقطوني، فحزب الاستقلال المتصدع لم يستطع اتخاذ قرار حول العمل المسلح و أغلبية قياداته ومنهم: اليزيدي وبلافريج ضد العنف وتميل إلى التهدئة وتتبنى اتجاه تسوية مع فرنسا، باستثناء الفاسي الذي كان يخطط من القاهرة بدعم من عبد الناصر وتنسيق مع مناضلين جزائريين لإرسال أسلحة للمقاتلين المغاربة، لكن من دون سلطة على الحزب، فالمهدي وبوعي تام بخطورة تخلف الحزب عن اللحظة التاريخية المهمة إذا

---

[246] – عامل من الدار البيضاء اسمه الحقيقي ناصري الطويل، ذو أصول ريفية، والذي منذ خروجه من السجن كان يتردد على المهدي ويطلب منه المال من أجل الثورة، ثم اتجه إلى القاهرة حيث كان من المعجبين بثورة الضباط الأحرار، كانت له علاقة بالمناضلين الجزائريين الذين استفاد منهم، صفي سنة 1956م. DAOUD –MONDJIB, op-cit, p:127.

[247]– مقلاتي، مرجع سابق، ص : 142.

[248] – Mehdi BEN BARKA, **problème d'édification**, op-cit, p :28.

[249]– جبرو ، مرجع سابق، ص :213.

استمر في تجاهل الحركات العميقة المسلحة، دخل في اتصال مع المقاتلين الريفيين المرتبطين بالثوار الجزائريين مثل محمد بوضياف والعربي بن مهيدي، وفي هذه الفترة التقى بمحمد البصري وتم الاتفاق على تقوية دور حزب الاستقلال داخل المجموعات المسلحة[250].

ربط المهدي الاتصال بجيش التحرير، وقضى سنة 1955 يتنقل عبر الريف في حضن جيش التحرير الوليد، كان هناك غياب كلي للانضباط وضعف في الاتصال بين المجموعات وسوء تفاهم كبير بين عناصرها، فدخل في نفس المهمة التي باشرها الزرقطوني سنة 1953، فوصل الليل بالنهار من أجل ربط التنسيق والاتصال، وكللت جهوده بنشوء شيء من التنسيق ونمو للثقة، وأضحت العلاقات أكثر انتظاما والتواصل أكثر سهولة، كانت الرسائل تمر عبر بيت المهدي، فأقيم تنسيق بين جيش التحرير وحزب الاستقلال بفضله، وحيث أضحى الحزب أكثر قوة عشية المفاوضات وأزداد دور المهدي حضورا، فقد خاض خلال سنة 1955 تقريبا نفس المعركة التي كانت خلال نهاية الأربعينات، لقد جنب حزب الاستقلال التهميش مثل ذلك الذي طال حزب الشورى والاستقلال، لقد ألح على توظيف الحزب للطبقة العاملة ومكن لتواجد الحزب بالدار البيضاء وسط الطبقات الشعبية كما فتح له الباب نحو رجال المقاومة والتغلغل في جيش التحرير لأن غالبية أعضاءه في الشمال من أبناء الدار البيضاء اللاجئين[251].

نظرا للدور الذي لعبه بالنسبة للمقاومة واقتناعا منه بأهمية العمل العسكري، لم يمانع المهدي في هذا الظرف في التدرب على استخدام السلاح، لما يتطلبه الموقف واستعدادا لأي طارئ، خاصة في ظل وجود منظمات فرنسية متطرفة مسلحة، فكان يتمرن يوميا على استخدام المسدس في رحبة القمح غير بعيد عن نهر أبي رقراق، وتم ذلك على يد ضابط المغربي في الجيش الفرنسي المكلف بحراسة المقيم

---

(250) -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:136./ LACOUTURE, op-cit, p,p: 40, 41.

(251) - Abdelkader BEN BARKA, op-cit,p: 92-94./ LACOUTURE, op-cit, p,p: 40, 41.

العام، والذي لم يكن إلا محمد أوفقير الذي سيكون له شأن في عهد ما بعد الاستقلال، كان القيادي السياسي الوحيد الذي أقدم على فعل ذلك[252].

جعل نشاط المهدي من حزبه أهم قوة سياسية واجتماعية في المغرب والمحاور الأول لفرنسا، كما جعل من المهدي العضو التنفيذي الوحيد الذي له كلمة مسموعة على المقاومة، وهو ما سيقوي موقفه في صراعه السياسي المستقبلي، ويجلب له عداء الصحافة الفرنسية والمعمرين، وعكس كثير من أعضاء الحزب التنفيذيين المهدي لم يعتمد على الكلام ولم يبقى متفرجا على آلة القمع الفرنسي التي فككت الساحة السياسية وأضعفت دور حزب الاستقلال[253].

[252] – جبرو، مرجع سابق،ص: 214.

[253] -Abdelkader BEN BARKA : 93, 94.

المبحث السادس: الانفراج السياسي، المفاوضات والاستقلال 1955– 1956.

في ظل ازدياد الأعمال المسلحة زخما يوما بعد يوم، وفي ظل حالة الرعب واللا أمن التي غرق فيها المعمرون وحالة الانسداد السياسي في الوضع العام، حاول المقيم العام في هذه الفترة فرانسيس لاكوست (Francis Lacoste) [254] أن يتصل بالوطنيين من أجل عرض برنامجه والبحث عن بعض التهدئة، فاتصل بحزب الاستقلال لكنه قوبل بالرفض، فاتجه لأعضاء حزب الشورى والاستقلال والوطنيين المعتدلين، لكنه لم يصل لأي نجاح، نتيجة حالة الوعي العام والرفض للوجود الفرنسي التي تفشت[255]، كانت الحركة الوطنية المغربية تعتمد منذ مدة سياسة التواجد بفرنسا والاتصال بالشخصيات المثقفة من أجل ممارسة الضغط على السياسيين، كان ممثل حزب الاستقلال في باريس هو عبد الرحيم بوعبيد[256]، وعندما جاء إدغار فور – اليساري المتأثر بميول زوجته التقدمية المدافعة عن حقوق المستعمرات– للحكومة بدأ الاتصالات برجال الحركة الوطنية[257].

أ– لقـــــاءات إيكس ليبان:

كان إدغار فور يحاول المراوغة وكسب الوقت فاقترح اجتماعا استعلاميا مع مختلف أطراف الساحة السياسية وأطيافها لتوضيح وجهات النظر[258]، ووافق وزير الخارجية أنطوان بيناي، فجاء اقتراح لقاء إيكس ليبان، ورفض حزب الاستقلال الجلوس في طاولة واحدة مع خصومه السياسيين وخصوم محمد بن يوسف من المغاربة وأي ممثل من طرف محمد بن عرفة، وانتهى الأمر بجلوس الفرنسيين مع كل طرف على حدة[259].

---

[254] – فرانسيس لاكوست (Francis Lacoste) المقيم العام بالمغرب 1954– 1955.

[255] -JULIEN, op-cit, p: 376.

[256] -Ibid, p: 376.

[257]– غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية**، مرجع سابق،ج1، ص :684.

[258] – JULIEN, op-cit, p: 431.

[259] – جبرو، مرجع سابق، ص: 229.

تمت لقاءات إيكس ليبان أيام 22- 27 أوت 1955، وقد حضر من الجانب الفرنسي اللجنة الوزارية لمتابعة القضية المغربية: فور، بيناي، كونيج، شرمان، جولي[260]، ومن الجانب المغربي حضرت سبع وثلاثون شخصية من حزب الاستقلال والشورى والاستقلال وشخصيات وطنية مستقلة مثل: البكاي، والفاطمي، وحلفاء الاستعمار مثل الكلاوي والكتاني، وبض القياد والباشاوات[261].

كانت مندوبية حزب الاستقلال تضم بالإضافة إلى بوعبيد الذي كان في باريس؛ المهدي بن بركة ومحمد اليزيدي [262]، كان المهدي في هذا الوقت شخصية محورية انتظرته الطائرة القادمة من فرنسا ستة وثلاثون ساعة في مطار سلا، وفي الأيام التي سبقت انتقاله إلى فرنسا لم تنقطع الحركة عن البيت، كان المسؤولون الفرنسيون بباريس يلتقون بعبد الرحيم يوعبيد، وبالمغرب كان المفاوضون يتوجهون مباشرة إلى شارع تمارا لمقابلة المهدي بن بركة[263].

كان الفرنسيون يريدون تأسيس مجلس عرش كبداية لحل الأزمة التي انطلقت يوم 20 أوت 1953، وتأسيس حكومة مغربية بدلا من نظام المخزن ومجيء محمد بن يوسف إلى فرنسا والامتناع عن أي نشاط سياسي، فادغار فور كان يريد من خلال مجلس العرش ربح الوقت حتى تهدأ الأوضاع، وقبل الذهاب إلى إيكس ليبان عقدت لجنة حزب الاستقلال التنفيذية اجتماعا موسعا في مدريد حضره الفاسي وبلافريج وبوعبيد وزعماء آخرون ونقابيون وتخلف عنه المهدي بن بركة نتيجة انشغالات داخلية تنظيمية، وخلال هذا اللقاء رفضت قيادة الحزب وضع منظمات الحزب تحت قيادة علال الفاسي واكتفي بزعامته الشرفية [264].

بدأ النقاش في إيكس ليبان حول التمسك بمحمد بن يوسف من عدمه، وبدأ فور يناور حول طبيعة الوضعية السياسية في المغرب في المرحلة القادمة والمدة التي سيبقى فيها محمد الخامس

---

[260] -JULIEN, op-cit,p,p: 431, 437.

[261] - Stephane BERNARD, **Franco-Marocaine conflit 1943-1956**, new haven and london, yale university press,1968, p: 289.

[262] - JULIEN, op-cit, p,p: 431,437.

[263] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p :100./

صورة المهدي في الوفد المغادر إلى إيكس ليبان، ملحق رقم: 13.

[264]- جبرو، مرجع سابق: 231./ .JULIEN, op-cit,p:476

بعيدا ولم يجد غير الرفض التام من حزب الاستقلال، وكان يوم 27 أوت حاسما، فتمسك ممثلو حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال بعودة محمد بن يوسف وتحت ضغط عمليات جيش التحرير كان على الفرنسيين الرضوخ، كان وفد الاستقلال آخر وفد يستقبل، وأكد بوعبيد أن الحزب لا يقبل سوى شرعية الملك [265].

وتم في الأخير القبول بعودة محمد بن يوسف مؤقتا إلى فرنسا، فتوجه اليزيدي ومحمد الفاسي إلى القاهرة لوضع علال الفاسي في صورة التطورات، وتوجه البكاي والفاطمي بن سليمان؛ باشا فاس السابق والأمير الحسن بن إدريس صهر الملك إلى مدغشقر للقاء الملك محمد الخامس، ثم تبعه وفد حزب الاستقلال منتصف شهر سبتمبر يضم عبد الرحيم بوعبيد وعمر عبد الجليل وعبد الهادي بوطالب وعبد القادر بن جلون عن حزب الشورى والاستقلال[266].

كان من المفروض أن يغادر ابن عرفة يوم 29 أوت لتبدأ ترتيبات حل مسألة مجلس العرش، لكن تغيير المقيم العام أجل ذلك، وفي الأخير تم قبول فكرة تمثيل الملك الشرعي والوطنيين من خلال شخص السيد أمبارك البكاي[267]، والتقليديين من طرف شخص الصدر الأعظم الحاج أمحمد المقري، وعندما اقترحت فرنسا توسعته حدث اعتراض من الوطنيين وكان المهدي بن بركة أحدهم، وتم تنصيب مجلس حفظة العرش يوم: 17 أكتوبر1955 بقبول من حزب الشورى والاستقلال ورفض حزب الاستقلال، وصرح المهدي أن كل هذا لازال فاقدا للشرعية[268]، ورفض علال الفاسي من الأصل مقررات إيكس ليبان[269].

---

[265] – أمحمد بوشتا، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.

[266]– جبرو، مرجع سابق ، ص : 238.

[267] -BERNARD, op-cit, p: 343.

[268] -JULIEN, op-cit,p: 471.

[269]– عبد العزيز بلقزيز، العربي مفضال، أمينة البقالي، **الحركة الوطنية المغاربية والمسألة القومية**، م د و ع، بيروت، 1992، ص: 70.

حدث يوم 25 أكتوبر 1955 تحول في موقف التهامي الكلاوي[270] حيث صرح ابنه عن أمنيته في عودة الملك محمد بن يوسف إلى المغرب، وهذه إشارة قوية لتغير في الموقف الفرنسي، وبعد أسبوع من هذا وصلت طائرة محمد الخامس إلى نيس حيث أقام في قصر هنري الرابع، وعقد عبد الرحيم بوعبيد لقاء مع ولي العهد لبحث تصريح عرضته الحكومة على الملك، وتبين أنه ليس في المستوى فتم إعداد بيان آخر وعليه زار الملك السيد أنطوان بيناي في قصر لاسيل سان كلو، وجاء تصريح يوم 06 نوفمبر1955 كتمهيد للاستقلال ولم يبقى إلا ترتيبات عودة الملك إلى المغرب[271].

ب– موقف المهدي بن بركة من عودة الملك:

لقد كان موقف حزب الاستقلال هو رأس الحربة في كل الأحداث التي وقعت بين 1950 و1956 وكان على رأس الدعاة والمتشددين المطالبين بعودة الملك[272]، وكان بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد من الذين حضروا إيكس ليبان، حتى أن إدغار فور تعجب وخاطب بو عبيد " أنا لا أفهمكم خذوا استقلالكم وانتخبوا مجلس تأسيسي"[273]، فهل كان المهدي أو بوعبيد ضد الديمقراطية وملكيين أكثر من الملك؟ الكثيرون من الذين عايشوا الحدث ويعرفون بن بركة وبوعبيد وعبد الله إبراهيم يقولون أنهم لم يكونوا تقليديين:"المهدي وأغلب رفاقه السياسيين كانوا على النقيض أقرب إلى فرنسا بفكرهم وميولهم وثقافتهم أكثر من أي قايد برجوازي معتدل "هكذا تحدث عبد القادر بن بركة[274].

تحدث البعض عن ضغط المهدي ورفاقه لتأخير عودة محمد الخامس لتشكيل مجلس تأسيسي وبالتالي فرض الملكية الدستورية[275]، ورغم أن المهدي وعبد الرحيم بوعبيد مثلهم مثل البقية لم يعارضوا حلا من هذا القبيل (المجلس التأسيسي) فهو على الأقل يضمن النظام الديمقراطي في المغرب،

---

[270] -MONTEIL, op-cit, p :165

[271]- جبرو، مرجع سابق، ص – ص: 249- 252 .

[272] -BALTA, op-cit, p,p: 112-114.

[273] -Abdelkader BENBARKA, op-cit, p: 103 .

[274] - ibid, p: 91.

[275] - Stephen SMITH, **Oufkir un destin Marocain**, levy, Paris,1999, p: 173.

لكن الاستقلال خضع في هذه الفترة لضغوط مناضلي المنظمة السرية وجيش التحرير[276]، كما أن عودة محمد الخامس مثلت أيضا ضرورة قصوى تحت تأثير مطالب الجماهير و إصرارها.

وبالعودة لكتابات المهدي اللاحقة وتعبيره عن مرارته مما حدث وعن خديعة إيكس ليبان: "لقد وقعنا في فخ الاستعمار وحدنا عن الهدف الرئيسي للكفاح والذي أضحى أكثر فأكثر وضوحا في تصور المناضلين"[277]، وحين يتحدث في كتابه الخيار الثوري عن تلك التسويات السياسية الظالمة[278] وفي مقالاته عن الاستقلال المزيف[279]، فكل ذلك يدل على أن المهدي كان في تلك الفترة متسقا مع مواقفه الظاهرة وهي عودة الملك، خاصة إذا تأملنا تصريحا له عشية يوم 18نوفمبر1955: "هذا التصميم الذي أظهره الشعب المغربي في نيل أماله في الحرية و الاستقلال، هو وحده الذي دفع بالقضية المغربية إلى الأمام وهو وحده الذي أرغم خصومنا أن يسمعوا صوت الأمة وعلى أن يستجيبوا لإرادة الشعب . . . فحققوا إحدى غاياتنا الكبرى وهي عودة جلالة ملكنا المفدى إلى عرشه، أما الغاية الثانية وهي الاستقلال فلقد اعترفوا بمبدئه الأساسي، وذلك نصر وأي نصر ولكن يجب أن نتعرف أن الاعتراف بالمبدأ الأساسي ليس هو تحقيق الاستقلال"[280].

كان المهدي يرى في الاستقلال خطوة ومرحلة لا بد منها، رغم أن الاستقلال بهذه الطريقة هو في حد ذاته إجهاض للسياق الطبيعي لتطور الحركة الوطنية وصولا إلى المرحلة الثورية، وهذا باعترافه لاحقا " أليس هو إجهاض لفكرة اندماج الحركة الوطنية المغاربية في حركة تشمل لشمال إفريقيا، لقد كان مسؤولو المقاومة يشعرون بالمرارة، مستحضرين قرار فرنسا بوضع حد لنفي محمد الخامس يوم انطلاق العمل المسلح"، بن بركة سجل: "هل هناك مصادفة "[281]، وبخصوص هذا يظهر أن علال الفاسي كان أكثر وعيا بممارسات فرنسا.

---

[276] - ibid, p: 103.

[277] - Abdelkader BEN BARKA op-cit,p: 110.

[278] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص: 42، 43.

[279]– المهدي بن بركة، **الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف**، الشعب، عدد :99، 06 أفريل 1963، ص: 06.

[280]– جبرو، مرجع سابق، ص: 252.

[281]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص: 41، 42.

جاء نقد بن بركة ومراجعاته متأخرين، ونتيجة ظروف ومناخ ما بعد الاستقلال لكن في هذه الفترة كان هناك هم واحد هو جلاء المستعمر، كان هم المقاومة والخلاف المتفجر داخل حزب الاستقلال يشغل باله، لكن كانت علاقته جيدة بالملك وولي العهد، كما كانت أيضا مع مختلف التيارات بما في ذلك محمد أوفقير النافذ في الإقامة آنذاك[282]، ورغم أن الكثير من الكتابات تحاول أن تجعل من المهدي في تلك الفترة كرافض لعودة الملك أو مطالب بملكية دستورية، ورغم كل ما كان يدور في ذهن المهدي من أفكار إلا أنه كان وفيا لجموع الشعب ومطالبها، وأيضا لمطالب المقاومة والتي كانت أكثر من يرفض الحلول السياسية وتفاصيلها، وكانت لا ترى إلا بعودة الملك وخروج المستعمر، فكذلك المهدي في هاته الفترة، وحتى نقده اللاحق كان لطبيعة الاستقلال والطريق التي مر بها ربما أكثر من إفرازاتها الآنية، والتي أبرزها عودة محمد الخامس وتطورات لاحقة تحكمت فيها ظروف أخرى.

ج- المهدي يشرف على تحضيرات عودة الملك:

سهر المهدي طيلة أسبوع في الرباط للتنسيق بين مختلف الجهات التي عهد إليها لتنظيم استقبال الملك، لقد أرهق من كثرة التنقل المستمر لموكب الملك من المطار إلى سلا إلى القصر، حيث كان يقفز لفحص السيارات ولفحص أسقف البيوت والأزقة، وإعطاء الأوامر للمناضلين، كانت هناك فرق وميلشيات تابعة لحزب الاستقلال تؤمن العاصمة وتحركات الملك كان المهدي هو المسؤول الأول، ألقى خطابا في التجمع الحاشد وصرح: "قبلنا هذه التجربة بشجاعة (الاستقلال و تسيير البلاد) لأننا نثق في قدراتنا على تحمل الصعاب"[283].

و أضاف المهدي: "هناك عراقيل ومشاكل في الطريق تحول بين هذا المبدأ وبين تحقيقه، وأول هذه العراقيل أن فرنسا لتزال لم تبين نواياها بوضوح إن الذين سيحددون هذا الاستقلال ويضعون أسسه هم الذين سيقومون بالمفاوضات فيجب أن يسهر عليها رجال أكفاء مخلصون ساهموا مع

---

[282]- أوفقير، مرجع سابق، ص: 50

[283]- كلمة المهدي في مهرجان الاحتفال بعودة الملك، 18 نوفمبر 1955.برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

الشعب في تضحياته الشريفة ونالوا ما نال الشعب من بلاء ومحن، فهم الذين سيقّدرون التضحية حق قدرها وهم الذين يعرفون ما يقصد إليه الشعب من حريات و استقلال" .

وختم المهدي كلامه "إن الكفاح الذي خضتم غماره سيكشف مغربا جديدا والمغرب الجديد الذي نريده هو المغرب المستقل، محرر الذي نبني حياته الجديدة على أساس يتمتع بسيادته الكاملة وتحرير جميع طبقات الشعب من الجهل والمرض والفقر والاستعباد، استعباد الحاكمين والإقطاعيين وأصحاب المصالح الخاصة والانتهازيين لقد انتهى الزمن الذي كان فيه الشعب المغربي مكونا من السادة و العبيد لقد أصبح كل المغاربة سادة أنفسهم واثقين من تحرير بلادهم وأنه عهد جديد يريد أن ندشنه تحت قيادة عاهلنا المفدى المحرر الأول محمد بن يوسف نصره الله "[284].

كانت كلمات المهدي في مهرجان الاحتفال بالانتصار وعودة محمد الخامس، تتوج مسيرة نضالية كاملة له في الحركة الوطنية، رغم صغر سنه – فعمره في هذا التاريخ فقط خمس وثلاثون سنة – فقد انتهى كأحد زعماء حزب الاستقلال المؤثرين وأحد أبرز الساسة المغاربة، إنها نهاية مرحلة وبداية أخرى في مساره النضالي، سيتحول بعدها إلى عهد جديد في حيثياته وخصائصه وعناصره وشخوصه، وسيبقى المهدي بن بركة النشيط الحيوي أو الدينامو، يواصل مسيرة الشغف بالسياسة، تماما كما وصفه الحسن الثاني: "إنه يتكلم بنبرة ملتهبة، بسرعة وبذكاء يشع من عينيه، أنفه، أذنيه، وأصابعه، كان شخصية آسرة، أظهر بداية شغف علمي تحول إلى شغف سياسي لم يكن يعرف كيف يكبحه"[285].

كان المهدي طيلة سنوات النضال هذه يعمل من أجل تحقيق حلم الاستقلال للمغرب وطرد المحتل الفرنسي، وفي سبيل هاته الغاية كانت كثير من الإيديولوجيات والخلافات تذوب في غمرة النشاط اليومي والحماس الفائض، لقد وظف كل ما يملك من طاقة ومعرفة في سبيل نجاح مشروع الحركة الوطنية التي تدرج في مراحلها ووسائلها، وأيضا كان ممن دفع الثمن المناسب لموقفه في المعتقلات والسجون، وكان رغم صغر سنه أكثر انتباها للمنعطفات الحاسمة وللخيارات الواجبة، وكان الرجل

---

[284]– جبرو، مرجع سابق، ص، ص: 252، 253.

[285] – HASSANE II , op-cit,p: 108.

الذي استطاع التواصل مع الجميع والتواجد في كل مفاصل العمل، السياسي والاجتماعي، التعليمي والإعلامي، والدبلوماسي والعسكري.

لاحقا ستترك هذه اللحظات والمرحلة الانتقالية تأثيرا بالغا في خيارات المهدي، تنهي ما اصطلح عليه لا حقا بزمن الأوهام، أو زمن التسويات، فقد ولد المغرب الجديد وولد معه بن بركة جديد مطبوعا بكل تلك التجارب السابقة، والتضحيات والعلاقات والأحلام أو التطلعات، والآن تقترب ساعة الحقيقة التي سيتحول معها الطفل العبقري وخريج المدرسة الفرنسية الحديثة والرجل المتعلم المثقف، ابن الحركة الوطنية، المناضل والمقاوم لميدان عمل جديد وتحد جديد.

الفصل الثاني:

مسيرة المهدي بن بركة السياسية في المغرب المستقل 1956– 1965.

المبحث الأول: النضال السياسي من مؤسسات الدولة ومعركة البناء 56–1957.

المبحث الثاني: صـــــــراع احتكار القوة 1957 – 1958

المبحث الثالث: تأزم الوضع السياسي في المغرب 1958– 1959

المبحث الرابع: أزمة حزب الاستقلال وميلاد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية

المبحث الخامس: المعارضة والمعارك السياسية، نوفمبر 1959– ماي1963

المبحث السادس: الصدام بين النظام واليسار1963–1965.

الفصل الثاني: مسيرة المهدي بن بركة السياسية في المغرب المستقل 1956 –1965

انتهت معركة التحرر ضد الوجود الفرنسي والإسباني بالنسبة للحركة الوطنية المغربية والمهدي بن بركة بكل حيثياتها وتفاصيلها وانتهت معها المواجهة المباشرة، وجاءت اتفاقيات إيكس ليبان (AIX-LES-BAINS) لتكون التسوية التي بموجبها استعاد المغرب كل سيادته وحريته، ولتكون نهاية لمرحلة مؤلمة وسوداء في تاريخ المغاربة كانت ميزتها الأبرز ذلك التخلف العميق الموسوم بكل مظاهر الجهل والانحطاط والبؤس، والذي جعل الشعب المغربي فريسة سهلة للاستعمار وسياساته ومصالحه.

وجاءت إيكس ليبان لتكون أيضا حدا فاصلا بين مرحلة ومرحلة، اختلفت فيها المعطيات وطبيعة النضال والأهداف لكن استمر النضال أكثر شراسة وحدة وإن تغيرت تحالفات الأمس ومواقع العمل والنشاط، لكن لم يمنع كل ذلك من الانتقال إلى مسار جديد، تطلب البذل أكثر والتضحية أكثر والصبر أكثر وأضاف على صعيد النضج السياسي للمهدي ما لم تستطع مرحلة مجابهة المحتل أن تضيفه، فهل انتهت المعركة بخروج الاستعمار، وهل تحققت أحلام التحرير؟ وهل انتهت مرحلة المواجهة والتحديات؟

كان المهدي يرى في انطلاق المرحلة الجديدة تدشين لعهد جديد ملئه التفاؤل بالغد والاستعداد لعملية البناء والنهوض، والأمل في مغرب تسوده الديمقراطية والعدل والحرية، وتتضافر فيه الجهود، لكن عقبات الطريق وصراع المواقع والأفكار والسيطرة والنفوذ كانوا أكبر من الإمكانات والوسائل المتاحة لتحقيق أي انتصار أو هدف، كانت مرحلة أكثر غموضا وأكثر مأساوية، لتدفعه في الأخير رغم كل التنازلات والتسويات للتسليم بأنها مجرد استمرارية لنضال ومعركة الأمس لكن بوسائل جديدة ووجوه أخرى، فتطلب منه الأمر الوقوف للاعتراف بأخطاء الطريق وإجراء جملة من المراجعات والنقد الذاتي.

المبحث الأول: النضال السياسي من مؤسسات الدولة ومعركة البناء 56-1957.

مرت الأيام الأولى للاستقلال بزخمها واستغراقها في الفرحة العارمة التي زادت في ترسيخ صورة الملك و المؤسسة الملكية كرمز أوحد ومقدس لدى المغاربة، لحظة تاريخية استسلمت فيها الحركة الوطنية لإرادة الجماهير واختفت فيها بعض التحفظات، حيث كان بن بركة – و بتكليف من الجنرال مريك (MERIC) أحد أفراد الإقامة – يسهر على حماية السلطان[1]، وبوصفه الأمين التنفيذي لحزب الاستقلال بذل كل ما في وسعه لذلك، فهذه أصعب اللحظات في تاريخ الشعوب والدول، حيث يسري نوع من الارتخاء الثوري والفتور وتغلب العاطفة، فعندما انطلق موكب السلطان محمد الخامس عبر شوارع الرباط كان محمد أوفقير الضابط في الجيش الفرنسي ومرافق المقيمين العامين إلى جانب السائق الخاص للسلطان يحمل سلاحه ويبعد الحشود عن السيارة، كان هذا العسكري المحنك والخبير يتسلل بهدوء إلى معسكر ملك المغرب[2].

أ- أولوية تنظيم الحزب وبسط نفوذه السياسي:

كان المهدي بن بركة في سنوات الاستقلال الأولى في قمة نشاطه وحيويته، وضع جعله يتجاوز حضور العديد من قيادات حزب الاستقلال التقليدية والتاريخية، فمباشرة بعد توقيع اتفاقية الاستقلال يوم 02 مارس 1956؛ حدد أولوياته وأهدافه القريبة: توطيد الأمن الداخلي وتدعيم وحدة الحزب، لقد انضمت جموع كبيرة من الطلبة والمقاومين والفلاحين والعمال للحزب، و يجب أن توجد الهيكلة الملائمة الجديدة لتواكب كل هذه التطورات، من أجل ضمان سيطرت الحزب على مقاليد السلطة[3].

اجتمع يومي 19 و20 أوت 1956 المجلس الوطني لحزب الاستقلال والمجلس الوطني للمقاومة ومجلس الاتحاد المغربي للعمال، المهدي وبالاتفاق مع النقابيين والمقاومين اقترح إعادة هيكلة الحزب، في سعي لجعل الكلمة الأولى داخل الحزب ومقاليد الأمور بيد المقاومين والعمال أو ما يسمى

---

(1) – بيرو، مرجع سابق، ص: 49. / صورة المهدي يشرف على استقبال الملك محمد الخامس، ملحق: 14.

(2) -Claude CLEMENT, **Oufkir**, édit :Jean Dullis, Paris,1974, p,p :121,122.

(3)– محمد اليازيغي، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001./ المهدي بن بركة، **مسؤوليتنا**، مصدر سابق، ص:51.

بالطبقات الشعبية والتقدمية، من خلال السيطرة على اللجنة التنفيذية وسحبها من يد التقليديين الذين كانوا وسيلة طيعة في يد القصر، فسيطرة حزب الاستقلال تمر حتما بتمكن وتنفذ الطبقات الحية داخله، فالمهدي كان على قناعة بمنطق النفوذ وتوازن القوة والسيطرة، فلا بد في البداية من تقوية وتمتين هياكل الحزب كي يتم إرغام القصر على الاستماع وفرض النفس عليه، وهذا دور اللجنة السياسية التي أنشأت بموجب اجتماع مجلس الحزب والتي جل أعضائها من المقاومة أو النقابة[4].

كان لتأثير السنوات الأخيرة من النشاط ضمن الحركة الوطنية في مواجهة المستعمر- وخيبة المهدي وشباب حزب الاستقلال من القيادات العتيقة والحرس القديم وموقفه من العمل المسلح - دورا هاما في توجهات المهدي الجديدة وسعيه المحموم للسيطرة على الحزب، وفتح الباب أمام الطبقات لتتقدم نحو القيادة، كما كان أيضا لسنوات الاحتلال والسجن وكثرة المطالعة دور في ذلك، كانت الثقة مهتزة كليا بين التيار الشاب والقيادات التقليدية[5]، المهدي بن بركة في توجه ينطلق من فكرة راسخة ويوحي بخلفية إيديولوجية يريد جعل من حزب الاستقلال الحزب الوحيد في المغرب حيث لا يمكن منافسته، مدعوما من النقابة الوحيدة والقوية، وسريعا يريد أن يبدأ في السير في طريق الاشتراكية ويجعل الحكم في يد الشعب، لقد نشر في طول البلاد وعرضها دعاة الحزب وأعضاءه للترويج لأفكاره الجديدة، كان بوصفه الأمين الإداري يفرض إرادته في مؤسسات الحزب[6].

استطاع المهدي بن بركة - عن طريق زملاءه النشطين؛ بوعبيد والبصري واليوسفي وعبد الله إبراهيم، ومستفيدا من حركيته اللا متناهية وكذلك من علاقاته - فرض سيطرته على حزب الاستقلال في السنتين الأوليتين، فقد صار الحزب يعد مليون ونصف مليون منخرط وله ممثلون في كل مدينة وقرية وحي، وفي أصغر دوار كانت السلطات المحلية تستشيره قبل اتخاذ أي قرار، في هذه الأثناء وعمليا كان الحزب يفتقر لإطارات على نطاق واسع كان يرتكز بشكل كبير على مسؤولي المدن الرئيسية ولجنته الإدارية المكونة من سبعة أعضاء وحيث بن بركة هو القائد الحقيقي، كان هناك

---

(4) - Mehdi BEN BARKA, **problemes d'edification du Maroc et du Maghreb**, op-cit, p: 29.

(5) - CLEMENT, **Oufkir**, p :135.

(6) - بيرو، مرجع سابق، ص: 53.

مفتشون جهويون مهمتهم تطبيق النظام في قطاعاتهم، وفي جوان 1956 ومن أجل ضمان قوة وفعالية الحزب صدر أمر يحضر على المناضلين الجمع بين وظيفة إدارية في الحزب ومنصب تنفيذي في الدولة حتى وإن كان الكثير من الإداريين في الدولة هم أعضاء في الحزب [7].

كان الهدف الثاني للمهدي بداية عملية البناء وأولى الخطوات هي حكومة قوية ومتجانسة، وهذا له معنى واحدا: "حكومة استقلالية "، ففقط حكومة تستند إلى شرعية شعبية لا نقاش فيها تستطيع اتخاذ إجراءات قاسية وصارمة، خاصة اتجاه الطبقة البرجوازية وحلفاء الاستعمار من ملاك الأراضي وممن يسيطرون على الاقتصاد المغربي والتجارة ويتحكمون في أقوات المغاربة، ووحدها من تستطيع مواجهة القصر وتتمكن من تنفيذ برنامجها والقيام بإصلاحات جذرية وحقيقية والانتقال بالوضع المغربي إلى ظروف أحسن[8].

بدأ صبر المهدي ينفذ واقتنع أن المغرب ضيع وقتا كبيرا وعلى الملك أن يدرك أن الحق للأمة ولقواها الحية، تلك التي بذلت الكثير وبفضل نضالها هو اليوم في مكانه، فيجب تسليم السلطة فقط لمستحقيها[9]، ولذلك يجب تنظيم انتخابات ديمقراطية نزيهة وإقامة مؤسسات شرعية حديثة وديمقراطية، لم يكن مع فكرة حكومة وحدة وطنية والتي هي بالأساس سلب ومصادرة لحق ونضال حزب الاستقلال، ونتيجة لهذا مورست ضغوطات كبيرة على حكومة مبارك البكاي وباتت أيامها معدودة، وفي ذلك السياق المهدي منع أعضاء الحزب من قبول أي منصب في حكومة الوحدة[10].

شكل الملك حكومة ثانية يوم 26 أكتوبر 1956 - في خطوة لطمأنة الجناح الرديكالي في حزب الاستقلال بقيادة بن بركة الذي يلح في المطالبة بدمقرطة سريعة للمؤسسات - ودائما برئاسة مبارك البكاي لكن مع تدعيم لوضعية حزب الاستقلال داخلها، من خلال وضع محمد الزغاري المقرب من حزب الاستقلال كوزير دفاع، وإدريس المحمدي وبوعبيد الاستقلاليين كوزراء خاصة الأخير الذي أوكلت له الوزارة الحساسة "الاقتصاد والمالية "[11].

---

(7) - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, **pour une république au Maroc**, edit Albatros, Paris,s a, p-p :40-42.

(8) - DAOUD – MONDJIB, op-cit , p :156.

(9) - المهدي بن بركة، **الاستقلال المزيف والاستعمار الجديد**، الشعب، عدد:99، 06 أفريل 1963، ص: 06.

(10) - DAOUD – MONDJIB, op-cit , p,p :156,157.

(11) -Ibid, p,p :156, 157.

كانت معارضة المهدي في هذه المرحلة أقرب إلى التذمر، ولم تكن واضحة بالشكل الكافي، لكن سيتطور تذمره من وضعية حزب الاستقلال شيئا فشيئا إزاء الحكومة حتى يتمكن لا حقا من استنقاذ ما يراه حقا مغتصبا، فسلطات الحزب بالرغم من قوته محدودة جدا بل بالعكس، فأشخاص كثيرون من المستقلين وحتى من المتحالفين مع الاستعمار أتيحت لهم الفرصة بنفس حظوظ حزب الاستقلال الذي حمل على عاتقه وزر التحرر وتكاليفه[12].

ب– رئاسة الجمعية الوطنية الاستشارية:

أصدر الملك محمد الخامس ظهيرا ملكيا لتشكيل مجلس وطني استشاري يوم 05 أوت 1956[13] ، في خطوة حاول من خلالها احتواء شيء من مطالب الحركة الوطنية ورجالها في وجود مؤسسات تمثيلية ديمقراطية، وكذلك السير نحو عمل مؤسسي حديث، والذي كانت مهمته تقديم استشارات حول القضايا التي يبت فيها الملك ومن دون أي صلاحيات للفصل أو القرار، وإن كانت المسألة صورية فان المهدي اعتبرها خطوة للأمام[14] .

قامت الأحزاب والنقابات العمالية والحرفية بتقديم مرشحيها، حيث اختار الملك ستة وسبعون (76) من بين المرشحين، ثم أجريت انتخابات لاختيار مكتب المجلس حسب ما يقتضيه الفصل العاشر من الظهير المؤسس المكون من رئيس، وأمينين وثلاثة مساعدين، و يجري التصويت بالاقتراع السري، وتم انتخاب المهدي بن بركة بأغلبية 57 صوتا يوم 10 نوفمبر 1956، وكان نائبه الأول المحجوب بن الصديق، وجاء في الفصل الثاني من الباب الأول؛ فيما يخص اختصاصات المجلس: "يؤخذ نظر المجلس الاستشاري في ميزانية الدولة العامة وفي الميزانيات الإضافية من جهة، كما يستشار في جميع القضايا التي يقتضي نظر جلالتنا عرضها عليه، وبالأخص منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويبدي رأيه بواسطة اقتراع علني وبأغلبية الحاضرين المطلقة "[15].

---

[12] – المهدي بن بركة، **مسؤوليتنا**، مصدر سابق، ص– ص: 48 – 50.

[13] – الحاج أحمد معنينو، **المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956–1959**،ط1، الدار البيضاء، 1986، ص– ص: 11-17.

[14]– برنامج بن بركة المعادلة المغربية، مرجع سابق.

[15] – معنينو، مرجع سابق، ص– ص: 11– 37.

كما كانت لرئيس المجلس مجموعة صلاحيات احتواها الفصل الخامس من الباب الثاني حيث يسهر على تطبيق واحترام مقتضيات الظهير، وتطبيق واحترام جدول الأعمال وله حق استدعاء أعضاء المجلس بعد أمر الملك بذلك، وله حق بداية ونهاية الجلسات وتسيير المداولات وإعطاء الكلمة، كما له الحق في الاتصال بالوزراء واتخاذ القرارات المالية والإدارية بالاستعانة بمكتبه[16]، ولم تكن رئاسة بن بركة للمجلس محل نزاع، إنه الرجل الذي يجب أن يتولى هذا المنصب من بين جميع الأعضاء لأسباب كثيرة: ثقافته، كفاءته، نزاهته، وأكثر من ذلك فضرورة تقاسم السلطات وتوزيع الأدوار؛ تقتضي أن ينال حزب الاستقلال هذا المنصب[17].

حاول المهدي أن يجعل من الجمعية مكانا حقيقيا للنقاش، حيث تتعايش وتتواجه تيارات مختلفة وآراء متناقضة كليبيرالية بعض أعضاء حزب الشورى والاستقلال، مع ماركسية بعض النقابيين، مع تقليدية ومحافظة بعض الوجهاء والعلماء، وكذا وجود مثقفين ونخبة من المهندسين والأطباء والمحامين وحتى العنصر اليهودي، إنه مكان مفضل لتعلم الديمقراطية بالنسبة للنخبة السياسية في البلاد مع بداية تشكل معالم الدولة المغربية [18].

لم يتأخر المهدي بن بركة انطلاقا من موقعه الجديد ورغم دوره الشرفي والمظهري، في المساهمة بشكل مباشر في التعامل مع كثير من القضايا، فمع كل تلك الحركية والنشاط الاعتيادي لا يمكن أن يكتفي بدور الجالس على كرسي رئاسة الجمعية الوطنية ويشاهد الأحداث، بدأت أولى الأزمات التي تواجه المغرب المستقل في الجانب الاقتصادي، ففرنسا سحبت ثقلها المالي، وعبد الرحيم بوعبيد لما استلم مهامه على رأس وزارة الاقتصاد والمالية وجد الخزائن فارغة، فقام بإيقاف كل أشكال الإنفاق ووضع رفقة المهدي مشروع ميزانية محدودة لسنة 1957، وقاموا بتشكيل مجلس وطني للتخطيط مهمته وضع المبادئ العامة للسياسة الاقتصادية، بن بركة وبوعبيد أرادا وبشكل عاجل استغلال الموارد الطبيعية والبشرية للبلاد، بالنسبة لهم سنة 1957 يجب أن تكون سنة النهوض الاقتصادي[19].

---

[16] – نفسه ، ص: 25 -27 .

[17] – أحمد عثمان، مدير سابق للديوان الملكي، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001 .

[18] – برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية ، 2012.

[19] -AL-Istiqlal, n°:18,27 juillet 1956,p:01./AL-Istiqlal, n°: 67,29 juin 1957, p:01.

ظل المهدي المثقف والعلمي مسكونا بالتعليم ومشاكله وأساليب تحديثه، فتكوين الإطارات هو وحده ضمان الاستقلال الحقيقي، لقد حاول بكل ما يملك من نفوذ داخل المجلس أن تنال هذه القضية الاهتمام الأول خلال المخطط الثاني 1957- 1958، خاصة بعد مغادرة الإطارات والتقنيين الفرنسيين للمغرب بعد حوادث مكناس، فكافح من أجل جعل الجمعية الوطنية الاستشارية "البرلمان الوليد" المؤسسة التي تسمح للشعب بتسيير شؤونه في إطار تصوره الراسخ ومشروعه النضالي الدائم "الملكية الدستورية"، فكان جل عمله داخل قاعة الجمعية محاولة لبذر هذه الفكرة وتعويد الناس عليها، ومن خلال تفعيلها، عبر المشاريع المقترحة ودورها في مناقشة الميزانية[20].

حاولت الجمعية تكوين استشارات حول الميزانية، كما حاولت مراقبة مختلف النشاطات الإدارية الوزارية عبر المساءلات والمكاتبات، حتى وإن لم تكن تتمتع بالتأهيل اللازم والمستوى الكبير لأفرادها للإدلاء بآرائهم والتأثير، لكن المهدي تحدث عن التوجيهات التي تترجم تطلعات الشعب، وأمام الملك صرح أن الجمعية الوطنية الاستشارية يجب أن تضطلع بمسؤولياتها لتحرير البلاد من الرجعية والإقطاع، هذه الآفة التي ترسبت تحت نير الاحتلال، وهي دعوة – تكاد تلامس الصراحة – لمحمد الخامس للانفصال عن القوى المحافظة التي تعرقل عملية التحديث خاصة في الأرياف، فبالنسبة له كل تقدم ينطلق من القاعدة، من الريف والدوار[21].

وشهدت قاعة المجلس خلال هذه الفترة نقاشات عديدة ساخنة ومهمة، كانا منها اثنين في غاية الأهمية؛ واحد حول السياسية الخارجية للمغرب والثانية حول السياسة الاقتصادية والمالية للبلاد بين دعاة الليبرالية وتحرير الاقتصاد ودعاة سيطرة الدولة وتأميم الأراضي والمصانع وخاصة التجارة الخارجية، قدم بوعبيد مداخلة قيمة حدد فيها " أن الاقتصاد ملك للدولة ولا يمكن ترك أيا كان ليغتني على ظهر الدولة"[22]، لم يترك المهدي ما كان يحدث من فساد واحتكار وغش يمر مرورا دون أن يثيرها داخل المجلس كان يلعب دور المحارب ضد كل ما يمس مصالح الطبقات الشعبية، لقد قرر إنشاء لجنة تحقيق في أسباب تزايد ثروات القياد وقدماء المتعاونين مع الاستعمار، ترأسها المختار

---

[20] – الجابري، مرجع سابق، ص:53.

[21] – DAOUD – MONDJIB, op-cit , p :159.

[22]– أمحمد عواد، سكرتير المهدي بن بركة، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

السوسي[23] وسجلت اللجنة مئة وستون (160) اسما في قائمتها، كما ناقشت اللجنة السياسية للمجلس الحد من صلاحيات الدرك والشرطة ومجال عملهما، ومراقبة النفقات وحسابات وحدات الجيش بمساعدة وزارة الدفاع [24].

دفع نشاط المهدي وحيويته على رأس الجمعية الوطنية الاستشارية للظهور أكثر فأكثر، وبدأت هيبته وحضوره يزدادان، كان كثيرا ما يذهب في رحلات إلى الخارج باسم المجلس أو إحدى لجانه، استقبل في الكونغرس الأمريكي، كما استقبل في تونس بعد إلغاء نظام البايات من قبل بورقيبة والإعلان عن الجمهورية يوم 25 جويلية 1957، وفي وقت أحجم الكثير من السياسيين المغاربة عن الذهاب خشية سوء التفسير، لم يتردد المهدي في فعل ذلك بل تدخل أمام البرلمان التونسي وامتدح محمد الخامس وأعلن أمامهم: " أن عزل السلطان عبد العزيز سنة 1907 من قبل العلماء هو تأكيد على مبدأ الديموقراطية الذي كان مقدرا في النظام السياسي في فترة ما قبل الحماية"[25]، زار مصر والتقى بعبد الناصر والضباط الأحرار الذين أسقطوا الملكية في مصر، انتقل إلى الفيتنام حيث وقف على تجربة النظام الشيوعي، وحيثما كان يذهب يبرمج زيارات ميدانية للمصانع والمزارع والمدارس، الخبرة الصينية كانت بالنسبة له جد مطلوبة لتشابه الأوضاع بين الصين والمغرب، حيث كان النظام الإقطاعي سائدا قبل الثورة و كذا مظاهر البؤس والأمية [26].

استغل المهدي بن بركة وجوده على رأس الجمعية الوطنية الاستشارية داخليا وخارجيا، فتحرك داخليا بشرعية المنصب ليقوي نفوذه داخل الحزب وداخل جيش التحرير، ويقوي نفوذ الحزب داخل المغرب، كما أنه استفاد منه على الصعيد الخارجي بربط كثير من العلاقات مع الزعماء وحركات التحرر بالعالم الثالث، فباسم المغرب حيثما ذهب كان يستقبل، من قبل الرؤساء والبرلمانات والجمعيات والأحزاب، كان يشارك في الهيئات الإقليمية والقارية والدولية ممثلا للمغرب باسم منصبه كرئيس للجمعية الوطنية، وحتى أول انتخاب له في منظمة التضامن للشعوب الإفريقية الأسيوية

---

[23] – الفقيه المختار السوسي مناضل قديم في حزب الاستقلال ورفيق بن بركة في معتقل أغبالو انكردوس.

[24] - DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:194.

[25] -Ibid, p, p :160,161.

[26]– برنامج بن بركة المعادلة المغربي، مرجع سابق.

جاءت تمثيلا للمغرب في اجتماع المنظمة في تونس، فترأسه للجمعية الوطنية الاستشارية كان فاتحة له لولوج باب النضال العالمي والعلاقات الدولية.

ج- طريق الوحدة المغربية:

لم يكن المهدي – ذو الطبيعة الحركية العملية والنضال الميداني، وخصوصا بعد زياراته العديدة للصين ومصر والفيتنام ووقوفه على ورشات العامل هناك والمشاريع الميدانية التي يباشرها المسؤولون- يستطيع البقاء مكتفيا بمنصبه البيروقراطي الشرفي، وباعتباره أكثر أبناء الحركة الوطنية انهماكا في المطالعة خاصة في ما تعلق بالاقتصاد والنهوض، كانت أفكار عديدة تموج في ذهنه فلم يتأخر كثيرا في إطلاق إحداها وتجسيدها على الأرض[27]، فخلال سنة 1957 أعطى البداية لأكبر تجمع للشباب المغاربة كما لم يحدث من قبل، "مشروع طريق الوحدة".

اجتمع 11 ألف شاب تم اختيارهم من بين خمسين ألف مترشح من كل جهات ومناطق المغرب من أجل تشييد وانجاز طريق بستين كلم تربط بين تاونات بالمنطقة الفرنسية وكتامة بالمنطقة الإسبانية، لقد أطلق النداء باسم الملك محمد الخامس لكن الإشراف الكلي كان للمهدي بن بركة[28]، والذي له كلمة مسجلة توضح الهدف من الطريق:"الطرق عديدة في المغرب لكن هذا الطريق مهم لسببين الأول أنها تربط الشمال بالجنوب وتوحد المغرب والثاني أنها ورشة كبيرة بمثابة مدرسة يلتقي فيها الشباب المغربي ليتعلموا ويبدعوا وينقلوا تجربتهم لآخرين"[29]، العملية كانت ذات بعد سياسي ورمزي، لكن أيضا أريد من ورائها فك العزلة عن بعض المناطق، كان المهدي يريد اقتباس التجارب اليوغسلافية والصينية القائمة على التعبئة وعلى الشباب كان يريد مشاركة كل الاتجاهات والجهات وكل الطبقات وتجسيد وحدة الوطن الوليد.

تم نصب 16 مخيما عل طول الطريق واختيرت أماكنها بعناية فهناك هدف غير العمل كان يريده المهدي، فجزء من النشاط اليومي الأساسي كان عبارة عن تكوين سياسي وثقافي للمشاركين (تكوين مدني، قراءة، عرض أفلام، تدريب عسكري)، وفي نهاية فترة العمل منح الشباب شهادات تثبت مشاركتهم ودورهم وأيضا مستواهم الجديد[30]، كان هناك أيضا هدف اقتصادي

---

[27] – الجابري، مرجع سابق، ص:22.

[28] -Zakya DAOUD, **Ben Barka son rôle dans l'évolution du Maroc**, Recherches internationales, n° 77, 3 - 2006, p-p :139 -140.

[29] – المهدي بن بركة، كلمة مسجلة أمام الشباب المشارك في طريق الوحدة، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

[30] – الشهادة الشرفية التي أعطيت للشباب المشارك، وثيقة أرشيفية، الملحق رقم: 03.

للمشروع هو ربط ميناء الحسيمة بالداخل المغربي لتخفيف الضغط عن ميناء الدار البيضاء، ويشير البعض إلى خيبة المهدي من قلة أعداد الطلبة بين المتطوعين، فقد كان يريد منهم نشر ما يتعلمونه من أفكار خلال هذا التربص في كامل المغرب، فهم الأقرب لفعل ذلك[31]، وأحد الموظفين الفرنسيين والمؤطرين في المشروع ومكلف بتكوين الإطارات بوزارة التربية والرياضة المدعو: تيبو (Thiebaut) يؤكد أن المهدي كان يفكر في المستقبل، كان في باله نموذج المواطن المناضل الذي تحتاجه المغرب والمواطن الاشتراكي المضحي المنتج والذي بواسطته سيتم دحر الإقطاع والأمبريالية، كان في ذهنه بلدان أخرى من العالم الثالث يمكن مساعدتها [32].

لقد شارك ولي العهد الأمير الحسن كمتطوع في هذا المشروع وصرح المهدي: أنّ سموه يريد كأي شاب مغربي أن يعيش هذه التجربة، هذا التطوع والإرادة التي كانت تحرك المشاركين لقيت صدى لها في نشرية المتطوع التي كانت تصدر مواكبة للحدث وكتب في عددها ليوم 06 جويلية 1957م: "اضرب، اضرب، حتى انبعاث المستحيل"، في نهاية المشروع المهدي بن بركة أوحى بفكرة إنشاء جمعية تسمى بناة الاستقلال، تضم الشباب الذين شاركوا في المشروع، حيث سيكونون في كل القطاعات مشاتل لإطارات ريفية للحزب "ففي الأفق الانتخابات البلدية"، كان هذا هدفا مستترا، استغلال المشروع لمد نفوذ الحزب وكسب أعضاء جدد خاصة في المناطق التي لم يتواجد بها سابقا كما أن هؤلاء ينقلون تجاربهم وسينشئون مشاريع صغيرة في قراهم ويساهمون في التنمية المحلية[33].

شرح المهدي يوم 17 أكتوبر 1957 للشباب مفهومه للتنمية، "المغرب بلد فلاحي في الأساس جهدنا يتركز حول الريف ومنه الانطلاقة"، المهدي متأثرا بالنموذج الصيني ومستعجلا حاول ألا يضيع دقيقة واحدة، التحديات التي أملاها الاستقلال كثيرة يجب استغلال كل مواطن وكل جهد واستغلال هذا الحماس الذي يندر وجوده، فهذه فرصة المغرب مع التاريخ والشعوب التي لا تستفيد من فترات الحماس الوطني تجازف كثيرا بمستقبلها، كان المهدي من القلائل في العالم الثالث الذي ركز على التنمية الريفية والإصلاح الزراعي وسيكون هذا مفيدا لأصدقائه الجزائريين لاحقا [34].

---

(31) - Abdelkader BEN BARKA ,op-cit, p :130.

(32) - DAOUD , **Ben Barka son rôle dans l'évolution du Maroc**, op-cit, p - p: 139 -140.

(33) - DAOUD – MONDJIB, op-cit , p :164.

(34) – المهدي بن بركة، الاختيار الثوري: ص، ص: 10 ،16. /

Voir , Mehdi BEN BARKA, **réforme agricole**.

المبحث الثاني: صـــــــراع احتكار القوة 1957 – 1958.

كان المهدي بن بركة أكثر شخصية استقلالية وسياسية أدركت أهمية العمل المسلح والقوة العسكرية في صناعة توازن وثقل سياسي، سواء اتجاه الاستعمار أو حتى اتجاه نظام الاستقلال، لقد بذل الكثير من الجهد أثناء فترة الحماية لربط علاقة قوية بأعضاء جيش التحرير والمقاومة، وفي التنظيم والتنسيق بين أعضاءها، وكذلك خلال الأيام الأولى للاستقلال كان هدفه إيجاد مكان للحزب في خارطة القوة العسكرية وألح كثيرا على بسط حزب الاستقلال سيطرته على المقاومة وجيش التحرير[35]، وبعض المؤرخين والمتابعين يتحدثون عن وجود شخصيتين سياسيتين أدركتا دور السلاح في الحياة السياسية المغربية وكانت لهما علاقة بالمسلحين؛ المهدي بن بركة والأمير الحسن [36].

أ– معركة السيطرة على جيش التحرير:

هناك تداخل وتناقض في المغرب بين السياسي العسكري، وتداخل أيضا في الأدوار والمسارات، فحزب الاستقلال حامل راية المطالبة بالاستقلال وقفت قياداته التاريخية ضد العمل المسلح، باستثناء بعض الشباب التقدمي الراديكالي مثل بن بركة واليوسفي والبصري، في حين حافظت العائلة المالكة على علاقة وطيدة عن طريق ولي العهد ببعض قادة جيش التحرير مثل الخطيب، لقد كان هناك حتى الاستقلال نوعان من المجموعات المسلحة؛ تلك المنضوية تحت راية جيش التحرير، جزء منها يعطي ولاءه للقصر وجزء للحركة الوطنية، وتلك التي يطلق عليها المقاومة وفي غالبيتها مكونة من عناصر تتبع حزب الاستقلال، والبعض للحزب الشيوعي المغربي[37].

كان كل من محمد الخامس أو الحسن الثاني – في تلك المرحلة الصعبة من تاريخ المغرب المتعددة التجاذبات والقوى، ورغم الهالة التي كانت تحيط بالعائلة المالكة– يدركان أنه ليس بالعاطفة وحدها ستنقاد البلاد في ظل الفوضى السائدة وتقاسم النفوذ والمناطق وغياب نفوذ المخزن منذ سنة 1912، وانعدام الثقة في الطبقة السياسية، ولا يمكن تحقيق السيطرة والتوازن بعيدا عن القوة، وفقط

---

[35]– زكي مبارك، صحفي، شهادة شفهية، بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية ، 2012.

[36] -DAOUD – MONDJIB, op-cit , p :165.

[37] - Mehdi BEN BARKA , **problèmes d'édification du Maroc et du Maghreb** ,op-cit, p :30./. برنامج بن بركة المعادلة المغربية، مرجع سابق

ثلاثة أسابيع بعد الاستقلال مصالح القصر أنهت مشروع التحضير لجيش ملكي، فقام محمد الخامس بتسمية ابنه الحسن على رأس أركان القوات المسلحة الملكية (FAR) والتي خرجت للعلن لأول مرة في استعراض يوم 14 مايو 56 في شوارع الرباط [38]، لقد كان من مهام الحسن دمج أفراد جيش التحرير في القوات المسلحة الملكية، واستجابت كثير من المجموعات مثل تلك التابعة للخطيب، وبسط الحسن أيضا نفوذه على الأمن الداخلي بمساعدة الغزاوي، وهو استقلالي قديم وأحد أثرياء المغرب، والذي لم يدخر جهدا لتوجيه الضربات للمجموعات التي رفضت وضع السلاح [39].

بالنسبة للقصر لا بد من تفكيك وتحييد قوة جيش التحرير، التي تمثل خطرا على استقراره وسيطرته، وعلى وحدة البلاد، خاصة مع ترسخ المفهوم المغاربي لدى البعض من قادته وعناصره، وكذا خطره على توازن القوة بين الحركة الوطنية والملكية، ولا شك أن تأسيس القوات الملكية المسلحة جاء أساسا للقضاء على جيش التحرير وتفكيك المعارضة، باستمالة بعض عناصرها الوطنية المسلحة التي كانت لها القابلية للملكية "الخطيب، أحرضان والصنهاجي" [40].

جرت مواجهة صامتة بين بن بركة والأمير الحسن، وخصوصا منذ بدأت القوات الملكية تتقوى ويشتد عودها وصارت لديها قواعد راسخة، المهدي بن بركة كان يدرك أن الحزب سيكون من الضعف إذا لم يستطع التحكم في أي تشكيل مسلح نظامي كان (FAR) أو غير نظامي (جيش التحرير)، وسيثبت التاريخ صحة نظرته، الأمير الحسن عين في وزارة الدفاع صديقه المحامي أحمد رضا قديرة[41]، والذي فعل الكثير لمنع حدوث اتصال بين عناصر القوات الملكية والثورة الجزائرية، لقد كان

---

[38] - SMITH, op-cit, p :193.

[39] - BALTA, **grand maghreb**, op-cit, p -p :112-114.

[40]- في مايو 1956 جرى لقاء سري بين هؤلاء والملك، حيث أقسموا يمين الولاء، وبعد ذلك الآلاف من المقاتلين أعلنوا انضمامهم للقوات المسلحة الملكية في جويلية 1956..P:134 DIOURI, **Réalités Marocaines**

[41] – أحمد رضا قديرة ، محامي من الرباط، صديق الصبا للحسن الثاني مثقف ثقافة فرنسية ومتزوج من فرنسية، لم يكن له أي دور في الحركة الوطنية المغربية لكنه أسس في نهايتها تنظيم الأحرار المستقلين، بعد الاستقلال عين بضغط من ولي العهد وزيرا للدفاع، أسس جريدة المنارات (les phares)، ثم أسس جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية يوم 20 مارس 1963، مثّل يد الحسن الثاني السياسية، كان يدعو لإنهاء الأحزاب السياسية التقليدية والالتفاف حول العائلة المالكة. باهي، مغرب الحسن الثاني،ج3، جريدة الشعب، ص:6، عدد: 270، 21 أكتوبر 1963.

ولي العهد يعمل جاهدا وبسرعة لنزع سلاح المجموعات المسلحة التابعة لجيش التحرير[42] والحزب الشيوعي ودمجها في القوات المسلحة الملكية، حتى وإن كان البعض من عناصر جيش التحرير سيصرون على مواصلة الكفاح طالما هناك قواعد أجنبية وطالما هناك أراضي في الجنوب لم تحرر[43].

كانت بعض قيادات المجموعات المسلحة ملتزمة بتعهدات لقاء مدريد الذي عقد قبل مدة ونص على مواصلة الكفاح حتى تحرير كامل بلدان المغرب ومنهم الفقيه البصري والمسيعدي[44]، بالنسبة للمهدي بن بركة كان يريد نقل مركز العمليات نحو الجنوب، حتى يضمن استقرار المغرب، ويضمن مواصلة الضغط العسكري على فرنسا والإبقاء على التضامن مع الثورة الجزائرية وحفظ هيبة الحزب وقوته، مع وجود هدف آخر له وهو إدراكه لأهمية الصحراء والسيطرة على مواردها [45].

وتأكد دور المهدي بن بركة لدى عناصر جيش التحرير والمقاومة غداة اشتباك بقرية "با محمد" بمنطقة فاس بين أفراد الجيش الفرنسي وعناصر مغربية، حيث تدخل شخصيا لينشر توضيح حول حيثيات الأمر ويضعه في خانة سوء التفاهم ونقص المعلومات بسبب تصرفات الجيش الفرنسي، إذن هي رسالة تحذيرية للقوات الفرنسية المتبقية بالمغرب من التدخل في شؤون المغرب وضغط لسحبها، بن بركة كان من حين لآخر يرسل رسائل عن طريق المقاتلين مفادها؛ أن جيش التحرير سيكون شوكة في حلق كل من يعارض توجه ثوري للبلاد، يجب الضغط حتى تصفية الإدارة من كل المتعاونين القدماء من المدنيين والعسكريين وإفراغ السجون من جميع المعتقلين الوطنيين[46].

---

[42] – HASSANE II, op-cit p: 57.

[43] - M.TEITLER, A.NOUSCHI, M.CAMAU et D'autre, **Elites**, **Pouvoir et Légitimité au Maghreb**, edit: Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1973.P:151.

[44]– إلتقت في جانفي 1956 قيادات جيش التحرير بمدريد وقررت تقسيم المقاتلين إلى ثلاث مجموعات الأولى والثانية بشمال الريف والأطلس الأوسط، تحت قيادة (عباس بلميلودي و عبد القادر بوزار) والثالثة في الأطلس الأعلى وما وراءه تحت قيادة (شيخ العرب وبن حمو المسفيوي والإخوة منوزي)، وقررت أن جيش التحرير لن يضع سلاحه طالما موريطانيا وصحراء إفني ومليلية وسبتة لم يتحرروا وطالما الجزائر محتلة. DIOURI, **Realités Marocaines**, p :128.

[45] – بلقزيز، مفضال، بقال، مرجع سابق، ص: 70.

[46] - DAOUD –MONDJIB, op-cit , p-p :172-177.

ركز بن بركة والبصري جهودهما على الكموندوس الذي كان ناشطا في الجنوب والجنوب الشرقي، وهي فرقة وحيدة يقودها المدعو: محمد بن الحاج بوبو لم تتبع الرباط، كانت تنشط في منطقة فيجيج، هذه الفرقة ستجند من قبل حزب الاستقلال، وتكون نواة جيش تحرير الجنوب، وستعطى قيادتها فيما بعد لمقاوم هو الفقيه الفجيجي، وهو ما أغضب بوبو وجعله ينظم للجيش الملكي، وبعد أيام يتعرض للتصفية، كانت بعض تصرفات بن بركة والبصري في حمى السيطرة على جيش التحرير هي التي دفعت بالعديد للانضمام إلى القوات الملكية رغم نفي البعض لضلوع المهدي في ذلك[47] .

حقق المهدي السيطرة على جيش الجنوب عن طريق البصري وحسن الأعرج ومحمد بن حمو المسفيوي[48]، لقد كان هذا الجيش أكثر ثورية من جيش الشمال، ويتوافق مع أفكار المهدي حول ضرورة تواصل وتحول الثورة السياسية إلى ثورة اجتماعية واقتصادية، بدأت تلك المجموعات تهاجم رموز المخزن القدماء وأتباع الكلاوي، وتقوم بتصفيتهم ومصادرة أملاكهم[49]، كما طالبت من الضباط الفرنسيين العاملين في المغرب بالمغادرة [50] كان المهدي في هذه الفترة يتحرك سرا بسبب منصبه الحساس على رأس الجمعية الوطنية الاستشارية ورغم أنه كان من القيادة السياسية للجيش فلم يذكر اسمه إلا مرة واحدة في أسبوعية الاستقلال عند تشكيل لجنة وطنية لمساعدة ضحايا المواجهات مع الإسبان بمناسبة المعارك الدامية التي كانت دائرة في الجنوب المغربي [51].

دفع الدور الذي بات يلعبه جيش الجنوب في حرب الصحراء "دحر الإسبان" القصر للتوجس منه، فلا يمكن أن يتعايش في المغرب جيشان، وانزعج ولي العهد الحسن من دور بن بركة والبصري والتيار الراديكالي وتنامي دوره في المنظومة السياسية المغربية، فإذا استطاع جيش التحرير الجنوبي تحرير

---

[47] – Ibid, p,p :176, 177.

[48]– مناضل استقلالي وأحد عناصر جيش التحرير، لجأ إلى تطوان سنة 1953 من مراكش، تدرب على يد الجزائري بوزار، محمد بن سعيد آيت إيدر، **وثائق جيش التحرير في جنوب المغرب**، نشر مركز محمد بن سعيد آيت إيدر، الدار البيضاء، 2011، ص:17.

[49] – المصدر نفسه، ص: 19.

[50]– في 01 ماي 1957 تم اعتقال أبناء الكلاوي في منطقة الشاوية ، البعض نسب إلى بن بركة الإشراف على العملية .
DAOUD – MONDJIB, op-cit , p,p :177,178.

[51] – Ibid, p,p :177,178.

الصحراء وهو جد وارد في غضون بضعة سنوات[52]، هذا يعني اختلال في التوازن السياسي في المغرب والذي ولد مع بداية الثلاثينات ولا زال الملك فيه الرمز.

التقى في نهاية 1957 بن بركة والبصري بقيادة جيش التحرير من أجل الانسحاب نحو الجنوب أكثر، إلى عطا بموريطانيا حيث تمردت القبائل هناك على الوجود الاسباني وتعرضت لقمع وحشي فيجب تحرير كل الصحراء، القوات الاسبانية بعد معارك كبيرة انسحبت من منطقة طرفاية، وكانت كل جزء يحرر تأتي القوات الملكية لتبسط السيطرة عليه[53].

لم يكن هدف نشاط مقاتلي جيش التحرير الجنوبي فقط عسكري، لقد كان جزء من إستراتيجية سياسية يقودها بن بركة تهدف إلى خلق توازن ومواجهة القصر أولا، بالنسبة للحسن الثاني الوضع لا يقبل التراجع، فمحمد الخامس ظل محميا بشعبيته وسلطته المعنوية لكن هذا الأمر مختلف معه، كان قلقا من مشروع بن بركة ومن الملكية الدستورية، ولن يكون للسلطة أي معنى إذاك، يجب أن يتم قص أجنحة بن بركة من الآن، ولم يدخر ولي العهد أي جهد في التصدي لجيش التحرير الجنوبي وإضعاف مصداقيته، ولا يخفي هذا في تصريحاته: "بن بركة أراد تسيس جيش التحرير... وكنا ندرك نواياه، كان هدفه أن التسعة أو العشرة آلاف وهم عماد جيش التحرير يكونون تحت إمرة حزب الاستقلال، الذي سيكون الحزب الوحيد" [54].

مثلت معركة جيش التحرير بداية المواجهة بين الحسن الثاني وبن بركة، "من هذه اللحظة لم أعد أكن ذلك الاحترام لمن كنت أرى فيه أستاذي" هكذا وصفها الحسن[55]، ورغم الجهود المبذولة من المهدي والبصري والمسفيوي، مني جيش الجنوب بالفشل لأسباب كثيرة، منها: الاختلاف بين مكوناته الإتنية، التي لم تمنحه فرصة الوحدة والقوة (فقد كان هناك اختلاف كبير بين البربر الزيانيين والسوسيين)، وكذلك ضعف الدعم والموارد، وتأثر قادة الجيش من زعماء القبائل الصحراوية من انعكاس الحرب على موردهم الرئيسي؛ قطعان الماشية، وبالطبع الدعم اللا محدود للقصر من فرنسا،

---

(52) - GAUDIO, **Guerres et Paix aux Maroc**, karthala, Paris, 1991, p :75.

(53) -Ibid, p :76./ .51 ،50 ص: ص، سابق، مصدر إيدر، أيت

(54) - Hassan II, op-cit p: 55.

(55) –Ibid, p: 57.

بالإضافة لأخطاء بن بركة ورفاقه التي أدت لإضعاف الجيش وغيرت موازين القوة، وفي الأخير الزعيم الاستقلالي خسر المعركة والتفت إلى معارك أخرى وإلى التنظيمات الاجتماعية والشبابية[56].

ب- بسط نفوذ حزب الاستقلال على المجموعات المسلحة:

حاول المهدي بن بركة جاهدا القضاء على الفوضى التي تتسبب فيها المجموعات المسلحة وجعلها تحت نفوذ جهة واحدة، هي في نظره الحزب الذي كان رمزا في استرجاع السيادة[57]، والقضاء على ما يحدث من ابتزاز باسم المقاومة، لقد استحدثت مليشيات تسمى شباب النظام من أجل مطاردة العناصر الخارجة عن السيطرة، وكثيرا ما كان يلقى القبض على بعضهم ويقدمون للسلطات لكنها تسارع للإفراج عنهم [58]، وجاء في إحدى المنشورات التي أمضيت باسم المقاومة وجيش التحرير المغربي: " أعداء المغرب وعملائهم يريدون قبل كل شيء زرع الفوضى من أجل تبرير العودة إلى نظام الاستغلال الاستعماري، الامبريالية تصنع الفوضى لخداع الشعب، ومن أجل المساهمة في تحقيق الأمن جيش التحرير والمقاومة قرروا من الآن فصاعدا التوقف عن جمع المال ومنع عناصر المقاومة من حمل السلاح وحكره على عناصر جيش التحرير"[59].

قاد المهدي بن بركة ورفاقه وبعيدا عن الصراع الصامت حول احتكار القوة؛ حملة بلا هوادة ضد المجموعات المسلحة المناوئة لحزب الاستقلال، التي كانت تختبئ في الدار البيضاء وترفض وضع السلاح[60]، فجاءت في هذا السياق عدة عمليات تصفية، فاغتيل في ظروف غامضة عبد الكريم بن عبدالله الزعيم الشيوعي لتنظيم الهلال الأسود وأيضا مبارك الطويل وآخرون كثيرون[61]، وامتدت المواجهة لعدة أسابيع وكانت لصالح رفاق بن بركة، ومع بداية صيف 1956 بدأ شيئا من الأمن يعود للمدن، وتحدث بن بركة خلال اجتماع بالدار البيضاء في مايو 1956 لخلايا الحزب عن ضرورة استتباب الأمن ودور الحزب في ذلك، "(نستطيع أن نقول أن التطور السريع للأحداث المسجلة في

---

[56]- آيت إيدر ، مصدر سابق، ص- ص: 75-81.

[57] - برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

[58] - DAOUD –MONDJIB, op-cit, p: 170.

[59] - DIOURI, **Realités Marocaines**, p: 130.

[60]- وصل عدد جماعات المقاومة حدود 36 مجموعة بعضها يساري، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية ، 2012.

[61] - برنامج بن بركة المعادلة المغربي، مرجع سابق.

كل المجالات التي تحاك ضد البلاد جعلنا نتخذ موقفا فاعلا من أجل إنقاذ الوضع، السحب التي تلبد الأفق ستتبدد شيئا فشيئا للترك المكان للنظام والأمن"[62].

أثارت عمليات حزب الاستقلال أو بن بركة ورفاقه موجة من ردود الفعل ضد هذا التوجه الأحادي الاستبدادي، كان مثالها الأبرز هو تمرد قائد تافيلالت عدي أوبيهي في جانفي 1957، والذي اعتبره المهدي مجرد مناورات من الملكية وحلفاءها[63]، وهو ما تؤكده شهادات أخرى التي تتحدث عن اتصال بين القصر والقائد المتمرد عن طريق قائد إقطاعي أخر وزعيم قبيلة آيت يوسي"لحسن ليوسي"، الذي نقل إليه أن حزب الاستقلال يهدد العرش العلوي نفسه، وتم تزويده بالسلاح عن طريق الجيش الفرنسي بالمنطقة، وقام بإعلان التمرد في وجه وزير الداخلية والاستقلال[64].

بالنسبة لبعض المناضلين مثل مومن ديوري ما حدث جرائم سياسية وتصرفات مكيافلية من قبل قيادات حزب الاستقلال لإشباع نهمهم للسلطة، لقد برروا هذه التصرفات البشعة وأيضا تفكيك جيش التحرير بالحاجة لتحقيق الوحدة الوطنية تحت قيادة حزب الاستقلال وفي ظل محمد الخامس، ووصلوا لحد نزع سلاح الشعب المغربي المادي والسياسي والإيديولوجي، "في هذا الوقت المهدي بن بركة واصل طريقه بعناد، بعض المناضلين كانوا يحسون أنه منذ سنة 1955 معركته قد انحرفت عن أهدافها، ويجب انتظار سنة 1962 حتى يستخلص النتائج خاصة على مستوى القبول الشعبي، لأنه من الصعب الاعتراف بالفشل"[65].

ما رأى فيه المهدي بن بركة ورفاقه مواجهة لفوضى السلاح، رأى فيه البعض تهدئة وإخضاعا لثورة متواصلة لصالح استقلال غير مكتمل، ولصالح الملكية، المهدي نفسه سيعترف لاحقا في مراجعاته بحقيقة ما حدث، قبل أن يكون هو نفسه أكبر ضحية لهذا الطريق، فقد دفع القصر حزب الاستقلال وقياداته ومناضليه لمواجهة التمردات العديدة التي باتت تتوالى في الريف والأطلس

---

(62) -DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:171.

(63)– المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص:48.

(64) - Kamal-Eddine MOURAD, le **Maroc a la recherche d'une revolution** , sindibad , paris,1972,p :65.

(65) - DIOURI, **Realités Marocaines**, p, p:134,135.

والدار البيضاء، فكان حزب الاستقلال هو الهدف، وكان أداة المواجهة، كما أشار ديوري "التصفيات حدثت باسم حزب الاستقلال والمهدي كان الرجل المفتاح في القضية وبمساعدة من مولاي الحسن الذي استغل الموقف لصناعة معارضة تخدم مصالحه، المهدي دخل في لعبة القصر وأضحى دوره إعطاء الأوامر لتصفية قادة المقاومة وجيش التحرير الأكثر عنادا وتمردا، لقد وقع في الفخ القاتل"[66].

ج – قضية عباس المسيعدي:

لعل قضية المناضل والمقاوم عباس المسيعدي تضل الأبرز في هذا المسار الذي عرفته الحركة الوطنية بعد الاستقلال، لا من حيث حجم شخصية الضحية فحسب لكن أيضا من حيث الانعكاسات، فالمسيعدي أحد قادة جيش التحرير البارزين تعرض لعملية اختطاف وقتل، الأمر الذي أثار موجة ردود فعل سياسية بعضها مستنكرا وبعضها مستغلا الحدث لتصفية حسابات مع حزب الاستقلال، فكل المصادر التي تحدثت عن قضية المسيعدي أكدت أنه كان على موعد مع المهدي بن بركة[67]، لتسوية بعض الخلافات بإحدى الفيلات بفاس يوم 27 جوان 1956[68]، فالمسيعدي كان يعلن بصراحة رفضه التام تبعية جيش التحرير لأي جهة كانت أو حزب[69]، وهو ما يعطي تفسيرا واضحا على أنه كان يقف في طريق مساعي المهدي، البعض يتحدث عن رصاصة طائشة انطلقت من مسدس المدعو حجاج، وهو الذي كلف باستقدام المسيعدي للقاء[70]، والبعض أشار لدور المهدي المباشر في العملية [71].

المهم أن القضية أثارت لغطا كبيرا واستغلالا سياسيا، حيث عقد اجتماعا طارئا برئاسة محمد الخامس وحضور ولي العهد ورئيس الحكومة البكاي ووزير الدفاع قديرة ومدير الأمن لغزاوي

---

[66] -Ibid, p-p :132-136.

[67] – قبل شهر من تصفية عباس المسيعدي كان له لقاء مع المهدي بأكنول، وقد سبقه لقاء آخر ببيت المهدي في مايو 1956 بالرباط والذي لم يكن وديا. DAOUD –MONDJIB, op-cit , p :174.

[68]– عبد الرحمن بن عمرو، أمين عام حزب الطليعة والديمقراطية الاشتراكي، شهادة شفهية ،برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

[69] - DIOURI, **Realités Marocaines**, p:130.

[70]– بن عمرو، شهادة شفهية، مصدر سابق .

[71] -DIOURI, **Realités Marocaines**, p:120./ . مبارك، شهادة شفهية، مرجع سابق

ووزير الداخلية المحمدي، وتقرر ابتعاث الأمير الحسن رفقة دريس المحمدي والمحجوب أحرضان لدراسة الوضع، الأمير الحسن استغل علاقة حجاج ببن بركة لاتهامه، وبعد توقيف حجاج والتحقيق معه تحدث عن كونه هو المستهدف، من هذه اللحظة استمال ولي العهد كثيرا من أعضاء جيش التحرير، واعتبر المسيعدي بطلا من قبل محمد الخامس، ولاحقا في مذكراته الحسن الثاني اعتبر أن مقتل المسيعدي جاء في سياق سعي بن بركة المحموم للسيطرة على جيش التحرير[72].

وهناك من أشار إلى دور القصر ووزير الداخلية فهم أكبر مستفيد من الحادث[73]، لكن بتجميع الشهادات يتضح أن أعضاء في قيادة المقاومة وجيش التحرير أعطوا الأوامر لحجاج بجلب المسيعدي برضاه أو بالقوة من أجل التباحث حول علاقة جيش التحرير بحزب الاستقلال، وفي الطريق إلى بيت الحاج بن علال "أحد المقاومين" بفاس، ولكون المسيعدي ليس بالرجل السهل فقد قاوم ورفض نقله بالقوة ، فقتله حجاج بالخطأ أو عمدا، وتوفي الأخير دون توضيح الحقيقة[74] .

اجتهد خصوم بن بركة في تحميله مسؤولية الوقوف وراء أوامر التصفية، في حين أكد أصدقائه وبعض الوطنيين والنقابيين أنه لا دخل له في القضية، وأن قربه من رجال المقاومة ومخاوف القصر هي التي جعلته محل حقد وثأر وتربص، وأن البعض نصب له فخا، ورغم غياب الحقيقة فقد كانت هذه القضية إحدى أخطاء المهدي ورفاقه التي استغلها ولي العهد الحسن في الصراع الصامت بينهم، وساهمت في تقوية القوات المسلحة الملكية وإضعاف جيش التحرير وبن بركة، وقد انضم كثير من قيادات وأعضاء جيش التحرير الشمالي بعد الحادثة إلى القوات المسلحة الملكية، وصاروا تحت قيادة ضباط كانوا في الجيش الفرنسي، فضعفت بذلك قدرات جيش التحرير الشمالي وانسحب منه المسيرين، لقد تم تحوير قضية المسيعدي في الطريق الذي خدم القصر فقط[75].

---

[72] - HASSANE II, op-cit p,p: 55,58.

[73]- عثمان بناني، صهر بن بركة، شهادة شفهية، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

[74]- برنامج بن بركة اللغز، مرجع سابق.

[75] - DIOURI, **Realités Marocaines**, p,p :60,61.

المبحث الثالث: تأزم الوضع السياسي في المغرب 1958– 1959.

رغم وجود صراعات بين مختلف الأجنحة والتيارات السياسية، وبينها وبين القصر وحتى داخل حزب الاستقلال نفسه، إلا أنها كانت خلال السنتين الأوليين للاستقلال مكتومة ولم تطفو إلى السطح نتيجة بعض التحفظ المرتبط بعدم وضوح الرؤية وحداثة الاستقلال والمؤسسات، لكن سرعان ما جاءت الأحداث والاصطفافات والاختلافات والتنافس من أجل النفوذ والسلطة لتدفع بالنزاع إلى الواجهة، "هل من حاجة للتذكير بالمعارك المتعددة التي اضطررنا لخوضها منذ سنة 1956 حتى سنة 1960، دون أن يعرف الشعب شيئا عنها، وكلها تدور بين جدران منازل أساطين حزب الاستقلال، أو داخل القصور الملكية دون أن ينفذ صداها إلى العالم الخارجي"[76].

أ– حزب الاستقلال يصارع من أجل زعامة المشهد السياسي:

بالنسبة لقادة وأعضاء حزب الاستقلال رأس الحربة في نضال الحركة الوطنية من أجل الاستقلال، والذي على أكتاف مناضليه وتضحياتهم جاء خروج المستعمر وعودة الملك إلى منصبه وعرشه، هذا يكفي ليتقدم الصفوف ويجني الثمار، خاصة بالنسبة للجناح الراديكالي بزعامة بن بركة، أما القصر فلم يكن هذا طرحه كان يتخوف من نفوذ حزب الاستقلال وسطوته، ويتخوف أكثر من نوايا بعض قادته وأعضائه، وكان يبحث عن إحداث حالة من التوازن داخل صفوف الحركة الوطنية، بإدخال لاعبين جدد من أعضاء جيش التحرير والمقاومة أو الوجهاء والأثرياء المستقلين، وكذلك من أعضاء سابقين منشقين عن حزب الاستقلال.

كانت هناك شرعيتان تتنازعان المشهد؛ شرعية الملك والقصر، مشفوعة بدور نضالي أرساه محمد الخامس، جعله يحظى بمكانة غير قابلة للنزاع بين المغاربة، وشرعية حزب الاستقلال ودوره في استرجاع السيادة، والذي كان يرى في نفسه الأحق بالمناصب السياسية وتسيير البلاد، ولأسباب ما؛ قبل حزب الاستقلال التراجع قليلا إلى الوراء، وقبل ببعض التسويات التي سلمت المقاليد لبعض المستقلين، "وهكذا كانت تتعاقب الحكومات – تشكل وتحل – دون الخضوع لأية قاعدة مستقرة، وكانت الأحزاب السياسية الحقيقية أو المزورة توضع في مستوى واحد، وكان المبرر الذي يلتجأ إليه

---

[76]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 43.

لتعليل فقدان المقاييس هو أن الجهود يجب أن تتضافر لمواجهة كبريات القضايا الوطنية، وأنه لم يحن بعد موعد الديمقراطية، في نفس الوقت وتحت شعار المصلحة الوطنية والوحدة المجسمة في شخص الملك؛ ظلت قوى رجعية بتأييد مشبوه من الداخل والخارج تماطل في تحقيق الإصلاحات الجذرية التي تهدد ما تتمتع به من امتيازات"[77].

برزت كثير من الاختلافات في وجهات النظر على طول الطريق، بين أهداف بن بركة ورفاقه وأهداف القصر وحلفاءه، ممن يسميهم الراديكاليون بالإقطاع والرجعية، فبن بركة كان يشدد على قطيعة كلية مع كل النظم القديمة ورموز مرحلة الحماية، وكان يسعى لتجريد البرجوازية من أسباب قوتها[78]، وهو ما يسميه بالثورة الاجتماعية، القصر في هذه الأثناء لم يكن يريد أن يقطع العلاقة مع الوجهاء الريفيون والتسليم برغبة بن بركة بتجريد المتعاونين من أملاكهم وأراضيهم المتحصل عليها إبان الحقبة الاستعمارية، المهدي ورفاقه كانوا يعولون على الجهاز التنفيذي (الحكومة) أو على جيش التحرير لكن كلا الوسيلتين حرمهما القصر منهما[79].

في سعي واضح لتحجيم حزب الاستقلال أعطى القصر لمناوئي الحزب الضوء الأخضر للتحرك على الساحة السياسية، فقامت شخصيات تقليدية معادية له بتشكيل حزب سياسي معارض[80] في ديسمبر 1957 هو "الحركة الشعبية" بقيادة المحجوب أحرضان[81] أحد قادة جيش التحرير، وهو الأمر الذي رأى فيه بن بركة ورفاقه خطرا يتربص بالحزب، وكتبت صحافتهم يوم: 07 ديسمبر 1957 "الحرية للشعب وليس لأعدائه" وبدأ الهجوم المضاد من حزب الاستقلال عن طريق الضغط على الحكومة، فتم منع اجتماع لقاء حزب الحركة الشعبية في الرباط وتمت تنحية المحجوب

---

[77] – نفسه، ص: 48.

[78]– المهدي اقترح ظهيرا يسوي القضية ويحرم الخونة من حقوقهم السياسية قبل خوض أول انتخابات، والتي كانت مقررة في 1957. DAOUD – MONDJIB, op-cit , p,p :179,180.

[79] – Ibid, p :180.

[80] – Claude PALAZZOLI, **Maroc Poltique**,Sindibad,Paris,1974, p,p: 172, 173.

[81] – المحجوب أحرضان: قايد وإقطاعي أمازيغي مغربي في عهد الحماية وضابط قديم في الجيش الفرنسي، كان أحد قادة جيش التحرير المغربي، كانت له علاقات وثيقة بالعائلة الملكية، أسس الحركة الشعبية، شغل منصب وزير الدفاع سنة 1961، متزوج من فرنسية، كان يعادي طروحات حزب الاستقلال .HERAULT, op-cit, p :154.

أحرضان من مناصبه من قبل إدريس المحمدي، فرد الأخير بمهاجمة الاستقلال وسياسة الحزب الواحد، الرامية إلى احتكار النضال وغلق الأبواب في وجه الآخرين وكتبت صحيفته "لم نحصل على الاستقلال لنضيع الحرية"[82].

رأى حزب الاستقلال وفي قلبه بن بركة في ما يحدث مناورات من القصر باستخدام الوجهاء الريفيون، وخاصة من ذويي الماضي الشائن لعرقلة وضرب الحزب[83]، ولم تكن تلك سوى أحزاب كرتونية مصطنعة"، لقد بذلت العناصر الرجعية الحليفة للاستعمار، خلال تلك السنوات الأربع من (التجميد) جهودا مستمرة لتفتيت هذه القوة الشعبية المحركة، سواء بإثارة ازدياد مصطنع لعدد الأحزاب السياسية، ولما يسمى بجمعيات المقاومين أو النقابات، أو بإثارة حركات انفصالية بوحي طائفي"[84].

كانت الأزمة واضحة مع نهاية سنة 1957 وبداية 1958، فحزب الاستقلال لم يعد قابلا بوضعه في الحكومة، ولم يستوعب مساندة رئيسيها للحركة الشعبية، بالنسبة للمهدي بن بركة هذه ليست سوى عودة للنظام القديم، "فالحكومة تحوي وزراء من دون صلاحيات حقيقية"، والعديد من الأشخاص رفّعوا مباشرة لشغل مناصب سياسية، من دون الحديث عن الدور الكبير للضباط والعسكريين الذين كانوا في خدمة الملك وولي العهد، ومن هؤلاء السيد أحمد رضا قديرة، الذي كان مقربا من ولي العهد ويشغل وزيرا في الحكومة، وهو العدو اللدود لحزب الاستقلال، وهو الأمر الذي دفع المهدي لشن هجوم عليه من خلال صحيفة الاستقلال تحت عنوان "سيد قديرة ماذا تفعل أنت في الحكومة"، كما شن حزب الاستقلال أيضا هجوما ومارس ضغوطا لكي يستبعد الوزراء الذين ساندوا قيام الحركة الشعبية وأظهروا عداء صريحا له[85].

---

[82] - Ibid, p,p :151,152.

[83] - MOURAD, op-cit,p :64.

[84]- المهدي بن بركة ، تقرير المقدم لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي، 15نوفمبر،1960، وثيقة مطبوعة، القسم الثاني، كتاب الاختيار الثوري ، دار الطليعة ،بيروت، 1966، ص: 79.

[85] - DAOUD –MONDJIB, op-cit , p ,p:187,188.

اندلعت أزمة أخرى في قلب الحكومة يوم 14 أبريل 1958، فقد استقبل خصوم حزب الاستقلال "الخطيب ومحجوب أحرضان من الحركة الشعبية ورشيد مولين من المستقلين الأحرار والوزاني وبوطالب من حزب الشورى والاستقلال ومكي الناصري من حزب الوحدة" من قبل البكاي رئيس الحكومة، وقدموا له شكوى ضد منع تشكل الأحزاب، وأبدوا له اعتراضهم على إجراء الانتخابات في مثل هذه الظروف، وأنها لن تكون ذات مصداقية، وبادلهم البكاي التضامن معتمدا على دعم ولي العهد، ولم يتأخر رد وزراء حزب الاستقلال وقدموا استقالتهم إلى محمد الخامس وطالبوا بتغييرات في بنية الحكومة[86].

كانت الوضعية متداخلة وغير واضحة في المحافظات، حزب الاستقلال يحوز على نفوذ وقوة ويملك الوسائل ومسؤولي الدولة عاجزين أمامه، ومركزيا كان محروما من القرار، ولم يكن الحزب ليقف مكتوف اليدين وهو يرى في نفسه القوة السياسية الأولى ومستبعدا ومقصى من مقاليد الحكم، فكان لزاما أن يسعى للحصول على سلطات حقيقية وصلاحيات كاملة، وبدأ الحزب يطرح هذا المشكل في كل لقاءات مجلس الوزراء ولقاءاته مع الملك ومن خلال الصحافة[87].

احتج حزب الاستقلال في رسالة باسم عمر بن عبد الجليل إلى الملك محمد الخامس على اتصال رئيس الحكومة البكاي مع بعض الموظفين الساميين من أجل القيام بنشاط سري ضد الحكومة نفسها، فلجأ الملك إلى حل الحكومة يوم 17 أبريل 1958، وشرع في استشارات من أجل تشكيل حكومة جديدة، فاستقبل المهدي بن بركة في هذا السياق، والذي أكد له أن الفترة الانتقالية قد طالت ويجب أن يتمتع المغرب بحكومة قوية ومتضامنة، وباختصار يجب أن تكون الحكومة من حزب الاستقلال ورئيسها منه، والمهدي بن بركة حدد أكثر المغرب في حاجة لحكومة متجانسة قادرة على تحقيق أهداف دقيقة، وأن تظهر إرادة قوية لكي تنجز الأهداف الوطنية التالية: "مغادرة القوات

---

[86] -Ibid, p :193.

[87]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 44.

الأجنبية، تحرير بقية الأقاليم، تحقيق وحدة المغرب العربي، بناء ديمقراطية سلمية"، وبالنسبة للجنة السياسية بالحزب ذات الغالبية الموالية لبن بركة المهم أن تكون الحكومة تحوز السلطة الكاملة [88].

نصب الملك محمد الخامس يوم 12 مايو 1958 حكومة جديدة برئاسة أحمد بلافريج، أمين عام حزب الاستقلال ومعه اثنا عشر (12) وزيرا استقلاليا، وأضحى حزب الاستقلال يسيطر على مركز القرار ويحوز وحده الحكومة، بالنسبة للمهدي بن بركة ما حدث لم يكن يلبي تطلعاته ورفاقه، وكانت خيبة كبيرة، فالتجانس الموجود ليس إلا ظاهريا والمستفيد الأول هو القصر، الذي ظهر كمحترم للإرادة الشعبية ولقواعد اللعبة السياسية، وفي الحقيقة كان يريد تغذية الانقسام داخل حزب الاستقلال، فقد كان يدرك وخاصة ولي العهد الحسن وجود انقسام وتباين داخل الحزب ومعارضة لخط بن بركة يقودها بلافريج والحرس القديم، فيجب اللعب على هذا المحور، فجاءت الحكومة في غالبيتها (11وزيرا من 12) من الجناح اليميني، ولم يكن إلا بوعبيد ممثلا للجناح الراديكالي اليساري[89].

ليس هذا لبن بركة ورفاقه إلا سيرا على نفس الخط، فليس هؤلاء بالذين يمثلون إرادة الشعب وتطلعاته، فكانت هذه البداية الحقيقية للانقسام داخل حزب الاستقلال، وكل ما سيصدر لاحقا من الحكومة ليس إلا رضوخا لإرادة القصر وانزلاق في طريق المساومات الانتهازية [90]، لقد نجح القصر في ترسيخ الصراع بين أجنحة حزب الاستقلال وجعله واقعا وحقيقة وسرعان ما سيخرج إلى السطح، وبدا الزعماء النقابيون أكثر تطرفا في معاداة حكومة اليمين الاستقلالي وشرعوا في تحركات معادية للحزب وموجة من الإضرابات[91].

بدأ رفاق المهدي الهجوم من خلال مقال لعبد الله إبراهيم في صحيفة الاستقلال، هاجم فيه اليمين المتراخي أمام القضايا المصيرية، وبدأت نهاية الوحدة الهشة داخل الحزب وتعثر الثورة السياسية، وبعد بضعة أسابيع أعلنت المركزية النقابية عن بداية موجة إضرابات في العاصمة، ولأول مرة

---

[88] - DAOUD –MONDJIB, op-cit, p,p: 194, 195./ PALAZZOLI, op- cit p :443.

[89] - Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p : 149.

[90]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 45.

[91] - PALAZZOLI, op- cit p :443.

يتم استنكار نشاطات نقابية من قبل نفس الحزب الذي تتبعه، وترأس عبد الله إبراهيم ومحجوب بن الصديق تجمعات حاشدة تعرضت للحكومة واشتبكت مع الشرطة، وقد تجاوزت الأحداث المهدي خلال هذه الفترة رغم كونه مقربا من النقابيين إلا أنه لم يجاهر بالعداء لحكومة بلافريج، فقد كان يرغب في احترام القوانين والنظم وانتظار المؤتمر القادم، فهو لا يزال يعلي و يقدس وحدة الحزب[92]، ودخل في شبه عزلة مؤقتة في لجة الصراع بين اليسار النقابي والحكومة اليمينية، وتزامن هذا مع قيام الحزب بإزاحته من رئاسة تحرير جريدة الاستقلال الأسبوعية وتعويضه بليزيدي[93].

❖ تمرد الريف والأطلس:

دفع القصر ووالي العهد – اللذان لم يكونا بعيدين عن الأحداث السياسية وكرسا الانقسام الداخلي لحزب الاستقلال- لتأزيم الوضع في مواجهة حكومة الاستقلال، فلا يجب أن ينجح الاستقلال حيث فشل الآخرون[94]، فقد تحولت عملية دفن زعماء من المجموعات المسلحة يوم 03 أكتوبر 1958 بأجدير بحضور حوالي خمسة آلاف جبلي، إلى مظاهرة ضد حزب الاستقلال، فقامت الحكومة باعتقال قياديين من الحركة الشعبية، فرد مناضلوها بحمل السلاح وإعلان التمرد بقيادة العقيد بن الميلود صديق أحرضان[95].

كان القصر وراء تفجر الأحداث تماما مثل تمرد عدي أوبيهي، فقد جرت اتصالات محذرة من خطر حزب الاستقلال على الملاك التقليديين وعلى العرش العلوي، لكن كنفس الحركة السابقة هذا التمرد خرج عن السيطرة، حيث استغل كثير من المتضررين من الأحوال الاقتصادية والناقمين على حزب الاستقلال مثل قبيلة أورياغل الظرف لتصفية حسابهم مع الحكومة والحزب، ورغم اندلاع التمرد في عهد حكومة بلافريج لكنه امتد وكانت نهايته في عهد حكومة اليسار بقيادة عبد الله إبراهيم[96].

---

[92] – الجابري، مرجع سابق، ص: 27.

[93] - DAOUD – MONDJIB, op-cit , p ,p:200, 202.

[94] - Abedelkader BEN BARAKA , op-cit, p :148.

[95] - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit, p :46.

[96] - MOURAD, op-cit, p-p :66-69.

واجه حزب الاستقلال عداوة الشعب في الريف والأطلس الأوسط ولم تكن له الوسائل للمجابهة، خاصة أنه لم يكن يسيطر على أي جهاز أمني أو عسكري، وتولت عملية التهدئة القوات المسلحة الملكية، في مواجهة الريفيين سيئو التسليح الذين قمعوا بوحشية وأحرقت بيوتهم، لقد احتاج الحسن الثاني وقياداته "المذبوح وأوفقير" بضعة أسابيع للقضاء على التمرد، وانتهت بلجوء كثير من زعماء الحركة إلى مليلية الإسبانية.

وخرج حزب الاستقلال كأكبر خاسر من هذه الأحداث نتيجة التبعات السياسية التي جعلته ممقوتا، فباسم حكومته وفي عهده قمع هذا الاحتجاج، ونتيجة ما حدث ترسخت وتعززت مكانة القوات المسلحة الملكية كضامن للاستقرار والوحدة[97]، وعن هذه الأحداث المهدي بن بركة كتب لاحقا: "وبذلك قويت شوكة العناصر الإقطاعية حتى بلغ الأمر في أواخر سنة 1958 أن نظمت في جبال الريف شمال المغرب ثورة مصطنعة بتواطؤ مع عناصر من القيادة العامة للقوات المسلحة"[98].

ب – القطيعة بين المهدي بن بركة و الأمير الحسن:

انعقد في يوم 25 جويلية 1958 مؤتمر الطلبة المغاربة (UNEM) الثالث بمدينة تطوان، فكان المهدي من أبرز الوجوه الحاضرة، حيث استقبل بحفاوة بالغة وألقى كلمة وعقد جلسات عمل مع المسيرين والمنظمين وقدم محاضرته المشهورة "نحو بناء مجتمع جديد"، فالمهدي ظل دوما طالبا ومقربا من الطلبة، فهم كانوا أكثر طبقات المجتمع تقدمية وقربا من أفكاره[99].

تعمد طلبة الاتحاد الوطني المغربي تجاهل ولي العهد رغم كونه رمز جيل الشباب في تلك الفترة، ورأى فيها هو رسالة من بن بركة، وزاد من توتير الوضع القرارات التي انتهى إليها الطلبة وخرجوا بها كتوصيات، أهمها الدعوة لانتخاب جمعية تأسيسية تخرج بدستور ديمقراطي، هذه القرارات بالنسبة للكثيرين ليست سوى ترجمة لأفكار بن بركة، والذي رغم مغادرته للمؤتمر قبل نهاية الأشغال لارتباطه

---

[97] -Ibid, p-p: 66-69.

[98] – المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص: 48.

[99] – Abedelkader BEN BARKA, op-cit, p –p :151-156./ DAOUD – MONDJIB, op-cit , p ,p:189, 190.

بأمور أخرى، فإن البيان الختامي جاء في صورة جد راديكالية أزعجت القصر، مما دفع بالشرطة لتطويق مكان المؤتمر وحدوث احتكاكات، وأشار عبد القادر بن بركة إلى أن المهدي أوقف من قبل الشرطة قبل مغادرة تطوان ثم ترك ليذهب ومن هذا التاريخ وهو محطوط تحت الرقابة [100]، لكنه بقي دائما في صف الطلبة وأنشطتهم، فقد وقف معهم حين احتج الاتحاد الوطني في الرباط بداية سنة 1958 دعما لنظيره في الجزائر الذي أقدمت السلطات الفرنسية على حله[101]،

استقبل محمد الخامس الطلاب بعد نهاية المؤتمر ورغم صدمته من قراراتهم إلا أنه لم يكن يبدي أي شعور اتجاههم بل خاطبهم قائلا: "إن توقف الأمر عليا سأنسحب، أنتم لا زلتم شباب ولا أرجو شيئا من الله إلا أن يباركم"، لكن ولي العهد الأمير الحسن صرح: "لو تعلق الأمر بي كنت طرحتكم في السجن جميعا، لا يمكن مواصلة إتباع هؤلاء الذئاب السياسية أنتم عديمو التجربة أنتم لا تعرفونهم أنا أعرفهم"[102].

حدث شيء في هذا الظرف أقلق ولي العهد وزاد مخاوفه وشكوكه تفاقما، فقد قام ضباط عراقيون يوم 14 جويلية 1958 بالانقلاب على النظام الملكي بالعراق وتصفية العائلة المالكة، فخاطب المهدي بن بركة بالمناسبة الطلبة: "مؤتمركم انعقد تحت تأثير الثورات العربية في العراق ولبنان والجزائر"[103]، لكن الأمير الحسن عندما استقبل الطلبة حاول إقناعهم بإدانة ما حصل في العراق وأن ذلك يصدم النظام الملكي في المغرب، كان ولي العهد قلقا جدا، هذه الصيرورة الطبيعية التي سينتهي عليها تطور الحراك السياسي الوطني في المغرب مع هذا الجو الخارجي في مصر وسوريا والعراق المعادي للملكية، هذا الأمر يجعله يستعجل الوصول إلى السلطة والقبض أكثر على مقاليد الأمور، فالبعض يتحدث عن كون محمد الخامس آخر ملك المغرب[104].

---

[100] - Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p –p :151-156.

[101] - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p :190.

[102] - Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p, p :154,155.

[103] - DAOUD – MONDJIB, op-cit ,p-p :190-192.

[104] – Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p :159.

لا يمكن بأي حال بالنسبة للمهدي بن بركة المقارنة بين محمد الخامس الوطني الذي ناضل من أجل الحرية واسترجاع السيادة وتعرض للنفي والغبن من قبل الاستعمار، عدو فرنسا وناصر الفقراء، بملك العراق عميل الامبريالية، لكن هل يمكن إقناع جميع محيط محمد الخامس بهذا؟ وهل يمكن التفريق بين الملك وابنه؟ والمهدي بن بركة لم يستطيع تغيير صورته والانطباع عنه، فبقي لدى أنصار الملكية كمناهض وعدو[105].

رسخ مؤتمر الطلبة وأحاديث بن بركة ومواقفه التي شهدتها أجهزة الأمن ووثقتها مقررات المؤتمر، القطيعة بينه وتياره وبين ولي العهد الأمير الحسن، بالإضافة لكل الخلافات السابقة بينهما سياسيا وعسكريا، في ظل ما كان يقدمه ويصوره لولي العهد محيطه المعادي تماما لفريق بن بركة من نصائح ومعلومات، خاصة إذا علمنا أن ديوان الحسن كان يعج بكثير من الخبراء والمستشارين والموظفين الفرنسيين والأمريكيين[106].

ج – اليسار يستلم الحكم في المغرب:

فاقمت الأحداث الداخلية في حزب الاستقلال بين جناحيه وضع حكومة بلا فريج، فمنذ تشكيل هذه الحكومة المتجانسة التي كان يعول عليها حزب الاستقلال لتحقيق الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لم تتوقف الحملات عليها، من قبل الجناح اليساري وامتداداته النقابية، وحيث القوة الميدانية كانت لبن بركة ورفاقه لم يحظى بلافريج بالرغم من اسم حزب الاستقلال بالنجاح فلازالت القوى التقليدية والوجهاء وكبار الملاك تعادي حزب الاستقلال مبدئيا، وحيث لم يستفد من قوة الحزب وقواعده والتي لم تكن ترى في الجناح اليميني التقليدي البرجوازي إلا امتدادا للبرجوازية التقليدية المعادية للتغيير، فإن بلا فريج بات معزولا، ولم يستطع محمد الخامس بالرغم من ولاء بلافريج للملكية واعتداله أن يحميه ويمنع سقوط الحكومة فهو لن يبقى متفرجا على حالة الانسداد[107].

---

(105) - DAOUD – MONDJIB, op-cit ,p :192.

(106) - Roger MURATER, **on a tue Ben barka**, plon, paris,1967, p,p:105,106.

(107) - Abdallah LAROUI, **Le Maroc et Hassan II un témoignage**, les presse inter universitaire, québec,centre cultturel arabe, casablanca,2005,p :5.

واصل بن بركه وجناحه التشدد ضد الحكومة، وأمام الآلاف بالدار البيضاء لوح الأخير بتحويل حزب الاستقلال إلى المعارضة، وفي 21 نوفمبر 1958 وجه عبد الرحيم بوعبيد الضربة القاضية للحكومة بإعلان الاستقالة، ووضح الأسباب في رسالة بعث بها إلى بلافريج، وتضامنا مع بوعبيد قامت عشرات مكاتب المقاومة بتنظيم حملات ضد اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وأصدرت المركزية النقابية عددا خاصا من جريدتها الطليعة ضد بلا فريج، هذا الأخير لم ينتظر طويلا وقدم استقالته للملك [108]، فتقدم علال الفاسي باقتراح تشكيل حكومة وحدة وطنية، ويشير البعض إلى قبول بن بركة بذلك حيث كان المقترح أن يمسك عبد الله إبراهيم وزارة الداخلية، بلا فريج الخارجية وبوعبيد الاقتصاد[109].

لم يكن الملك محمد الخامس يريد تعفين الوضع أكثر، فعلاوة على المشاكل الأمنية والتمرد المتصاعد في الريف واصل النقابيون إضراباتهم وتواصل توقف السفن عن إفراغ شحناتها في الميناء، خاصة تلك التي تحمل السلاح للقوات الفرنسية، في هذا الوضع محمد الخامس أراد شيئا من التهدئة مع الجناح اليساري والنقابات، بالإضافة أن حكومة الوحدة الوطنية الائتلافية أثبتت فشلها، فتوجه نحو التيار الراديكالي في حزب الاستقلال، لكن كثيرون يؤكدون أن التوجه كان لشخص عبد الله إبراهيم، والتكليف كان بسبب العلاقة التي بينه وبين محمد الخامس وليس للحزب أو للتيار[110].

أمضى الملك محمد الخامس يوم 24 ديسمبر1958 ظهير تسمية عبد الله إبراهيم، فجمع رئاسة الحكومة ووزارة الخارجية، كما حصل عبد الرحيم بوعبيد على وزارة المالية والاقتصاد كثاني أهم شخصية في الحكومة وإدريس المحمدي على الداخلية، ولم يشارك أي عضو محافظ من حزب الاستقلال، وكان هناك مقترح بأن يكون بن بركة المفوض السامي للتخطيط لكن مساعي لدي محمد الخامس حذرته من خطورته ومن عداوته للملكية فرفض تسميته وإمضاء الظهير الخاص به.

لم تكن الطريق سالكة أمام حكومة عبد الله إبراهيم التي تسلمت المقاليد، حيث الأزمة الاقتصادية في تفاقم نتيجة تخفيض قيمة الفرنك من قبل الحكومة الفرنسية بحوالي 20%، وحيث

---

[108] - BOUAZIZ, op-cit , p :104.

[109] - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p :209.

[110] - باهي، **مغرب الحسن الثاني**،ج1، جريدة الشعب ، عدد:266، 17 أكتوبر 1963، ص: 08.

بدأت التنظيمات المهنية الموالية للقيادة التقليدية في الحزب مثل الاتحاد المغربي للتجار والصناعيين والحرفيين(UMCIA) والاتحاد المغربي للفلاحين (UMA) بشن حملة مضادة على سياسة الحكومة وإجراءاتها التقشفية، الأمر الذي دفع المهدي لبذل كل جهوده من على رأس الجمعية الاستشارية لتوفير الدعم لها، فعقد جلسات عديدة للجمعية وفتح الباب أمام بوعبيد ليشرح سياسته المالية والاقتصادية[111].

وقف حلفاء القصر من الليبراليين والوجهاء والملاك التقليديون بكل قوة في وجه أي إصلاح أو تغيير[112]، وبخصوص هذه المرحلة كتب المهدي لاحقا: " لأن رأس المال الليبرالي هذا لا يستطيع أن يستمر في موقفه المسالم إذا ما اتجهت السياسة الاقتصادية إلى اتخاذ تدابير تحريرية جذرية كالتي أخذ يعد مشاريعها إخواننا وهم مشاركون في الحكم سنة 1959، فإنهم بمجرد ما أنشأوا المؤسسات المؤدية لهذا التحرر واستصدروا قوانين الرقابة على رؤوس الأموال إلى الخارج ووضعوا اللمسة الأخيرة في خطة خمس سنوات، التي تتضمن بعض الاختيارات الصريحة ضد الاستعمار، فقط اعتبرتهم تلك الأوساط الليبرالية وكأنهم نصبوا أجهزة الحرب ضد مصالح الرأسمالية والاستعمار الجديد"[113].

وبالموازاة مع عمل الحكومة كانت هناك حكومة صغيرة تجتمع في السر مكونة من المهدي بن بركة، عبد الله إبراهيم، عبد الرحيم بوعبيد، محمد البصري، عبد الرحمن اليوسفي، والمحجوب بن الصديق وبعض الشباب مثل محمد طاهري والقانونيين مثل محمد الحبابي، حيث كانت كل الملفات تدرس بعناية وتتم عملية التحضير وتوجيه الحكومة [114].

كانت هناك ملفات عديدة مهمة ومستعجلة يجب البدء بها والفصل فيها: استعادة الأراضي الفلاحية من المعمرين والخونة، والسير في مشروع الإصلاح الزراعي الذي برع في التحضير والتنظير له المهدي بن بركة، وفي هذه القضية التي استمات المهدي في المطالبة بها، بذل عبد الرحيم

---

[111] – AL-Istiqlal , n° :37,07 décembre 1956, p,p :6,7./. عواد شهادة شفهية، مصدر سابق.

[112] – les phares, n° :04, 1959, p :01.

[113]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 57.

[114] – Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p :163.

بوعبيد والحكومة الكثير من الجهود من أجل تحقيقها، فصدر في أفريل 1959 بالجريدة الرسمية قرارا بذلك وشرع في توزيع الأراضي على الفلاحين[115].

كما أعتبرت قضية تأسيس بنك وطني مركزي لإصدار العملة ومراقبة الصرف أيضا وجها من وجوه استرجاع السيادة، فاجتهد المهدي ورفاقه وخاصة بوعبيد كثيرا في بحثها والعمل من أجل إنفاذها، وفي الفاتح جويلية 1959 تحقق ذلك في عهد وزارة اليسار وبجهود بوعبيد وزير المالية والاقتصاد، الذي أعتبرها في كلمة له بالمناسبة في حضرة محمد الخامس والحشود التي حضرت تدشين البنك: "استرجاعا لثروة وهيبة المغرب" وعبّر عن فرحة عارمة بالمناسبة، وكانت حقيقة إحدى أهم نجاحات اليسار ومجموعة بن بركة[116]، ومحمد الخامس نفسه وفي خطاب سابق له شهد بهذا وقيمته كإنجاز فصرح قائلا: "إن العملة هي عماد النهضة التي نعمل من أجلها"[117].

وقد عملت حكومة عبد الله إبراهيم بتوجيه من بن بركة وبوعبيد على تحضير مخطط خماسي للنهوض بالبنية التحتية في مجال التعليم والصحة والزراعة والصناعة والخدمات، والذي عرضه بوعبيد يوم 09 نوفمبر 1959 أمام المجلس الأعلى للتخطيط، وكان ذو محتوى ثوري وركز على الإصلاح الزراعي، وتأميم الثروات وتشديد الرقابة على تنقل الأموال وفرض إجراءات في صالح الطبقات الفقيرة[118].

جاهدت حكومة عبدالله إبراهيم لتحقيق بعض الانجازات، مثل تحقيق فائض في الميزان التجاري لأول مرة في تاريخ المغرب المستقل[119]، وافتتاح العديد من المشاريع التحتية التي تحولت بموجبها البلاد إلى ورشة ضخمة، وأخذت ترسى خطوات أولى في كافة المجالات كالجمرك والضرائب والصناعة والزراعة[120]، "فكم تحمل أخونا بوعبيد من متاعب ليوجد للمغرب بنك إصدار عملته، ولكي لا تبقى هذه العملة تابعة للعملة الأجنبية وكم تكبد من مشاق لإيقاف نزيف رأس المال

---

(115)- التحرير، عدد: 60 ، 21 ماي 1959، ص: 01 .

(116)- التحرير، عدد: 62، 23 ماي 1959. ص، 1 ./ عدد: 95، 01 جويلية 1959، ص، ص:1، 2.

(117)- التحرير، عدد: 40، 28 أفريل 1959 ، ص: 1.

(118)- التحرير، عدد: 210، 11 نوفمبر 1959 ، ص: 2.

(119)- التحرير، عدد: 128، 08 أوت 1959، ص: 01.

(120) - AL-Istiqlal , n°:68 ,06 juillet 1957, p : 05.

الوطني ولم تتحقق جميع تلك المشاريع إلا بفضل الصبر والمثابرة طيلة أربع سنوات"، ورغم ذلك كانت هناك حركة معادية تحاول إفشالها يقودها ولي العهد ومجموعة مسؤولين نافذين في شكل حكومة ظل تحوز من الصلاحيات أكثر مما تحوزه الحكومة الحقيقية وبيدها الجيش والشرطة [121].

إنها المشكلة التي طالما نادى بحلها المهدي "جوهر السلطة والصلاحيات الكاملة"، وليست الوجود الشكلي: " ، ، قمنا منذ البداية ونحن لا نزال في حزب الاستقلال بالدفاع عن مبدأ أساسي يضمن لكل حكومة تستحق هذا الاسم أن تباشر السلطة التنفيذية المخولة لها، ذلك المبدأ الذي بدون احترامه تكون الحكومة اسما بلا مسمى، وهو أن تكون بيد الحكومة سائر وسائل السلطة "، بن بركة وعبد الله إبراهيم ورفاقهما وجدوا أنفسهم في مواجهة نفس المعضلة التي جعلت من سعيهم للإصلاح يذهب مهب الريح، "من الوزارتين الائتلافيتين، الأولى والثانية، إلى حكومة بلافريج وعبد الله إبراهيم، ولم نقل قط للشعب أننا كنا فاقدين لوسائل تنفيذ برامجنا، ، ،كنا فاقدين لجوهر السلطة هذه هي الحقيقة " [122].

[121] – المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص: 44.

[122] – نفسه، ص: 44.

المبحث الرابع: أزمة حزب الاستقلال وميلاد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

لا يعدو حزب الاستقلال الذي قاد نضال استرجاع السيادة بالنسبة لكثيرين أن يكون تجمعا سياسيا أكثر منه حزب ذو اتجاه سياسي وإيديولوجي موحد[123]، فقد غطت مواجهة المستعمر على كثير من الخلافات وأجلت طرح كثير من القضايا الحساسة حول طرق التسيير والتوجه العام للبلاد وجعلت أعضاءه رغم التباين الإيديولوجي يتعايشون، لكن مجيء الاستقلال والدخول في ميدان العمل المباشر واحتكاك الأفكار والصراع من أجل فرض السيطرة والنفوذ جعل كل طرف يعود لخلفيته الأصلية ويناضل من أجل نصرتها وهو الأمر الذي كان إن عاجلا أو آجلا سيؤدي إلى حدوث تنازع وانفراط عقد الوحدة .

"لقد كنا مخطئين، ففي اليوم التالي للاستقلال قمنا بالسير للوراء، حاولنا إعادة تأسيس الحزب كلية، واثقين في إرادة التحول لكن القيادة التقليدية المنصبة نست سريعا الحقائق التي يعيشها الحزب والقوى الحية، الرجال الجدد القادمين من المقاومة، هذا العناد للأسف أدى بالحزب إلى تحمل بعض أخطاء قياداته خاصة حين كان يتولى مسؤوليات حكومية، فهكذا نحن ندين فشل هذه القيادة، فيوم 25 جانفي 1959 كتلة حزب الاستقلال قررت تجسيد حقيقة الحركة التحررية والتخلص من أساطير الماضي"[124].

أ- جذور الخلاف داخل حزب الاستقلال:

سيقف المتتبع لتاريخ الحركة الوطنية المغربية حتما عند خصائص بدايتها وبدايات حزب الاستقلال، فعلى عكس نظيرتها الجزائرية مثلا، وحيث حزب الشعب هو حزب العمال والفقراء البسطاء فإن حزب الاستقلال هو حزب النخبة البرجوازية في فاس وسلا والرباط، التي توفر لها التعليم والتثقف من أبناء الأسر الميسورة، وضل هذا طبع المجموعة المتحكمة في الحزب، وقد حدثت متغيرات مع سنوات الأربعينات نتيجة مجموعة أسباب نذكر منها: - بداية وصول التعليم لبعض الأسر الفقيرة حيث أضحى هناك متعلمون من الطبقات المتوسطة والفقيرة انخرطوا في العمل السياسي - نزوح

---

(123) - HERAULT, op-ci, P :163.

(124) - Mehdi BEN BARKA , **problemes d'edification du Maroc et du Maghreb**, op-cit, p,p :28,29.

أرباب العمل والصناعة والتجار الفرنسيون إلى المغرب نتيجة الحرب العالمية الثانية، فنشأت مصانع ومعامل خاصة بالدار البيضاء مما جعلها تتحول بسرعة كبيرة إلى بؤرة سكانية عملاقة جذبت مئات الآلاف من الفلاحين والقرويين النازحين من الريف تحت ظروف شتى، مما ولد أحياء كثيرة من الصفيح والبيوت القصديرية والضواحي العشوائية التي تعج بآلاف السكان.

نتيجة هذين العاملين وبسبب موجة الحراك السياسي الوطني المتصاعدة أثناء الحرب العالمية الثانية وبداية تشكل حس وطني حقيقي التحق الآلاف من هؤلاء بحزب الاستقلال بوصفه رائد الحركة الوطنية الاستقلالية، هذا الأمر أنشأ داخل الحزب تيار ثاني متمايز عن التيار التقليدي المؤسس، كانت قمته مجموعة المثقفين والمتعلمين من أبناء الطبقة الفقيرة مثل بن بركة واليوسفي وبوعبيد وقاعدته آلاف العمال والحرفيين والطلبة، هذا التطور خلق تيارين متوازين داخل الحزب مختلفين في وجهات النظر حول طبيعة وسائل النضال وسرعان ما سوف يطرح إشكالا كبيرا، فالبرجوازية التقليدية تصر على حصر النضال في الطرق السلمية وتفضل أسلوب الحوار والمهادنة مع المستعمر متأثرة في هذا الطرح بخصائصها الاجتماعية وخشيتها على مصالحها وممتلكاتها عكس الفريق الثاني[125].

كانت أولى بوادر الخلاف عندما قدم اليوسفي من الدار البيضاء إلى الرباط يوم 08 أبريل 1947 يحمل معه صورا موثقة لعشرات القتلى الذين سقطوا برصاص الجيش الفرنسي[126]، من أجل إعلام القادة لاتخاذ موقف مناسب، ففوجئ باليزيدي يخبره أن الأولوية هي لزيارة الملك إلى طنجة ولا يجب التشويش عليها، من هذه اللحظة بات واضحا أن القيادة البرجوازية غير المحتكة بالطبقات الشعبية بعيدة عن واقع الأحداث، وبقيت من يومها مشاكل الدار البيضاء تدار بين الثلاثي بن بركة، اليوسفي وبوعبيد.

جاءت سنوات اعتقال المهدي في قصر السوق وانغماسه في القراءة، لتجعله يعيد كثير من الحسابات ويتبن الأمور على وجه آخر بعيدا عن العاطفة الغامرة، لقد ظهر له بعد نقاشات عديدة

---

[125] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 38.

[126] – JULIEN , op-cit, P :199.

مع شيوخ حزب الاستقلال في "أغبالو نكردوس" عن وجود تباين في الرؤى حول الوسائل المرجوة لتحقيق الاستقلال[127]، خاصة مع تلك العمليات المتسارعة من العنف ضد الوجود الاستعماري والتي كان الأفراد البسطاء من الدار البيضاء والمناطق المحرومة يضحون فيها بدماءهم في سبيل تحقيق الاستقلال وعودة الملك في حين كان وجهاء الحزب ينكرون ما يحدث[128].

زادت الهوة بين الفريقين بعد الخروج من المعتقل، ففي حين نأى التيار التقليدي وشيوخ الحزب عن الكفاح المسلح والمقاومة؛ ارتمى بن بركة وفريقه بكل ثقلهم وسط الأحداث والمواجهة واقتربوا أكثر من المقاومة وجيش التحرير وتبنوا طروحاتهم[129]، وخلال هذا الوقت انتقل ثقل الحزب ليصبح التأثير الكبير لبن بركة وبوعبيد والبصري في قراراته وسيره، وفي الأخير كان لتضحيات المقاومة وجيش التحرير والعمل النقابي الفضل في مستقبل المغرب، حيث استجابت فرنسا وعاد الملك واستقل المغرب، هذا الأمر سيجعل بن بركة ورفاقه يرون في أنفسهم الأحق في تمثيل مغرب المستقبل[130].

كان أمل بن بركة ورفاقه غداة الاستقلال كبيرا في تطبيق أفكارهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبعد مرور السنوات الأولى والجناح التقدمي في حزب الاستقلال بعيد عن دفة الحكم، أصيب أعضاءه بالخيبة، وفي جويلية 1958 أعلن المهدي بن بركة بتطوان أن المغرب لم يستفد حتى اللحظة من حكومة شعبية مخلصة تلقى احترام الشعب المغربي لنزاهتها وكفاءتها، لقد حدد أن المغرب بحاجة لأداة توقظ الشعب المغربي والطبقات الشعبية كي تصنع مجتمعا جديدا ، مضيفا: "هذه الأداة هي حزب الاستقلال إذا حدث تجديد في أسلوبه وبرامجه"[131].

برزت الخلافات حول قضايا جوهرية بين الفريقين: "مغادرة الفرق الأجنبية تحرير بقية الأقاليم، تحقيق وحدة المغرب العربي، بناء ديمقراطية سياسية واقتصادية واجتماعية، إجراء إصلاحات هيكلية وجذرية خاصة اقتصاديا مثل استرجاع الأراضي وتوزيعها على الفلاحين البسطاء، نزع أملاك

---

[127] – Abedelkader BEN BARKA, op-cit, p :89.

[128] جبرو ، مرجع سابق ، ص: 211.

[129] - Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p, p : 90,91.

[130] - Mehdi BEN BARKA, **problème d'édification**, op-cit: p :28.

[131] – المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق، ص، ص: 95، 96.

الخونة"، بن بركة كان ظاهرا في ميوله الاشتراكية وهو ما أثار تخوف برجوازي الحزب، وفيما يخص الديمقراطية؛ أضحت مسألة الدستور باب خلاف جوهري بين المهدي والفاسي[132]، وكذلك قضية تحجيم سلطة ودور الملك والأجهزة الأمنية وأولويات الداخل والخارج، " وإننا نقول بكل صراحة لؤلئك الذين قد يفكرون في دعوتنا لما يسمونه وحدة وطنية، ليس هناك أي وحدة وطنية ممكنة حول نظام إقطاعي في أسلوبه وريعي في صميم روحه"[133].

ب- أزمة قيادة حزب الاستقلال 1958- 1959:

كانت الوحدة الهشة داخل حزب الاستقلال في ظل الخلافات العميقة بحاجة لفتيل ليشتعل الصراع، وكان ولي العهد مدركا لطبيعة الوضع والأزمة فضغط لتعيين الحكومة من الجناح المعتدل الموالي للملكية وهو ما حصل ودفع بالنزاع إلى السطح، فشن الجناح الراديكالي اليساري هجوما على الحكومة متهما إياها بالتخاذل واللاحسم في القضايا المصيرية والدخول في المؤامرات الخسيسة والمساومات الانتهازية[134]، ورد المحافظون بتنحية المهدي من رئاسة جريدة الاستقلال، ووصل الصراع لحد إيقاف عبد الله إبراهيم والتحقيق معه من قبل مصالح الأمن مما دفع المركزية النقابية لشن إضرابات بالجملة، عجلت بانفصال أنصار الفاسي منها وتأسيس نقابات مستقلة[135].

طالب المهدي بن بركة يوم 19 جوان 1958 بتنظيم مؤتمر استثنائي للحزب من أجل الخروج من المأزق، وحاولت بعض الشخصيات التوصل إلى تفاهم فتم لقاء بين الفاسي وعمر بن عبد الجليل وبلافريج والقادري من جهة وبوعبيد وعبد الله إبراهيم والبصري من جهة ثانية، واتفق على تنظيم مؤتمر يوم 11 جانفي 1959 وتقرر تشكيل لجنة تحضيرية مثل فيها الطرفان بالمساواة، ورغم هذا استمرت الحوادث بين الفريقين، ففي أوت 1958 اختطف أفراد من جيش التحرير الجنوبي الموالي

---

[132] -المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر السابق، ص: 49.

[133] - بيان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية رقم: 03، يوم: 17ماي 1963، وثيقة مطبوعة، ملحق الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص: 145.

[134] - المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر السابق، ص: 45.

[135] - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p,p :201, 202.

لبن بركة اثنا عشرة من أنصار الفاسي، فهدد وزير الدفاع بالتدخل باسم القوات الملكية لتحريرهم[136]، وشيئا فشيئا جنح التيار التقليدي نحو الملكية بينما ابتعد الراديكالون عنها.

وفي أكتوبر 1958 التقى بالرباط ممثلين عن الفريقين تحت رئاسة بلافريج من أجل البحث عن تسوية ومشاركة في الحكومة لكن تدخل أحرضان والخطيب أفشل المسعى، ثم جاءت استقالة بوعبيد من الحكومة يوم 21 نوفمبر 1958 وتضامن المقاومة والمكاتب الجهوية معه ضد اللجنة التنفيذية للحزب لتطيح بالحكومة وتزيد من تعميق الأزمة خاصة بعد رد المحافظين بتجميد اللجنة التحضيرية للمؤتمر[137].

حاول البعض الدفع بتشكيل حكومة استقلالية جامعة من جديد[138]، وفي هذه الفترة التقى علال الفاسي ببن بركة بالأمير الحسن بلفورنسا بدعوة من الحزب الديمقراطي المسيحي الذي كان عضوه جورجيو لابيرا (Georgio La Pira) رئيسا لبلديتها، فدعا للقاء حول مستقبل المتوسط، وجورجيو لابيرا هذا له بعض الإلمام بواقع السياسة المغربية فحاول التقريب بين وجهات نظر الفرقاء المغاربة، خاصة بين زعيمي حزب الاستقلال الفاسي وبن بركة، وقد أزعجت محاولة الصلح هاته وغيرها بين الزعيم التاريخي للحزب و"الدينامو" الممسك بخيوط العمل والتحريك على الميدان كثيرين، ورأوا فيها خطرا داهما على مصالحهم في المغرب فتدخلوا ضاغطين على الحرس القديم لمنع حدوث ذلك، في هذه الظروف تراجع أحمد بلافريج عن المشاركة في الحكومة المقترحة مبررين ذلك بعدم وجود إجماع من جماعة علال الفاسي على الجناح اليساري في الحزب [139].

لكن هناك من ضغط لينسحب بلافريج في آخر لحظة ويفشل المشروع وتشكل حكومة يسارية كاملة، ونتيجة ذلك انسحب علال الفاسي إلى طنجة خائبا مما جرى، متخذا نفس الموقف الذي سبقه إليه بن بركة من حكومة بلافريج تاركا انطباعا بأنه على وشك الانسحاب من الحياة

---

[136]- آيت إيدر، مصدر سابق، ص: 71.

[137] - DAOUD –MONDJIB, op-cit,p -p :204-208.

[138]- عثمان أشقرا، **الحركة الاتحادية أو مسار فكرة تقدمية 1959– 1999**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001، ص، ص: 20، 21.

[139] - LARAOUI, op-cit, p,p : 5, 6.

السياسية، ومن جهته بن بركة قاطع اجتماعات اللجنة التنفيذية وإن حافظ على حضور اجتماعات اللقاءات الجهوية حيث يغيب أعضاء اليمين المتواجدون بكثرة على المستوى المركزي[140].

ومع اقتراب موعد المؤتمر استأنفت اللجنة التحضيرية جلساتها التحضيرية من دون حضور ممثلي اليمين احتجاجا على استفزازات واعتداءات المقاومة واليسار في الميدان، ويوم 11 جانفي 1959 عاد علال الفاسي من طنجة لترأس التجمع التقليدي في ذكرى بيان الاستقلال، وقد قاطع اليسار الاحتفال وشرعت أسبوعية الاستقلال في شن هجوم على بن بركة، وداخل الجمعية التأسيسية بن بركة بات يتعرض للهجوم تلوى الآخر وباتت الاحتكاكات يومية، مما اضطره أخيرا للانسحاب من اللجنة التنفيذية للحزب، محتجا على موقفها من الجناح النقابي وعرقلتها لعمل الحكومة وردا على الحملات الصحفية[141].

ابتداء من يوم 25 جانفي 1959 شرع بن بركة ورفاقه في إدارة المؤتمرات الجهوية متجاوزين بذلك اللجنة التنفيذية، وقد وجهوا الاتهام للمسؤولين بالعجز الذي سبب فراغا في قيادة الحزب[142]، واستنكروا غياب الضمير عن بعض أعضاء اللجنة والأنا الشخصية التي تطغى عليهم كما أدانوا تصرفات المسؤولين في السلطة والإدارة وانتشار الفساد الذي أضر بالوطن، ونددوا بعرقلة اللجنة عملية تنظيم مؤتمر لهيكلة الحزب منذ 1955، وطالبوا باستقلاليتها عن الحزب[143].

وفي الوقت الذي كانت غالبية القواعد مع المهدي بن بركة خاصة في مناطق نفوذ اليسار، وهو يسعى بجد لتخليص الحزب من الحرص القديم؛ عاد علال الفاسى للساحة السياسية ولقيادة الحزب، وفي الوقت الذي انسحب بلافريج تماما من المشهد السياسي، فإن الفاسي – مدعوما من قدماء الحزب والبرجوازية ومن النظام أيضا– شن هجوما مضادا وحملة دعائية ضد ما سمي حركة 25 جانفي متهما إياها بالعنصرية والجهوية ونشر الحقد والضغينة[144]، وبات حزب الاستقلال من

---

(140) - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p,p :209,210.

(141) - MURATER, op-cit, p :99.

(142) – تقرير المهدي بن بركة لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي، مصدر سابق، ص- ص: 77- 88.

(143) - PALAZZOLI, op-cit, p,p :240, 241.

(144) -Ibid, p :244.

جديد في قبضة علال الفاسي الذي اتكأ على الشرعية التاريخية في مقابل الجيل الجديد، وحيث كانت القواعد منقسمة لكل نفوذه في منطقته.

والتقى يوم 06 مارس 1959 المنشقون من المقاطعات وأكدوا على هويتهم الاستقلالية وطالبوا باعتماد نموذج الفيدراليات المستقلة للحزب (FAPI)، وأعلنوا تحت هذا المسمى مواصلة العمل المنهجي الذي بدأوه يوم 25 جانفي من أجل النهوض الوطني وقيادة معركة تصفية مخلفات الاستعمار وتحرير الاقتصاد وإقامة نظام ديمقراطي[145]، وبالموازاة حدث انشقاق في المركزية النقابية حيث سبعة أعضاء من واحد وعشرون انشقوا من لجنة المحجوب بن الصديق وأعلنوا عدم الاعتراف بشرعية المؤتمر القادم للتنظيم[146].

تمسك المحافظون بتسمية الحزب وشكله، وبدأ علال الفاسي في استقبال الوفود من كامل نواحي المغرب لتقديم الولاء والوفاء ولم يتردد في وصم ما يقوم به رفاق بن بركة من خلال جريدة العلم؛ بالذي يستهدف عقيدة الحزب وارتباطه بالإسلام والوطن والملك[147]، وهاجم جيش التحرير الجنوبي ودوره في الاضطرابات واللا أمن محرضا القبائل الجنوبية الرقيبات عليه، وعن طريق أبو بكر القادري طالب حزب الاستقلال بتنحية بن بركة من رئاسة الجمعية الاستشارية التي دخلها باسم الحزب، الأمر الذي جعل محمد الخامس يتدخل ويدعو إلى الوحدة ونبذ الخلاف[148].

ترسخ الانقسام وتم فصل بن بركة وعبد الله إبراهيم ولاحقا بوعبيد من حزب الاستقلال[149]، وسقط ضحايا عديدون في هذا الصراع منهم المناضلان أحمد بلهاشمي بوزان وعبد الرحمان بن عمار، وفي خضم هذا الصراع المحموم ازدادت مصداقية الملك وصورته كحامي للبلاد ووحدتها وسط حالة الفوضى واللا أمن، وواصل ولي العهد الحسن تقوية أجهزته العسكرية (FAR) والأمنية، ولم يكن يفوت فرصة إلا استعرض فيها قواته[150].

---

(145) - MURATER, op-cit, p:100.

(146) - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p :220.

(147) -MURATER, op-cit, p :101.

(148) - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p,p :219,220.

(149) – الفقيه البصري، شهادة شفهية، برنامج المعادلة المغربية، arte، 2001.

(150) - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p,p :224 ,225.

ج- تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية UNFP :

باتت القوة التقدمية والراديكالية في حزب الاستقلال بعد استحالة العمل من خلال هياكل ومؤسسات حزب الاستقلال واستعادة علال الفاسي زمام القيادة على رأس حزب الاستقلال، متأكدة أنها في حاجة لهيكل جديد، يعبر أكثر عن شخصيتها وعن تطلعاتها، خاصة وأن الحكومة التي تدير البلد تنتمي لهذا التيار وهي في أمس الحاجة لدعم الطبقات والتنظيمات الشعبية، وتركها وحيدة في هذه الفترة يشكل خطرا على الاتجاه وأهدافه عموما، وهذا ما عبرت عنه توصيات مؤتمر فدراليات حزب الاستقلال يوم 02 مارس 1959: "المؤتمر الاستثنائي الجهوي لشُعب وتنظيمات حزب الاستقلال يعبر عن الحاجة الملحة لتوحيد كل القوى الوطنية في هذه المرحلة الحرجة التي يجتازها المغرب في طريقه للتحرر والعدالة والديمقراطية "[151].

وقد جاء في ميثاق تأسيس الحزب الجديد في إشارة للقطيعة مع وسائل النضال القديمة وحزب الاستقلال: "إن الهيئات السياسية في شكلها الحاضر أصيبت بالتعفن ولم تعد صالحة للقيام بتربية الجماهير بل صارت أداة للتفرقة ووسيلة لاكتساب مراكز شخصية أو للاحتفاظ بها، هذا إن لم تمهد السبيل لتدخل اليد الأجنبية ولم تسخَّر في خدمة مصالح خسيسة مستترة، ، ، لذلك فإن الموقعين على هذا الميثاق قرروا التخلي عن صفاتهم الحزبية وألوانهم السياسية وتأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية"[152].

إذن جاء قرار تأسيس الحزب الجديد كما يقول ميثاق مؤتمره التأسيسي: "بعد ثلاث سنوات من التردد والجمود والحيرة، ضعُفَ خلالها حماس الجماهير الشعبية وكادت أن تدفع بالبلاد إلى شفا الهاوية، وفي الوقت الذي استرجعت فيه القوات الوطنية اندفاعها وحماسها وفي الوقت الذي استطاعت فيه الجهود المتواصلة أن تستخلص وسائل التحرر والبناء وتوطد دعائمها"[153].

---

[151] - PALAZZOLI, op-cit,p : 240.

[152]- ميثاق المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وثيقة مطبوعة، ملحق الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص- ص: 119- 122.

[153]- نفسه، ص- ص: 119 -122

ففي يوم 06 سبتمبر 1959 اجتمع بالدار البيضاء تحت رئاسة عبد الرحمن اليوسفي بدار سينما الكواكب؛ مؤتمر فدراليات حزب الاستقلال من أجل إطلاق التنظيم الجديد، ويرجح اختيار المكان والزمان لتزامن انعقاد مؤتمر الجامعة العربية بالدار البيضاء[154]، لاستغلال حضور الصحافة من أجل ضمان وصول صوت الحدث[155].

كان الحضور في جزءه الأكبر من مناضلي حزب الاستقلال لكن هناك وجوه من تيارات أخرى، عبد الله الصنهاجي الوجه المعروف في المقاومة وجيش التحرير، والذي كان منضويا تحت راية الحركة الشعبية والعدو اللدود السابق لمجموعة بن بركة، وثلاثة أعضاء من حزب الوزاني "حزب الشورى والاستقلال": أحمد بن سودة، عبد الهادي بوطالب والتهامي الوزاني، وثلاثتهم من أبناء أسر برجوازية معروفة، في حين لم يحضر عبد الرحيم بوعبيد عملية الإنطلاق، والذي سوف يلتحق بعد قليل، وظهر التنظيم كجبهة تتشكل من الاستقلال التقدمي والنقابيين والمقاومة ومن بعض أعضاء الحركة الشعبية وحزب الشورى والاستقلال، ولم يشهد التأسيس أي عضو شيوعي لرفضهم كون الحزب ليس ماركسي، لكن بن بركة أقنع بعض العناصر بالانضمام لاحقا مثل أبراهام السرفاتي[156].

استعرض بن بركة من منصة المؤتمر أهداف التنظيم وأنه لا يوجد أي تناقض بين مصالح العناصر التي تؤلف الشعب المغربي، وأن الاتحاد وحده كفيل بإحباط المطامع الاستعمارية وتحقيق الأهداف الوطنية[157]، رفع بن بركة ورفاقه شعار "لا حزبية بعد اليوم"[158]، في مغزى ودلالة واضحتين، واتجاه سياسي لا تخطئه عين نحو الشمولية وسياسة الحزب الواحد الذي يرى فيه بن بركة مرحلة لا بد منها لتحقيق الوحدة المؤدية إلى النهوض والتصدي للاستعمار.

"إن حقيقة هذا التجمع الوطني تتركز أكثر وأكثر في مواقف مختلف فئات الشعب الاجتماعية من القضايا الوطنية: – العمال والعاملات يدويا وفكريا المنظمون في المركزية النقابية

---

[154]– التحرير ، عدد: 95، 01 جويلية 1959، مصدر سابق.

[155]– أشقرا، مرجع سابق، ص: 17.

[156] - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p-p :228-230.

[157]– ميثاق المؤتمر التأسيسي، مصدر سابق.

[158] – التحرير، عدد: 153، 07 سبتمبر 1959، ص: 01.

(UMT) الذي يضم ستمائة ألف عضو، – رجال المقاومة وجيش التحرير، – الحرفيون وصغار التجار الذين يشكلون الطبقة الوسطى، – الطلاب أعضاء الاتحاد المغربي للطلبة (UNEM) ، ولم يترك الاتحاد الجديد خارج صفوفه إلا أعداء الشعب المغربي الطبيعيين، الظاهرين والمستترين، بما فيهم القياد والعملاء وبقية الحماية الفرنسية الذين أصبحوا الآن معتمدي القصر، بعد أن كانوا أداة للاستعمار المباشر في محاربة القصر عام 1953، وأخذ الكفاح الوطني من أجل الحرية يعود الآن بقيادة قوة ثورة حقيقية حركية ويقظة "[159].

استعرض الحاضرون خلال أيام المؤتمر أهداف التنظيم الجديد التي كان منها: – جلاء القوات الأجنبية وتصفية مخلفات الاستعمار من القيود العسكرية والاقتصادية والفنية، – مواصلة سياسة التحرر الاقتصادي وتحقيق الإصلاح الزراعي وانتهاج سياسة التصنيع وتأميم المرافق الحيوية، – الإسراع بتحقيق إصلاحات جوهرية في الإدارة، – إقامة ديمقراطية واقعية تضمن لجميع المواطنين تسيير شؤونهم، – مساعدة الشعب الجزائري المكافح من أجل التحرر وتحقيق وحدة المغرب العربي وتطبيق سياسة خارجية مبنية على مبدأ عدم التبعية والتعاون الحر والتضامن مع الشعوب المناضلة من أجل التحرير[160]، وهو ما يظهر بوضوح أن المهدي بن بركة ورفاقه استطاعوا أخيرا أن يجدوا حيزا سياسيا يُضَمِّنوه أفكارهم حرفيا، ويظهر أيضا التوجه الاشتراكي للحزب، وهي أهداف سيكون لها وقعها وانعكاسها على المؤسسة الملكية وحلفاءها من البرجوازية والطبقة السياسية التقليدية.

وجاءت هيكلة الحزب مماثلة لتلك التي تتبعها الأحزاب اليسارية بوجود مؤتمر عام و لجنة مركزية وكتابة عامة[161]، حتى وإن دعا المهدي بن بركة لعدم النظر إلى التنظيم الجديد كحزب سياسي تقليدي، حيث فضّل المؤسسون تجنب منصب رئيس أو سكرتير عام للحزب لكن تم انتخاب أمانة عامة تضم: المهدي بن بركة، محمد البصري، عبد الرحمان اليوسفي، محمد عبد الرزاق،

---

[159] – تقرير المهدي بن بركة لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي ، مصدر سابق، ص: 81.

[160]– ميثاق المؤتمر التأسيسي، مصدر سابق، ص:121.

[161] – القانون الأساسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وثيقة مطبوعة، ملحق الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص– ص: 123– 132.

عبد الهادي بوطالب، أحمد بوسودة، بلمختار، حسين أحاجي، تهامي وزاني، م عموري، عبد الله الصنهاجي[162].

كان الهدف من القيادة الجماعية تجنيب الحزب الوقوع في الأخطاء السياسية السابقة، والحؤول دون بروز شخصيات وزعامات فردية أضرت بالعمل وعرقلته، كان بن بركة يريد تأسيس حزب قوي وحيوي يتمتع بالقدرة على لعب دور في عملية البناء وله من المرونة والتجذر ما يؤهله لقيادة عملية التغيير، كان يريد إعطاء الفرصة لقوى المجتمع الحية الحقيقية لقيادة العمل السياسي بدل تلك العتيقة والتي لم تعد تلاءم ظروف الكفاح والنضال الجديدة وباتت جزءا من المشهد الواجب تغييره.

[162]- أشقرا، مرجع سابق، ص: 17.

المبحث الخامس: المعارضة والمعارك السياسية، نوفمبر 1959– ماي1963.

كان لاختيار التيار الراديكالي في الحركة الوطنية الاصطفاف في تنظيم واحد ورفع راية التغيير والاشتراكية أن يجعله في مواجهة مع كل المتمسكين بالشكل التقليدي للنظام، ومع المستفيدين وكبار الملاك والتجار، وبتزامن خروجه للوجود والعلن مع وجود حكومة تمسك بزمام الأمور محسوبة على نفس التيار؛ فإن ذلك كان حتما سيجلب مزيدا من القلاقل ويعجل في سرعة الصدام خاصة مع وجود الكثير من المتربصين وعلى رأسهم ولي العهد الأمير الحسن، ففي الوقت الذي رأى بن بركة ورفاقه في تأسيس الاتحاد الوطني جاء كظهير شعبي للحكومة، فإنهم سرّعوا عملية الانقضاض عليها[163].

أ– بوادر الخلافات بين الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والنظام 1959 – 1960:

شكلت قضيتان مهمتان بداية الخلافات الحادة بين الاتحاد الوطني والحكومة وبن بركة من جهة وبين القصر، قضية الإصلاح الزراعي وتأميم الأراضي وإعادة توزيعها، والتي ركز عليها فريق الاتحاد وحكومته، وقضية الانتخابات البلدية التي ستنظم في ربيع سنة 1960، وكلتا القضيتان أقلقتا القصر ووترت العلاقة، خصوصا مع الشروع في التأميم الذي طال بعض أراضي المعمرين والخونة[164]، ومع كل تخوفات التيار التقليدي الذي أضحى ملتفا حول القصر من بسط اليسار نفوذه عبر الانتخابات القادمة، انطلقت ضغوطات كبيرة لسحب البساط من تحت الحكومة، وخصوصا مع اشتداد نبرة الاتحاد الوطني اتجاه من يصمهم بالعناصر الفاسدة داخل الإدارة ومطالبته بتطهيرها خاصة جهاز الأمن والتي تقوم حسبه بعرقلة قرارات الحكومة[165].

وبدأت ردود رفاق بن بركة وأخذت اللهجة تشتد ضد القصر من قبل جريدة الحزب الجديد "التحرير"[166]، وبات من العادي جدا استخدام مصطلح رجعية وإقطاع لوصف القصر

---

(163)– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر السابق، ص: 74.

(164)– التحرير، العدد: 60، 21 ماي 1959، مصدر سابق.

(165)– باهي، **مغرب الحسن الثاني**، ج1، الشعب، مقال سابق.

(166)– تأسست يوم، 02 أبريل 1959، كلسان حال للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، بإدارة الفقيه البصري، ورئاسة تحرير من عبد الرحمان اليوسفي، ومحمد عابد الجابري كسكرتير تحرير، ورغم أن جل طاقم جريدة العلم وحتى مديرها القباج كانت إلى جانب

مباشرة وهي التي كانت تستخدم لوصف الاستعمار وحلفاءه من الطبقة التقليدية، وهو ما أشار إليه الحسن الثاني في ذاكرة ملك:" كان هذا يغضبني بشدة، كان تجاوزا في المصطلحات، كانت هناك دائما انتقادات للملكية ولكنها لم تكن أبدا موضع نقاش"[167]، فبدأت عملية مصادرة جريدة الحزب والتي بلغت عدة أعداد في شهر ديسمبر 1959، وبدت الحكومة عاجزة ومشلولة ومتجاوزة في قرارات كثيرة مثل الظهير الذي يحد من حرية الصحافة[168].

في هذه الأثناء ضغط بن بركة ورفاقه عبر الحكومة لحل الحزب الشيوعي، في موقف من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في محاولة لاحتواء الساحة وإبعاد منافس شرس يقاسمه بعض الطروحات والمشاريع وينافسه على استقطاب الشباب والعمال، فطلب بن بركة شخصيا من قيادة الحزب الشيوعي حل أنفسهم من أجل المساعدة في نجاح الحكومة وحتى لا يحسب هذا على حكومة اليسار، ورد عليه قيادي شيوعي "نحن اليوم الضحية والدور عليكم غدا"[169].

في يوم 18 نوفمبر 1959 وفي خطابه بمناسبة عيد العرش أعرب الملك محمد الخامس عن رفضه للمذاهب المادية التي لا تتوافق مع التقاليد والدين، في تلميح واضح لنهج الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، في حين لم يعد هذا الأخير يتوانى في استخدام أي كلمة وتوصيف لمهاجمة النظام الملكي، وهو أسلوب لن يتحمله القصر طويلا، فيوم 15 ديسمبر 1959 تم توقيف مدير ورئيس تحرير جريدة التحرير الناطقة باسم الحزب؛ محمد البصري وعبد الرحمن اليوسفي بتهمة إهانة الملك[170].

المهدي في انشقاقه عن حزب الاستقلال، لكنه فضل تأسيس جريدة جديدة، معتبرا المرحلة الجديدة تتطلب ذلك. الجابري، مرجع سابق، ص، ص: 26، 27.

[167] - HASSANE II, op-cit p:64.

[168]- تقرير المهدي بن بركة لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي ، مصدر سابق، ص:86.

[169] - Abdallah SAAF, **Ben Barka et les communistes**, intervention dans le colloque Mehdi Ben Berka de l'indépendance a la tricontinentale, organisé par université de Paris 8 et l'institut Maghreb-Europe , 17-18 novembre 1995, sous la direction de René Gallissot et Jacques Kergoat, Karthala,1997, p,p :105,114.

[170] - Diouri, réquisitoire contre un despote, op-cit ,p :55.

انقلبت الأوضاع تماما بالنسبة لليسار والاتحاد الوطني، وأضحى الأمر خطيرا، عندما وصل درجة اعتقال وطنيين ومناضلين بارزين كان لهم دور في استرجاع الاستقلال، وهي أيضا إشارة عن مدى تحكم وصلاحيات الحكومة التي بالرغم من تصدرها رسميا وإمساكها اسميا بمقاليد التسيير إلا أن أبرز حلفاءها اعتقلوا، حتى وإن أبدى الملك محمد الخامس شيئا من التعاطف ببعث بطبيبه الخاص لعلاج اليوسفي في زنزانته[171].

تواصلت عمليات التوقيفات وطالت العديد من قيادات الاتحاد، وأعلن الأمن اكتشاف مؤامرة تستهدف ولي العهد الأمير الحسن في فترة التي كان فيها البصري واليوسفي رهن الاعتقال، فتم ضم البصري ومحمد بن سعيد إلى القضية وأفرج مؤقتا عن اليوسفي لظروفه الصحية القاهرة حيث توجه إلى سويسرا للعلاج[172]، وفي هذه الفترة الحرجة من المواجهة غادر المهدي بن بركة المغرب لارتباطات خارجية مباشرة بعد تأسيس الاتحاد الوطني.

يتحدث عبد القادر بن بركة عن هذه الفترة: "عندما جئت من بون بألمانيا في ديسمبر 1959 إلى الرباط لتمضية بضعة أيام من العطلة، كان جو المؤامرات قد بدأ، أغلقت يومية حزب الاتحاد (التحرير)، وتم توقيف مديرها البصري ورئيس تحريرها اليوسفي، تخلى المهدي عن لباسه الأوروبي وأبدله بجلابة من الصوف لأنه أحس باقتراب توقيفه، ، ، لم تستطع والدتنا التوقف عن البكاء ولم تتصور كيف بعد هذا الوقت القصير من الاستقلال الذي كان المهدي أحد مهندسيه يحدث له ما حدث ، ، ، لقد غادر المهدي سريعا، توجه إلى تونس حيث كان مقررا منذ مدة مشاركته في أشغال منظمة التضامن الأفرو- أسيوي، وهذا سهل عملية خروجه وبدل عودته إلى الرباط توجه إلى ألمانيا، وبقي ينتظر ما ستسفر عنه الأحداث ليقرر عودته[173].

إنها القطيعة بين ولي العهد والتيار الراديكالي، واغتنم الفرصة الأمير الحسن ليمارس التطهير داخل المعارضة، فطالت موجة القمع العديد من أعضاء جيش التحرير، حيث تم تفكيك آخر وحداته وسجن أعضاءه والتحقيق معهم، وكذلك أعضاء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والمركزية

---

(171) - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p, p :238,239..

(172) - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit ,p :56.

(173) – Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p, p : 165 ,167.

النقابية، كان الأمير الحسن يريد بسط قبضته كليا بمساعدة مدير الأمن الغزاوي[174]، وواصلت وسائل الإعلام الرسمية الترويج ولمدة شهور عديدة لهذه المؤامرة التي استهدفت "الأمن الداخلي للدولة"، والتي كانت تريد ليس فقط اغتيال ولي العهد لكن كذلك علال الفاسي وبعض الوجهاء من حزب الاستقلال، بن بركة الذي غادر المغرب لم يترك بعيدا، فقد اتهمه الاتحاد العام لعمال المغرب (UGTM) نقابة حزب الاستقلال الجديدة بأنه العقل المدبر للمؤامرة[175].

أشار البعض أن الهدف الرئيسي من وراء هذا السيناريو هو إجبار حكومة عبد الله إبراهيم على الاستقالة وهو ما لم يحدث، رغم ذلك فإنها أضعفت صف المعارضة وشكلت ضغطا على الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، من أجل تحجيم طموحاته والحد من تحركاته، ويظهر هذا أيضا في نأي المركزية النقابية وقادتها بأنفسهم عن الأحداث وعدم التعامل أو الرد، وكذلك في استرجاع حزب الاستقلال المبادرة ميدانيا، حيث تحالفت صحافته وإطاراته في هذا الظرف مع النظام لإضعاف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية[176]، بن بركة فسر القضية أنها محاولة لجعل الاتحاد من دون رأس بإقصاء أبرز قادته عن طريق اتهامات ومتابعات قضائية على جريمة خيالية[177].

حكم على المهدي غيابيا، الأمر الذي أجبره على الاستقرار في باريس، حيث سجل في كلية الحقوق لدراسة الاقتصاد، وكرس وقته في دراسات عن الوضع العالمي، وعن التجربة المغربية، بدأ يجري بعض المراجعات ويمارس نقدا ذاتيا لكل الخطوات السابقة، وبدأ يقف على الأخطاء التي أوصلت الحركة الوطنية لهذه المرحلة، لقد استفاد من هذه الفترة ليقيم العديد من العلاقات مع المثقفين والصحفيين ورجال السياسة، واستغل الوقت ليركز على النشاط الدولي والعربي[178].

---

[174]- باهي، **مغرب الحسن الثاني**، الشعب، ج1، مقال سابق./ آيت إيدر، مصدر سابق، ص- ص: 25- 27.

[175] - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit ,p, p :56,57.

[176] - بيرو، مرجع سابق، ص، ص: 57، 58./ محمد باهي ، **مغرب الحسن الثاني**، ج1،الشعب، مقال سابق.

[177] - المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر السابق، ص:67.

[178] - MURATER, op-cit, p :113./ Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p : 167.

ب– عزل حكومة عبد الله إبراهيم وانقلاب مايو 1960:

اشتدت حدة معارضة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع اقتراب الانتخابات البلدية، تزامنا مع ما كانت تقوم به الحكومة من إجراءات رأى فيها القصر تهديدا، حيث كانت تحاول قدر الإمكان كبح السلطة الملكية والسير في الاشتراكية، في هذا الوقت انطلقت حملة في الصحافة الفرنسية شرعت في التذكير بخطر اليسار على الملكية والنظام، حملة ربطها البعض ببداية الحديث عن تأميم أملاك المعمرين [179].

كان هناك خلاف على طريقة إجراء الانتخابات القادمة، ففي حين كانت الحكومة تريد فرض طريقة الاقتراع على القائمة، أرادها القصر بالنظام الفردي، وحيث كل طرف كان يريد النموذج الذي يخدمه، فالاتحاد الوطني للقوات الشعبية كحزب سيستفيد من نظام القائمة حيث الانتخاب سيكون على الحزب والتوجه بالأساس، في حين أن النظام الفردي الذي سيكون فيه الاختيار على الأشخاص سيكون في فائدة القصر الذي يملك حلفاء كثيرون من الوجهاء وكبار الملاك، "ومثل ذلك حصل عندما عرضت مسألة اختيار أسلوب الاقتراع في انتخابات المجالس المحلية البلدية والقروية، فقد اصطدمنا مع القصر لكي يكون الاقتراع باللائحة، فهو الأسلوب الوحيد الذي يضمن عن طريقه قيام مجالس بلدية تكون أداة للبناء الاقتصادي والاجتماعي، ، ، وكل ذلك لم يمنع القصر من فرض الاقتراع الفردي الذي نتج عنه بعث العناصر الإقطاعية والرجعية "[180].

خشي القصر من إجراء الانتخابات في ظل حكومة اليسار، وخاصة من عملية تسجيل الناخبين، ولو حدث ذلك فحتما سيسيطر فريق بن بركة على المجالس المحلية، وجاءت انتخابات 08 مايو 1960 للغرف التجارية لتزيد المخاوف، فحزب بن بركة حقق نصرا ظاهرا وأبان عن حضور كبير لدى صغار التجار والحرفيين، وتحت ضغوط ولي العهد الحسن ومجموعة من الطبقة السياسية تأكد أن أيام حكومة عبد الله إبراهيم الذي كان يناور للبقاء حتى الانتخابات باتت معدودة[181].

---

[179]– أوفقير، مرجع سابق، ص: 69./ المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 44.

[180] – نفسه، ص: 45.

[181] – باهي، **مغرب الحسن الثاني**، ج1، الشعب، مقال سابق./ تقرير المهدي لمنظمة التضامن الأفرو– أسيوي، مصدر سابق، ص: 86.

تعمقت الخلافات بين عبد الله إبراهيم والقصر حين أرادت الحكومة تطبيق بعض القرارات مثل توطين الشرطة، حيث رفض رئيسها تواجد ضباط فرنسيين وأعادهم لفرنسا، وكذا سعيه لبسط اليد على الجيش والشرطة وتأميمهما، أي إخراجهم من يد الملك وولي العهد ليصبحوا تابعين للحكومة، "ونحن عندما كنا نطالب بتأميم الجيش والشرطة، إنما كان يعنينا كشف المهام التي يشغلونها ، ، ، وكانت نتيجة هذا الحرص الذي يبديه القصر الملكي في احتكاره للجيش كملكية خاصة به معزولة عن الشعب وفي إطار مختلف أن تكون شبه إقطاعية قوية التسليح ومهددة بشتى أنواع المؤثرات الأجنبية والمصالح المشبوهة"[182].

ثم جاءت الحادثة التي كانت القطرة التي أفاضت الكأس، وهي رفض رئيس الحكومة عبد الله إبراهيم الموافقة على تعيين الضابط الأمريكي "بلير" في ديوان ولي العهد الحسن، وهو ما عرف بقضية"الرائد بلير" (Commandant Blair)[183]، حيث استدعى الملك محمد الخامس عبد الله إبراهيم يوم 20 ماي 1960 وطلب منه الرحيل، وتولى بنفسه تشكيل حكومة وعهد بوزارة الدفاع لابنه ولي العهد[184]، وهذا ما رأى فيه البعض استغلالا من القصر لفرصة كان ينتظرها منذ مدة وسعى لها وهي الانقسام الحاصل في أكبر تشكيل سياسي بالبلاد وهو حزب الاستقلال، والذي أضعف الوطنيين بشكل كبير وجعل القصر يبسط سلطته على الجهاز التنفيذي غير مبال[185].

رأى المهدي بن بركة في هذا انقلابا على السلطة والديمقراطية وحكم الشعب: "على أنه يجب علينا أن نعترف بأننا لم نستطع إيقاف الانقلاب الذي حصل في مايو 1960 والذي صفى ما تبقى من مظاهر المشاركة الشعبية في الحكم، ولو أن هذا الانقلاب كان نتيجة لضغط الجماهير التي فرضت على الحكم اتخاذ أسلوب القسر والتحكم ويزيل القناع عن وجهه، وأن يظهر على حقيقته،

---

[182] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص: 30، 31.

[183] – ضابط بحرية أمريكي في قاعدة القنيطرة كانت له علاقة حميمة مع العائلة الملكية، قام ولي العهد بصفته قائدا أعلى للقوات الملكية بالطلب من سفير الولايات المتحدة تعيينه في ديوانه الخاص، لكن الأخير أخبره أن هذا خارج صلاحياته، فقط إذا طلب من الحكومة الأمريكية تعيينه كملحق عسكري بالسفارة الأمريكية بالمغرب وهو أمر كان يحتاج موافقة الحكومة المغربية.

MURATER, op-cit, p,p:105,106.

[184] -BALTA, op-cit ,p :115./ MURATER, op-cit, p,p:105,106.

[185] - DIOURI, **réalités marocaine**, op-cit,p :165.

نعم يمكن أن نجد لهذا الانقلاب وجها إيجابيا إذ مكن من توضيح الوضع السياسي في البلاد ومن إبراز القوة المتقابلة، قوى التقدم وقوى الرجعية، ، ، من جهة القوى الشعبية ومن جهة أخرى عناصر الإقطاع وفلول القوى التقليدية والأحزاب السياسية المتفسخة "[186].

وسع عزل حكومة عبد الله إبراهيم الشرخ كثيرا بين اليسار والقصر، وأحدث تغييرا في اللعبة السياسية واختلت المعادلة المغربية المبنية على توازن القوى، وأضحى النظام الملكي أكثر رسوخا، وتحول نداء الملك للتعبئة حول شخصه، وغدت جل الصلاحيات في يد ولي العهد والذي فوض مهامه الاعتيادية لصديقه رضا قديرة، وسمح لبعض عناصر حزب الاستقلال الحليف الجديد للنظام بالدخول للحكومة والتي شكلت في 28 مايو 1960، وكان الرابط الرئيسي بين عناصرها هو الولاء للملكية[187].

جرت أولى الانتخابات البلدية في المغرب المستقل يوم 29 مايو 1960، فحصل حزب الاستقلال على نسبة 40 % من المقاعد، وحصل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية على 23 %، حيث كانت نسبته الساحقة ونصف عدد مقاعده بالدار البيضاء، القنيطرة، الرباط، والنصف الباقي توزع على كامل المغرب، لقد خسر كثير من المقاعد بسبب نظام الانتخابات الفردي الذي يركز على العضو، في حين أن الحزب كان يعتمد على طرحه وإيديولوجيته السياسية وشعبية قيادته، وخاصة أنه لم يمر على تأسيسه سوى بضعة أشهر، وفي الرباط الملك محمد الخامس نصب علال الفاسي على رأس المجلس الاستشاري يوم 03 نوفمبر في توزيع جديد للأدوار والسلطة، وقد رفض الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الدخول للمجلس، وبدأ إسدال الستار في هذه الفترة على آخر تفاصيل مخطط الحكومة الخماسي الذي أفرغ من محتواه وبدأت سياسات معاكسة تماما لطروحات بن بركة واليسار وتخدم الطبقة البرجوازية المتعاونة[188].

---

[186] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص: 16 ،17.

[187] – باهي، **مغرب الحسن الثاني**، ج1/ج2/ج3 الشعب، عدد، 270/267/266، 17 /21/18 أكتوبر 1963، ص:06/06/08.

[188] – DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p, p :251, 252.

ج- وفاة محمد الخامس وتولي الحسن الثاني:

يوم 26 فبراير 1961 أدخل الملك محمد الخامس غرفة العمليات من أجل إجراء تدخل جراحي بسيط لاستئصال اللوزتين، وكان هناك إصرار كبير من قبل ولي العهد على إجراء العملية، حتى وإن كان هناك نقص في عدد الأطباء المتخصصين[189]، وحيث ذهب البعض حد التشكيك في ما قام به الحسن ووضعه في خانة السعي للتخلص من والده لاستلام الحكم[190]، وانتهت هذه العملية بوفاة الملك محمد الخامس، وبعدها بساعة قام محمد أوفقير بنشر الجيش في كل النقاط الحساسة بالمغرب، وانطلقت مراسم الحداد ودفن الملك الراحل[191].

لقد سرت روح من التوحد خلال هذه الفترة، توقفت هجمات اليسار الصحفية ونشرت مقالات عديدة تشيد بخصال الراحل محمد الخامس في جرائده، أرسلت التعازي من جميع مكاتب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والمركزية النقابية، فمحمد الخامس كان رفيق الكفاح وصديق كبير ومحترم فرغم كل شيء كان هناك احترام متبادل، عاد عبد الرحيم بوعبيد بسرعة من فرنسا رفقة قيادات أخرى واستقبلوا بحرارة من قبل رفقاء الأمس من حزب الاستقلال، وشارك رفقة البصري واليوسفي وعبد الله إبراهيم في مراسم الدفن، وبعث المهدي بن بركة برسالة مواساة من باريس: "واجبنا هو مواصلة العمل الذي بدأه ملكنا من أجل بناء مغرب حر، ديمقراطي ومزدهر، تماما كما كان يتصور جلالته، وكما يتطلع الشعب"[192].

في اليوم التالي للدفن ومباشرة بدأ الحديث عن حكومة وحدة وطنية، ومن قبل الحسن الثاني نفسه، وشرع في مجموعة اتصالات خاصة مع المعارضة ومنها اليسارية، وهو ما يشير إليه عبد الله العروي الذي كان ملحقا ثقافيا بالسفارة المغربية بباريس في هذه الفترة، فقد استقبل عدة مرات

---

[189]- أوفقير، مرجع سابق، ص: 72.

[190]- بيرو، مرجع سابق، ص: 58.

[191] - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit, p: 66.

[192] - MURATER, op-cit, p,p:110,111./ DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit ,p: 67.

عبد الرحيم بوعبيد في السفارة، والتقى المهدي بن بركة في جنيف بطلب من السفير المغربي في فرنسا الشرقاوي، ونقل إليه رسالة منه ودعوة للقائه[193].

رفضت قيادات اليسار الوساطات وطالبت بلقاء مباشر مع الحسن الثاني، واشترط بن بركة برنامجا أدنى مشتركا وتعريفا دقيقا للصلاحيات ولسلطة الحكومة، كما طالب بانتخاب جمعية وطنية تأسيسية ينتج عنها دستور حقيقي للبلاد، يضبط العلاقات بين السلط ويمكن من ديمقراطية حقيقية، وفي يوم 07 مارس 1961 حدّد عبد الرحيم بوعبيد ومن خلال جريدة (le monde) الفرنسية أن الحل الوحيد هو في توحد كلمة الأحزاب في مواجهة الملك، الذي يجب أن يملك ولا يحكم، وفي يوم 13 مارس 1961 قدم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مذكرة للقصر؛ استنكر فيها خطر السياسات الارتجالية المتجاهلة للإرادة الشعبية[194].

لم يقطع الحسن الثاني الاتصال باليسار في محاولة لتحقيق تسوية ما، ولم يرفض بن بركة من جهته العرض، ولعدة أسباب منها أنه كان يريد بعض الوقت لصالح حزبه الاتحاد الوطني للقوات الشعبية المقبل على عقد مؤتمره الثاني، وكذلك ظنا منه أن الحسن الثاني في موقف ضعيف وأن النظام لا يستطيع حلحلة كثير من مشاكل المغرب من دون تعاون اليسار، ولهذا فهو مقتنع بحاجة الحسن الثاني لهم، وفي جوان 1961 أعلن الحسن الثاني تشكيل الحكومة الجديدة، والتي كان فيها أربع عناصر من حزب الاستقلال وأعضاء من الحركة الشعبية ومن المستقلين واستبعد الاتحاد الوطني، وردا على هذا طالبت بعض عناصر الحزب مثل عبد الهادي بوطالب المهدي بن بركة بعدم ترك الميدان للانتهازيين[195].

انهمك بن بركة خلال هذه الفترة في نشاطه الدولي من أجل قضايا التحرر، ورغم كل المحاولات والخطوات من الحسن الثاني رفض دخول المغرب، كان يتطلع لاستقرار في المغرب ومهادنة، لكن أكثر من ذلك يتطلع لنظام صالح وينبع من صميم الشعب في هذه المرحلة الصعبة التي يصنع

---

(193) - LARAOUI, op-cit, p: 26.

(194) - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p, p:257, 258.

(195) -LARAOUI, op-cit, p,p :26,27./ DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit: 68.

فيها مصير المغرب والمنطقة، لكنه رأى عدم الدخول للمغرب رغم إطلاق صراح اليوسفي والبصري وإبطال الاتهامات في حقه، و فضَّل المنفى الاختياري وعدم وضع ال (UNPF) في حرج، فقد كان ينظر إليه كمحرض كبير[196].

من مقر إقامته بالقرب من جنيف كان يطير شرقا وغربا إلى بكين، القاهرة، كوناكري، موسكو وهافانا، إن انشغاله الأساسي كان حركات التحرر العالمية، وتركيزه على الشأن الدولي، شارك في عدد من المؤتمرات بأوروبا وآسيا وإفريقيا، لقد ساهم بُعدُه عن المغرب في هذه الفترة في زيادة شعبيته ونمو كاريزمته، وبات ينظر إليه من قبل الكثيرين خاصة الطلبة كأكثر الرجال والسياسيين احتراما ونزاهة وحضورا، لقد بات أسطورة حقيقية في المغرب خاصة بعد محاولة تصفيته بجنيف[197].

د- عودة المهدي بن بركة إلى المغرب، المؤتمر الثاني، الدستور والانتخابات التشريعية:

مع اقتراب موعد انعقاد المؤتمر الثاني ألح الفقيه البصري على المهدي بن بركة ليدخل إلى المغرب، فبالنسبة للبصري دخول المهدي ليس دخول شخص لكنه دخول برنامج ورؤية إستراتيجية للمؤتمر[198]، وقبل أشهر من المؤتمر المزمع في جوان 1962، وبالضبط يوم 16 مايو 1962، والذي تزامن مع يوم عيد الأضحى وصل المهدي إلى مطار الرباط، كانت عودته بالنسبة للبعض انتصارا وشهادة بالغة عن مدى شعبيته، بل مفاجئة للقصر وأعوانه، فكانت نسخة تشبه كثيرا عودة محمد الخامس قبل ستة أعوام[199].

شق موكب المهدي بن بركة طريقه من المطار وحتى بيت العائلة بصعوبة كبيرة بين الجماهير المحتشدة والهتافات التي تحيي المهدي والإتحاد الوطني للقوى الشعبية، وعلى امتداد سبعة كلم كانت الجموع تفوق تلك التي انتظرت موكب الملك الحسن الثاني الذي اخترق مدينة الرباط بمناسبة عيد الأضحى، وتتابعت الوفود لعدة أيام متوالية إلى منزل المهدي بن بركة من الفجر حتى هبوط

---

[196]- رسالة المهدي لإسماعيل توري، 27 فيفري 1961.ملحق: 06./
HASSANE II ,op-cit,p :106./Abedelkader BEN BARKA, op-cit, p,p: 176,177.

[197] - البصري، شهادة شفهية، مصدر سابق. Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p :177.

[198]- البصري، شهادة شفهية، مصدر سابق.

[199] - صورة فوتوغرافية للحظة نزول المهدي من الطائرة عائدا للمغرب، 16 ماي 1962، ملحق رقم: 24./ بيرو، مرجع سابق، ص:59.

الليل، حتى اضْطُّر إلى تنظيم السير في خط وحيد الاتجاه، فقد أراد البصري من وراء الحدث استعراض قوة الحزب وقدرته على التعبئة والحشد وإظهار مدى شعبيته، ولم تكن قوات الأمن بعيدة وتابعت كل ما حدث بدقة واهتمام[200].

❖ **المؤتمر الثاني للإتحاد الوطني للقوات الشعبية:**

عقد المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني للقوات الشعبية أيام 25، 26 و27 مايو 1962، بحضور ألفين مندوب وبحضور شخصيات ذات وزن واحترام كان من بينهم العلامة العربي العلوي، المحجوب بن الصديق، بوعبيد، البصري، اليوسفي، محمد عبد الرزاق، تهامي عمار، عبد الله إبراهيم[201]، ورغم ظاهر المؤتمر الذي ميزه السير الحسن كانت هناك معركة كواليس كبيرة، خاصة بين قيادة الحزب وقادة المركزية النقابية، نتيجة سعي القيادات النقابية للسيطرة على الحزب، أو ما رآه البعض نجاح للحسن الثاني في إحداث شرخ في العلاقة بين الطرفين[202]، وأيضا ما خلفته مختلف الأحداث والظروف السياسية التي مر بها المغرب في السنوات الأخيرة، ووصول اليسار للسلطة عبر الحكومة، كلها ملابسات ألقت بظلالها ووترت العلاقة بين البصري وبوعبيد من جهة و المحجوب بن الصديق من جهة، بسبب إحساس بالإنفراد بالحزب وتهميش دور المركزية النقابية، لكن كون المهدي بقي بعيدا عن الأحداث حافظ على حظوة لدى الطرفين مكنته من بذل جهود التقريب بين وجهات النظر قبل انطلاق المؤتمر، فحث رفاقه على التنازل، فقبلت كثير من مطالب النقابيين وحضروا المؤتمر[203].

قبل مغادرة باريس وصف المهدي بن بركة هذا المؤتمر بمؤتمر التسويات، كان يعتقد بوجوب الوصول إلى تسويات مع القصر ومع رفاق الدرب من النقابيين[204]، "بالنسبة لظروف سنة 1962 عندما كان القصر الملكي يستعد أن يمنح البلاد دستوره الرجعي المصنوع في مخابر الاستعمار الجديد

---

[200]- بيرو، مرجع سابق، ص:59./.Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p :179

[201]- صورة فوتوغرافية، لمنصة المؤتمر الثاني للUNFP،25 مايو1962، ملحق رقم: 23.

[202] -MOURAD, op-cit,p,p :150,151./.60 بيرو، مرجع سابق، ص:

[203] - Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p :181.

[204] -Ibid, p :180.

وكنا آنذاك نفكر في احتمال الوصول إلى تسوية مع القصر لحماية البلاد من مزيد من الانزلاق نحو الهاوية والإفلاس والتفسخ، فقد قرر المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني للقوة الشعبية إعطاء الصلاحيات لأجهزة الاتحاد المختصة، لكي تعجل في إخراج البلاد من الوضع الذي زجها فيه الحكم الملكي المطلق، ولكن بقيت محاولتنا دون جواب"[205].

حضّر المهدي تقريرا أعده خصيصا بمناسبة الحدث، لكن لم يقرأه على الحضور بطلب من رفاقه الذين رأوا فيه تكريسا للراديكالية والقطيعة مع القصر، كان هذا التقرير عبارة عن تحليل للوضع السياسي المغربي والعالمي وفي نفس الوقت نقد ذاتي لمسيرة المهدي ورفاقه السياسية والأخطاء التي وقعوا فيها خاصة اتفاقية إيكس ليبان، ومثَّل هذا التقرير أيضا إستراتيجية مستقبلية بوسائلها وأهدافها لصالح المناضلين[206].

احتوى هذا التقرير على مقدمة: تناولت أسباب ودوافع كتابته، وتوجيه بعض النقد اللاذع للقصر والطبقة السياسية التقليدية، وأشاد بالعمل المنجز في الدول التقدمية ومنها الجزائر ومصر، وأعطى نظرة عما يجب أن تكون عليه أجهزة الحزب مستقبلا، وأيضا أهمية دور الطلبة وختمها بالحديث عن مهمة الحزب المنتظرة وضرورة وعيها من قبل المناضلين[207]، وبعد المقدمة تعرض لأهمية المؤتمر والنتائج المرجوة منه، حيث أراد المهدي منه انطلاقة جديدة "وقد بدا من الضروري أن نبعث في نفوس الجماهير في إطار نشاط نضالي ذلك الإيمان وذلك الحماس، ، ، وكذلك قطع الطريق على الخيبة التي أخذت تحل محل أمال النضال"، ودعا لوجوب تقديم تحليل دقيق عن واقع وقوة النظام[208].

قدم المهدي تحليلا عن الوضع الراهن داخليا وخارجيا؛ خارجيا: تكلم عن حركة المد التحرري الثوري، وما يعترضها من عقبات وعن ظاهرة الاستعمار الجديد وتعرض للقضية الجزائرية، أما داخليا فأعطى نظرة عن تطور الوضع المغربي منذ الاستقلال، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأسباب

---

[205]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مرجع سابق، ص: 07.

[206] – انظر المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق.

[207]– نفسه، المقدمة.

[208] – نفسه : ص، ص: 16، 17.

الفشل التي عرقلت نجاح البلاد والمشروع النضالي الذي يهدف إليه رفاق بن بركة، ثم قام بنقد ذاتي لمسيرتهم منذ الحركة الوطنية مرورا بالاستقلال، ووقف على الأخطاء القاتلة التي أجهضت المشروع كالتسويات السياسية وأنصاف الحلول والانعزال عن الشعب وعدم الوضوح الإيديولوجي، وبعد هذا حدد المهام والأهداف التي يريد التيار ككل الانطلاق إليها وتحقيقها في الآفاق، وأيضا الوسائل التي سيعتمدها[209].

أراد قادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية من خلال التعتيم على تقرير المهدي الإبقاء على الثورة السياسية في الظل، فلم يكونوا يرغبون في استعداء الملكية أكثر وأكثر، ورغم مجاهرتهم بالثورة الاقتصادية، لم يكونوا يهدفون إلى قطيعة كلية، كانت هذه سياسة عبد الله إبراهيم الذي رسم الخطوط العريضة لتوجه الحزب، حيث أبقى على بعض العناصر ذات الصلات بالقصر ضمن المجلس الوطني الجديد، فقد كانت هناك نيات لإظهار وجه معتدل في رسالة للقصر[210].

كان المهدي بن بركة أكثر العناصر نزوحا نحو الراديكالية، وأكثر شخصا وضوحا في نقد الملكية رغم أنه لم يصل درجة بلغها آخرون من أبناء اليسار في إنهاء أي أمل في إمكانية إصلاح القصر مثل: مومن ديوري وشيخ العرب[211]، غير أن بعض الملاحظين سجلوا التباين بين أعضاء الاتحاد الوطني حول العقيدة الإصلاحية أو الثورية وهشاشة الهياكل الموجودة، فلازال الحزب ضعيفا وليس هناك حسم بعد في عقيدته[212].

انتهى المؤتمر بالمطالبة بحكومة تتمتع بثقة الشعب، وتشرف على انتخاب جمعية تأسيسية تخرج دستورا حقيقا للبلاد[213]، كما انتهى هذا المؤتمر بشرخ كبير وانقسام بين الحزب والمركزية النقابية، وهو ما اعتبر نصرا كبيرا للقصر، لقد كانت رؤية المهدي للحزب تنحصر في كونه معبرا وحيدا

---

[209]- انظر المصدر نفسه.

[210] - Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p :183.

[211]- بيرو، مرجع سابق، ص: 68.

[212] -DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p :276.

[213]- قرارات المؤتمر الثاني للUNPF، ملحق رقم : 02، الاختيار الثوري، دار الطليعة، بيروت، 1966، ص: 142.

عن الحقيقة الثورية، وأنه متفوق على بقية القوى الاجتماعية، ومنها المركزية النقابية التي اتهم قيادتها بالتحالف مع النظام[214].

انتقل المهدي بسرعة من التنظير إلى التنفيذ، وبدأ في العمل كعادته من الفجر إلى الليل مرفوقا ببعض العناصر مثل: محمد طاهري، عمر بن جلون، ومحمد اليازغي، من أجل تحديد هيكلة الحزب وغرس جذوره جيدا، وتشكيل الخلايا في مختلف المقاطعات، كان يريد حزبا جاهزا لأي استحقاق قادم، ومنذ انتخابه سكرتيرا للجنة الإدارية للحزب لم يدخر أي جهد، كان هدفه أن يتوفر الحزب على خلية على الأقل في كل دائرة انتخابية، وكل بلدية ريفية يجب أن يكون فيها على الأقل ممثل للحزب، كانت هناك تحضيرات جادة للانتخابات، وفُعِّلت الصحافة بشكل كبير واشتدت النبرة من جديد[215].

لقد كان عماد حزب المهدي وهيكله هم صغار التجار الذين أضرت بهم السياسة الاقتصادية لنظام الاستقلال، من خلال نظام ضريبي مجحف وكانوا عرضة للتهميش، وكذلك الفلّاحون والقرويون الذين فعل اليسار من أجلهم الكثير وباتوا متعاطفين مع رجاله، الذين هم في نظرهم يواجهون النظام والإقطاع والبرجوازية، كما كان يعتمد بشكل كبير على العمال والبسطاء والفقراء، ومثّل الطلبة وتنظيمهم (UNEM) رافدا مهما للحزب في هذه الفترة حيث كان هناك تلاقي في الأيديولوجيا بينهم وبين قادة ال(UNFP) [216].

❖ معركة الدستــور:

كانت أهم مطالب المهدي ورفاقه منذ الاستقلال هي دستور ديمقراطي حقيقي ينتج عن جهة تأسيسية منتخبة انتخابا حرا مباشرا، ينظم السلطات ويوضح المهام ويوزع الصلاحيات وينتهي بموجبه عهد المخزن والسائبة، الذي ظل متحكما في رقاب المغاربة لقرون عديدة وجعلهم فريسة لدكتاتورية القصر ونزواته وسطوته، اكتست هذه القضية لبن بركة شخصيا وللحزب بعدا خاصا فقد

---

[214] - MOURAD, op-cit, p,p:150,151. / HERAULT, op-cit,p :166

بيرو، مرجع سابق ،ص: 60 /.

[215] -Abedelkader BEN BARKA , op-cit, p :181.

[216] - HERAULT, op-cit, p-p:166-169./ MOURAD, op-cit,p:154.

كتب في تقريره المعد بمناسبة المؤتمر الثاني: "واليوم قد اتخذنا موقفا واضحا في الميدان الدستوري، لا ينبغي لنا أن نصحح خطأ بارتكاب خطأ آخر، فمن الواجب أن لا نترك الناس يعتقدون أن كلمة دستور بمثابة كلمة سحرية تحل سائر المشاكل، ففي رأي أنه يتعين على الدستور، حتى لا يكون شعارا مضللا أن يضمن ممارسة الحرية العامة ممارسة فعلية تمكن من تتبع السلطة ومراقبتها ، ، ، والمهم فيما يخصنا هو أن يُعرّف الدستور مختلف السلطات، ويحدد مسؤوليتها أمام الشعب"[217].

لقد كان تأخير مطلب إقامة الدستور خطأ فادحا – يعترف المهدي – من قبلهم كحركة وطنية وكتيار وحكومات متعاقبة، نتيجة تلك التسويات التي تمت في عهد الملك محمد الخامس، "وكانت نتيجة هذا التعاقد الرمزي بين القوة الشعبية وبين الملك أن وضعت على الرف المشكلة الدستورية، ، ، ويحق لنا اليوم أن نتساءل إلى أي حد لم نكن مخطئين في تجميد المطلب الدستوري"[218].

جاءت النشرة الداخلية للاتحاد الوطني في يوم 09 سبتمبر 1962 بعنوان: "حملتنا من أجل الدستور" والتي حملت أسلوب المهدي بن بركة، حيث أشارت إلى أن الدستور يمثل الوسيلة المثلى لضمان مشاركة الطبقات الشعبية، وتنظيم السلطات والخروج من التخلف بترك الخيار الليبرالي لصالح الاشتراكية ولصالح الإصلاح الزراعي[219].

وفي يوم 04 نوفمبر 1962 صدر ظهير باستفتاء يوم: 07 دسيمبر 1962 على وثيقة دستور أعدت سلفا من قبل القصر، صنع في دائرة ضيقة، على رأسها البروفيسور الفرنسي موريس ديفرجي (Maurice Duverger) [220]، حيث كان اقتراح بوجود غرفتين؛ الأولى تنتخب انتخابا حرا مباشرا وأخرى ثلثها من الممثلين يسمون المستشارين، ينتخبون بطريقة غير مباشرة من الوجهاء الريفيون[221].

---

[217]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 49.

[218] – نفسه، ص: 48.

[219] - DAOUD –MONDJIB, op-cit, p:278.

[220] - SMITH, op-cit, p: 213.

[221] - HERAULT, op-cit, p: 129.

بالنسبة للمهدي بن بركة والاتحاد الوطني هذا يعتبر تراجعا من قبل الملك الجديد عن وعد قطعه والده بأن يكون الدستور نتاج جمعية تأسيسية، ومُضيٌ في طريق ترسيخ الدكتاتورية وسلطة القصر وليس سوى احتيال والتفاف على الإرادة الشعبية، فقررت اللجنة المركزية لل(UNFP) مقاطعة الاستفتاء، في حين أن المركزية النقابية أبقت على مسافة من الحزب وتركت الاختيار للمناضلين ولم تتخذ موقفا محددا[222].

أراد الحسن الثاني احتواء الموقف، فاتصل بالمهدي بن بركة عن طريق وسيط نقل له رغبة الملك في الحوار واقترح عليه مناقشة مسودة الدستور، لكن المهدي اقترح على الرسول مناقشة المشاكل السياسية الراهنة كلية وإقامة اتفاق محدد مع الملك حول الاستحقاقات المستقبلية للبلاد، واقترح إقرار برنامج حكومي انتقالي لمدة سنتين توحد فيه القوى والجهود من أجل إخراج البلاد من مأزقها السياسي[223]، وهو ما أشار إليه المهدي في تقريره للمؤتمر الثاني: "إن مثل هذا البرنامج صالح ليكون إطار عمل مع الهيئات السياسية الأخرى، بل مع الحكم نفسه، ، ، نعم لا شيء يضمن قبول هذا البرنامج الأدنى من باقي الأطراف، كما أنه من المحتمل أن يكتفوا بالاستحواذ على هذا البرنامج دون قبول مقاسمتنا مسؤوليات الحكم، إنما المهم هو إلزام كل طرف بتوضيح موقفه ".[224]

جاء رد القصر على موقف المهدي بن بركة يوم 16 نوفمبر في شكل اعتداء كاد يودي بحياته، حيث تعرض لحادث مرور متعمد حين كان مع مرافقه المهدي العلوي على طريق الدار البيضاء – الرباط ، بالقرب من المكان المسمى "بوزنيقة"، فقامت سيارة شرطة من نوع 403 بيجو تتبع مصالح الاستخبارات المعروفة بـ(CAB1) بصدم سيارة بن بركة ودفعها إلى أخدود مجاور للطريق، ثم ترجل مطاردوهم للإجهاز عليهم لولا استنجاد المهدي ببعض المزارعين على جانب الطريق، فانسحب رجال الأمن، وقد أصيب المهدي جراء هذا الحادث برضوض وكسر في بعض

---

[222] - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit,p : 71.

[223] - Abedelkader BEN BARKA, op-cit, p ,p:186,187.

[224] – المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص: 66.

فقرات رقبته ألزمته العلاج ووضع جهاز دعم وتقويم للرقبة[225]، وبعد مدة من الاستشفاء بالمغرب غادر إلى ألمانيا حيث واصل العلاج[226].

اشتد وقع الحملة الانتخابية على الدستور في فترة غياب المهدي، وطالب الحسن الثاني يوم 18 نوفمبر بالانتخاب بنعم تكريما لذكرى والده محمد الخامس، وخاض علال الفاسي حملته إلى جانب النظام للانتخاب بنعم، بل حدث احتدام ومنافسة بينه وبين رضا قديرة حول احتكار هذا الموقف، في حين أصدر الفقيه محمد بن العربي العلوي فتوة ببطلان الاستفتاء وأنه غير شرعي من وجهة نظر دينية، ومن القاهرة أعلن عبد الكريم الخطابي نفس الموقف[227].

خاض الاتحاد الوطني للقوات الشعبية المعزول المعركة وحده ضد الدستور في غياب سكرتيره العام، فتصد بوعبيد والبصري لطروحات القصر في عشرات التجمعات، حيث عقد عشرين تجمعا في الرباط وحدها، وقد انزعجت بعض عناصر الحزب من هذه الحملة، بل انفصلت عن الحزب كما حصل لرئيس مجلس القنيطرة المحلي، رغم أن المجلس الوطني للحزب أعلن يوم 26 نوفمبر عن رص الصفوف لمواجهة تكرار خطأ فردي ريعي[228].

جاءت نتائج الاستفتاء يوم 07 ديسمبر 1962 لصالح القصر بنسبة مشاركة 85 %، من بينهم 97 % قالوا نعم للدستور[229]، وظهر أن خيار المقاطعة قد فشل، وهو ما كان يريده الحسن الثاني حتى يبسط سيطرته التامة ويوجه ضربة قاضية للمعارضة التي باتت مقتصرة على الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وقال عن هذا الحدث فيما بعد: "الشيء الوحيد الذي أهمني هو الإرادة الشعبية وحجم التعبير عنها، والدي علمني أن لا أترك الأحداث للعفوية، بل أن أحاول دائما أن أسبق رغبات الأشخاص، لقد كان دافعي هو فقط احترام وعد أبي، ونتيجة الاستفتاء فرضت نفسها

---

[225]- صورة المهدي وهو مصاب، ملحق رقم : 26.

[226] -SMITH, op-cit. p: 212.

[227]- باهي، **مغرب الحسن الثاني**،ج2، جريدة الشعب، مقال سابق.

DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p :281.

[228] - Ibid, p :281.

[229] - ClEMENT, op-cit,p: 120.

على الجميع"[230]، في حين بقي المهدي بن بركة المبعد عن الساحة متفرجا على آلة النظام الدعائية موظفة الصحافة والإذاعة والتلفزيون والتيار التقليدي لصالح خياراتها[231]، وبعد عدة أيام هاجم من خلال مجلة (Jeune Afrique) التزوير الانتخابي والانحراف عن الديمقراطية.[232]

❖ **الانتخابات التشريعية:**

أراد القصر المغربي نزع أوراق المعارضة السياسية باستعجال بناء مؤسسات ذات مظهر ديمقراطي منتخب، ولم يكن يرغب في ترك الساحة كما كانت دوما للعفوية وللعمل السياسي الحقيقي الذي بات يشكل خطرا حقيقا بعد زوال أسباب التفاهم والتوحد، التي في ظلها قبلت الحركة الوطنية في عهد الاستعمار والاستقلال بالتحالف مع القصر، لكن بعد كل تلك التطورات ومع مجيء الحسن الثاني، فلم يعد يقبل بتقاسم السلطات وإجراء التسويات وترك الحرية للأطراف السياسية، فقد كان يريد إضافة شيء من الشرعية الشعبية الانتخابية إلى الشرعية التاريخية، التي لا يوازي فيها والده محمد الخامس، وسعى أيضا لوقف تقدم المعارضة عن طريق هندسة خريطة سياسية جديدة، فالانتخابات الأخيرة أظهرت سيطرة للتيار الوطني سواء القديم (حزب الاستقلال) الذي حصد في الانتخابات البلدية 40 % أو الجديد الراديكالي (UNFP) الذي حصل على 23 %.

تقرر تنظيم انتخابات تشريعية في17 مايو 1963، ولم يرد الحسن الثاني ترك هذه المعركة ولا خوضها باسمه الشخصي، فتأسست جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية (FDIC) من قبل رجل الحسن الثاني القوي رضا قديرة[233]، ولم يشأ الاتحاد الوطني للقوات الشعبية تكرار خطأ الاستفتاء على الدستور وأعلن عن مشاركته في هذه الانتخابات وأن المقاطعة ليست خيارا دائما "لقد

---

[230] - HASSANE II, op-cit, p:75.

[231] - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit ,p,p :71,72.

[232]- بيرو، مرجع سابق، ص: 62.

[233]- أشقرا، مرجع سابق، ص، ص:64، 65./ SMITH, op-cit. p: 214.

قرر الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أن يشارك في الانتخابات المقبلة لمجلس النواب، وبذلك اختارت منظمتنا أن تخوض معركة جديدة، وأن تفتح واجهة داخل صفوف القوات الرجعية نفسها"[234].

أكد المهدي بن بركة رفقة بوعبيد من خلال (Jeune Afrique) على أن الخصم الحقيقي هو ذلك الذي رفض القيام بمهمته الطبيعية كحكم، في إشارة إلى الملك الحسن الثاني الذي فكك الحركة الوطنية: "المهم في نظرنا ليس هو الشكل الذي تكون عليه النظم ولكن مضمونها، ويمكن أن أقول أن المسألة ليست في أن يكون رئيس الدولة ملكا أو رئيسا، فهذا ليس له إلا أهمية ثانوية، أما المهم فهو إخراج البلاد من حالة التخلف، ، ، إن المغرب ليس ملكا لأحد، إننا لا نستطيع أن نكون ملكيين أكثر من الملك، فإذا كان هناك رجل يحطم الملكية فهو الملك نفسه، أليس تحطيما للملكية أن تضع الدولة رجالا لا يمتُّون بصلة للشعب"[235].

هدد المهدي ورفاقه بالثورة في حالة تزوير الانتخابات، "وفي مواجهة محاولة هيمنة الإدارة على الشعب سنكون مجبرين على الرد ولن نبقى مقيدين بالشرعية"[236]، والصفحة ستقلب من قبل الحركة الوطنية والتي ستبدأ مرحلة جديدة من حياتها، لم يعد في هذا الظرف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحيدا في الطرح والتحقت به أطراف أخرى بدأت تتحسس خطورة ما يحدث، والتهديد الذي بات يتربص بالحرية والتعددية في المغرب وبإنجازات الحركة الوطنية؛ وقد أعلن علال الفاسي الزعيم التاريخي لحزب الاستقلال أن تزوير الانتخابات يهيئ الظروف لثورة قادمة[237].

قاد المهدي الحملة الانتخابية لحزبه وجاب البلاد طولا وعرضا وخطب في عشرات التجمعات أمام المناضلين والجماهير عبر المدن والقرى النائية[238]، وفي يوم 05 مايو 1963 نشر الاتحاد الوطني بيانا للشعب حول الانتخابات جاء فيه: "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية هو المنظمة الثورية التي تواجه النظام الإقطاعي الفردي بالعداء الصريح، وأحد أهدافنا المستعجلة هو محو هذا النظام لكي

---

[234] – بيان ال UNFP بمناسبة انتخابات مجلس النواب، 02 ماي 1963، وثيقة مطبوعة، ملحق الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص- ص: 144-147.

[235] – جريدة الشعب، عدد:107، 16 أفريل 1963، ص: 04.

[236]– جريدة الشعب، عدد: 108، 17 أفريل 1963، ص: 04.

[237] -SMITH, op-cit. p: 214.

[238] –صورة للمهدي يخطب في تجمع حاشد بيعقوب المنصور، الملحق رقم: 25.

تخلفه بصفة حتمية مؤسسات شعبية منتخبة في دائرة ديمقراطية سلمية يبنى عليها كيان الدولة ، ، ، إن الجميع موقن والحال هذه أنه لا سبيل لإصلاح النظام القائم وعلاجه أو تزكيته، وإن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لا يرى دواء له غير زواله"[239]، ويوم 12 مايو أمام المحتشدين في الرباط في تجمع انتخابي أعلن المهدي: "الكفاح الذي نقوده هو معركة ضد الأقلية من الخونة التي لا يتعدى عددها المائة أو المائتين، سنجتثهم عندما يستلم الشعب مقاليده"[240].

خاض المهدي بن بركة الانتخابات كمترشح في دائرة يعقوب المنصور بالرباط، كما ترشح عبد الرحمن اليوسفي في طنجة، وعبد الرحيم بوعبيد في القنيطرة، كانت الحملة جد عنيفة وركزت على الخيار الاشتراكي، هاجم بعنف الإقطاع والنظام الملكي وخياراته وتصرفاته وصرح قائلا:"لم نكافح ونتخلص من الاحتلال لنقع في يد نظام فردي متسلط"[241].

عمل النظام كل ما في وسعه لإفشال المعارضة وعلى رأسها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وإنجاح حليفه قديرة وال(FDIC) [242]، هذا الأخير وعد بمنح كل من يتخلى عن التصويت لل(UNFP) عشرة دراهم وعشرة كلغ طحين، وأحيانا قالب سكر وكمية من الشاي، وسخرت وسائل الدولة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وجهاز الإدارة المركزي، ووصل الأمر إلى التزوير من قبل الإدارة وقلب النتائج في العديد من الدوائر حيث كانت أصوات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية تمنح لمرشح الملك [243].

في النهاية حصلت ال (FDIC) على 69 مقعدا من 144، وحزب الاستقلال على 41 مقعدا وال(UNPF) على 28 مقعدا، فيما يؤكد كثيرون أنه حصل على 60 مقعدا[244]،

---

[239] – بيان ال UNFP بمناسبة انتخابات مجلس النواب، 02 ماي 1963، مصدر سابق.

[240] - SMITH, op-cit. p: 214.

[241] – جبرو، شهادة شفهية ، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

[242]– صرح أحمد البخاري ضابط الاستخبارات السابق في كتابه "السر" أنه تابع شخصيا العملية الانتخابية والضغوط التي مورست على المسؤولين المحليين لدفع المواطنين للانتخاب لل (FDIC) وأنه كان يجب أن يفوز مرشحيه بأي ثمن، وأنهم استخدموا كل الوسائل لجعل الناخبين يضعون الورقة المناسبة في الصندوق" .BOUKHARI, op-cit ,p: 81

[243] – بيرو، مرجع سابق، ص:63./ باهي ، **الوجه السياسي للمغرب بعد الانتخابات**،ج3، الشعب ، عدد: 147، 03 جوان 1963، ص: 04.

[244]– نفسه.

وانتخب بن بركة في دائرته بنسبة 90 %، كما فاز العديد من شباب الحزب في عدة مدن مغربية في مواجهة شخصيات سياسية مغربية عتيدة ووزراء مرموقين، فانهزم السيد المحجوبي أحرضان (وزير الدفاع) في الخنيفرة بقلب الأطلس، وسقط ادريس السلاوي (وزير المالية) في الدار البيضاء أمام محمد طاهري، بل اقتحم ال(UNFP) قواعدا جديدة مثلما حصل في سلا حين هزم المهدي العلوي أبوبكر القادري الوجه الاستقلالي المعروف، وفي الدائرة الثالثة في فاس هزم محمد اليازغي مرشح الاستقلال محمد الديوري وهو وزير سابق، ورغم أن كثير من وزراء الملك تجنبوا الدخول في مواجهة مباشرة مع مرشحي ال(UNFP)، ورفضوا الترشح في معاقل الحزب في الدار البيضاء والقنيطرة والرباط وطنجة وفي إقليم السوس وفضلوا الترشح في مدن ثانوية مثل فضالة (عبد الهادي بوطالب وزير الرياضة)، الصويرة (بن هيمة وزير الصناعة) وصفرو(أحمد العلوي وزير الصناعة التقليدية) فإنهم سقطوا باستثناء قديرة الذي فاز في الدار البيضاء[245].

رغم إلقاء الملك بثقله في هذا الاستحقاق وحملة الدعاية والتمويل والتزوير فقد حقق ال(UNFP) انتصارا ملحوظا في مناطق نفوذه وألحق هزائم معتبرة بممثلي النظام، كما أن حزب الاستقلال أبان أيضا عن حضور قوي وسقط في مواجهته معظم الوزراء من حلفاء القصر، حتى وإن رأى فيها البعض محاولة من النظام لإضفاء شيء من المصداقية على هذه الانتخابات، لكن رغم ذلك استطاع النظام تثبيت حلفاءه في الصف الأول، لكنه لم يستطع إقصاء المعارضة كليا بل دفع حزب الاستقلال للاقتراب أكثر من ال(UNFP) والمعارضة، وهناك من اعتبر أن حزب بن بركة قد حقق انتصارا باعتبار الأماكن التي فاز فيها والتي تعتبر المخبر الرئيسي الحقيقي وتحتوي على الغالبية العظمى من السكان ومن الطبقة الناخبة ولولا المناطق الثانوية والتقسيم الانتخابي الذي تحكم فيها النظام ووجّهه لمني بخسارة كبرى[246].

Abedelkader BEN BARKA, op-cit, p :192.

[245] – باهي، **الوجه السياسي للمغرب بعد الانتخابات**، ج1، ج2، الشعب ، عدد: 146/145 ،31 ماي/ 01 جوان 1963، ص: 06/04.

[246]– باهي، **الوجه السياسي للمغرب بعد الانتخابات**– الفائزون الحقيقيون، ج4، الشعب ، عدد: 148، 04 جوان 1963، ص: 04.

كانت نتائج الانتخابات ذات مغزى سياسي كبير، بالنسبة للمهدي ورفاقه أبانت عن اتجاه واضح من القصر ضد الديمقراطية وضد الحرية ونحو إفساد الحياة السياسية من خلال دعم رجال فاسدين ومن ذوي الماضي المشبوه، وبات من المستحيل التحالف مع النظام رغم أن الأبواب كانت مفتوحة لهذا الخيار في المرحلة السابقة على أساس برنامج وعقد واضحين، لكن أضحت القطيعة اليوم متجذرة أكثر وأكثر، من جهته بات القصر يدرك أن ال(UNFP) والمهدي باتوا العدو الرئيسي من خلال حدة الطروحات خلال الحملة الانتخابية، ومن خلال الانتصارات المحققة وكذلك الالتفاف الجماهيري من البسطاء حول الحزب وقيادته، وأضحى الأفق مفتوح على مواجهة أشد وأعنف فالمغرب لم يعد يحتمل وجود الطرفين.

المبحث السادس: الصدام بين النظام واليسار1963-1965.

بعد الذي حدث في التشريعيات ومع اقتراب موعد الانتخابات المحلية والإقليمية تزايد قلق القصر من قوة وتجذر ال (UNFP) شعبيا، فرغم التزوير فقد أحرز الحزب 28 مقعدا وحاز ثقة الجماهير في الأماكن المكتظة وفي كبريات المدن، فأُعْلِن عن تأخير الانتخابات حتى نهاية جوان وبدأت موجة قمع جديدة، انطلقت بعزل حكام مقاطعات وموظفون سامون متعاطفون مع المعارضة واعتقال المئات من مناضلي الاتحاد الوطني وإغلاق مقراته، ومست الاعتقالات أيضا عناصر من حزب الاستقلال[247].

كانت أجهزة الأمن تحضر لتوجيه ضربة كبيرة لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، فكان هناك تعاون استخباراتي مغربي فرنسي أمريكي، وكان بعض الضباط الأمريكيين المتخصصين يقيمون بشكل دائم في المغرب ويعمل معهم كثير من المغاربة، حيث هناك متابعة يومية لنشاط المعارضة مع وجود الآلاف من المخبرين والمندسين، وكانت عيونهم على عناصر اليسار الراديكالي مثل مومن ديوري وشيخ العرب[248] وطبعا الفقيه البصري[249].

أ-حملة جوان 1963 على ال(UNFP) أو المؤامرة البلانكية:

بدأت القضية يوم 13 جوان 1963 بتوقيف مومن ديوري في بيت أخته بالقنيطرة، وفي يوم 16 جويلية حاصرت الشرطة دار نقابات العمال بالدار البيضاء وأغلقت جميع الشوارع المحيطة،

---

[247]- باهي، **مغرب الحسن الثاني** ج1-ج2، جريدة الشعب، مقال سابق.

[248] - مومن ديوري ابن المناضل الاستقلالي الكبير أمحمد ديوري، قتلت جل عائلته في حادث مرور مشبوه في فترة الوجود الفرنسي، انتسب لحزب الاستقلال لكنه كان يعيب على قيادته السلبية وخيانة المقاومة مما استدعى مثوله أمام لجنة انضباط برئاسة المهدي بن بركة، أكمل دراسته في فرنسا وانظم لجبهة التحرير في الجزائر، لم يكن مطلقا يؤمن بالملكية، عاد بعد نهاية الثورة الجزائرية إلى المغرب يحمل معه حلم الجمهورية المغربية. بيرو، مرجع سابق، ص،ص:67، 68.

- شيخ العرب واسمه الحقيقي سيدي أحماد أو براهيم أكوليز، من جنوب المغرب، لقب بداية بشيخ الإسلام لتدينه ثم تحول لشيخ العرب في عهد المد العروبي، من الرعيل الأول للمقاومة المغربية، سجن في عهد الاحتلال، وفي عهد الاستقلال رفض كثير من تصرفات السلطة، كان من مؤسسي جيش التحرير الجنوبي، تجنب الاعتقال مرات عديدة ودخل حياة السرية والمواجهة مع الأمن المغربي، كان يعارض بشدة النظام الملكي ولا يرى في غير السلاح طريقا للحل، كانت له علاقة قوية بالجزائر والتي لجأ إليها فترة من الزمن، قتل يوم 15 جوان 1964 في مواجهة مع رجال أوفقير وسلاحه بيده. . أشقرا، مرجع سابق، ص، ص:76، 77.

[249] - BOUKHARI, op-cit, p: 35.

حيث كان هناك اجتماع يضم أمانة سر ال(UNFP) وأمناء السر الإقليميين وواحد وعشرون نائبا، فتم توقيف أزيد من مائة عضو من بينهم عبد الرحيم بوعبيد، وفي اليوم الموالي تم إيقاف الفقيه البصري، وامتدت حملة القمع إلى جميع المغرب فتم اعتقال أكثر من خمسة آلاف شخص من مناضلي الحزب[250].

اقتحمت الشرطة بيت المهدي لكنها فشلت في القبض عليه فقد غادر إلى القاهرة يوم 15 جوان 1963[251]، ونجا من حملة الاعتقال هذه، لكنها صادرت كل ما وجدته من أرشيف وملفات ووثائق، حيث نقلت إلى مركز الـ(CAB) وتم فرزها وفحصها تحت إشراف العقيد الأمريكي مارتن (MARTIN) وترتيبها بدءا من وثائق الحزب أيام الحركة الوطنية والمقاومة وحتى محاضر اجتماعات وقرارات الإتحاد الوطني للقوات الشعبية الأخيرة[252]، في هذا الظرف غادرت العائلة البيت وأضحى خاليا والمهدي لم يكن يعلم أنها آخر مرة يرى فيها المغرب.

دخل المغرب في حالة طوارئ فقطعت الطرق وخطوط الهاتف مع الجزائر، وفي يوم 26 جويلية بعد عودة الملك من جولة بباريس ومدريد صدر بيان وزاري رسمي أعلن وجود مؤامرة، وأعلنت صحيفة رضا قديرة (Les phares) أن الإتحاد الوطني لا علاقة له بالمؤامرة، بل هي من تنظيم أقلية ملتفة حول البصري، وأعلن باحنيني رئيس الوزراء في ندوة صحفية يوم 17 أوت أن البصري هو رأس المؤامرة التي دبرت في خريف جوان1961 وبرمجت ليوم 20 جويلية 1963، والتي يلعب فيها بن بركة دور مسؤول المالية؛ حيث حصل على أموال وأسلحة من الجزائر، وتحت إشراف متخصص في الانقلابات جاء من مصر، والتقى باليوسفي والبصري، فقام البصري بالاتصال بالمذبوح[253] قائد

---

(250) - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit ,p :79./ Abedelkader BEN BARKA, op-cit, p :193. /.69: بيرو، مرجع سابق، ص

(251) - CLEMENT, op-cit ,p :198.

(252) - BOUKHARI, op-cit :p,136.

(253)- محمد المذبوح، ولد في الريف سنة 1927، ضابط سابق في الجيش الفرنسي، خان والده الأمير بن عبد الكريم الخطابي فعاقبته القبائل بذبحه فأضحى هذا لقبه هو، خدم في الهند الصينية، تدرج في الجيش الملكي حتى أضحى قائد الحرس الملكي ثم قائدا للدرك، ثم وزيرا، ثم تولى منصب مدير البيت الملكي، يوصف بأنه كان نزيها وبعيدا عن الفساد، قاد انقلاب السخيرات على الحسن الثاني في جويلية 1971، وقتل من قبل رفيقه في الانقلاب العقيد عبابو، بيرو، مرجع سابق ، ص:87.

الحرس الملكي وضباط آخرون لمعرفة تفاصيل تصميم القصر الملكي، واتهم مومن ديوري وشيخ العرب بسرقة أسلحة من القاعدة الأمريكية بالقنيطرة لاستخدامها[254].

بدأت المحاكمات في هذه القضية يوم 22 نوفمبر 1963 وسط حضور إعلامي كبير، وتطوع المحامون من فرنسا ومن الجزائر واستبعد جميعهم بحجج مختلفة وبقي المغاربة وعلى رأسهم عبد الرحيم بوعبيد، كان دليل الإثبات الرئيسي هي اعترافات مومن ديوري، وتمثلت تفاصيل الإتهام في وجود مجموعتين يقودهما الفقيه البصري وشيخ العرب؛ قامتا بالتحضير لقلب النظام ولاغتيال الملك ومستشاره قديرة وأوفقير ومحجوب بن الصديق، كان أعضاء المؤامرة هم المهدي بن بركة واليوسفي.

كانت الانطلاقة الحقيقية للمحاكمة يوم 27 ديسمبر 1963، حيث استقبل ديوري ليدلي باعترافاته أمام التلفزيون والإذاعة وعشرات الميكروفونات وعدسات المصورين والصحفيين، وحيث كان أوفقير – الذي أشرف على التعذيب الوحشي له في دار المقري وحصل على اعترافاته وإمضاءه– متأكدا من السير الحسن للمحاكمة، وقد كتب ديوري لاحقا عن هذه اللحظة: "التفت ورائي لأرى إخواني الذين ينتظرون ماذا أقول بفارغ الصبر، سيادة القاضي هناك مؤامرة، نعم لكن من أوفقير على ال(UNFP)"، ثم نهض وكشف عن ظهره ليرى الحضور حجم التعذيب الذي تعرض له، وأحدث ذلك رد فعل عاطفي لدى الجميع وشكل قنبلة مفاجئة، عكس أماني أوفقير[255].

انطلقت حملة مساندة من مثقفين فرنسيين منهم شارل أندري جوليان، فرانسوا مورياك، جان بول سارتر، لويس أراغون وفرانسوا متران موجهين رسائل احتجاج للملك المغربي، وفي14 مارس 1964 صدرت الأحكام بالإعدام على البصري وديوري وبن جلون حضوريا وعلى المهدي بن بركة وشيخ العرب وستة آخرون غيابيا، وحكم على اليوسفي بسنتين مع وقف التنفيذ، كانت هذه المؤامرة الشهيرة في المغرب بالبلانكية وهي أكبر ضربة وجهت للمعارضة وال(UNFP) وبن بركة، رغم أن كثيرون رأوا فيها مؤامرة تستهدف وجود الحزب الذي أقضّ مضاجع الملك وحاشيته[256].

---

[254]– بيرو، مرجع سابق، ص، ص: 75، 76.

[255] - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit ,p-p :119-122./
بيرو، مرجع سابق، ص- ص:82- 116.

[256] - DIOURI, **réquisitoire contre un despote**, op-cit ,p :127.

وفي أجواء هذه المؤامرة وخلالها جرت الانتخابات البلدية يوم 28 جويلية 1963 والتي غاب عنها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحتى حزب الاستقلال وخلا الجو لحلفاء القصر؛ قديرة وجبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية لتحصد 85 % من المقاعد، ويبدو أن الهدف من المؤامرة قد تحقق، وهو القضاء على المعارضة الفاعلة وخلق جو من الرهبة والرعب في صفوف الطبقة السياسية[257].

مؤامرة سنة 1963 صنعت قطيعة عميقة بين الحسن الثاني وبن بركة، فاستعاد القصر المبادرة كليا وحطم اليسار، إنها لحظة توقفت فيها مسيرة النضال، وبات ال(UNFP) مهمشا وقائده ومحركه معزولا مطاردا في الخارج، أعضاء اليسار ظلوا دوما يتحدثون عن مؤامرة من القصر والأجهزة الأمنية على الحزب والديمقراطية، لكن هناك من يؤكد حقيقة المؤامرة فحميد برادة[258] المقرب من بن بركة يعترف بوجود مؤامرة "الحقيقة الصعبة أنه كان هناك مؤامرة" وأنه كان هناك مخطط للإطاحة بالملك ويشير إلى حادثة عرضية وقعت بمكتب بن بركة عندما وقعت صورة الحسن الثاني أرضا فالتفت إليهم قائلا: "لم يحن الوقت بعد ".

تعرض برادة بسبب تصريحاته للَّوم من قبل اليازغي أمين عام ال (USFP) في السبعينات فرد عليه: "أنا أعرف أنه كانت هناك مؤامرة مثل ما تعرف أنت لأني شاركت فيها "[259]، لكن حميد برادة يعود ليؤكد أن المهدي كان خارج هذه العملية وأن عمر بن جلون طلب منه الحذر وعدم الحديث للمهدي لأنه لا يعلم شيئا، وعبر عن خيبته من الفكرة التي كان يعتقد أنها عبارة عن ثورة مسلحة فإذا هي كانت تهدف فقط لاغتيال الملك[260].

يؤكد فرنسوا بيدران (François Pédron) صاحب كتب "فشل ملك، Echec au rois" أن البصري التقى حقيقة المذبوح بمنزل مصطفى بلعربي العلوي، ظانا أن المذبوح يميل

---

[257] – جريدة الشعب ، عدد: 274، 25 أكتوبر 1963، ص: 06.

[258] – حميد برادة، أمين عام إتحاد الطلبة المغربي في هذه الفترة، كان مقربا من بن بركة، بقي منفيا فترة في الجزائر وحكم عليه في قضية المؤامرة البلانكية.

[259]– حميد برادة، حوار، صحيفة الشرق الأوسط، عدد: 10095، 19 جويلية 2006.

[260] – حميد برادة شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

لليسار وطلب منه مخططا للقصر وغرفة الملك، وبالفعل أعطاء المذبوح المخطط لكن أبلغ الملك[261]، لكن الملك نفسه في وصف ما جرى قال: "نعم، مصطلح مؤامرة فيه نقاش، لكن الحقيقة كان موجودا في أذهان أولئك الذين حضورها، والبعض يظن أننا ضخمنا الأشياء"[262].

تضاعف الغضب على بن بركة في أكتوبر 1963 بسبب الموقف الذي اتخذه من حرب الرمال[263]، ووصف بالخيانة وحوكم بالإعدام يوم 09 نوفمبر 1963، حتى قبل البدء في محاكمته على قضية المؤامرة البلانكية، وبدا أن المغرب أضحى موصدا في وجه المهدي بن بركة، وبات أخطر أعداء القصر، حيث شنت عليه حملة دعاية وتشويه ولم يعد يحس بالأمن في مكان إقامته في سويسرا، كما عانت عائلته الأمرين تحت وابل من المضايقات والتحقت زوجته وأولاده بالقاهرة في صيف 1964، بعد فترة من التنقلات بين الأقارب، حيث وفرت لهم الحكومة المصرية بيتا[264].

احتج الطلبة آخر حلفاء المهدي الأوفياء وأضربوا، وغادر بوعبيد واليوسفي المغرب نحو أوروبا، وفي جوان 1964 اندلعت أكثر المواجهات عنفا بين آخر خلايا المقاومين وأنصار بن بركة وعلى رأسهم شيخ العرب، فيوم 11 جوان وجد أربعة منهم قتلى وتحدثت وكالة الأنباء عن جنود فارين من الخدمة العسكرية بتحريض من المدعو بن حمو المدعوم من الجزائر، وفي 15 جوان حاصرت الشرطة حي سيدي عثمان بالدار البيضاء حيث كان يختبئ شيخ العرب واندلعت مواجهة عنيفة انتهت بسقوطه وسلاحه بيده، وانتهت بذلك أسطورة المتمرد الذي لم يعترف يوما بالملكية[265].

أ- المنفى الأخير والتسوية التي لم تتم 1964- 1965:

طرأ شيئا من التغيير على سياسة الحسن الثاني وخفت حدة هجومه بعد تمرير العمليات الانتخابية وإخراج دستور يوافق مراميه وإكمال عملية تشكيل المؤسسات، وبعد توجيهه ضربات

---

(261) -François PEDRON, **Echec au rois**, Table ronde, paris, sa, p :161.

(262) – HASSANE II, op-cit, p :105.

(263) – بيان المهدي لشجب اعتداء المغرب،17 أكتوبر1963، ملحق رقم: 04، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص- ص: 148 -151.

(264) – جاك ديرجي، فردريك بلوكان، **خفايا اغتيال المهدي بن بركة – كشف جريمة دولية**، تر: محمد صبح، قدمس ، بيروت، 2006.ص، ص:223، 224.

(265)- بيرو، مرجع سابق، ص- ص،91- 93.

موجعة للمعارضة في تيارها الراديكالي الذي بات موزعا بين السجن والمنفى، فاتصل عن طريق مدير ديوانه إدريس المحمدي بعبد الرحمن اليوسفي من أجل تحديد موقف اليسار من الملك وإعطاء فرصة لحكومة وحدة وطنية واستقبل في هذا الإطار محجوب بن الصديق، ويوم 19 أوت 1964 خفف الحكم على الفقيه البصري وديوري وبن جلون بعفو ملكي إلى السجن المؤبد.

اقترح الملك مائدة مستديرة من جميع الأحزاب، لكن ممثلو اليسار لم يكونوا مع حل حكومة الوحدة الوطنية وسياسة الجرعات والتسويات، والتي لن تستطيع حلحلة المعضلات الكبرى التي يرزح تحتها المغرب، ففي سبتمبر 1964 استقبل عبد الرحيم بوعبيد من قبل الملك، ودار النقاش حول الأفاق الاقتصادية وتم الاتفاق على ضرورة التدخل العاجل لإصلاح الوضع، وأبلغ بوعبيد ملاحظاته للملك ومن أهمها ضرورة توفر مناخ سياسي ملائم، لكن الملك لم يعطي جوابا واضحا بهذا الخصوص[266].

ثم حدث ما جعل الحسن الثاني يعيد التفكير من جديد في وضع البلاد وخطواته السابقة، ففي يوم 23 مارس 1965 صدر قرار حكومي بفصل التلاميذ الذين يفوق سنهم الثامنة عشرة من الثانويات، وردا عليه نزل الطلاب إلى شوارع الدار البيضاء منددين ومرددين شعارات تعادي الحكومة، وشيئا فشيئا أخذ التظاهر منحى آخر بإحراق السيارات وتحطيم واجهات المحلات، فتدخلت الشرطة باعتقال البعض منهم، فنزل أولياء التلاميذ دعما لأبنائهم وتبعهم آلاف العاطلين والمحرومين، واندلعت موجة عنف حطمت كل ما طالته وحاصرت الجموع أماكن اعتقال التلاميذ وأصيب العديد من رجال الشرطة بعد نفاذ رصاصهم[267].

امتدت المظاهرات إلى فاس والرباط وسلا ومراكش ومكناس والقنيطرة ومدن أخرى ووجد الحسن الثاني نفسه في مواجهة انتفاضة شعبية، ولم يجد أمامه سوى أوفقير من أجل إخماد الاضطراب، فتدخل هذا الأخير بوحشية رهيبة مستخدما طائرة الهيليكوبتر ممطرا المحتجين بالرصاص، وتدخل الجيش بدباباته ليكمل المهمة التي انتهت بمئات القتلى (250) وآلاف الجرحى، لقد شكل الحدث

---

[266] - MURATER, op-cit, p :131.

[267] - بيرو، مرجع سابق، ص- ص: 96-98.

صدمة للحسن الثاني الذي لأول مرة رددت وكتبت شعارات مناهضة له، وبعد أسبوع طل من خلال جهاز التلفزيون معبرا عن خيبة أمله، ومحملا الأحزاب والنواب والنقابات المسؤولية محاولا امتصاص شيء من الغضب، لكن ذلك لم يمنع من تشكل قطيعة بين النظام والشعب غذتها الطريقة الوحشية غير المسبوقة التي تعامل بها أوفقير يد الملك الضاربة مع الحشود والتلاميذ[268].

أرجع البعض ممن أرخ للمرحلة تفجر الوضع للاحتقان الاجتماعي والظلم السياسي، لكن غياب المهدي كأحد الرجال الذين لهم مصداقية لدى الجماهير كان له الأثر البالغ في ترك الساحة السياسية فارغة، لقد كان المهدي أحد النزهاء القلائل وأفضل البدائل للنظام والأكثر حضورا شعبيا وهو الأمر الذي جعله دوما منافسا شرسا ومخيفا للملكية[269]، لكن يؤكد آخرون أنه لا دور مطلقا لل(UNFP) في هذه الأحداث، فشهادة اليوسفي لإحدى الجرائد الفرنسية (l'expresse) في مارس 1965: "أنا نفسي كنت في سويسرا طريح الفراش بسبب زكام، وزارني المهدي بالجرائد التي تتكلم عن الحدث وكان يبدو خارج ما وقع"[270].

قال المهدي معلقا على هذه الأحداث: "لقد كان القصر يعتقد أنه يستطيع إنقاذ نفسه بسلوك سياسة ديماغوجية رخيصة في جو من الحفلات المتواصلة ووسط ضجيج الدعاية لمشاريع خيالية تموت قبل ولادتها، ، ، وهاهو اليوم يواجه حالة جديدة، فإن المشاريع قد انتابها الفشل وسياسة التصلب الرجعي قد أفلست، وفشلت السياسة الاقتصادية والتجربة الدستورية ، ، ، نعم لقد اعترف الملك يوم 03 مارس 1965 بهذا الفشل، لكن لم يخلص إلى النتيجة المطلوبة ، ، ،ووقع الانفجار يوم 23 مارس 1965 فاضطر الملك للاعتراف بخطورة الوضع وتوقيف دولة الديمقراطية المزيفة دون أن يكون لديه الصراحة الكافية لتشخيص الداء"[271].

---

[268]- المهدي بن بركة، **إسرائيل في إفريقيا**، وثيقة مطبوعة، القسم الثالث من كتاب الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص: 93. / بيرو، مرجع سابق، ص،ص:99، 100./ أشقرا، مرجع سابق، ص:80.

[269] -Ali-Augste BOUREQUAT, **Tazmamart dix-huit ans de solitude**, recueilli par Francois Thibaux, Lafon, paris,1993, p :108.

[270]- أشقرا، مرجع سابق، ص: 80.

[271] -المهدي بن بركة، **التقديم الذي كتب سنة 1965 بمناسبة طبع كتاب الاختيار الثوري**، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص: 08.

وبعد خمسة عشر يوم أعلن الحسن الثاني العفو الكلي عن جميع المحكومين السياسيين بما فيهم مومن ديوري والفقيه البصري وعمر بن جلون، "كان هذا من أجل خلق جو من التهدئة، لأني قدرت شخصيا أنه لا يجب فعل شيء في ظل التصعيد"[272]، وأعلن عن رغبته في تشكيل حكومة اتحاد وطني، لكن بقي العفو المعلن مبهما بالنسبة لبن بركة بسبب تصريحات الملك: "كنت أتمنى أن يشمل العفو جميع الذين صدرت عليهم أحكام بسبب جرائم التعدي على أمن الدولة الداخلي، لو لم يهربوا بعد ارتكابها من وجه عدالة بلادهم ويفتشوا عن ملجأ في البلاد الأجنبية مع الاستمرار في طريق الخطأ"، وهذا ليس له إلا معنى واحد هو استثناء المحكومين غيابيا[273].

بعد هذه الأحداث عاود الملك الاتصال من جديد بالمهدي بن بركة يعرض تسوية عن طريق ابن عمه وصهره مولاي علي سفير المغرب في فرنسا وهو ما يؤكده المهدي في رسالته لزوجته:"حوادث الدار البيضاء شهر مارس جعلت الحسن يخاف على نفسه وعرشه ولذلك هو بادر بما يسميه العفو ومنح المعارضة مع الأحزاب تأليف حكومة جديدة "[274]، ويؤكده أيضا الحسن الثاني:"لقد بعثت ابن عمي وصهري وتم اللقاء سرا في بون"[275]، ويوم 25 أبريل تم لقاء في منزل عبد القادر شقيق المهدي، واستفسر الأخير من مولاي علي عن موقف الجيش من الاتصالات بين الملك واليسار ومصداقية الانفتاح، ورد ابن عم الملك بعرض العودة إلى المغرب، وأجاب المهدي بأنه سيفعل عندما يتفرغ من التزاماته الدولية[276].

تحدث الحسن الثاني فيما بعد عن حسن نواياه وعن صدقه في مسعاه وأنه تلقى وعدا من المهدي بالعودة خلال أسبوعين:"بعثت إلى المهدي مع مولاي علي، وقال له عد إن جلالة الملك يريدك إلى جانبنا وستفتح صفحة جديدة "، لكن المهدي كان يرى في ذلك مجرد مناورة منه لكسب

---

[272] - HASSANE II , op-cit, p:106.

[273]- بيرو، مرجع سابق، ص- ص:100- 102.

[274]- رسالة المهدي لزوجته بالقاهرة، 03 ماي 1965، الملحق: 04.

[275] - HASSANE II , op-cit, p:106.

[276] - Abedelkader BEN BARKA, op-cit, p,p :208, 209.

الوقت[277]، وحول هذه القضية هناك تداخل كبير وغموض، فقد دخل عبد القادر للمغرب للتفاهم حول عودة المهدي فاعتقل وتدخل مولاي علي بنفسه من أجل الإفراج عنه ونصحه بمغادرة المغرب[278]، والملك كرر في خطابه يوم 20 أوت 1965 إشارته لاستثناء المهدي من العفو: "إذا كان أشخاص قد أعطوا تفسيرات خاطئة لتصرفنا، فثابروا على ضلالهم وتابعوا العمل ضد بلادهم ومواطنيهم فالأمة بدورها قد تبرأت منهم والمجتمع لفظهم"، وفي كوبا أبلغ كاسترو المهدي بضغوط الحسن الثاني بوقف استيراد السكر الكوبي إذا بقي هو رئيسا للجنة التحضير لمؤتمر القارات الثلاث، مع ذلك بقي المهدي على أمل في تسوية الأمور[279].

في أكتوبر 1965 أبلغ المهدي محمد حسنين هيكل أنه مستعد لمد يده للحسن الثاني كما مد هو يده وأن يبدأ تعاون بعد سنوات من القطيعة، وأبلغه شعوره بالخطر من الجيش الذي صنع الاستعمار جل ضباطه: "إنهم اليوم يلاحظون أن التعاون مع الملك قد استأنف وعليهم أن يتدخلوا، إما يضغطون على الملك أو يصفوننا"، ويوم 29 أكتوبر أسرّ المهدي للطالب الزموري: " توجد عروض من الملك إيجابية جدا من الممكن أن تشكل حكومة تضم قوى سياسية أخرى، وهذا أمر جيد، لأن المعارضة المطلقة ليست في الأساس أمر جيد، أعتقد أن البلاد في حاجة إلينا"[280].

رغم أن المهدي لم يفتأ يذكر تسويف الملك وعدم جديته، لكنه أيضا يؤكد على دور الجيش الذي تنامى ومن وراءه المصالح الاستعمارية، وأنه لن يسمح بأي تسوية ولن يسمحوا للحسن الثاني بالتنازل: "ثم إن الجيش ومن وراءه المصالح الاستعمارية لا يمكنهم أن يسلموا الحكم بهذه السهولة"، وربما على هذا الأساس كان الحسن الثاني ووعيا منه بهذه المخاطر يلح في عودة المهدي[281]، وهو ما صدقته الأحداث لاحقا في غياب المهدي، فجاء أول انقلابين حقيقيين في المغرب سنة 1971- 1972 من قلب الجيش ومن قيادات سعت مرارا لترجيح كفة القصر وتصفية

---

[277]- رسالة المهدي الثانية لزوجته ، الملحق رقم: 05 ./ .HASSANE II , op-cit,p,p :106,113

[278]- ديرجي، بلوكان، مرجع سابق، ص، ص:268، 269./ بناني، شهادة شفهية، مصدر سابق.

[279] - بيرو، مرجع سابق: ص:107.

[280]- نفسه، ص:107.

[281] - رسالتي المهدي لزوجته، 1 و 2، مصدر سابق.

المعارضة، وهو أيضا ما يلمح له المهدي في كراسه الاختيار الثوري:" فالاحتمال قائم في أن الدعامة التي يظن النظام أنه مرتكز عليها، لا تفلت من يده فقط، بل إنها قد تصبح تهديدا خطيرا لبقائه"[282].

لم يعد المهدي أبدا للمغرب ولم يتم أي تسوية سياسية مع النظام، لم يصلحه ولم يسقطه، واختفى فجأة يوم 29 أكتوبر 1965 في قلب العاصمة الفرنسية باريس، في عملية اختطاف وتغييب لا زالت تثير الجدل لليوم، تاركا وراءه مئات الملفات والأسئلة وفراغا كبيرا في الساحة السياسية، لقد انتهى برحيله فصلا من حياة المغرب ومرحلة مهمة، ومثل نقطة انعطاف في المسار السياسي له.

كان المهدي علامة مميزة في الحياة السياسية للمغرب المستقل، بحركيته ونضاله ونشاطه وأفكاره، وخاصة بمواقفه ومعارضته، لم يكن سياسيا مجردا أو حزبيا سطحيا بل كان صاحب توجه وفكرة، سعى بكل قوته وطاقته ليجعل من إيديولوجيته ورؤيته واقعا ملموسا وأسلوبا يحكم وينفذ، عمل في إطار الشرعية المتاحة، واستغل كل المنافذ والوسائل، حالف وواجه ونسق وتعاون وعارض، كان يؤمن بتوازن القوة وبالإصلاح، لكن فشلت كل تلك المحاولات وأغلقت أبواب العمل في وجهه وضيقت السبل، وصودرت الأدوات والوسائل، وأغلقت اللعبة واحتكرت الممارسة والتسيير، وبات مهمشا و غريبا مضايقا، فاختار المنافي بديلا ليفتح عالما آخر أمامه.

[282]– المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص:31.

الفصل الثالث:

نضال المهدي بن بركة القومي والعالمي

المبحث الأول: المهدي بن بركة والجزائر.

المبحث الثاني: القضايا القومية في نضال المهدي بن بركة.

المبحث الثالث: نضال المهدي بن بركة على الصعيد العالمي.

المبحث الرابع: نهاية المهدي بن بركة أو قضية بن بركة.

الفصل الثالث: نضال المهدي بن بركة القومي والعالمي

تفرد المهدي بن بركة العلامة البارزة في الحركة الوطنية المغربية في مواجهة الاستعمار، والوجه الأبرز في الساحة السياسية المغربية بعد الاستقلال في نضالها من أجل الديمقراطية ومعركة البناء، عن باقي الطبقة السياسية المغربية، فقد كان له حضورا يوازي حضوره الداخلي على الصعيد الإقليمي والعربي والقاري والعالمي.

كانت له علاقة خاصة بالجزائر منذ عهد الحركة الوطنية ومرورا بالثورة التحريرية وحتى نظام الاستقلال، جعلته تلك العلاقة يبدو أقرب إلى الجزائر ونظامها وسياستها منها إلى المغرب نفسه، فكانت دوما حاضرة في فكره وتوجهاته ونضالاته تأثيرا وتأثرا، فمثلت له قضيتها متنفسا عن خيبات داخلية وأحلام فشل في تحقيقها بالمغرب رآها تتحقق في الجزائر، فثورتها هي تلك التي أجهضت بالمغرب وخياراتها في ما بعد الاستقلال؛ هي تلك التي ناضل من أجلها طويلا في المغرب وصارت واقعا بالجزائر، فكانت النموذج الذي تأمله و أراده.

بالنسبة له أيضا — في فترة معينة – مثّل العرب العمق والامتداد والحليف والشقيق وشريك الهم والقضية، والعروبة خلفية وثقافة وانتماء، فكان من المغاربة القلائل الذين رأوا في المشرق الامتداد الطبيعي ورأوا فيه التاريخ الواحد والمصير المشترك، لقد اعتبر بن بركة الامتداد للفكر القومي العروبي إلى المغرب، وهي أمور كلها كان لها وقع وانعكاس على مستقبله السياسي والشخصي، كما كانت مسيرته على الصعيد الإفريقي والدولي تؤهله ليكون أسطورة حقيقة تقارب شخصيات عالمية مثل تشي غيفارا وكاسترو وجياب وشوان لاي وناصر.

أدرك المهدي أن الصراع لا يجب أن يدار بنظرة قطرية قاصرة لأنه أكبر من قدرات أي بلد منفردا، وتأكد أن توحد الدول الفقيرة الخارجة لتوها من سيطرة الاستعمار في إفريقيا وآسيا وأمريكا، وهو ما يسمى بالعالم الثالث وحده كفيل بالتصدي للامبريالية الدولية التي خرجت من مستعمراتها القديمة ثم عادت من جديد تحت مسميات أخرى وبطرق أكثر خبثا وفاعلية، فنضال المهدي في

سبيل التحرر والنهوض لم يستغرقه المغرب ولم تحتويه الحدود، بل كان من أجل العالم أجمع، فنقل حركيته ونشاطه وحماسه من المغرب إلى ساحة النضال العالمي، فأضحت قضية الجزائر والعرب وإفريقيا والعالم الثالث هي اهتمامه وتركت بصمتها في مسيرته.

مستوى عمل المهدي الجديد بالقدر الذي صنع منه أسطورة حقيقية على الصعيد الداخلي وعلى المستوى العالمي، لكنه أيضا لفت إليه أنظار كثير من قوى الهيمنة الدولية كعنصر خطير ومؤثر، فبات ملاحقا من قبل كثير ممن يهمهم أمر توقفه عن نشاطاته وعن أفكاره التي رأوا فيها تهديدا حقيقيا لمصالحهم، فكان التقاء الخوف منه داخليا وخارجيا دافعا قويا لإسكاته.

المبحث الأول: المهدي بن بركة والجزائر.

كانت بداية علاقة المهدي بن بركة بالجزائر سنة 1940 حين جاءها طالبا جامعيا من أجل إكمال تعليمه العالي بعد حصوله على شهادة البكالوريا بالمغرب، فكانت الجزائر بداية لمرحلة جديدة أقام فيها المهدي علاقة مباشرة بالحركة الوطنية الجزائرية التي كانت نوعا ما متقدمة زمنيا على نظيرتها المغربية، واختلط بتياراتها السياسية، وشكل انخراط المهدي في النشاط السياسي بالجزائر بداية تشكل وعيه بمدى النضال وأبعاده خارج حدود المغرب[1].

استهل المهدي نشاطه السياسي المباشر بانخراطه في اتحاد طلبة مسلمي شمال إفريقيا (AMENA)، حيث شغل منصب رئيس هذه المنظمة[2]، وكان نائبه هو المناضل الجزائري شوقي مصطفاي، كما سبق الإشارة للعلاقة الوطيدة التي جمعته مع بعض رموز الحركة الوطنية في الجزائر، حسب ما ذكر الصحفي الفرنسي، ألبرت بول لونتان (Lentin) الذي تحدث عن علاقته بمصالي الحاج[3].

جمعت المهدي بوصفه منتميا لحزب الاستقلال علاقات تنسيق في الإطار المغاربي مع حركات التحرر في الجزائر وتونس، فعندما شكلت لجنة تحرير المغرب العربي في مصر تحت قيادة عبد الكريم الخطابي كان صداها لدى المناضلين الشباب التقدميين أكبر منه لدى الطبقة التقليدية، وحين كان المهدي في فرنسا ممثلا لحزب الاستقلال رفقة بوعبيد؛ كان مكتب الحزب هناك ملتقى للمناضلين المغاربة من الدول الأربع ويظهر هذا في المذكرة التي قدمت إلى الأمم المتحدة وكانت بإمضاء كل من المهدي بن بركة عن حزب الاستقلال وأحمد مزغنة عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية وجلول فارس عن حزب الدستور[4].

---

(1) - Mehdi El MANDJARA, op-cit, p :178.

(2) - Abdelkader BEN BARKA , op-cit, p, p :46,47.

(3) - أنظر الفصل الأول.

(4) -Déclaration des Partis d'Afrique du Nord aux ONU, op-cit.

أ- التنسيق لإطلاق الكفاح المسلح:

هناك شبه إجماع على أن بدايات التحضير لعملية الكفاح المسلح بدول المغرب كانت تتم بتنسيق تام انطلاقا من مبادرة عبد الكريم الخطابي سنة 1947، وتواصلت بفضل المناضلين الميدانيين، ويعترف المهدي نفسه لاحقا بوجود وحدة نضال في هذه الفترة: "واليوم نجد مرة أخرى شعب أقطار المغرب العربي موحدا كما كان من 1953 إلى 1955"، لقد شكلت المنطقة الشمالية المحتلة من قبل إسبانيا معقل النشاط المشترك وتكوين الخلايا المسلحة من قبل المقاومة المغربية التي كان عمادها رفاق بن بركة الأوائل، بدءا بالفقيه البصري الذي كان على رأس المنظمة السرية، واليوسفي الذي كان هو المنسق العام بتكليف من بن بركة، وآخرون مثل عبد الله الصنهاجي، الحسين برادة، الناصر الطويل، محمد بن سعيد أيت إيدر وأيضا من خلايا جزائرية تحت قيادة محمد بوضياف وبن بلة وعبد القادر بوزار[5].

وفي ظل تماطل القيادة السياسية التقليدية لحزب الاستقلال وتحمس التيار الشبابي بقيادة بن بركة، تم التخطيط المشترك لتسريع تجهيز الوحدات القتالية وتنظيم الخلايا، وأقرت اجتماعات القادة من الطرفين إنشاء جيش تحرير المغرب العربي، وشكلت لجنة مشتركة عامة ولجنة تنسيق لجيش التحرير المغاربي بالناظور يوم 15 جويلية 1955، ووضع على رأسها أربعة أعضاء هم: محمد بوضياف وبن مهيدي من الجزائر وعباس المسيعدي وعبد الله الصنهاجي من المغرب، وانتخب عباس المسيعدي كاتبا وبوضيف أمينا لها[6].

و تم إطلاق العمليات العسكرية بالمغرب على أساس هذا الاتفاق يوم الفاتح أكتوبر 1955 في الأحداث المشهورة بتيزي وزلي، وتازا، بوزنياد، إيمونار مرموشة و بركبة[7]، وقد ساهمت مصر في تمويل التدريب حيث تنقل المناضلون عبر إسبانيا، التي كان رئيسها فرنكو يغض الطرف عما يحدث

---

[5]- مقلاتي، مرجع سابق، ص:112.

[6]- نفسه، ص، ص: 105، 106.

[7]- غلاب، **الحركة الوطنية المغربية**، ج1، ص:676.

نكاية في فرنسا، ووصلت إلى الناظور دفعة السلاح الأولى على متن اليخت دينا واستقبلها السعيد بونعيلات وبوضياف [8].

ورغم أن المغرب دخلت في مسار تفاوضي وحصلت على الاستقلال فقد استمر التنسيق بين المناضلين واستمر تدفق السلاح وتنقل الناشطين الجزائريين إلى التراب المغربي للتدريب والتموين، واستمرت علاقات وثيقة خاصة بين المقاومة المتمركزة في الناظور بقيادة المسيعدي والصنهاجي وكذلك البصري واليوسفي وبن بركة.

في جانفي 1956 عقد اجتماع في مدريد لقادة المقاومة وجيش التحرير المغربي تم فيه الاتفاق على عدم وضع السلاح حتى استكمال تحرير كامل بلاد المغرب بما فيها الجزائر، وهو اللقاء الذي تم فيه تقسيم جيش التحرير وجعل من مهام الجيش الجنوبي تحت قيادة بن حمو المسفيوي وشيخ العرب دعم الثورة الجزائرية بالجنوب، حيث كانت رغبة المهدي بن بركة الظاهرة في نقله للمناطق الجنوبية هي الضغط على القوات الفرنسية التي لا زالت بالمغرب ورفع الخناق عن الثوار الجزائريين، وفي هذا السياق جاءت أحداث عدي أو بيهي حسب المهدي التي امتدت من قصر السوق جنوبا وحتى الناظور شمالا بغية قطع الاتصال بين الثوار الجزائريين ونظرائهم المغارب[9].

لم تنقطع أبدا زيارات المناضلين الجزائريين للمغرب ولقاءاتهم بالمناضلين المغاربة وعلى رأسهم بن بركة ففي صيف 1956 قامت قيادات عليا للثورة الجزائرية وهم بن بلة، بوضياف، خيضر، أيت أحمد، والصحفي مصطفى الأشرف بزيارة للمغرب، حيث قام اليوسفي والبصري بإيصالهم لبيت المهدي بن بركة حتى قبل زيارة الملك واستمرت النقاشات حتى ساعة متأخرة من الليل، وفي اليوم التالي التقوا الملك محمد الخامس، وبعد إقلاعهم تم تحويل الطائرة من قبل الفرنسيين

---

[8] - مقلاتي، مرجع سابق، ص- ص: 102-125./

MOURAD, op-cit,p :54. / HASSANE II, op-cit :55

[9]- تقرير المهدي لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي، مصدر سابق.

في الحادث المشهور، فاندلعت احتجاجات في المغرب قادها المناضلون المغاربة وعلى رأسهم التيار الراديكالي من أتباع بن بركة وانتهت بقتل العديد من الأوربيين[10].

ولعل الدور الأبرز الذي لعبه المهدي كان في مؤتمر طنجة، الذي انعقد على إثر لقاء جمع المهدي بن بركة وعلال الفاسي وعبد الرحيم بوعبيد وكانت له علاقة مباشرة مع الحرب وكان القصد من وراء تنظيمه هو إظهار التضامن بين الأقطار الثلاثة تونس، المغرب و الجزائر ودعم كفاح الشعب الجزائري، عبر إيجاد آليات الدعم المادي والمعنوي[11].

وقد أخذت القضية الجزائرية نصيب الأسد من النقاشات باعتبارها قضية المغرب العربي الأساسية، فأعلن المؤتمر مبدأ حق الشعب الجزائري المقدس في السيادة، واعتبر أن الاستقلال هو الشرط الوحيد، والموضوع الوحيد للمفاوضات بين الطرفين، وهو الحل للنزاع الفرنسي الجزائري، وأقر المؤتمر أن تقدم الأحزاب السياسية؛ للشعب الجزائري المكافح من أجل الاستقلال كامل مساندة شعوبها وتأييد حكوماتها، وكانت إحدى توصيات المؤتمر هي إنشاء كتابة تجتمع دوريا من أجل متابعة تنفيذ مقررات المؤتمر، وتجتمع هذه الهيئة في العاصمتين التونسية والمغربية دوريا، كان أعضاءها عن المغرب: المهدي بن بركة والفقيه البصري، ومن الجزائر فرحات عباس وبومنجل ومن تونس الباهي لدغم وعلي بلهواري[12].

ب- مواقف المهدي من الجزائر بين 1956 و 1959:

مثل انطلاق المسار التفاوضي بين الحكومة الفرنسية والوطنيين المغاربة تحطيما للمجهود المغاربي المشترك من أجل الكفاح المسلح الموحد، فكانت مناورة فرنسية من رئيس الوزراء إدغار فور (Edgar Faure) حين استشعر خطورة الموقف[13]، وهو ما يؤكده كثيرون منهم ما ذكره إدغار فور على لسان هواري بومدين الذي أخبره أن خرق الاتفاق الموقع بين الوطنيين الجزائريين

---

(10) - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p,p :157,158.

(11)- بلقزيز، مفضال، بقالي، مرجع سابق، ص: 237.

(12)- مقلاتي ، مرجع سابق، ص، ص:345، 554.

(13) - MOURAD, op-cit, p :54.

والتونسيين والمغاربة من أجل التحرر المشترك سببه أن المسؤلين المغاربة التقليديين كانوا يتخوفون من سيطرة التيار الراديكالي في حالة خوض المعركة المسلحة لهذا مالوا للحلول السياسية[14]، وهو نفس الطرح الذي يذهب إليه بن بركة [15].

كان هناك خلاف داخل الصف الوطني المغربي حول التفاوض، فعلال الفاسي رفض لقاءات إيكس ليبان (AIX-LES-BAINS) من أجل فتح المجال للكفاح المسلح وللقضية الجزائرية[16]، والمهدي بن بركة صاحب الطرح الراديكالي دفع في البداية ضد القبول بهذا المسار، ورفض أي تسوية لا تتوافق مع مسار الكفاح، وتحت ضغط عناصر الحزب خاصة بوعبيد الذي كانت تجمعه علاقات وطيدة بالمثقفين الفرنسيين ومنهم زوجة إدغار فور اليسارية لوسي (Lucie)، تراجع وقبل بالمشاركة، وقد بقيت الطائرة التي كانت ستقل الوفد المغربي للمفاوضات تنتظر في مطار سلا ستة وثلاثون ساعة والحركة لا تتوقف بين الإقامة وبيت المهدي من أجل إقناعه بالاشتراك في الوفد وفي الأخير قبل بالانضمام للقاء[17]، ومن هاته اللحظة سيبدأ المهدي مسارا سيندم عليه كثيرا لاحقا، فقد أضر بالمسار المغاربي المشترك خاصة أنه كان أحد من أقنعوا المقاومين بوضع السلاح لإنجاح مسار إيكس ليبان[18].

وشيئا فشيئا غاص المهدي في الهم المغربي القطري وفي طروحات حزب الاستقلال ومغرب يمتد من البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وحتى السنغال مرورا بتندوف، وهو ما تثبته كثير من الشهادات مثل تلك للصحفي الفرنسي جورج شافارد (Georges Chaffard): "بضعة شهور بعد الاستقلال علال الفاسي والمهدي بن بركة التقوا الجنرال الفرنسي كوني (Cogny) قائد الفرقة الفرنسية بالمغرب، بن بركة أكد له أنه لا نزاع على الحدود ونستطيع تصور سيادة ثنائية فرنسية

---

[14] - BALTA, op-cit, p :22.

[15]- المهدي بن بركة ، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق،ص، ص: 41، 42.

[16]- بلقزيز، مفضال، بقالي، مرجع سابق، ص: 70.

[17] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p -p :90-100./

صورة المهدي في الوفد المفاوض لحظات قبل إقلاع الطائرة إلى باريس، ملحق رقم: 13.

[18]- مقلاتي ، مرجع سابق، ص:141.

مغربية لاستغلال خيرات ما تحت الأرض في موريطانيا، علال الفاسي نبهه بحدة نسيت تندوف فيرد المهدي؛ آه، نعم، ضع أيضا تندوف"، وأضاف: "يكفي أن يتم وضع أول عارضة في خط السكة الحديدية الرابطة بين تيندوف وأغادير بشكل احتفالي حتى يتم التخفيف من هياجنا ويتم وقف جيش التحرير المغربي"[19].

هناك من رأى في مواقف المهدي براغماتية صرفة من أجل مصالح المغرب القطرية ولا تعكس حقيقة مواقفه وأفكاره، وإنما هي انعكاس لواقع الاقتصاد المغربي الرازح تحت المشاكل والباحث عن مخرج من خلال الثروات التي تختزنها الصحراء المشتركة، "أستاذ الرياضيات المغربي بن بركة الذي يستلهم مشروع المغرب الكبير كان سيكتفي بالحدود الحالية إذا ضمن أن الثروات الباطنية في موريطانيا والصحراء سيتم تقاسمها"[20]، و يؤكد هذا الكلام حديثه هو نفسه: "إن المشروع السياسي للمغرب العربي يهدف إلى إنشاء قوة اقتصادية اعتمادا على الموارد الطاقوية التي تختزنها الصحراء المغاربية التي من شانها إقامة الفرصة لتنمية اقتصادية حقيقة يمكن مقارنتها بتلك التي عرفتها أوروبا أثناء ثورتها الصناعية"[21].

لكن المشاكل التي عرفتها الحدود في هذه الفترة ترجح ميولاته وتبنيه لطروحات حزب الاستقلال، فبالجنوب الغربي واجهت المناضلين الجزائريين مجموعة معضلات، فتواصلت هجمات القوات الفرنسية انطلاقا من الأراضي المغربية، وتواصلت عمليات المصالح العسكرية المغربية التي تعرقل تحركات وحدات الجيش الجزائري ونقل الأسلحة، فاقترح بوصوف تدخل الوفد الخارجي للثورة لدى محمد الخامس، وعندما لم يفد ذلك تنقل دباغين وتوفيق المدني إلى المغرب يوم 18 فيفري 1957 وتم عقد لقاء بحضور الشيخ خير الدين بين قادة جبهة التحرير وبعض قادة حزب الاستقلال ببيت المهدي بن بركة منهم الفقيه الغازي وعمر بن عبد الجليل، وحاول المدني التذكير

---

(19) - Georges CHAFFARD, **Les Carnets secrets de la décolonisation**, Calmann-levy, Paris, 1967, p :115.

(20) -Ibid, p :115.

(21) - Mehdi BEN BARKA, **problèmes d'édification du Maroc et Maghreb**, op-cit, p :42.

بضرورة التضامن والوحدة وكان رد المهدي بن بركة باسم حزب الاستقلال أن هناك غموضا يكتنف التوجه والخلفية الأيديولوجية لجبهة التحرير واستحالة العمل مع حركة ليست لها أهداف واضحة "في إشارة لشبهات حول التوجه الشيوعي" فرد المدني أن جبهة التحرير حركة وطنية تنطلق من مقومات الشعب الجزائري المسلم، فأنهي الخلاف وحلت القضية [22].

وحول هذا الموضوع يتحدث محمد حربي: "الحدود الإقليمية للمغرب كانت دائما تثير تحفظات لدى القادة الجزائريين اتجاه المهدي بن بركة، وأثناء الكفاح المسلح وقعت صدامات في منطقة فيجيج بين وحدات جيش التحرير الجزائري والتي كانت تنقل السلاح وبين جيش التحرير المغربي، وهو ما دفع لعقد لقاء يوم 08 أبريل ثم يوم 06 مايو 1959 بين الطرفين، ومثل المهدي بن بركة والبصري الطرف المغربي وتم التوصل لاتفاق لم يحترم أبدا وبوصوف حمل بن بركة المسؤولية"، ثم يضيف: "تناقشت مع المهدي حول الموضوع وقد بعث للحكومة المؤقتة يستفسر حول قضية الحدود، وكانت الإجابة أن الحل مع فرنسا لن يمس قضايا الحدود، وسيتم التفاهم بخصوصها مع تونس والمغرب من أجل تشارك ثروة الصحراء"، ويؤكد حربي على موقفه: " لست مع من يقول أن المهدي تخلى عن طرحه حول الحدود لكنه فعل فقط لظروف منعته من الكلام بوضوح مثل رفاق آخرين"[23].

الصحفي الإيطالي أتيليو غوديو (Attilio Gaudio) الذي كان متواجدا في هذه الفترة بمنطقة الصحراء الغربية وبالضبط في منطقة عمليات جيش التحرير الجنوبي، ذكر أن زعماء حزب الاستقلال القادمين من الشمال أخبروا سكان منطقة عكا أن الاستقلال الذي توج بعودة محمد الخامس لم يكن إلا مرحلة، ويجب استئنافه بتحرير المناطق الصحراوية حتى السنغال، وإن استرجاع منطقة فم الاعشار ليس إلا خطوة في طريق استرجاع تندوف[24] .

---

[22]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات، دار البصائر، 2009، ص،ص:281، 282./ مقلاتي، مرجع سابق: ص،ص: 234، 235.

[23] - Med HARBI, **Ben barka et les nationalistes arabes**, colloque Mehdi Ben Berka de l'indépendance a la tricontinentale, op-cit, p,p :137,138.

[24] - GAUDIO, **Guerres et Paix aux Maroc**, op-cit, p,p :75,76.

ج- علاقات المهدي بالثورة الجزائرية بعد تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية 1959-1962:

بعد انفصال المهدي عن حزب الاستقلال باتت مواقفه أكثر وضوحا اتجاه القضية الجزائرية، بل أضحت بندا ثابتا في وثائق الحزب ومقرراته، ففي ميثاق تأسيس الحزب نفسه وضع كهدف مهم مساعدة الشعب الجزائري المكافح من أجل تحرره [25] ، بل عندما وضع برنامجا كرؤية ثورية للحزب جعل من شروطه وكحد أدنى؛ التضامن الفعلي مع الجزائر[26]، لقد اعترف بالخطأ المرتكب في حق مسار الكفاح المشترك ضد الاحتلال وتفضيل أسلوب المفاوضات: " فلا أحد ينكر الدور الذي لعبه اقتران الحركتين التحرريتين الجزائرية والمغربية وما كان سيترتب عليه في تحول السياسة الفرنسية، وأيضا ليس من قبيل الصدفة أنه في الوقت الذي بدأ فيه المناضلون يدركون المعنى العميق للنضال الوطني أن يفهم المستعمرون المعنى العاطفي لإرجاء الملك من منفاه، كانت السياسة الاستعمارية في منتهى الذكاء"[27].

لقد تم إجهاض ذلك المسار الموحد بين الحركتين النضاليتين، وبعد فترة من الانكفاء الذاتي والتقوقع هاهو يعود ليقر أنه فعلا كان هناك جهد مشترك تم الالتفاف عليه لصالح تسويات داخلية ومصالح خارجية: "واليوم الشعوب موحدة كما كانت بين 1953 و1955 في جبهة الكفاح المسلح ضد الجهاز الاستعماري، الذي تكمن في نهاية 1955 من تفتيت هذه الجبهة بإعطاء استقلالات خادعة لتونس والمغرب"[28].

تحولت القضية الجزائرية لهَمٍ رئيسي في نشاط المهدي النضالي، ففي نوفمبر 1960 في تقريره لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي؛ ذكّر بقرار حزب الاتحاد الوطني المتخذ على مستوى المجلس الوطني المنعقد يوم 21 أكتوبر 1960 والقاضي بربط نضال الحزب من أجل تصفية الاستعمار والإقطاع بنضال الشعب الجزائري، وإلحاح الحزب على جلاء القوات الأجنبية المتواجدة في المغرب

---

[25]- ميثاق ال UNFP، مصدر سابق.

[26]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:65.

[27]- نفسه، ص،ص:41 ، 42.

[28] - نفسه، ص:78.

والذي يساعد في حل القضية الجزائرية حتى لا يكون المغرب مساهما بأي شكل في تعطيل استقلال الجزائر[29].

بعد خروج المهدي من المغرب وتفرغه لنشاطه الدولي كانت قضية الجزائر محور اهتمامه، وركز جهوده على توفير وسائل الدعم المعنوي والمادي لها من خلال منظمة التضامن للشعوب الأفرو أسيوية، خاصة بعد تأسيس صندوق التضامن لدعم حركات التحرر في العالم الثالث والمدعوم أساسا من الاتحاد السوفياتي والصين، وأيضا من خلال علاقاته وزياراته للعديد من الدول والمحافل فكان محاميا عن القضية الجزائرية، كما استفاد هو أيضا من دعم الجزائريين في منظمات العالم الثالث، والتي كان لهم فيها حضورا مميزا، لكن نتيجة صعوبة تحركهم وتبوؤهم للمناصب بسبب الاحتلال كان هو دائما العنصر المرجح والذي يحظى بدعمهم في الانتخابات على مستوى الهياكل، مثل صندوق التضامن ونيابته لرئاسة حركة التضامن الأفرو أسيوي، وقد حاول المغرب الرسمي الضغط على جبهة التحرير في هذه الفترة لقطع العلاقة مع المهدي بعد توجه ال (UNFP) للمعارضة لكن ذلك لم يفلح[30].

بداية من يوم أول نوفمبر 1960 بدأ ال (UNFP) رسميا يعبئ لصالح الثورة الجزائرية وفي الأول نوفمبر1961 قام اليسار المغربي بإحياء ذكرى انطلاقة الثورة الجزائرية، وتحول الاحتفال إلى احتجاج تم فيه اقتحام السفارة الفرنسية بالمغرب ونهبها وتم حرق العلم الفرنسي ورفع العلم الجزائري مكانه وتم ترديد شعارات تمجد بن بلة وتسيء للحسن الثاني، الأمر الذي دفع لتدخل الشرطة ومصالح الأمن لتخلف الاحتجاجات قتيلين وعدد من الموقوفين، وتكرر نفس شيء يوم 17 نوفمبر بمراكش[31].

اعتبر المهدي بن بركة أن الثورة الجزائرية تمثل الصفاء الثوري وتتوفر على رصيد من الكفاح ومقومات التماسك، ذلك الرصيد الذي هو العامل الأهم لنجاح الجزائريين في اجتياز مرحلة تصفية الاستعمار وتلافي الفخاخ التي ستنصب في طريقهم لا محالة، مثل ما وضعت في طريق المغاربة،

---

[29] – تقرير المهدي بن بركة لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي، مصدر سابق.

[30] – HARBI, op-cit, p :139.

[31]-نفسه. / DAOUD – MONDJIB, op-cit ,p :263.

ولم يتصور أي نهاية لكفاح الشعب الجزائري غير الانتصار وأنه يمكن أن يبوء بالفشل، لكنه حذر من سياسات الاستعمار المخادعة التي تلتف على مطالب الشعوب، ويجب أن تؤدي نضالات الجزائريين وتضحياتهم لتنصيب نظام ثوري حقيقي والذي هو جبهة التحرير الوطني[32].

د- علاقة المهدي بالجزائر المستقلة، 1962- 1965:

بتوقيع اتفاقية إيفيان أمل المهدي أن تكون الجزائر هي الحالة المرجوة لتطبيق النموذج التقدمي، وكانت هناك خلال هذه الفترة اتصالات عديدة بين اليسار المغربي وقادة الثورة الجزائرية، فتواصل اليوسفي مع محمد حربي ولشرف ورضا مالك أثناء إعداد ميثاق طرابلس من أجل المبادرة المغاربية وقد بلَّغه فرحات عباس أن هناك انشغالا وأولوية داخلية بعملية بناء المؤسسات[33].

ومن خلال ميثاق طرابلس الذي وضع لبناء الدولة الجزائرية ومؤسساتها كان هناك تشارك لنفس الأفكار التي تبناها حزب بن بركة، فالأولوية لمعاداة الاستعمار والأمبريالية والثورة الاقتصادية والاجتماعية وتحرير الفلاح والطبقات الكادحة، وكان هناك دعوة للتقارب مع القوى الثورية التقدمية بالمغرب على عكس تونس[34]، ومن هذه اللحظة باتت الجزائر المستقلة ونجاحها قضية شخصية للمهدي " إن مستقبل الجزائر لا يهم الجزائر وحدها ولكن يهم المغرب العربي بأسره، ومن واجبنا كذلك ألا نتسامح مع أنفسنا في الماضي من أخطاء وسوء تقدير، حتى نساعد بتجربتنا المتواضعة إخواننا الجزائريين".

كان تعويل بن بركة على الجزائر كبيرا لإحداث تغيير داخلي وتأثير مباشر في المعركة المغربية الداخلية بين القوى التقدمية وحلفاء الاستعمار كما يسميهم: "إن الوضع في الجزائر هو الذي سينتج عنه توضيح أكبر لنوعيات القوة المتقابلة في المغرب والذي سيؤثر بشكل ايجابي أو سلبي"، وقد رهن

---

[32]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص:22، 23./ المهدي بن بركة، **الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف**، الشعب، مقال سابق.

[33] - DAOUD – MONDJIB, op-cit ,p :265.

[34]- مقلاتي، مرجع سابق، ص: 464.

المهدي نجاح القوى التقدمية المغربية بتمكن جبهة التحرير الجزائرية من الإمساك بزمام السلطة في الجزائر [35].

ومباشرة بعد الاستقلال سارع المهدي لبعث مجموعة رفاق وصحفيين من باريس ليكونوا في تصرف الجزائريين، وأشهر معدودة بعد ذلك أضحى يتردد بشكل دائم على الجزائر، فبن بلة يستقبل كل المناضلين المعادين للامبريالية وكل أحرار العالم مثله ومثل تشي غيفارا ومانديلا، وبن بركة بالنسبة له: "صديق حميم، وله الحرية أن يتجول في كامل الجزائر في حماية الشرطة والدرك"[36].

وعندما تلاحقت الأحداث في المغرب وتصاعدت المواجهة بين ال(UNFP) والحسن الثاني وحملة القمع التي أعقبت المؤامرة المزعومة في جويلية 1963؛ اتهم المغرب الجزائر بالوقوف وراء القضية وتمويل التقدميين المغاربة بالسلاح، وأصبح بن بركة مطاردا فاحتضنه النظام الجزائري رسميا، وقام بن بلة بتخصيص راتبا شهري له قدر بحوالي 250 ألف فرنك فرنسي قديم وهي نفس قيمة راتب بن بلة نفسه، وعينه مستشارا ومبعوثا له في قضايا عديدة[37]، وبقيت الجزائر مكان إقامة ثابت للمهدي رغم كثرة ترحاله، وقضى فيها فترة ستة أشهر متتالية ارتبط فيها بشبكة هنري كوريل (Curiel Henry)[38]، ويذكر جون تابات (Jean Tabet) أحد مناضلي قضايا العالم الثالث وأحد أعضاء شبكة كوريل أن بن بركة طلب منه في لقاء على غداء بالجزائر إخراج بوعبيد من المغرب، وتنقل تابات إلى المغرب والتقى بوعبيد لكنه رفض الخروج وأخبره أن مكانه بالمغرب[39].

حاول بالجزائر إنشاء فرع لل (UNFP) ومكاتب ربط مكونة من الطلبة، وقد وضعت جبهة التحرير تحت تصرفه فيلا في القبة حيث كان يجتمع فيها المنفيون المغاربة من الطلبة وقدماء

---

[35]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، ص،ص: 23 ،24.

[36]- بن بلة شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001./

DAOUD – MONDJIB, op-cit ,p :265.

[37] – بن بلة شهادة شفهية، مصدر سابق.

[38] – مناضل يساري مصري المولد (1914)، إيطالي الأصل، من جذور يهودية، مناصر لقضايا العالم الثالث ، أسس شبكة حاملي الحقائب أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، وفر له النظام الجزائري الحماية في الستينات، اغتيل سنة 1978،

, le monde Gilles PERRAULT, **Henri Curiel**, **citoyen du tiers-monde** déplomatique, n°: 528, avril1998,p,p :24,25.

[39]- جون تابات، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

المقاومة وصحفيون، كان أيضا يريد إنشاء مدرسة إطارات فتلقى بهذا الخصوص مساعدة ألمانيا الشرقية التي زودته بسيارة، وكذلك تلقى مساعدة مناضلين فرنسيين مثل غاليسو (Gallissot)[40] الذي ألقى محاضراته على المناضلين، كان بن بركة يريد من هؤلاء أن يصبحوا إطارات تستطيع مساعدة دول العالم الثالث، وقد تواجد معه بالجزائر في هذه الفترة السعيد بونعيلات وشيخ العرب وجبلي وأعضاء آخرون من المقاومة الذين طالهم المنفى، ولم يكن لديه قرارا واضحا أو مشروعا محددا، فقد سعى من أجل عودة المغاربة الذين كانوا مقيمين في الفيتنام بعد مشاركتهم في الحرب هناك مع الفرنسيين، كان يريد فتح مراكز تدريب لهم رغم أن كثيرين يؤكدون حرصه على عدم النزوع للثورة المسلحة والدخول في نزاع طويل يهدف للاستيلاء المسلح على الحكم[41].

❖ حرب الرمال وموقف المهدي بن بركة:

مع تأزم الوضع بين الجزائر والمغرب واندلاع الاشتباك الحدودي بعد هجوم القوات المغربية على الأراضي الجزائرية في 15 أكتوبر 1963 وإعلان الجزائر عدوا في المغرب من قبل الملك الحسن الثاني والطبقة السياسية المغربية وشن حملة دعائية ضخمة عليها، لم يتأخر المهدي بن بركة كثيرا وأصدر يوم 17 أكتوبر بيانا باسم (UNFP) يشجب فيه اعتداءات المغرب:" الإتحاد الوطني للقوات الشعبية في المغرب يصدر بيانا يشجب فيه عدوان السلطات الملكية المغربية على التراب الوطني الجزائري ويناشد شعب المغرب بالوقوف إلى جانب شقيقه الشعب الجزائري "[42]، وقد نُشِر بيان المهدي في جريدة الشعب يوم 17 أكتوبر1963 [43].

أدرج المهدي بن بركة ما حدث في إطار الهمجية الإمبريالية الاستعمارية ضد دولة ثورية اشتراكية، واعتبره طعنة موجهة إلى الثورة الجزائرية وبصفة أهم إلى صميم الثورة العربية في سبيل الحرية والاشتراكية والوحدة وإلى مجموع حركات التحرر العالمية، ودعا جموع الشعب المغربي إلى الوعي لحقيقة

---

[40] – مؤرخ يساري فرنسي متخصص في المغرب خلال فترة الاحتلال وفي الحركة اليسارية والعمالية، درَّس بجامعة الجزائر سنة 1962، ودرَّس بجامعات أوربية عريقة : معهد مغرب–أوروبا ، وجامعة باريس 8 ، موقع :
http://www.bibliomonde.com/auteur/rene-gallissot-135.htm

[41]– برادة، شهادة شفهية، مصدر سابق./ DAOUD – MONDJIB, op-cit ,p :309.

[42]– بيان المهدي لشجب اعتداء المغرب،17 أكتوبر1963، مصدر سابق.

[43]– الشعب، عدد: 266، 17 أكتوبر1963.

المؤامرة وإلى إحباط المخطط الاستعماري والعمل على إيقاف الصدام المسلح، كما وجه دعوة للشعوب العربية والآسيوية والأفريقية للوقوف إلى جانب الشعب المغربي، الذي زُجَّ به في معركة عدوانية ضد أشقائه: "إنه ليست هناك قضية حدود بين شعب الجزائر والمغرب الذين وحدت بينهما قرون التاريخ والمعركة ضد الاستعمار واللذان يتوقان لتحقيق وحدة المغرب العربي"[44].

سارعت السلطات والطبقة السياسية التقليدية والإعلام في المغرب لاتهام المهدي بالخيانة العظمى، وحكم عليه بالإعدام يوم 09 نوفمبر1963، واستهجن الملك في خطابه موقف المهدي ووصفه بالدنيء والحقير وأنه طعنة في الظهر، لكن المهدي اعتبر موقفه وفاء لمبادئه وعقيدته وأيضا للجزائر التي استلهم منها النضال طويلا [45].

وضع المهدي الذي كان مفتونا بنجاح الثورة الجزائرية ومعجبا بتوجهات النظام الجزائري خبرته في خدمة الجزائر، ففي ميدان الإصلاح الزراعي ترجم كتاب أعده رفقة بعض المفكرين الفرنسيين ونشرت حلقاته في جريدة الشعب، وشرح فيه طريقة النهوض بالفلاحة والتي قوامها: – إعادة توزيع عادلة للأراضي على عموم الشعب، وتغيير أسلوب الاستغلال من شكله الإقطاعي إلى الاشتراكي، وتحديث وسائل الإنتاج وتقنية الاستغلال، ويبقى التطبيق حسب بن بركة يحتاج إلى تدخل حازم من الدولة بطرق ثورية، وهو نفس الأسلوب الذي انتهجته الجزائر لاحقا وتنفيذ حرفي لرؤيته [46].

كانت آخر اتصالات المهدي بالجزائر من خلال تقرير أرسله إلى الرئيس أحمد بن بلة يوم 10جوان 1965، وهو عبارة عن مجموعة ملاحظات ونتائج حول مؤتمر منظمة التضامن الأفرو أسيوي المنعقد بأكرا في 1964، وحول الوضعية الراهنة بإفريقيا وأيضا حول القمة الإفريقية الأسيوية المزمع عقدها بالجزائر نهاية جوان، والتي كانت تمثل باندونغ الثانية، تطرق المهدي في تقريره للنجاح في تجنيب قمة أكرا أي نوع من الصراع والاحتكاك مما كان سيضر بقضايا التحرر، وقدم رؤية مفصّلة

---

[44] – الشعب، عدد: 266، 17 أكتوبر1963.

[45] - DAOUD – MONDJIB, op-cit ,p :309.

[46]– المهدي بن بركة، **شروط الإصلاح الزراعي في المغرب**، ج1- ج10 جريدة الشعب، عدد: 154- 166، 11- 25جوان 1963، ص:04.

عن النزاع السوفياتي الصيني، وأيضا النجاح في إبقاء التركيز على القضايا الراهنة وهي قضايا مواجهة الاستعمار[47].

هذا التقرير لم يصل أبدا إلى بن بلة الذي أطيح به يوم 19جوان 1965، وبسقوطه فقد بن بركة حليفا مهما على الصعيد النضالي والفكري، ولم تعد علاقته بالجزائر كما كانت، وظل متحفظا من النظام الجديد وبومدين ويستشف نفس الموقف من الأخير اتجاهه باعتباره محسوبا على بن بلة، فعندما اختطف لم تتطرق له يومية الشعب حتى يوم 11 نوفمبر1965، حيث تم الحديث عن استنكار المنظمات الوطنية الجزائرية لعملية اختطافه [48].

لقد بقي المهدي يعترف للجزائر بجميل المساعدة حتى آخر أيامه، ويذكر أنها ساعدت اليسار المغربي في محنته الكبرى، وشقيقه عبد القادر بن بركة ذكر أنه قبل تغييبه بفترة قصيرة وعندما عفا عنه الملك وطلب منه العودة للمغرب وبلغه ذلك قال: "سأذهب أولا إلى الجزائر" وهو نفسه في رسالته إلى بن بلة يخبره بقدومه، لكن المهدي بن بركة لم يأتي بعد ذلك أبدا إلى الجزائر، فقد اختطف يوم 29 أكتوبر 1965 بباريس وبقيت فقط ذكرى دراسته بالجزائر والعلاقات والنضال المشترك.

---

[47] - rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella, traduit par Abderrahmane El youssefi, publie par colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale, karthala,paris,1997.

[48]- الشعب، عدد: 901، 11 نوفمبر1965، ص، :01. 02.

المبحث الثاني: القضايا القومية في نضال المهدي بن بركة.

هناك ارتباط كبير للمجتمع المغربي بالحضارة العربية الإسلامية وخاصة في كبريات المدن التاريخية مثل فاس وسلا ومكناس ومراكش، وهناك علاقات وطيدة للمغاربة مع المشرق العربي، جسد ذلك كثرة الرحلات لطلب العلم والحج، خاصة بوجود صرح مثل القرويين حافظ على الارتباط المشرقي، وجاءت أحداث القرن العشرين لتؤكد تلك العلاقة، فقد اختار الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل حرب الريف القاهرة كإقامة دائمة وكذلك فعل علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال، وقبلهم جمعت علاقة قوية بين رائد القومية العربية شكيب أرسلان وعبد السلام بنونة [49] أحد قادة الحركة الوطنية في الشمال، وقد لعب أرسلان دور كبير في شحذ همم المغاربة لخوض معركة الوطنية واسترجاع السيادة، وشهدت المغرب خلال حرب الريف تواجد كبير للعناصر العربية مثل الأمير عبد الملك الجزائري وعلى الحمامي الذي جمعته بالمناضل المغربي محمد بن عبود مسيرة نضال واحدة وموت واحد جسد وحدة مصير المغرب ككل[50].

وبعد تأسيس مكتب تحرير المغرب العربي ثم لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة من قبل الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي أخذ الطرح النضالي شكلا عروبيا وحدويا وخاصة في خطواته الأولى لتحضير إطلاق الكفاح، فكان التعاون موجودا بين أقطار المغرب ومصر وباعتراف الحسن الثاني نفسه: "المصريون تدخلوا وكانوا هم الممول بالسلاح "[51].

أ- الحضور القومي في نضال المهدي بن بركة حتى 1959:

لم يكن للمهدي كبير اهتمام بالمشرق والعرب في هذه الفترة رغم وجود ذلك لدى بعض رفاقه مثل البصري وشيخ العرب المتشبعين بالميول العروبية والذين لم يكونوا مثل اليوسفي وبوعبيد ذوي الثقافة الفرنسية، بل كانت بوصلتهم فقط اتجاه القاهرة، ورغم ثقافته هو نفسه، فهو

---

[49]- مناضل مغربي وأحد مؤسسي الحركة الوطنية ومؤسس حزب الإصلاح الوطني، في الشمال المغربي الذي كان تحت الحماية الإسبانية ،أنظر: محمد بن عزوز، أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة حياته ونضاله.

[50] - أنظر الطيب بنونة، مرجع سابق./ جليلة المؤدب، **ثلاثة رموز فكرية مغاربية، الحبيب ثامر، على الحمامي، محمد عبود**، رسالة ماجستير، جامعة تونس، 2005-2006.

[51] – HASSANE II, op-cit :p-p :55-58.

حافظ للقرآن وتتلمذ على يد معلمي الحركة الوطنية ذوي الثقافة العربية الإسلامية[52]، وهو ما يؤكده محمد عابد الجابري أحد الذين عرفوه عن قرب: "وكان سبق لي معه نقاش سنة 1959 حول المشرق العربي، وكان يومئذ يجهل المشرق العربي وذا ميول غربية ككثير من عناصر النخبة المغربية، كنت أدافع عن الحركة التحررية العربية، وكان هو ينتقد العرب، ، ، وتطور النقاش بيننا وحسمه وهو يهم بالمغادرة، قال: ألم تسمع بذلك الفيلسوف الإنجليزي الذي قال: الشرق شرق والغرب غرب، ولن يلتقيا وانصرف ولم يترك لي مجالا للإجابة"[53].

لكن رغم وجود شيء من الارتباط بالثقافة العربية، خلال فترة انغماس المهدي في العمل الوطني ومن بعده نشاطه في المغرب المستقل لم يكن له كبير تركيز على القضايا القومية العربية، باستثناء القضية الجزائرية أو علاقة النضال بالمصريين من خلال الفاسي والأمير بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة، رغم وجود ارتباط بالحركات التقدمية العربية المعادية للاستعمار، "مما دفع تيارا مهما في صفوف حركتنا وحتى قبل تأسيس ال(UNFP) للسعي لربط علاقات منتظمة مع الحركات العربية التقدمية المعادية للاستعمار"[54].

وحتى مع وجود وحضور لمفهوم التضامن العربي خاصة إزاء القضايا المصيرية مثل قضية فلسطين منذ عهد النضال الوطني، والذي ظهر في إمضاء المهدي رسالة باسم حزب الاستقلال، رفقة ممثلي حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الدستور التونسي، يوم 02 ديسمبر 1948 لوزير الخارجية الفرنسي؛ يثمنون فيها الموقف الفرنسي من قضية الاعتراف بالكيان الصهيوني غداة مناقشتها في مجلس الأمن في مايو 1948، أو الموقف من العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956، والذي كان يحظى بتعاطف وتضامن الجناح اليساري في حزب الاستقلال عبر الصحافة والمنظمات الجماهيرية [55]، لكن المتتبع لظاهر خطوات الحركة الوطنية المغربية في هذا العهد سيقف على ابتعادها

---

[52]- بيرو، مرجع سابق، ص:67.

[53] - الجابري، مرجع سابق، ص: 32.

[54]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:52.

[55]- نفسه، ص:51.

عن أي مسار وحدوي بما فيها التيار الراديكالي وحتى على الصعيد الإقليمي، حتى هناك من لا يمتنع في القول أن مغرب الشعوب قد تحطم على يد الحركة الوطنية المغربية[56].

فمع حلول سنة 1956 لم يبقى إلا الجزائريون يتحدثون عن اتحاد مغرب عربي، ومن بيان أول نوفمبر وحتى مقررات مؤتمر الصومام كانت كل أدبياتهم تشير لنفس القضية، لكن الوطنيين المغاربة التقليديين وسار معهم التيار الراديكالي كانت كل خياراتهم وتصرفاتهم الميدانية تتحدث بوضوح عن خيار قطري، بل الدخول في شراكة مع المستعمر السابق وسعي لضم الصحراء وأجزاء من الجزائر ولو على حساب القضية الجزائرية ونجاحها، في حين كانت القضايا المشرقية مغيبة رسميا باعتراف المهدي نفسه: "حقا إن السياسة الرسمية التي لم تكن تعير أدنى اهتمام لنضال إخواننا في المشرق العربي، وتجاوزت حدود الخطأ حتى كاد الرأي العام عندنا يعتبرها بمثابة تواطؤ إجرامي مع الاستعمار"، ورغم استنكار المهدي لهذا لاحقا واعتباره صادرا عن السياسة الرسمية لكن لا يجب إغفال أن المهدي وتياره كانوا خلال هذه الفترة جزء ولو ظاهريا من الواجهة الرسمية ومن النظام وطرفا أصيلا في حزب الاستقلال[57].

الحضور القومي خلال فترة تواجد المهدي في حزب الاستقلال كان شعوريا أكثر منه عمليا، ومرتبطا بالثقافة العربية الإسلامية أكثر منه بقضايا الأمة العربية نفسها وجسدته النشاطات الإعلامية عبر الكتابات الصحفية وعبر إحياء ذكرى اغتصاب فلسطين وذكرى وعد بلفور بأعمال ثقافية ودعائية من قبل التيار الشبابي في حزب الاستقلال وبواسطة الجمعيات الثقافية اليسارية المهتمة بالامتداد العروبي مثل جمعية الوعي بالدار البيضاء[58].

---

[56] - René GALLISSOT, **le rêve brisé du Meghreb des peuples**, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale, op-cit, p-p :117-131./ Correspondence des Partis d'Afrique du Nord aux Ministre des Affaires Etrangères Française,02 Décembre1948, de l'indépendance a la tricontinentale. colloque Mehdi Ben Barka, op-cit, p :70.

[57] – المهدي بن بركة ، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:51.

[58] – بلقزيز، مفضال، بقالي، مرجع سابق: ص: 78.

ب- فترة انحياز المهدي للقضايا القومية العربية 1960- 1965:

بعد فشل المشاريع الداخلية وفقدان زمام الأمور لصالح القصر والبرجوازية التقليدية، وترسخ اعتقاد المهدي في وجود أخطاء في المسار النضالي وازدياد حالة العزلة الداخلية حوله وحول رفاقه وتحول المهدي نهائيا نحو الفكر الاشتراكي، وتزامن هذا من حركة مد عروبي قوية في نهاية الخمسينات متأثرة بسطوع نجم جمال عبد الناصر؛ هذا كله دفع المهدي للاقتراب شيئا فشيئا من الحركة القومية العروبية، وباتت مواقفه بعد الانفصال عن حزب الاستقلال وتأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أكثر وضوحا وأكثر ميولا للمشاريع الوحدوية القومية، ولم تعد تخلو وثيقة للمهدي أو للحزب من هذا الطرح، فجاء ميثاق تأسيس الحزب يحمل من بين أهدافه؛ تحقيق وحدة المغرب العربي والعمل في نطاق الأخوة العربية [59].

جاء انتباه المهدي لفشل عملية البناء القطري، ودور الاستعمار في ذلك؛ لتفتح عينيه على ضرورة الانفتاح على المحيط العربي والعالمي، وأن المعركة أكبر من قيادتها على مستوى قطري، فلم يعد هناك مجال للنزاع في التضامن والاشتراك في الهموم والقضايا المشتركة، " التضامن المطلق مع الحركة التحريرية العالمية وبصفة أخص نضالنا المصيري المشترك إلى جانب إخواننا الجزائريين وفي بلاد المشرق العربي"، وبدأ المهدي يبذل وقته وجهده وبشكل مباشر لصالح القضايا العربية ولو على حساب نضاله وموقعه الداخليين[60].

غادر المهدي بن بركة المغرب أسبوعين بعد تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وتنقل بين عواصم أوروبية وأسيوية قبل أن يحط الرحال بالقاهرة حيث كان في استقباله عبد الناصر وجرت بينهما نقاشات وحوارات، واكتشف المهدي وجود تقارب في الرؤى واتفاق في الأهداف، بعد هذا الاستقبال جرت لقاءات عديدة وأضحى المهدي بن بركة يحظى بمكانة خاصة عند عبد الناصر، ومن القاهرة انتقل إلى دمشق حيث التقى بميشال عفلق وصلاح البيطار[61]، وبعد رحلته هذه للمشرق

---

[59]- ميثاق تأسيس ال UNFP، مصدر سابق.

[60]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 52.

[61] - HARBI, op-cit, p:139.

تغيرت نظرته للعرب، كما روى الجابري: "فلما عاد من غربته الأولى، وكان قد زار خلالها مصر وسورية والتقى جمال عبد الناصر وزعماء حركة التحرير العربية، قلت له عندما زار الجريدة (التحرير)، كيف رأيت مصر؟ وجمال عبد الناصر وزعماء سورية. . . فأخذ يحدثني بإعجاب"[62].

لاحقا صار نشاط المهدي ضمن الحركة القومية العربية ملموسا وواقعا، فكلفه عبد الناصر بالقيام بمساعي لدى حزب البعث السوري لمنع حدوث الانفصال بين مصر وسوريا، ورغم استقبال الطبقة التقليدية المغربية وعلى رأسها حزب الاستقلال بشيء من الرضا لانهيار الوحدة المصرية السورية، ورغم عدم صدور أي بيان من ال(UNFP) بخصوص الحدث، إلا أن المهدي يصف ما جرى بالرجعية والعراقيل التي توضع في طريق الدول التقدمية للتوحد وخاصة مصر[63]، ورغم وساطته بين الطرفين لكنه أظهر من البداية ميولات ناصرية ولم يكن له انجذاب إلى حزب البعث، وحتى حزب البعث لم يكن له اهتمام كبير بالمغرب بل كان ينظر للجزائر كمحور مهم ومفتاح وقائد للاتجاه التقدمي العروبي في هذه المنطقة رغم أن بن بلة نفسه كان ناصريا[64]، فالناصرية هي التيار المقابل للبعث في المد العروبي.

وجد المهدي خارج المغرب صدى قويا لأفكاره وشعر براحة أكثر، فالعالم العربي كان يموج بالأفكار التقدمية ومصر في قمة التوهج، كان عبد الناصر يبحث عن تجميع الأشخاص الذين يحملون الأفكار التقدمية الوحدوية حول مواقفه، وهؤلاء يتم ربطهم مباشرة بعبد الناصر أو أمين سره هيكل تفاديا لتعقيدات البيروقراطية، البعض كان ينظر لل(UNFP) كامتداد للناصرية بالمغرب وممثل لها هناك وليست تمثيلا للمغرب في الحركة القومية العربية، فقد بعثت وكالة الأنباء الفرنسية ببرقية جاء فيها:"ال(UNFP) هو القسم المغربي للحزب الناصري في الإطار الواسع للحركة الوحدوية

---

[62] – الجابري، مرجع سابق، ص: 33.

[63]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:07.

[64] – HARBI, op-cit,p:138.

العربية"[65]، ومستفيدا من دعم عبد الناصر اللا متناهي اخترق المهدي المنظمات القارية والعالمية، فتأثير عبد الناصر والكتلة العربية كان ظاهرا في هذه الفترة[66].

فرض المهدي بن بركة نفسه بكاريزمته وحنكته وقدراته السياسية والثقافية والخطابية، فعينه عبد الناصر كمستشار وكذلك فعل بن بلة، وكلف من قبلهما بمهام كثيرة واعتبر ممثل المجموعة العربية في المنظمات القارية والعالمية، وقد تفرغ خلال هذه الفترة للنشاط القومي ووجه اهتمامه للقضية الفلسطينية وكذلك لمساعدة الجزائر على بناء مؤسساتها واستكمال استقلالها، وفي سنة 1964 نقل عائلته للقاهرة حيث ستمكث هناك حتى وفاته، وصارت القاهرة بذلك مدينته ومركز نشاطه وتحركاته وبوصلة توجهه.

ج– القضية الفلسطينية في اهتمام المهدي بن بركة :

اهتمام المهدي بالوضع العربي لابد وأن يتقاطع مع القضية الفلسطينية التي تعتبر أم القضايا العربية القومية، بل كانت القضية الفلسطينية هي من تسببت في انشغال المهدي بالوضع العربي، وتبنيه للقضايا العربية بعد إدراكه لدور الصهيونية وارتباطها بالاستعمار، وارتباط المصير العربي ووحدته، بعدما كان أقرب في فكره وثقافته للغرب، فيتحدث الجابري عن هذا الانقلاب: "وعندما عاد من غربته الأولى، ، قال اسمع: هناك الاستعمار والشعوب المستعمرة، هناك الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف، هناك الصهيونية وفلسطين . . هذا هو التقسيم الحقيقي للعالم اليوم، أخذت أفكر، وقلت في نفسي سبحان الله: قضية فلسطين عربت المهدي، وبالفعل لقد عربت قضية فلسطين المهدي وعبد الرحيم وعمر، وربما آخرين خارج الاتحاد "[67].

صارت فلسطين جزء مهما من انشغالات المهدي في هذه الفترة ومن نضاله على الصعيد الدولي، وهنا نتحدث عن الاهتمام المباشر إذ القضية كانت حاضرة عنده كقضية أمة منذ زمن، وكما سبقت الإشارة إلى رسالته لوزير الخارجية الفرنسي سنة 1948، والتي يعبر فيها بعمق عن شعوره

---

[65] - DAOUD – MONDJIB, op-cit ,p :262.

[66]- HARBI, op-cit, p:139.

[67] – الجابري، مرجع سابق، ص، ص: 32، 33.

القومي والإسلامي اتجاه فلسطين وتضامنه المطلق معها كقضية محورية، وسجل له موقف مهم إزاءها حين دعي لتقديم محاضرة في ندوة عقدت بالقاهرة ما بين 30 مارس و 06 أفريل 1965 للطلاب الفلسطينيين حول القضية الفلسطينية، فقدم تقريرا حول التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا، ووضع خلاصة من تجاربه وعلاقاته وما وقف عليه من خلال نشاطه في إفريقيا، وحصل عليه من معلومات مهمة، جمعها وحللها بأسلوبه العلمي المنطقي أمام حوالي ألفين طالب، وكان لهذه المحاضرة صدى إيجابيا كبيرا عند الفلسطينيين وعند العرب كما أنها فتحت أعين الموساد عليه[68].

استهل المهدي تقريره بالتذكير بالتضامن المطلق التام واللا مشروط مع القضية الفلسطينية رغم المشاكل الداخلية والآلام[69]، ثم تعرض لأهمية التعرف على الواقع الإسرائيلي في القارة الإفريقية وواجب رفضه كمناضلين ثوريين وكعرب لأنه يعادي العروبة ويعادي الحركة التحررية العالمية، وبيّن مستشهدا بأقوال رؤساء وزراء إسرائيل أهمية الدور الذي تعول عليه إسرائيل في ديمومتها عبر العلاقات بدول إفريقيا وأسيا[70].

❖ طبيعة الدور الإسرائيلي في إفريقيا ومراميه:

لا يتوقف المهدي عن معالجة القضايا من منظور المشاريع الاستعمارية والأمبريالية، وإسرائيل مجرد أداة استعمارية ضد مطامح الشعوب مثلها مثل الحكام العملاء والمنظمات المصطنعة، لكنها تحرص على أن تظهر بمظهر النموذج الديمقراطي المتمدن الذي انطلق من الصفر وصنع وجودا وكوَّن خبرات كي تبدو في نظر الأفارقة كمثال يستحق الاستلهام، وكتجربة حية للنمو والنهوض، وهذا مكمن الخطر وقد وقع كثير من الزعماء الأفارقة في هذا الفخ مثل ما ديبو كايتا [71].

إن دوافع إسرائيل لهذا التوجه هو الحصار المفروض عليها من قبل العرب والبحث عن متنفس في إفريقيا وأسيا، وأيضا البحث عن حلفاء جدد للمشروع الصهيوني، ويشير المهدي هنا إلى

---

[68]- أشقرا، مرجع سابق، ص: 87./

Correspondence des Partis d'Afrique du Nord aux Ministre des Affaires Etrangères Française,op-cit.

[69]- تزامن الحدث مع الحركة الاحتجاجية التي عرفها المغرب في مارس 1965 وعرفت سقوط مئات القتلى والجرحى والمعتقلين.

[70] - المهدي بن بركة، **دور إسرائيل في إفريقيا**، مصدر سابق.

[71] - نفسه. / ماديبو كايتا 1915 -1977 أول رئيس لجمهورية مالي سنة 1960.

البعد السياسي لمساعي إسرائيل وبحثها عن مجال حيوي واعتراف دولي، وقد حققت بعض النجاحات كما حدث في أديس أبابا سنة 1963 حيث امتنع المؤتمر عن إدانتها، ويظهر المهدي بن بركة بعدا في النظر بمعالجة هذه القضية، فالمعركة السياسية المستقبلية تحتاج إلى دعم سياسي من الأفارقة خاصة بالأخذ بعين الاعتبار ما أحرزته إسرائيل من تقدم حتى عند دول إفريقية مسلمة مثل السنغال وتشاد ونيجيريا[72].

كما تعتبر إسرائيل في نظره أيضا وسيلة اختراق امبريالية لصالح أوروبا وأمريكا في مناطق لا يستطيعون دخولها مباشرة، فهي بديل واقعي وخاصة في الجانب الاقتصادي، "إن إسرائيل تحل محل الامبريالية في كل مكان ترحل عنه، فتقرض رؤوس أموالها أو بالأحرى أموال البنوك الأوروبية وتدرب التقنيين"، ولنجاح إسرائيل في دورها فقد وفرت لها الامبريالية شروط النجاح المادي والمعنوي[73].

يستعمل المهدي كعادته أسلوبه المبني على العلمية والتحليل الدقيق المزود بالمعطيات والأرقام ليعطي صورة دقيقة عن وضع إسرائيل لكي يكون التقرير فعلا وسيلة مساعدة للفلسطينيين والعرب في صراعهم السياسي والاقتصادي والوجودي مع إسرائيل، خاصة مع إطلاق الكفاح المسلح، فقد تأخر العرب سنوات عديدة ليفهموا طبيعة المجتمع الإسرائيلي المجند والمعبأ كلية للحرب والذي لا يستطيع خوض حرب طويلة الأمد.

ويعطي المهدي لمحة عن طبيعة المساعدات التي تقدمها إسرائيل للدول الإفريقية والتي تفتح لها باب التسرب، وهي في الغالب مساعدات فنية تشمل الخبراء والمتخصصين، وأعطى إحصاءات عن هذا الجانب، كما تقدم مساعدات مادية في شكل منح للطلبة الأفارقة للدراسة في إسرائيل أو في دول أخرى، وقد أنشأت إسرائيل لهذا الغرض معاهد متخصصة بمساعدة أمريكية وصار يؤمها طلبة من كثير من الدول الإفريقية مثل غانا والكاميرون وإثيوبيا ورواندا والسنغال وتشاد.

وهناك أشكال أخرى للمساعدة مثل البعثات المتخصصة ومخيمات التدريب والندوات التي تقوم بها إسرائيل داخل إفريقيا والأهم من كل هذا المساعدة الاقتصادية والمالية عن طريق القروض

---

[72] – نفسه

[73] – نفسه.

والاستثمارات عن طريق شركات مختلطة خاصة وحكومية، والتي أنجزت العديد من المشاريع مثل محطات الكهرباء والماء والمطارات والفنادق والمخابر والطرق، ويحدث هذا في حين كثير من الدول العربية غارقة في المؤتمرات والدعاية، وهذا مكن إسرائيل من تحقيق قبول دولي فعلي[74].

❖ طبيعة المعركة مع إسرائيل:

يوضح المهدي رغم كل هذا زيف السياسة الإسرائيلية المبنية على الكذب وقلب الحقائق وصناعة صورة غير حقيقية عن كونها ذلك المجتمع الاشتراكي المكافح، وبين حقيقة زيف دعواها بالتقدم الحضاري والعلمي والاقتصادي، وأظهر كيف أنها تتفوق فقط من خلال دور حلفاءها في الإبقاء على حالة التخلف عبر الأنظمة الرجعية العملية المتخلفة في البلدان المحيطة بها، ويعطي تحليلا دقيقا لواقع اقتصادها المزيف المتطفل الذي يقوم على المساعدة الخارجية الغربية وتبرعات اليهود عبر العالم والتعويضات الألمانية، فاقتصادها مجرد حالة اصطناعية في وسط غير طبيعي وفرت لها كامل عوامل النجاح لتبدو كواحة وارفة خاصة على المستوى البشري، ويخلص المهدي إلى وجود نية لتضليل إفريقيا وقياداتها والدليل هو ذلك التعاون الوثيق بينها وبين غالبية الأنظمة الامبريالية العالمية وأيضا الإفريقية مثل علاقتها بنظام جنوب إفريقيا العنصري وأيضا العلاقة بنظام موبوتو في الزايير[75].

بدايات المعركة مع إسرائيل حسب المهدي تعود لمؤتمر باندونغ حيث حاولت بعض الدول الواقعة تحت تأثيرها الضغط لتمكينها من المشاركة وبفضل جهود الرئيس المصري عبد الناصر منعت من ذلك وكسبت القضية الفلسطينية تعاطفا من الحركة الأفرو أسيوية، وبيَّن المهدي ثبات المواقف الشعبية من إسرائيل مقارنة بمواقف الحكومات التي تتغير حسب درجة التأثير والضغط، واستعرض تطور المواقف الأفريقية والآسيوية من إسرائيل من خلال المؤتمرات المنعقدة وبيَّن الدور العربي في ذلك،

---

[74] – نفسه.

[75] – نفسه./ موبوتو سيسي سيكو 1930 – 1997 ثاني رئيس لجمهورية الكونغو الديمقراطية 1965- 1997.

ويثمن بداية التغير في المواقف المسجل منذ سنة 1964 والعوامل التي ساعدت في ذلك مثل انتصار القضية الجزائرية ودور ثورتها في إحداث حالة تأثر إيجابي بها، وكذلك دور مصر وعبد الناصر[76].

انطلاقا من هذا التقرير يمكن أن نتصور اهتمام المهدي بالقضية الفلسطينية والقضايا العربية، وحيث يدل ذلك الجهد المبذول بالبحث والتقصي والتحليل عن وعي عميق وتبني تماهى مع القضية العربية المركزية وهي صفة برزت بشدة عند المهدي خاصة بعد وضوح الصراع في المغرب ونزوعه للخيار التقدمي الثوري، وهذه المواقف من المهدي أكسبته من أصدقاء قدر ما كسب أعداء داخل المغرب وخارجه من الأنظمة العربية التقليدية وإسرائيل والغرب.

لقد ظل هناك ما يربط المهدي بن بركة الذي ينحدر من قبيلة عربية وبدأ تعليمه من الكتاب وحفظ القرآن وتعلم اللغة العربية؛ بالمشرق وبالعروبة وبالقضايا القومية رغم كل الزخم الذي عرفه مساره السياسي داخل المغرب، وقد مثلت سنواته الأخيرة مثالا واضحا عن هذا الارتباط فقد انغمس كليا في تفاصيل القومية العربية ومعاركها، ومثل للدارسين والمتابعين تلك الحالة المغربية والنموذج العروبي الوحدوي الذي استطاع أن يحدث ثغرة في جدار القطرية والتقوقع حول العرش العلوي بالمغرب.

---

[76]- نفسه.

المبحث الثالث: نضال المهدي بن بركة على الصعيد العالمي.

أحد أهم ميزات مسيرة المهدي بن بركة النضالية هي دوره العالمي ونشاطه في حركة التحرر الدولية خاصة إذا أخذنا في عين الاعتبار كونه مغربيا، فاستغرقه هذا النشاط منذ بداية الستينات وأبعده عن أي دور داخلي، حيث خصص له جل اهتمامه وتفكيره ما بين سنتي 1960 و1965، تاركا فراغا في الساحة الداخلية وتاركا رفاقه يواجهون لوحدهم النظام الملكي ومشاريعه، في حين كان هو يسجل مسارا آخرا متميزا على الصعيد العالمي عبر الهيئات التي كان عضوا فيها ومن خلال اللقاءات والمؤتمرات والحوارات الصحفية والتنقل عبر العواصم العالمية ووضع الاستراتيجيات والتصورات وشرح المفاهيم والتصدي للمؤامرات، كان همه الرئيسي من وراء كل ذلك جعل دول العالم الثالث تحقق خطوات على طريق التقدم وتهزم مخططات الاستعمار[77].

أ- المنفى الاختياري والانفتاح على العالم 1960-1962:

مثلت الفترة التي شغل فيها المهدي رئاسة الجمعية الوطنية الاستشارية فرصة كبيرة ليبدأ سلسلة من الأسفار والتنقلات في إطار نشاط المجلس، فزار العديد من الدول الغربية والشرقية وربط كثيرا من العلاقات، فزار مصر وتونس والتقى ببورقيبة وبالفيتنام التقى هوشي منه والصين أين التقى بماوتسي تونغ، وبكل هؤلاء ربط علاقات جيدة وترك عندهم انطباعات حسنة [78]، وفي كل مكان يزوره يطلب زيارة المصانع والمدارس والمزارع، كان يريد التعلم من تجارب الآخرين، أعجب أشد الإعجاب بالتجربة الصينية وأراد اقتباسها في المغرب لمواجهة التخلف وتحقيق النهوض، فهناك وجه شبه بين الحالة الصينية والمغربية في عدة أوجه مثل: الإقطاع والنظام الحاكم وحالة الفقر والأمية المنتشرة، فالصين تقطع أشواط مهمة في مواجهة كل ذلك، وقد اقترح على محمد الخامس الاقتداء بالنموذج الصيني[79].

---

[77] – EL MANDJARA, op-cit, p-p :173-182.

[78]- برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001./ مجموعة صور توثق هذه اللقاءات، الملحق:19/ 20.

[79] – HASSANE II, op-cit :p: 64.

بدأ يتشكل لديه وعي عالمي شيئا فشيئا وميل نحو حركة عدم الانحياز والعالم الثالث، كان لديه تأثر بطروحات مؤتمر باندونغ وظهر عليه ذلك في نقاشاته وتوجهاته داخل الجمعية الوطنية الاستشارية حيث كان يضغط ويطالب من خلالها بإصدار بعض القرارات على الصعيد الخارجي التي تلبي وتتماشى مع سياسة عدم الانحياز، ويدفع باتجاه تنمية العلاقات مع دول هذا المحور وخاصة الصين، وبعد تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أعلن أن هذه الحركة هي جزء من النضال الذي يمتد من الصين إلى كوبا[80].

أدرك المهدي من خلال مطالعته النهمة سنوات الاعتقال، وأيضا من خلال المدة التي مارس فيها النضال والمسؤولية داخل المغرب؛ استحالة الاعتماد على المعركة القطرية فقط لمواجهة الأمبريالية، فهناك تحالف بين القوى الاستعمارية ولا يمكن التصدي له من دون توحيد جهود الدول الفقيرة فيجب السعي للتضامن المطلق بين مجموع الحركة التحررية الثورية العالمية، "إن هذه الوحدة تفرضها طبيعة الأشياء . . . وعلينا أن نكرس جهودنا للوصول إلى غايات ملموسة في هذا السبيل، كتوحيد المنظمات الجماهيرية وإقامة مؤسسات سياسية موازية وتنسيق الأهداف السياسية والاقتصادية في كل دولة"، لقد كان بن بركة العالمي نتاج تحول احتفظ فيه بكل خصائص المناضل الوطني الحركي المندفع لكن في أفاق أوسع مكتشفا العلاقة الوطيدة بين النشاط الوطني والدولي[81].

بعد تشكل ال(UNFP) غادر المهدي المغرب في 21 جانفي 1960 في منفى اختياري سيستمر مدة سنتين، وتزامن هذا الخروج مع انعقاد المؤتمر الثاني لشعوب إفريقيا بتونس فدعي المهدي للحضور باسم ال(UNFP) رفقة عبد الهادي بوطالب كممثلين لحركة التحرر المغربية، وفي هذا اللقاء دعا المهدي لتوحيد القوى التقدمية الإفريقية داخل كل قطر وثمن التضامن في وجه الاستعمار وطالب بالاستفادة من التجربة الأمريكية اللاتينية والصينية والهندية، تحدث بصوت مرتفع وحماسي فلفت الأنظار والإعجاب، مثل هذا المؤتمر بداية حقيقية لمشواره الدولي وانتخب عضوا

---

[80] - EL MANDJARA, op-cit,p-p :176-179.

[81]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص- ص:50-53./

EL MANDJARA, op-cit, p:176

في اللجنة التنفيذية لمنظمة التضامن الإفريقي[82]، وبعده انتقل للإقامة بباريس في شقة صغيرة بشارع لوريستان وسجل في الجامعة من أجل دراسة الحقوق، وأخذ في تكوين شبكة علاقات جديدة مع صحفيين وسياسيين ومثقفين، وبدأ تفكيره يأخذ مسارات وأفاق جديدة[83].

في أفريل 1960 انعقد المؤتمر الثاني لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي(OSPAA) بكوناكري عاصمة غينيا – وهي منظمة توازي المنظمة الأولى للتضامن الإفريقي تأسست سنة 1957 بمصر– وباعتبار المهدي عضوا في المنظمة الإفريقية فقد انتخب مباشرة عضوا في اللجنة السياسية لنظيرتها الأفرو أسيوية، وخلال هذه القمة قدم نقدا شرسا للسياسة الأمريكية ودعا الشعوب الإفريقية والأسيوية المستقلة لمساعدة الشعوب التي لا تزال تكافح من أجل الاستقلال عن طريق زيادة الدعم المادي والمعنوي[84].

سيحاول المهدي مرة أخرى مسابقة الوقت لإنجاز الكثير مستفيدا من نشاطه الفائض وحركيته وحيويته وحماسه التي جعلته متصدرا داخليا، ، معتمدا على ثقافته وتحكمه في اللغات وذكاءه الفطري وقدراته السياسية وشغفه بالعمل والمبادرة بالأفكار واعتناق هموم العالم الثالث، يضاف لذلك توفر الوسيلة التي تجسدت أخيرا في هذه المنظمة التي ستغدو أداة المواجهة[85].

في جانفي 1961 حاول المغرب الرسمي الدخول على الخط، فنظم محمد الخامس لقاء لقادة إفريقيا التقدمية، فالتقى عبد الناصر، سيكوتوري، ماديبو كايتا، نكروما وفرحات عباس بالدار البيضاء وخرج اللقاء بقرارات بشأن الأزمة الكونغولية، كان للمغرب في هذه الأثناء تواجد عسكري ضمن بعثة الأمم المتحدة في الكونغو، وبعد لقاء الدار البيضاء بشهر تم اغتيال الرئيس الكونغولي باتريس لومبا في الوقت الذي كان المهدي في دار السلام بتنزانيا ضمن لجنة الشعوب الإفريقية، فلم

---

[82] - DAOUD –MONDJIB, op-cit ,p :245.

[83]– ديرجي، بلوكان، مرجع سابق، ص: 322.

[84] - HARBI, op-cit,p:139.

[85] - EL MANDJARA, op-cit,p:176

يتأخر في توجيه الاتهام لبعثة الأمم المتحدة بالتقصير والمسؤولية، مما دفع محمد الخامس باستدعاء قائد الفرقة المغربية هناك الجنرال الكتاني والمتهم بإقامة علاقة وثيقة بموبوتو قاتل لومبا[86].

في مارس 1961 تواجد المهدي بالقاهرة لحضور المؤتمر الثالث للشعوب الإفريقية، فقدم خطابا أمام الحضور وترأس لجنة حول الاستعمار الجديد، وألح على الوسائل العملية التي تمكن من تحقيق الاستقلال ووحدة الشعوب الإفريقية ودعا لوحدة القارات الثلاث، واستنكر الاستقلال المزيف الذي استفادت منه العديد من الدول، وقدم تعريفا جديدا للاستعمار الجديد لخصه في تواصل النظام الاستعماري بالرغم من الاعتراف بالاستقلال الشكلي، فهو سيطرة غير مباشرة، وفي جوان من نفس السنة أجرى المهدي حوارا مع جريدة (le jeune Afrique) ركز فيه على الشأن الدولي وبيّن أهمية المؤتمرات الأفرو-أسيوية التي تشجع الحركات التحررية، ودعا لتقديم المساعدات لتطوير الرأي العام في الدول المحتلة [87].

تعاون المهدي الذي صار يتنقل بين باريس وجنيف مع بعض المثقفين الفرنسيين مثل جاك بارك لإصدار كتاب حول الإصلاح الزراعي، ضمن رؤية ونظرة لكيفية النهوض بالزراعة، كما تطرق فيه لمجموعة نماذج وأمثلة عن طرق الإصلاح الزراعي من دول العالم، و احتوى شرحا لأسباب النجاح والفشل، كان يريد وضع تجربة حية أمام البلدان المستقلة حديثا تستطيع اقتباسها كتجربة اشتراكية، وعلى ضوءها تعيد هيكلة وبعث أساليبها الفلاحية بشكل أكثر فعالية وحداثة [88].

---

[86] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:182.

[87] – المهدي بن بركة ، **الاستقلال المزيف والاستعمار الجديد**، الشعب، مقال سابق.

[88] – Mehdi BEN BARKA, Jacques BERQUE et d'autre, **la réforme agraire au Maghreb**, François Maspéro, paris,1966.

ب- المنفى الإجباري ورحلة الكفاح ضد الأمبريالية 1963-1965:

غادر المهدي بن بركة المغرب في 06 فبراير 1963 إلى تنزانيا لحضور المؤتمر الثالث لمنظمة التضامن الإفريقي الأسيوي، بعد أشهر قليلة قضاها به شهد خلالها مجموعة معارك سياسية، وقد انعقد مؤتمر تنزانيا بحضور 53 وفدا و40 مندوبا، وخلال هذا اللقاء تدخل الرئيس التنزاني جوليوس نيريري موضحا معركة الكفاح ضد الامبريالية، وفي تدخله؛ شخّص المهدي أسباب التراجع الثوري ودعا لضرورة تجاوز مرحلة الارتجال والعفوية، وشدد على ضرورة عدم التدخل في خصوصيات الحركات لكن يجب توفر المعلومات والتحليل الدقيق[89].

في هذه القمة انتخب المهدي سكرتيرا للجنة التضامن الأفرو- أسيوي ونائب رئيس صندوق التضامن، والذي بفضله ستمول حركات التحرر في إفريقيا وأسيا، هذا الصندوق مول أساسا من الاتحاد السوفيتي والصين وكان رئيسه هو إسماعيل توري شقيق الرئيس الغيني سيكوتوري وله نائبان آخران سوفيتي وصيني، وقد استفاد المهدي جيدا من جنسيته المغربية التي أبعدته عن التصنيف وجعلته يتحرك بحرية، فبلاده ليست محسوبة لا على الصين ولا على الاتحاد السوفيتي، ومن هذا اليوم اكتسب المهدي أهمية قصوى، فهو سيشرف على مختلف الحركات التحررية وسيربط علاقات بجميع زعماء التحرر المعروفين في العالم وغير المعروفين، ومن هذا اليوم بدأ اهتمام الأمريكيين به[90].

في سنة 1963 كان المهدي مشغولا بمحاولة إطلاق مجلة تعنى بشؤون إفريقيا (la revue africaine)، فاتصل بصديقه المهدي المنجرة عن طريق رسالة يطلب مساعدته: " أريد إطلاق مجلة إفريقية في هذا الوقت الذي تتجه فيه الأمور للاستقرار على مستوى القارة، أود ظهورها قبل نهاية مارس وقبل مؤتمر أديس أبابا لتكون أداة توجيه وتوضيح، احتاج منك بالنسبة للعدد الأول دراسة عن تطور الأصوات الإفريقية في هيئة الأمم المتحدة، وأيضا تحليلا للمشاكل المسجلة في هذه الفترة

---

[89] - المهدي بن بركة ، **الاستقلال المزيف والاستعمار الجديد**، الشعب، مقال سابق.

[90] - MURATER, op-cit, p:141.

بالجمعية العامة"[91]، وكعادته يريد انتهاج شيء من العلمية والمنهجية الرياضية ولغة الأرقام والإحصاءات كي تكون مجلة فعالة وذات قيمة سياسية.

تواجد المهدي في شهر جوان 1963 في إثيوبيا، حيث عقد لقاء أديس أبابا لمنظمة التضامن الإفريقي والذي كان موضوعه هو التحضير لإطلاق منظمة الوحدة الإفريقية، والتي عين الغيني ديالو تيلي (Diallo Telli) كأمين عام لها، تواجد المهدي في هذا المؤتمر تزامن مع حملة القمع الرهيب التي تعرض لها رفاقه في المغرب فيما سمي بالمؤامرة البلانكية، وجنبه الاعتقال[92].

لم يتوقف المهدي عن الترحال والقيام بالمهمات، فكلف من قبل عبد الناصر وبن بلة بدعم الثوار في الكونغو وتحضير دراسة حول من يخلف لومبا، فالتقى غاستون سوميالو (Gaston Soumialot)[93] بالقاهرة والذي كان يعالج هناك في ضيافة لخضر الإبراهيمي سفير الجزائر في مصر، وبعدها أعدّ دراسة عن دور المرأة والشباب في إفريقيا عن طريق بعث أحد رفاقه إلى غينيا وغانا وتحضير تقرير ميداني، وفي أفريل 1964 قام بجولة إلى دول شرق أسيا؛ الصين والفيتنام، رغم الخلافات التي كانت تعصف بالعلاقة الصينية السوفيتية وتعرقل حرب الفيتنام محاولا إيجاد تسوية وتوحيد المواقف، مدعوما من السلطة الجزائرية التي دعته لعدم طرح الخلاف في اللقاءات[94].

في هذه الفترة تم تأسيس ندوة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (CNUCED)، فكان هذا أكبر فضاء عالمي قسم العالم شمال جنوب على أساس المصالح، فكان سببا آخر لبلدان العالم الثالث وتحديا آخرا لمزيد من التوحد والتنسيق، وهي أمور لطالما نادى بها المهدي بن بركة من أجل تجاوز العفوية والارتجالية، وإنشاء وسائل وأدوات ناجعة وفعالة وعملية لمجابهة الاستعمار[95].

---

(91) - EL MANDJARA, op-cit,p:177.

(92) - Ibid, p:178.

(93)- غاستون سوميالو: مناضل يساري كونغولي من أتباع باتريس لومبا تزعم تنظيم الأُسُود الثائر على موبوتو في المنطقة الغربية من الزاير بعد مقتل لومبا وهو التنظيم المعروف ب(les Simbas)، توفي سنة 1991. حسونة المصباحي، **كابيلا موت طاغية**، الشرق الأوسط، عدد: 8099، 30 جانفي 2001.

(94) -DAOUD– MONDJIB, op-cit ,p :245.

(95) -EL MANDJARA,op-cit,p:180.

في يوم 19 ماي 1965 عقد مؤتمر أكرا بغانا لمنظمة التعاون الأفرو- أسيوي حيث كان المهدي حاضرا واجتهد في تجنيب القمة أي صراع بين السوفيات والدول التي تمشي في فلكهم والصينيين والموالين لهم وهو ما كان في نظره سيؤثر سلبا على الأفكار الثورية والاتجاه التحرري عموما، وحاول ترك التركيز على القضايا الهامة خاصة قضايا التحرر، وتناولت هذه القمة التحضير لقمة الجزائر القادمة التي كان يعول عليها كثيرا لإعطاء دفعة قوية للمد التحرري وللعالم الثالث[96].

كانت في الأفق يوم 29 جوان 1965 قمة الجزائر؛ الأفرو- أسيوية والتي اعتبرت كمشروع لبندونغ ثانية، وفي ظل الخلاف الصيني السوفياتي بن بلة خشي مقاطعة الصين إذا دعي السوفيات والعكس، وقد رفض المهدي بن بركة في هذه الظروف الدخول للمغرب – رغم تطورات الوضع الداخلي والمستجدات – من أجل حلحلة المشكل ومن أجل نجاح قمة الجزائر، وكتب إلى بن بلة: "القوى الاستعمارية تأمل أن ترى المؤتمر الأفرو- أسيوي بالجزائر يفشل بسبب المعوقات الداخلية، وعندما يشاهدون القمة تنعقد في وقتها وتناقش قضايا الساعة وتطرح الحلول الموضوعية والواقعية لبعض المشاكل العويصة، عندها ستتوقف وسائلها الدعائية عن الهجوم كما فعلت بعنف في قمة أكرا"[97].

لم تصل رسالة المهدي بن بركة لبن بلة أبدا، ولم تعقد قمة الجزائر في موعدها بسبب الإطاحة بالرئيس أحمد بن بلة من قبل بومدين في انقلاب 19 جوان 1965، وتحول المهدي بن بركة للانهماك في انشغال جديد وقضية أخرى هي مد حركة التحرر للقارة الأمريكية وتوحيد جهود القارات الثلاث في مواجهة الاستعمار، وبذل الجهد في التحضير للقمة القادمة التي ستحتضنها العاصمة الكوبية هافانا من أجل إطلاق منظمة القارات الثلاث، والانتقال بالثقل التحرري ومعاداة الاستعمار لأفق جديد.

---

[96] -Rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella,op-cit .

[97] -Ibid.

ج- المهدي بن بركة والصراع الصيني السوفياتي:

تميزت الفترة الممتدة ما بين 1960 و1965 وهي فترة نضال المهدي على الصعيد الدولي بوجود صراع حاد على النفوذ وسط دول العالم الثالث والبلدان المستقلة ما بين الصين والاتحاد السوفياتي، غذته الرغبة في السيطرة والتوجيه، فالاتحاد السوفياتي بمركزه العالمي كأحد قطبي الحرب الباردة والعالم ورائد مناهضة الامبريالية الغربية والذي يرغب في احتكار دعم حركات التحرر وترأس المعسكر الاشتراكي، والصين القوة الثورية الصاعدة على المسرح الدولي كقوة سياسية وديموغرافية واقتصادية، والراغبة في الخروج من هيمنة الاتحاد السوفيتي ورسم خط جديد في السياسة الدولية مبني على الحياد وعدم الانحياز.

كانت الدول المنضوية تحت لواء منظمة التضامن الأفرو- أسيوي أكثر ميلا نحو الصين، ورغم ذلك كان لزاما أن تساهم في احتواء الصراع وعدم خسارة السوفيات كقوة وحليف مهم في الصراع ضد الاستعمار، وبذل المهدي بن بركة في سبيل حلحلة الصراع كثير من الجهد وتنقل مرات عديدة للاتحاد السوفيتي بغية تقريب المواقف، وسافر مرتين إلى الصين والتقى بماو تسي تونغ[98] وشوان لاي[99]، فهو يمتلك علاقات جيدة بالطرفين، لقد كان يعتبر هذا الصراع عقبة في طريق تحقيق أهداف دول العالم الثالث وحركات التحرر[100].

في تقريره إلى الرئيس بن بلة في جوان 1965 تطرق المهدي للنزاع الصيني السوفيتي في مؤتمر أكرا لمنظمة التضامن الأفرو- أسيوي وسعيه لتجنبه، "خشينا أن يكون المؤتمر فرصة لتجدد الصراع ولكننا نجحنا في تغيير وجهة المؤتمر وتجنب الاحتكاك داخل الحركة الثورية"[101]، لكن هذا الصراع عاد ليظهر عشية مناقشة مكان عقد القمة الخامسة لمنظمة التضامن بين القارتين، فالصين اقترحت استقبال المؤتمر منذ لقاء الجزائر في مارس 1964، وهو الأمر الذي جعل الاتحاد السوفياتي

---

[98]- صورة للمهدي رفقة ماوتسي تونغ، ملحق رقم:19.

[99] - الوزير الأول الصيني ووزير الخارجية في عهد ماو تسي تونغ.

[100] - EL MANDJARA, op-cit,p:179.

[101] -Rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella,op-cit.

يدفع بالهند لتقديم طلب مماثل للاستضافة، وعندما وقع انسداد اقترح السوفيات القاهرة كخيار ثالث وحل وسطي، لكن غالبية الحضور طالبت باحترام مبدأ المنظمة المتبع وهو قبول أول دعوة وجهت والتي كانت من الصين، ثم تجدد الصراع مجددا عندما طلب الاتحاد السوفياتي حضور حلفاءه الشيوعيين الأوروبيين كملاحظين لقمم العالم الثالث ورفضت الصين مطلقا هذا الخيار، وكحل للأزمة أخذ برأي الجزائر القائل بدعوتهم للأشغال كضيوف فقط وليس للعضوية أو التصويت أو كملاحظين[102].

واحتدم الصراع أيضا عشية قمة الجزائر في جوان 1965، حيث بدأت الحساسيات من مشاركة الطرفين، فلم يدعو بن بلة السوفيات من أجل ضمان حضور الصين، وردت الهند ومصر بالتهديد بعدم الحضور، وقد لجأ المهدي في خضم هذا النزاع المحتدم إلى اللقاءات المنفصلة بالجانبين كل على حدة، وبذل قصارى جهده في التقريب بينهم وضمان حل وسط يضمن نجاح القمة [103].

أثر الصراع الصيني السوفيتي على نشاط حركة التحرر العالمية ومؤتمراتها، كما أنه جمد المشاريع التوسعية التي كانت مبرمجة منذ 1961 نحو مناطق أخرى من العالم خاصة نحو أمريكا اللاتينية، ورغم كل الجهود ورغم دعوة الجزائر لعدم إثارة هذا النزاع في جلسات المنظمة، ومن أجل أن يحول دون تطور الأمر إلى حرب بسبب نشوب خلاف بين الفيتناميين والصينيين؛ قام المهدي بجولة أسيوية وزار الفيتنام، واجتهد بكل ما يملك من حنكة وقدرة سياسية ليصل لحل ويخفف من حدة الخلافات ويجنب حركة التحرر الفيتنامية التأثر بالنزاع الصيني السوفيتي[104].

كان المهدي يعتمد في دوره الدولي على كونه من بلد خارج صراعات العالم الثالث وغير مصنف على أي معسكر، كان وحيدا في أغلب الأوقات ليس له زاد سوى حنكته ومعرفته وحماسه

---

[102] - Ibid.

[103] - Ibid.

[104] -Commentaire de René Gallissot sur rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella, colloque Mehdi Ben Berka de l'indépendance a la tricontinentale, op-cit, p-p: 147-149: .

الثوري، بل كان يواجه عداوة نظام بلده وسعيه للتخلص منه، البعض رأى في نشاطه الدولي تنفيسا للخيبة الداخلية ومحاولة لجعله منطلقا لدعم وخدمة التوجهات الداخلية وسعيا لتحريك الوضع الداخلي عبر إنجازات الخارج، وبحث للمغرب عن مكانة دولية، وقد علق الحسن الثاني على هذا: "أبدا لم أتوقع أن يستفيد من دوره العالمي في خدمة التوجهات الداخلية"، لكن الحديث كان في سياق إبعاد تهمة مشاركته في تصفية المهدي تخوفا من دوره الدولي وفي حركة القارات الثلاث[105].

د- دور المهدي بن بركة في حركة القارات الثلاث:

في صراعها مع النظام الدولي الاستعماري أخذت الحركة الأفرو- أسيوية التي ظهرت في باندونغ سنة 1955 تتوسع شيئا فشيئا بالتحاق الدول المستقلة حديثا، لأن المعركة يجب أن تشمل كل العالم وكل المناطق التي تتعرض للهيمنة والاستعمار، وقد ظهرت في هذه الفترة - مستفيدة من زخم الثورة الكوبية - بوادر تمرد في قارة أمريكة الجنوبية ضد النفوذ الأمريكي، فكان لزاما أن يتسع التضامن بين شعوب العالم الثالث ليشمل دول أمريكا اللاتينية، لتصبح حركة القارات الثلاث بدل حركة التضامن الأفرو -أسيوي.

بعد الثورة الكوبية سنة 1959 وخاصة بعد فشل عملية إنزال خليج الخنازير في أبريل 1961؛ انضم قائد الثورة الكوبية فيديل كاسترو للمد التحرري العالمي المعادي للهيمنة الاستعمارية، وبدأت اتصالات وعلاقات بين كوبا وبين الاتحاد السوفيتي والصين ومصر، كان هناك حديث في المؤتمر الثاني لمنظمة التضامن الأفرو- أسيوي بكوناكري عن إمكانية توسيع المنظمة نحو أمريكا الجنوبية، وفي القاهرة في مارس 1961 بمناسبة المؤتمر الثالث لمنظمة التضامن الإفريقي طرح بشكل رسمي اقتراح توسيع المنظمة بناء على طلب كوبي، وتبنت لجنة الاستعمار الجديد برئاسة المهدي بن بركة الطلب وتحمست له[106].

---

[105] -HASSANE II, op-cit, p :109.

[106]- رينيه غاليسو، **المهدي بن بركة ومؤتمر القارات الثلاث**، الحوار المتمدن، عدد:1558، 2006.05.22.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=65470

رحب المهدي بن بركة بهذا التوجه الذي سيفتح أمامه أفاقا جديدة، وصرح يوم 20 مايو 1962 بعد عودته من المنفى الاختياري الأول بالرباط خلال مؤتمر ال(UNFP) الثاني: "حركتنا تشكل جزء من نضال عالمي يمتد من الصين إلى كوبا"[107]، وفي نظره هذا كله يصب في مصلحة الدول المستقلة حديثا فكلما توسعت دائرة التضامن وانضمت دول جديدة اتسعت الرقعة الجغرافية وزاد عدد السكان، وهو ما سوف يمثل ثقلا اقتصاديا وديموغرافيا ينعش ويقوي العلاقات الثنائية، ويزيد أيضا في إرهاق الاستعمار الذي عليه بذل جهد أكبر وفي أكثر من مكان، لقد اتسعت جبهة المواجهة ولم يعد ثقلها على عاتق دولة أو اثنتين، والمعركة بالفعل ممتدة من الفيتنام حتى كوبا، وحسب المهدي: "فمع نمو حركة التضامن بين القارات الثلاث؛ إفريقيا، آسيا وأمريكا اللاتينية وتضافر جهود سائر القوى التقدمية في العالم فإن هذا التغيير سوف يؤثر تأثيرا عميقا على تيارات التبادل الاقتصادي الدولي، وذلك يلغم الاستعمار من أساسه"[108].

ورغم إعادة تأكيد مؤتمر موشي بتنزانيا سنة 1963 على قرار توسعة منظمة التضامن نحو القارة الأمريكية[109]؛ لكن بسبب النزاع الصيني السوفياتي تأخر بعث هذه المسألة، فهي مقترحة من سنة 1960 لكنها بقيت في أدراج مؤتمرات حركات التضامن، ويشير المهدي في تقريره للرئيس بن بلة سنة 1965 حول هذا الموضوع: "أنتم تعلمون أن هذه القضية قد تبنت منذ ديسمبر 1961 وبقيت في الظل بسبب النزاع الصيني السوفيتي حتى نداءكم سنة 1964، ومحاولات وأدها مستمرة بحجة أن حركات أمريكا اللاتينية لم تعين ممثليها الست إلى جانب ممثلي القارتين إفريقيا وآسيا، بالرغم من أن كاسترو اقترح المنظمات الست، ولقد رفضنا فكرة سوفياتية هندية بإقامة مؤتمر خاص بقارة أمريكا"[110].

---

[107] - EL MANDJARA, op-cit, p:179.

[108] -المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 20.

[109] - MURATER, op-cit, p:141.

[110] - Rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella, op-cit.

خلال مؤتمر حركة التضامن الأفرو- أسيوي الرابع بأكرا يوم 19 مايو 1965؛ استطاع المهدي إقناع الأعضاء بضرورة اتخاذ قرار يساهم في الدفع بالأحداث العالمية، وبفضل وجود ممثلي كوبا وفنزويلا في القمة وإلحاحهم في طلب الانضمام وعقد مؤتمر القارات الثلاث في أقرب فرصة ممكنة أحرج دعاة تأجيل التوسع، وتم تشكيل لجنة تحضيرية أوكلت رئاستها للمهدي بن بركة، وضمت ممثلين عن آسيا هم: الصين، الهند، الاتحاد السوفيتي، اليابان، الفيتنام واندونيسيا، وعن إفريقيا: الجزائر، مصر، غانا، غينيا، إفريقيا الجنوبية، ومن أمريكا ممثلي: كوبا، فنزويلا، الشيلي، غواتيمالا، المكسيك والأرغواي، وتقرر عقد مؤتمر القارات الثلاث في هافانا الكوبية في جانفي 1966، واعتبر المهدي هذا القرار النتيجة الأبرز لإعلان مؤتمر أكرا الختامي في مايو 1965[111].

بعض المؤرخين اعتبروا أن الظرف كان في صالح المهدي بن بركة ليتبوأ رئاسة اللجنة التحضيرية، فالصينيون لم يقبلوا بأي مرشح قريب من السوفيات والعكس، ولم تستطع دول أخرى تقديم مرشح بسبب تواجدها في منظمات عديدة، والدول العربية كانت تريد رجلا يستطيع التعريف بالقضية الفلسطينية في العالم، فلا أحد عدا المهدي بن بركة كان يستطيع تحقيق هذه الشروط، فاختير بجدارة ليشغل منصب رئيس للجنة التحضيرية لمؤتمر القارات الثلاث[112]، ومباشرة بعد انتخابه لرئاسة اللجنة التحضيرية راسل المهدي الرئيس بن بلة من أجل لقاءه وبلورة رؤية توجيهية: "وحيث هذا المؤتمر هو فرصة نادرة لوضع تحليل للحركة التحررية العالمية، وحيث أن تحليلا مماثلا لم يعرفه إلا اللقاء الواحد والثمانون للأحزاب الشيوعية سنة 1960"[113].

من القاهرة شرع المهدي على رأس اللجنة في مباشرة إجراءات التحضير، فحصل في جويلية على موافقة الصين والاتحاد السوفياتي على التعاون المطلق، وعقد لقاء تنظيميا يومي 02/01 سبتمبر 1965، وشرع في ضبط أهداف المؤتمر، والتي تمحورت حول: دعم حركات التحرر الوطني ومنها الحركة الفلسطينية، تعزيز النضالات بما فيها الكفاح المسلح في القارات الثلاث، مساندة كوبا

---

(111) - Ibid.

(112) - HARBI, op-cit, p: 139.

(113) - Rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella, op-cit.

في صراعها ضد الولايات المتحدة، تصفية القواعد الأجنبية، معارضة الأسلحة النووية والميز العنصري[114].

وللوقوف على التحضيرات والاستعدادات زار المهدي وأعضاء اللجنة التحضيرية هافانا يوم 26 سبتمبر 1965، وصرح المهدي هناك: "المؤتمر سيعرف تمثيل تياري الثورة العالمية؛ التيار الشيوعي والتيار التحرري المعادي للأمبريالية"، وهي تصريحات حسب البعض كانت ستثير حتما حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصا أن الحدث سيكون فقط على بعد تسعين كلم من أراضيها[115].

ومنذ منتصف 1965 بدأت الظروف تتغير وتتجه في غير صالح حركة التضامن العالمية للقارات الثلاث، فبعض أهم ركائز هذه الحركة وداعيميها بدءوا في مغادرة الساحة، ففي 19 جوان 1965 أزيح بن بلة عن الحكم في الجزائر، ومعه ألغي مؤتمر باندونغ الثاني بالجزائر والذي كان منتظرا أن يضيف الكثير تحضيرا للقمة القادمة، وبعد ثلاثة أشهر أطيح بالرئيس الاندونيسي سوكارنو في أكتوبر 1965، وبات ظاهرا أن الطريق لن تكون ممهدة في طريق المهدي ورفاقه لعقد المؤتمر[116].

عقدت أخيرا قمة القارات الثلاث بهافانا الكوبية في جانفي 1966 في غياب المهدي بن بركة الذي اختطف يوم 29 أكتوبر1965 بباريس، وخلال فترة متقاربة كانت تغييرات كبيرة قد بدأت تطرأ على الساحة الدولية أثرت على حركة التضامن العالمية، ففي نفس الفترة اغتيل رئيس الوزراء الإيراني علي منصور وقتل المناضل الأمريكي مالكوم إيكس، والمناضل اليساري البرتغالي "مانويل دالغادو" ومساعد وزير دفاع غواتيمالا، وبعد سنوات سيغتال مارتن لوثر ثم غيفارا وإميل كار كابرال سنة 1973، وبات جليا أن استبعادا متعمدا لكل من له علاقة بهذه الحركة وبمصالح

---

(114) – غاليسو، مقال سابق. / EL MANDJARA, op-cit, p:180 .

(115) – Barnabé Lopez GARCIA, **Ben Berka et le Maroc dans la lutte contre la dictature en Espagne**, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale, op-cit, p-p :151-164.

(116) – EL MANDJARA, op-cit, p:180.

الولايات المتحدة الأمريكية رائدة مواجهة الحركات التقدمية، والتي ما إن توسعت حركة التحرر العالمية نحو مناطق نفوذها حتى تحركت استخباراتها لتوجيه الضربات لها[117].

كان المهدي يريد بتوسعة نطاق النضال العالمي نحو أمريكا اللاتينية نقل مركز ثقل النضال التحري بعيدا عن الصراع الصيني السوفياتي في آسيا وإفريقيا، وفتح جبهة جديدة للصراع مع الدول الامبريالية؛ لكنه لم يعش لكي يرى أيا من ذلك يتحقق، ويبدو أنّ إبعاده كان جزء من حملة القضاء على المشروع حيث أخذت هذه الحركة تخبو شيئا فشيئا حتى أسدل الستار عليها في غضون سنين.

(117) -Ibid, p:181.

المبحث الرابع: نهاية المهدي بن بركة أو قضية بن بركة.

في يوم 30 أكتوبر 1965 أفاق العالم على خبر اختطاف المهدي بن بركة من قلب العاصمة الفرنسية باريس، وانتشر الخبر سريعا على صفحات الجرائد وشاشات التلفزيونات، وتوجهت كل الأنظار نحو المغرب ودور مفترض للعدو الأول لبن بركة الحسن الثاني، لكن الوقت الذي استغرقه الخبر ليصل إلى مسامع العالم كان كافيا ليختفي فيه المهدي إلى الأبد، وسط حالة الذهول التي اجتاحت العائلة والرفاق ومن عرفوه ورفاقه من المناضلين في كافة أنحاء العالم.

كان البعض غير مصدق وكان البعض يعرف أن يد أعداءه قد تمكنت من الوصول إليه أخيرا، وصرح شقيقه عبد القادر في حينها للصحافة: " أنا أشك في الجميع أعتقد انه قد مر وقت طويل قبل أن تراقب الحدود هنا في فرنسا ولا أستغرب وجود أخي الآن في المغرب"، وصرح البشير ابنه لاحقا: "لم نعلم بإيقافه في نفس اليوم فالاتصالات لم تكن كما هي عليه اليوم، فقد أخذ الأمر بعض الوقت ليخبرنا بعض الأصدقاء من الصحفيين، أذكر أنني تلقيت الخبر بعد العودة من المدرسة وكانت أمي في حالة صعبة"، وانطلق مشوار طويل من التحقيقات القضائية[118] والصحفية، اصطلح على تسميتها بقضية بن بركة، والتي أريد لها أن تغطي على مسار سياسي طويل[119].

أ- حيثيات اختطاف المهدي بن بركة ، 29 أكتوبر 1965:

بدأ المهدي بن بركة يشعر بعدم الأمان وبالأخطار المحيطة منذ غادر المغرب سنة 1960، بعض أصدقاءه يذكر أنه غادر باريس بعد تعرض أحد المناضلين المغاربة في ال(UNFP) لمحاولة اختطاف ووصول معلومات للأمن الفرنسي بوجود عناصر استخباراتية مغربية في فرنسا، مما دفع بالفرنسيين لوضعه تحت الحراسة[120]، فعميل الاستخبارات المغربية أحمد بخاري موظف مكتب (CAB1) يتحدث أنه منذ هاته الفترة وتحسبا لعودته إلى المغرب شددت الرقابة عليه وزرعت

---

[118]- جريدة الشعب، عدد: 904، 15 نوفمبر 1965، مصدر سابق.

[119] - برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

[120] - الجراري، مرجع سابق، ص:401.

الميكروفونات في جدران بيته وفرضت الرقابة على خط هاتفه وبريده وسخرت الشقة المجاورة لبيته للمراقبة الدائمة على مدار الأربع وعشرون ساعة [121].

في يوم 18 نوفمبر 1962 تعرض المهدي بن بركة لمحاولة اغتيال مباشرة بين الرباط والدار البيضاء عن طريق حادث مرور كاد يودي بحياته وخرج منه بإصابة في رقبته[122]، غادر بعدها إلى ألمانيا[123]، وفي أوت أحمد الدليمي الذي أصبح يرأس ال(CAB1) أعطى أوامره لمصالحه بتصفيته، من أجل وضح حد لوجع مزمن يزعج الملكية منذ وقت طويل، فعين لهذه المهمة عميل مصالح الاستخبارات أحمد البخاري والمدعوين: بالناصر قرواني وعبدالقادر الوالي، والذين تنقلوا إلى مدينة الجزائر العاصمة بعد تأكيد عيونهم ومصادرهم على تاريخ زيارة بن بركة للجزائر مزودين بجوازات سفر مزورة وسكنوا بحي بلكور، وحسب رواية البخاري فقد قاموا فعلا باستهداف المهدي بالرصاص وفروا من مسرح العملية وعادوا للمغرب عبر وهران ثم مرسيليا، لكن بعد وصولهم للمغرب تبين أن مصالح الأمن الجزائرية التي كانت تؤمن الحماية لبن بركة وضعت شخصا آخر بنفس مواصفاته ولباسه للتمويه ولم يكن هو المستهدف[124].

بدأت التحركات بكل جد من أجل تصفية بن بركة مع اقتراب موعد انعقاد مؤتمر القارات الثلاث، والذي سبقه الانقلاب على بن بلة الذي كان يوفر له الحماية ويموله بالمال، عن طريق القنصل الجزائري في جنيف الذي كلف بالسهر على تأمينه، وحيث كان حتى الاتصال به ومن أقرب الناس إليه يتم عبر القنصلية الجزائرية، فكان أحد الصحفيين في الحلقة المحيطة ببن بركة هو نقطة الاختراق التي نفذ منها إليه وهو المدعو بيرنيه [125](Bernier)، فبعد وصول معلومات دقيقة

---

[121] - BOUKHARI, op-cit, p: 132./ DAOUD – MONDJIB, op-cit, p: 261.

[122] – صورة المهدي بعد تعرضه للحادث، ملحق رقم: 26.

[123] - CLEMENT, op-cit, p: 191.

[124] - BOUKHARI, op-cit, p, p: 139-141.

[125]– فليب برنييه (Philippe Bernier) 1930-2000، صحفي فرنسي ومتعاون قديم مع إذاعة المغرب والجزائر في العهد الفرنسي، عمل لصالح الحكومة المؤقتة الجزائرية، كانت له علاقات نتيجة عمله كصحفي بالطبقة السياسية المغربية و اليسار خاصة، وربطته علاقة بالمهدي بن بركة، حيث التقى به في العديد من المرات المغرب والجزائر وجنيف. ديرجي، بلوكان، مرجع سابق، ص، ص:34، 35.

عن وضعه المالي السيئ الناتج عن غياب دعم بن بلة، وانطلاقا من هذا جاءت فكرة إعداد فيلم والذي سيكون الطعم الذي يستدرج به المهدي[126].

كانت الخطة تقتضي بداية أن يقدم إليه اقتراحا بالمشاركة في إعداد فيلم كمستشار تاريخي عن حركة التحرر العالمي، والذي سيقدم في افتتاح مؤتمر القارات بهافانا، وتم تكوين فريق وهمي من عملاء مصالح الاستخبارات المغربية، والشروع في لقاءات وهمية تنتهي بالقضاء على المهدي بعد استدراجه لباريس[127]، لقد تم حبك القصة جيدا بالاستعانة بأناس مشهورين مثل المخرج المعروف جورج فونجي (Georges Franju) وكاتبة السيناريو الروائية الفرنسية المشهورة مرغريت دورا (Marguerite Duras) ، أما باقي عناصر المؤامرة فكانوا جميعا متواطئين مثل المدعو فيجون (Georges Figon)[128]، الذي لعب دور منتج الفلم، والصحفي برنييه، الذي كانت تربطه علاقة سابقة بالمهدي واستخدم كوسيط مقابل مبلغ مالي قدر بأربعمائة ألف فرنك فرنسي قديم، وهو الذي أقنع بن بركة بقبول المهمة[129].

شارك في العملية عناصر من الشرطة الفرنسية هم أنطوان لوبيز (Antoine Lopez) [130]الذي يعمل في الشرطة السرية وشرطيان عاديان يدعيان: سوشون (Souchon) و فواتو (Voitot)، وكذلك أربعة مجرمين مرتزقة من أفراد العصابات وهم:" دوباي (Dubail)، لوني (Leny)، باليس (Palisse) وبوشسيش (Boucheseiche) "، وطبعا عناصر من الأمن

---

(126) - BOUKHARI, op-cit, p:161 .

(127) - برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012./.161 :BOUKHARI, op-cit, p

(128)- جورج فيجو (Georges Figon): مجرم مرتزق، يحترف التزوير والاحتيال، تجمعه علاقات بعصابات الإجرام، شارك في اختطاف بن بركة، ووجد ميتا يوم 17 جانفي 1966، وصنف الحادث على انه انتحار. Daniel SARNE, **l'affaire Ben Barka**, la table ronde, Paris, 196, p :65.

(129) - Ibid, p-p :63-66.

(130) - أنطوان لوبيز (Antoine Lopez) فرنسي من أصل إسباني، موظف في مطار أورلي بباريس، ويعمل كشرطي سري في نفس الوقت، أمضى بعض الوقت في طنجة وجمعته علاقة وطيدة بأوفقير. درجي، بلوكان، مرجع سابق، ص:50.

المغربي ومصالح الاستخبارات مثل المدعو " الشتوكي"[131]، الذي اتصل ببرنييه وعرض عليه المهمة، وأيضا عناصر أخرى مثل: "بطيش، درفوفي، سقا ومتسناوي" وكلهم عناصر تتبع ال(CAB1)، وأشرف على العملية في فرنسا المدعو محمد العشعاشي[132].

يوم 29 أكتوبر 1965 وفي إطار إعداد الفيلم وصل المهدي إلى مقهى (Brasserie lipp) بضاحية سانت جيرمان بباريس للقاء فريق الإنتاج، وكان برفقته تلميذه السابق الطالب"الزموري"[133]، وقبل دخول المقهى أوقفاه الشرطيان الفرنسيان "سوشو وفواتو" من أجل استجواب، وتجاوب معهما لما علما أنهما شرطيان وركب معهم السيارة والتي كان داخلها المدعو "لوني"، ثم اتجهت به السيارة إلى فيلا "بوشسيش" بضاحية "فونتني – لي – فيكونت" (Fontenay le vicomte)، ووفق الراويات كان الدليمي قد وصل إلى المكان بعد وصول المهدي والذي تمت السيطرة عليه رغم المقاومة التي أبداها، ثم التحق أوفقير والذي أشرف على عملية الاستنطاق والتعذيب شخصيا[134].

ومن فيلا بوشسيش لم يظهر المهدي بعدها أبدا لا حيا ولا ميتا ولم يعرف مصيره نهائيا[135]، هل قتل لحظتها ونقلت جثته؟ أم نقل حيا لمكان آخر بفرنسا؟ أم نقل للمغرب وهناك صفي؟[136] تعددت الراويات، وبعيدا عما رواه فيجون الذي يشكك كثيرون في روايته؛ تبقى

---

[131] – الشوتوكي: إسمه الحقيق ميلود تونزي، أحد عناصر الاستخبارات المغربية، كان يعمل انطلاقا من السفارة المغربية في باريس. BOUKHARI, op-cit,p:166.

[132] - BOUKHARI, op-cit,p:181/ SARNE, op-cit ,p:65.

[133] –طالب مغربي كان يعد شهادة ماجيستير ودكتوراه في فرنسا، درس عند المهدي بالمغرب، ومناضل يساري في صفوف الUNFP، ديرجي، بلوكان، مرجع سابق، ص:32.

[134] - Georges FIGON, **le récit d'un témoin– j'ai vu tuer Ben Barka**, l'expresse,10 octobre,1966.

[135]– طبيب محمد الخامس الشخصي، فرنسوا كليري صرح في شهادة مسجلة للقناة الفرنسية الثالثة، أن المهدي نقلت جثته للمغرب، وتم التمثيل بها هناك وتمزيقها لأشلاء، دفنت في انحاء مختلفة من المغرب، بينما الضابط احمد البخاري يقول: أنه تم نقلها للمغرب، وإذابتها في حامض الأسيد. فرنسوا كليري، طبيب محمد الخامس الخاص، شهادة شفهية، القناة التلفزيونية الفرنسية الثالثة./ أحمد البخاري، شهادة شفهية، برنامج لقاء اليوم، الجزيرة، 2001.

[136] – جريدة الشعب، عدد: 901، 11 نوفمبر 1965، ص:01.

فرضيات عديدة واردة ومتهمون كثر محتملون، ورغم المحاكمات والتحقيقات التي انطلقت فور ما جرى لتحديد هوية المتورطين في القضية، ورغم أن القضاء الفرنسي حاول أن يسدل الستار على الحادث بوصفه عمل استخباراتي مغربي داخلي، أشرف عليه أوفقير، لكن ذلك لم يكن كل الحقيقة التي تنهي الأسئلة حول مصير المناضل المغربي ومن يقف وراءها ومستفيدا منها.[137]

ب- دوافع التخلص من المهدي بن بركة والجهة التي تقف خلفه:

كانت النتيجة التي انتهى إليها القضاء الفرنسي أن المهدي ذهب ضحية لتصفية داخلية ومن يقف وراء العملية هم أعداؤه التقليديون بالمغرب، ورغم محاولة قصر المنفذين والمستفيدين في أوفقير ومن تحت إمرته، وحتى ولو تلميحا واستنتاجا باحتمال صدور الأوامر من القصر المغربي والحسن الثاني بالتحديد، فإن القضية أكبر من ذلك وتصفية المهدي كانت في هذه الفترة مطلبا داخليا وخارجيا، ومعه يغدو الحسن الثاني أقل المستفيدين من القضية.

❖ **الدوافع الداخلية:**

لا شك أن النظام المغربي حاضر في القضية من قريب أو بعيد بعناصره الأمنية والاستخباراتية التي شاركت في العملية: الشتوكي الملحق بالسفارة المغربية في باريس وعناصر ال(CAB1): البخاري، العشعاشي، المسناوي وغيرهم، والذين يقر البخاري في مذكراته أنهم اشتركوا في التنفيذ، وأنهم اجتمعوا يوم 25 أكتوبر 1965 تحت قيادة العقيد ليوسي ووضعت تحت تصرفهم طائرة وأعطيت لهم الأوامر بالتحرك وغادروا إلى فرنسا يوم 26 أكتوبر بجوازات سفر مزورة، وفي باريس وزع عليهم الشتوكي المال اللازم للعملية[138].

وحتى الجنرال أوفقير والدليمي ليسا بعيدين عما جرى، حيث يثبت كثيرون وجودهما بمحيط تنفيذ العملية[139]، رغم اجتهاد زوجة أوفقير في التأكيد أنه يوم 29 أكتوبر كان في مراكش

---

[137] - François CAVIGLIOLI, **Ben Barka chez les juges**, la table ronde, 1967.

[138] - BOUKHARI, op-cit, P-P :165-167.

[139] - فريديريك بولكان، صحفي، شهادة شفهية، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائيقية،2012.

ثم انتقل إلى فاس وغادر يوم 30 أكتوبر ليلا إلى باريس، حيث كان في استقبالها في مطار أورلي قادمة من الرباط في موعد من أجل الانتقال إلى سويسرا للالتحاق بولديهما في مكان دراستهم في سويسرا، ثم عاد أوفقير يوم 02 نوفمبر لحضور حفل في وزارة الداخلية الفرنسية بمناسبة تخرج دورة تدريبية لمجموعة من الموظفين المغاربة وغادر يوم 04 نوفمبر رفقة الدليمي إلى الرباط من دون أدنى مضايقة[140].

صدر يوم 05 جوان 1967 حكم من القضاء الفرنسي بإدانة لوبيز وسوشون بالسجن ثماني وست سنوات، وحكم غيابي على أوفقير وشتوكي والمتعاونين الأربعة بالسجن المؤبد في محاولة لإظهار عدالة القضاء الفرنسي وأيضا في شكل إدانة لشخص أوفقير ومن وراءه للنظام المغربي كمتورط وحيد يقف خلف القضية[141].

من المؤكد أن النظام المغربي والملك الحسن الثاني استفادا بشكل أو بآخر من تغييب المهدي العدو رقم واحد لهما وأكبر مؤثر في الساحة السياسية الداخلية، حتى وإن كانت الأمور تتجه نحو تسوية سياسية ظاهرية بين المهدي والحسن الثاني، لكن المهدي نفسه كان يتوجس من نوايا الملك المغربي ومحيطه، ففي رسالته لزوجته يذكر أن الحسن الثاني يناور لربح الوقت في إشارة لتخوفه من سيناريو ما يعد تحضيره، خاصة بعد الطريقة التي عومل بها شقيقه عبد القادر لما عاد للمغرب وطلب مولاي علي منه المغادرة بسرعة[142].

لم يسمح الملك الحسن الثاني بالمساس بأوفقير ومن اشترك معه حتى بعد إدانتهم، ولا حتى طلب منه مغادرة الحكومة التي كان عضوا فيها كوزير داخلية، ووفر الحماية للمجرمين الأربعة المدانين والمعيشة المرفهة في المغرب، مما يظهر شيء من التواطؤ بل التبني، وفقط بعد الأحداث اللاحقة التي تورط فيها أوفقير ومقتله عاد الحسن الثاني ليسمح بالحديث عن القضية وعن دوره، لكن جميع

---

[140] – أوفقير، مرجع سابق، ص: 98./جيل بيرو، مرجع سابق، ص:116.

[141]– نفسه، ص:119.

[142]– بناني، مصدر سابق.

المتابعين للوضع المغربي يعرفون أن الحسن الثاني كان الآمر الناهي ولا يمكن تجاوزه في قضية مثل هذه، حتى وإن حاول هو التنصل بل البكاء والتحسر على فقد بن بركة[143].

ومع توالي الشهادات والمذكرات خاصة من قبل عناصر الاستخبارات المغربية مثل مذكرات أحمد البخاري، والذي يذكر تفاصيل عملية الاختطاف والتحضيرات التي سبقتها بالأسماء والتواريخ، فإن ذلك لا يدع مجالا للشك في كون النظام المغربي الرسمي والحسن الثاني مشاركون في عملية اختطاف وتغييب المهدي بن بركة، وأنه مستفيد بشكل كبير من رحيل محرك سياسي وفاعل مهم في الساحة الداخلية [144].

بعد رحيل المهدي حدثت تغييرات كبيرة داخل الساحة السياسية وضعفت الطبقة السياسية خاصة المعارضة ودخلت المغرب في سنوات انسداد وتعثر على جميع الأصعدة، والقصر استفرد وأغلق اللعبة وسيطر على مقاليد التسيير في البلاد، وخلى الجو للعسكر ليتحكموا في البلاد ويسخّروا مواردها ويستفيدوا من الفساد المستشري وشكلوا خطرا حتى على الملك نفسه في انقلابي 1971 و1972، وكلها مؤشرات توضح أسباب تصفية المهدي بن بركة الذي كان يشكل رفقة تياره عامل موازنة مهم في الحياة السياسية المغربية ضد الاستبداد وضد الأحادية وضد الفساد وتسلط القصر، وضد الجيش ومصالح الأمن وكذلك ما يمثله من مصداقية لدى الشارع والطبقات الشعبية[145].

❖ الدوافع الخارجية:

في سنوات الستينات لمع اسم المهدي على الصعيد العالمي وانخرط في العديد من القضايا التي تمس بشكل مباشر بالمصالح الكبرى للدول العظمى، فبمستواه العالي من الوعي والثقافة والقدرة على الفهم والتحليل والتأثير، وبشبكة من العلاقات مع الجميع وسعي حثيث لتوحيد الصفوف حول

---

[143] – بولكان، مرجع سابق./ بوتان، مرجع سابق./ بناني، مرجع سابق.

HASSANE II, op-cit, p-p :113-120.

[144]– البخاري، مصدر سابق.

[145]– أنظر بيرو، مرجع سابق.

المعركة الحقيقية الواحدة ضد الاستعمار، وبملامسته لجميع القضايا الحساسة على الصعيد الدولي: فلسطين، نفوذ إسرائيل في إفريقيا، حلحلة الصراع الصيني السوفيتي، دعم قضايا التحرر، مد حركة التحرر إلى أمريكا اللاتينية، طرح قضايا الهيمنة الاقتصادية الغربية، القواعد العسكرية الغربية في دول العالم الثالث، دعم القضية الفيتنامية، موقفه من قضية الكونغو، معاداة سياسة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا، كل هذه القضايا جعلت من المهدي العدو رقم واحد للاستعمار والامبريالية والولايات المتحدة الأمريكية[146].

ومع اقتراب موعد مؤتمر القارات الثلاث بهافانا، بدا للأمريكيين أن المهدي قد لامس الخطوط الحمراء واقترب من منطقة نفوذهم الخلفية، وكان يتوجب توجيه ضربة من خلاله للمؤتمر ولفكرة التضامن العالمي بين القارات الثلاث[147]، كان النشاط الأمريكي في العالم المعادي للمد اليساري معلوما للجميع، ومعلوم سعي أجهزة الولايات المتحدة الأمريكية ليلا نهارا لمحاربة الأفكار الشيوعية وكل من يدور في فلكها واعتبارها معسكرا معاديا، فأمريكا لا تدخر جهدا في توجيه الضربات لأي خطر معادي مهما كان محدودا ولا تتوانى في استخدام أي وسيلة.

كان الحضور الأمريكي الاستخباراتي والعسكري في المغرب أيضا غير خفي، بوجود قواعد عسكرية أمريكية بالمغرب يعمل المهدي بكل جهد رفقة تياره السياسي للتعجيل برحيلها، ومن أجل تأمين الحماية اللازمة؛ استحدث تعاون استخباراتي مغربي أمريكي وأنشأت مراكز استعلامية (CAB1)، وظف فيها خبراء أمريكيون رفقة آخرين مغاربة وكان الإشراف الكلي للجانب الأمريكي وخاصة الجانب التقني[148]، فلا يستبعد أبدا دورا الولايات المتحدة في تصفية المهدي بن بركة[149].

وجاءت عملية التخلص من المهدي بن بركة لتوضح عمق التعاون الأمني بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإسرائيل، فالولايات المتحدة هي من أنشأت وطورت

---

[146] - BOUKHARI, op-cit.

[147] - OUARDHGHI, op-cit, p :82.

[148] - BOUKHARI, op-cit.

[149]- ديرجي، بلوكان، مرجع سابق،ص:311.

الاستخبارات المغربية، وخبراءها هم من كانوا يشرفون على كل صغيرة وكبيرة هناك، كما أن إسرائيل حليف الولايات المتحدة كانت حاضرة بجهاز مخابراتها الموساد عبر تتبع والكشف عن مكان تواجد المهدي بن بركة بجنيف والإيقاع به في باريس[150].

أما الدور البارز في العملية فهو الدور الفرنسي، حيث كان هناك تواطؤ لا تخطئه عين متابع ومن أعلى السلطات السياسية في البلاد، رغم السرعة والإصرار على فتح تحقيق في القضية[151]، وتجسد في التعاون الذي قدمه جهاز الشرطة، فهو من أوقف المهدي ولولا ثقته في وظيفتهم الرسمية ما كان يمكن ليقبل صحبتهم بكل سهولة، خاصة مع العلم أنه كان على موعد مع الرئيس ديغول نفسه في اليوم الموالي، فظن أن التوقيف بخصوص الموعد.

وتعاملت السلطات العليا في فرنسا مع اختفاء المهدي بكل برودة رغم أنها كانت ستستقبله، وسمح للذين سيتهمون كرقم واحد في الوقوف وراء الحادث (أوفقير، الدليمي) بالمغادرة وكانوا إذاك على الأرض الفرنسية، بل لم تفرض أي إجراءات احترازية كمراقبة الحدود، حتى أن فيجون يروي أن المهدي ظل طيلة الطريق يقول لمختطفيه أنه لا توجد أية مشاكل مع السلطات الفرنسية وأنه على موعد مع الجنرال ديغول[152]، وهذا الأخير نفسه بعد فترة وصف ما حدث أنه دنيء وحقير في شبه اعتراف بالتواطؤ[153]، وحاول التغطية على ما حدث بإثارة أزمة في العلاقات مع المغرب والتي استمرت فترة من الزمن[154].

هل كانت نشاطات المهدي ومواقفه وتصريحاته وغاياته لتمر هكذا؟ لقد بات مكشوفا منذ سقط أقرب داعميه؛ الرئيس أحمد بن بلة وسوكارنو، وأضحى يواجه كل معاركه بمفرده، وموروست

---

[150]– تم تسريب معلومات حديثة عبر الصحافة سنة 2007 تفيد بتورط جهاز الموساد في العملية عبر مراقبته للمهدي بن بركة وكشف مكان تواجده في سويسرا، شلومو ناكديمون، صحفي إسرائيلي، شهادة شفهية، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012. / جاك ديرجي، بلوكان، مرجع سابق: 314.

[151] – جريدة الشعب، عدد: 904، 15 نوفمبر 1965، مصدر سابق.

[152] – CAVIGLIOLI, op-cit,p :111.

[153]– الرئيس ديغول، تسجيل مصور، برنامج بن بركة اللغز،الجزيرة الوثائقية،2012.

[154] – جريدة الشعب، عدد: 902، 12 نوفمبر 1965، ص:01.

الضغوط على كاسترو من النظام المغربي من أجل استبعاده من رئاسة لجنة تحضير قمة القارات الثلاث[155]، وبات منزله في القاهرة مراقبا دائما مما دفع السلطات المصرية لتغييره عدة مرات، وتسارعت تحركات النظام المغربي في كل الاتجاهات، نحو الجزائر عارضا استبداله بأحد المعارضين الجزائريين المقيمين في المغرب[156]، وتم اللجوء حتى لربط الاتصال به من أجل عودته للمغرب.

اجتهدت الامبريالية التي ناضل المهدي ضدها طويلا عبر العالم لإقصائه، والحيلولة دون انعقاد مؤتمر القارات الثلاث وتوحيد حركة التحرر العالمية ومواجهة الاستعمار الجديد، وخلال أحداث محاكمة المتورطين في اغتياله قال المبعوث الكوبي الذي جاء لحضور فعاليات المحاكمة: "أمريكا حاولت بكل الوسائل أن تحول دون انعقاد مؤتمر القارات الثلاث وأولئك الذين كانت لهم مصالح في ألا ينعقد هذا المؤتمر يدركون جيدا الدور الذي لعبه المهدي بن بركة في هذا الصدد"[157].

في الوقت الراهن مع توافر عدد كبير من الشهادات، يمكن القول أنه لا شك في أن كل هذه القوى قد اجتمعت حول ضرورة تصفية المهدي بن بركة؛ أمريكا وفرنسا وإسرائيل، خاصة أن نفس المصير سيلاقيه هنري كوريل، وكثير من المناضلين في السنوات اللاحقة، فقط أن وضع وطبيعة العلاقة بين المهدي والنظام المغربي كان سيجعل من المغرب هو المتبني الرسمي للتصفية، ويحمله تبعاتها، وهو ما عبر عنه شقيقه عبد القادر في أول تصريح له يوم 31 أكتوبر 1965: "أنا أشك في الجميع"[158].

لقد أعقب القضية صمت دبلوماسي دولي كبير أقرب إلى التواطؤ، رغم كل الزخم الإعلامي والصحفي الذي واكب القضية، كان الهدف هو تغيبه بشكل فجائي وفي الظلام حتى لا يتهم أحد ولا تثار أي أزمة لكن وجود الطالب الزموري إلى جانبه لحظة التوقيف هو من كشف تورط

---

[155]- بيرو، مرجع سابق:106.

[156] - ديرجي، بلوكان، مرجع سابق، ص:308.

[157]- أشقرا، مرجع سابق، ص:89.

[158] - عبد القادر بن بركة، تسجيل مصور، 31 أكتوبر 1965، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

الشرطة الفرنسية ومن ورائها السلطات السياسية، فحدثت تلك البلبلة التي لم يستطع الرئيس ديغول التغطية عليها بكلماته وبسرعة محاكمة المتهمين وإصدار الأحكام في حقهم.

اختفى المهدي بن بركة من المشهد السياسي المغربي والعربي والعالمي هكذا فجأة من دون جثة من دون قبر، كان يحمل أحلاما كثيرة ومشاريع أكثر لبلده المغرب وللقضايا العربية ولقضايا التحرر العالمية ولدول العالم الثالث، ظل طيلة حياته النضالية يواجه التحديات والمخاطر وتلاحقه الاتهامات وتوضع الصعوبات في طريقه، طيلة الفترة التي قضاها خارج المغرب لم يتوقف عن النشاط في سبيل كسر هيمنة الرأسمالية والامبريالية وإفشال الاستعمار، لكن في الوقت نفسه لم ينقطع عن متابعة أوضاع المغرب من خلال رفاقه بالداخل، وهو يرى في تلك الجهود المبذولة من أجل فلسطين والجزائر والعرب وإفريقيا والعالم تصب في خدمة التوجه الداخلي المغربي، فإذا استطاع هذا التوجه إحداث تغيير عالمي سيكون له حتما تأثيرا في المغرب.

في سن الخامسة والأربعين غادر المهدي بن بركة ورغم هذا العمر القصير إلا أنه كان حافلا بمسار نضالي زاخر ومتوهج ، والذي توج أخيرا برئاسة لجنة تحضير مؤتمر القارات الثلاث، وهذا ما انتبه له أحد الذين عرفوه فقال: "كان لا يريد تضييع دقيقة واحدة من عمره وكأنه كان يعرف أن نهايته قريبة"[159]، لقد كانت سنواته الأخيرة مختلفة كليا عن مساره الأول في الحركة الوطنية، جاب خلالها العالم وأقام علاقات وصدقات مع كثير من زعماء العالم والحركات التحررية والثوار، كان همه موزعا بين المشاريع العربية والإفريقية والعالمية، نادى بضرورة إعادة صياغة مفهوم الاستقلال والتنبه وعدم الاكتفاء بالسياسي منه بل بمواصلة الكفاح حتى بسط السيادة الاقتصادية والثقافية، وأي تحقق لمصالح الاستعمار بعد الحصول على السيادة معناه استمرار للاستعمار تحت مسميات أخرى، حاول إحداث قفزة في الوعي وكشف كل أشكال المؤامرات الاستعمارية، لكن كانت الجبهات المفتوحة أكبر منه وكان الخصم أكثر قوة و نفوذا منه، فكانت نهايته نهاية لمسار سياسي ولمشاريع ممتدة عبر العالم، وأراحت أطرافا عديدة داخل المغرب وخارجه.

---

[159] – محمد فرج (ماو) مناضل يساري، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.

الفصـــل الرابـــع:

التوجه الفكري للمهدي بن بركة.

المبحث الأول: الحضور الإيديولوجي في نضال المهدي بن بركة.

المبحث الثاني:العوامل والمؤثرات التي صاغت التوجه الفكري للمهدي بن بركة.

المبحث الثالث: فترة التوجه الإصلاحي في فكر المهدي بن بركة "زمن الأوهام".

المبحث الرابع : فترة التوجه الثوري في فكر المهدي بن بركة.

الفصـــل الرابـــع: التوجه الفكري للمهدي بن بركة.

رافق المسار السياسي للمهدي بن بركة مسارا آخر على الصعيد الفكري، كان هو الموجه والخلفية للممارسة النضالية، فالمهدي على خلاف كثير من المناضلين لم يكن مجرد إنسان سطحي يتلقى التعليمات، لكنه كان يبدي نزعة تنظيرية ويمتلك كاريزمة شخصية قيادية تحمل تصورا وتمارس التوجيه وترسم الاستراتيجيات، كانت جل نشاطاته وتحركاته ومعاركه تنطلق من نظرة مسبقة ومن أفكار وكانت مشاريعه تلبس رداء إيديولوجيا ولم تكن مجرد نضال سياسي لا لون له.

فقد لا تعني الحياة الشخصية للمناضل شيئا، ويتم تجاوزها في التاريخ إذا لم يكن منتجا فكريا، وكثيرا ما يتم نسيان الأبطال غير المنتجين نظريا، وكان يمكن أن يكون المهدي من هؤلاء لولا حضوره الفاعل والمتميز في الحركة السياسية وفي التأسيس لبعض النظريات في المغرب، ورغم أن كتاباته كانت قليلة جدا، لكنها كانت قادرة على عكس تصوره ونظرته للأشياء، وهذا ما جعله حاضر في الذاكرة الشعبية والنضالية والسياسية المغربية ومستمر الحضور[1].

وساعدت المهدي وهيأت له مجموعة الظروف المحيطة التي رافقت نشوءه ومساره النضالي والإنساني وكان لها دور في صقل توجهاته الفكرية ودفعه لتبني قناعات معينة، فكل التجارب التي مر بها وكل كتاب قرأه وعلاقة أقامها ومعركة سياسية خاضها تركت أثرا في ميوله ونزعته السياسية والإيديولوجية، فلم يكن مساره مسار مناضل سياسي بل أيضا مسيرة مثقف ومفكر، تحوي كثير من المشاريع ومن الإنتاج والرصيد على صعيد التنظير والتوجيه، كان النقد والتحليل والمراقبة والقياس العلمي والاحتكام إلى النتائج جزء من منهجيته وأسلوبه، فلم يكن يقبل أن يسير في طريق لا يوافق قناعاته، ولا يخجل أن يجري المراجعات ويمارس النقد الذاتي على مساراته وخياراته، لهذا لم يكن خطه الفكري واحدا، بل تغير وتحور نتيجة تغير القناعات تحت تأثير الظروف ومدى تحقيق الأهداف وأيضا تأثير النتائج المستخلصة عبر الطريق.

---

[1]- يوسف أبو سهى، **المهدي بن بركة أسطورة الفكر الثوري في المغرب**، الحوار المتمدن، عدد: 1714، 25 أكتوبر 2006.

المبحث الأول: الحضور الإيديولوجي في نضال المهدي بن بركة.

حفلت الحركة الوطنية المغربية بأسماء عديدة كان لها دور كبير في النضال من أجل الاستقلال، وتركت بصمتها في مسيرة التحرير، لكن على الصعيد الفكري يبرز اسمان مهمان هما: علال الفاسي والمهدي بن بركة، واللذين إضافة لجهدهما ودورهما الكفاحي من خلال النضال الحزبي ومساهمتهما في المقاومة، ودورهما في مؤسسات الدولة بعد الاستقلال، كان لهما إضافة وحضورا فكريا، عبر كتاباتهما وتنظيرهما للنضال ولطريقة ممارسة الحكم وتسيير المغرب[2].

أ- النزعة الفكرية عند المهدي بن بركة.

برز المهدي بن بركة وتميز خلال مساره النضالي بالحركية والنشاط، حتى غلب عليه اسم دينامو الحزب، لقد كان في غالب الأوقات يمسك بخيوط التسيير الإداري سواء في حزب الاستقلال أو في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، أو في منظمة التضامن الأفرو- أسيوي، وهي مهمة عملية صرفة، لكن أيضا كانت له خاصية أخرى؛ هي نزعته الفكرية وميله نحو التنظير، بصمت مساره السياسي، وكانت أحد ملامح شخصيته وحضوره، فما جعل المهدي يأخذ تلك المكانة في تاريخ المغرب ليس فقط احترافه السياسة ومواقفه النضالية، فهناك كثيرون غيره قدموا الكثير، لكن تميزه كان أنه صاحب تصور ونظرة وتفكير.

منذ بداياته وهو في الجامعة كان المهدي يقوم بإنجاز دراسات وإعداد تقارير مبنية على تجارب واقعية، ويقدم محاضرات توجيهية، مثل ما قدمه بخصوص مناهج التنظيم والتكوين الشبابي عند النازيين في مارس 1941 بفاس لبعض تلاميذ وطلبة الحركة الوطنية، وكذلك إعداده لدراسة بخصوص تعليم البنات بطلب من محمد الخامس في سنة 1943[3]، وخلال فترة اعتقاله في قصر السوق- وهي فترة خصبة في حياته طور فيه كثير من معرفه وأفكاره - كتب مجموعة الرسائل لرفاقه ضمنها تصورا عن تاريخ المغرب، وقاموا بطبعها في كتاب أطلق عليه لقب المطوال، وأعتبر كقاعدة عقدية

---

[2] - الجابري، مرجع سابق، ص: 40.

[3] - أوريد، مقال سابق./ الجراري، مرجع سابق، ص- ص: 70- 74.

لتكوين مناضلي حزب الاستقلال تاريخيا وسياسيا، كما كتب مقالات عديدة منها مقالا بعنوان: حاجتنا إلى دراسات اجتماعية واقتصادية وسياسية، في محاولة لترشيد الكتابة في هذه الاختصاصات نشرته مجلة رسالة المغرب في يناير 1952[4].

فحين كان المهدي غارقا في مطالعته وكتاباته في معتقل أغبالو نكردوس، لفت ذلك انتباه رفاقه المناضلين فأطلقوا على زنزناته لقب: الجمهورية التاسعة وذلك حسب ما ذكر المختار السوسي تمييزا لها عن باقي الزنزنات تشبيها لها بجمهورية الولايات المتحدة التي تتميز عن سائر الدول، فقد كانت معقلا للتفكير والتنظير والتخطيط، فكانت محط احترام الجميع، فهي متكونة من رجال عظام على رأسهم المهدي بن بركة[5].

لم يكن المهدي أبدا ذلك المناضل البسيط ذو الولاء التام للوسيلة النضالية، والذي يتدرج في سلم المسؤولية فقط نتيجة تفانيه في العمل، لقد كان منذ صغره يمثل إضافة حقيقية، دائم التساؤل والتحليل والبحث في أسباب الفشل والهزيمة، مفتشا عن نقاط الانطلاق والنجاح، لم يكن يمضي في أي فكرة لا يقتنع بها، ومن أجل ما هو مقتنع به كان يبذل الكثير حتى حياته وحريته واستقراره، عندما لم يقتنع بخيار حزب الاستقلال في اعتماد خيار التفاوض والنأي عن العمل المسلح ورأى في ذلك خطورة على الحزب وخطوة في طريق عزله، بادر من تلقاء نفسه بتبني المقاومة وسعى من أجل تنظيمها وتحقيق التنسيق بين أفرادها، فلم يكن يؤمن بالحلول الوسطى والتسويات وظل طيلة فترة المخاض السياسي بين 1950 و1956 يفكر في السبيل الذي يحقق أفضل النتائج، وفي الوقت الذي كان رفقة مختلف القيادات في المعتقل رأى في بقاء المقاومة والحراك الوطني من دون موجه سياسي خطرا كبيرا على الحركة ونجاحها، لهذا سارع بعد خروجه ليلعب دور المنسق والمرشد[6].

كان من أوائل أعضاء حزب الاستقلال الذين نظروا للعمل المسلح ورأى فيه تطورا طبيعيا لوسائل الحركة الوطنية، وهو مجرد نتيجة لانتقال النضال من المدن إلى القرى والأرياف، ومن البرجوازية

---

[4]- جبرو ، مرجع سابق، ص، ص:180، 186.

[5]- السوسي، مصدر سابق، ص: 218

[6] - جبرو ، مرجع سابق، ص:211.

والعمال إلى الفلاحين، كما رأى في العنف وسيلة سياسية بحتة، ذلك أن أي نضال ضد أي نظام اقتصادي واجتماعي لا بد أن يقرن الوسائل السياسية والعسكرية والأساليب القانونية وغير القانونية[7].

تجلى ميل المهدي نحو النخبوية الفكرية في اعتماده على التحليل الدقيق للأوضاع وجمع أكبر قدر من المعلومات، والانطلاق من الأرقام والإحصائيات، وتحديد الأهداف بدقة ووضع الاستراتيجيات ورسم المشاريع، فكان من القلائل الذين حللوا الأسباب الحقيقية لوقوع المغرب في يد الاستعمار، ومن قبلها أسباب التخلف والانحطاط، لقد أدرك مبكرا أهمية التعليم للرجال كما للنساء وخاصة أهمية العلوم الحديثة[8].

إن العدو الرئيسي لأي عمل هو العشوائية والعفوية والارتجالية، لهذا لا بد من ضبط كل شيء، ومن هذا المنطلق كان دائما حريصا على التنظيم الدقيق والتخطيط، سواء في الحركة الوطنية أو في المقاومة، أو في مؤسسات الدولة أو فيما بعد في نشاطه الدولي، كان يدعو لتجاوز العفوية ويعطي النموذج في ذلك، كان يميل للتخطيط ووضع تصورات والتنسيق الدقيق، فتجلى ذلك خلال نضاله في الحركة الوطنية في النشرات والمحاضرات والدورات، وفي المقاومة من خلال خلق مكتب ربط وتنسيق واتصال، وفي عمل الحكومة عبر السهر على الإعداد والتخطيط وتحضير المشاريع، ومتابعة عمل الحكومة واستباقه باجتماعات توجيهية ترسم فيها الاستراتيجيات مع رفاقه الوزراء.

كان يريد من الحركة الوطنية ومن تياره الراديكالي أن يصطبغ بخلفية إيديولوجية حتى تتضح المعركة جيد لعموم الناس، لهذا حرص على الانفصال عن حزب الاستقلال حتى يستطيع التعبير عن لونه السياسي المقتنع به، واجتهد في توضيح معالمه لرفاقه، كما اجتهد في توضيح طبيعة الصراع

---

[7] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 40.

[8] – المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق.

وأطرافه، ومادام الصراع خرج للعلن فلابد من تحديد الخط وهو الثورة في مقابل الرجعية، ولن تستطيع هذه الثورة فرض أيديولوجيتها ما لم تستطع أن تكسب تعاطف الجماهير[9].

ورغم عدم اقتناعه بداية بالمفاوضات عاد واعتبر الحصول على الاستقلال تحديا وشجاعة، لكنه لم يكن إلا البداية، والمعركة الكبرى تبدأ في اليوم التالي لاسترجاع السيادة، وحيث أن الفضل في الاستقلال كان للعناصر التي بذلت جهدها وضحت فمن حقها اليوم أن تساهم في صناعة المستقبل عبر تسيير البلاد، وحتى وإن كان حزب الاستقلال هو المؤهل لذلك فإن القوة الحية داخله من عمال وطلبة ومقاومين هم أصحاب الحق في استلام مشعل القيادة داخله وداخل هيكل الدولة[10].

بعد الاستقلال كان صاحب فكرة التوازن بين مختلف القوى السياسية أو ما اصطلح عليه بالمعادلة المغربية، والتي تتوزع فيها القوة والسلطات بين الحركة الوطنية والقصر، لكنه كان الوحيد الذي نظّر لضرورة امتلاك الحركة الوطنية لقوة عسكرية وأبدى تخوفه من احتكار القوة من قبل الملكية، وسعى بكل ما يملك من جهد لتحقيق ذلك، فتوازن القوى وحده من سيجبر القصر ومن وراءه الإقطاع على التنازل والاعتراف بحق الشعب والطبقات الفقيرة، وعندما فشل في الحفاظ على تنظيم عسكري موالي سعى لتأميم الجيش الرسمي لصالح الحكومة والدولة والشعب بدل القصر، لأن احتكار القصر للقوة سيفسد البلاد وفيه خطر على الملكية نفسها[11].

بالنسبة لكثير من رفاق المهدي، فقد مثل قاطرة حقيقية بأفكاره، فحتى بالنسبة للبصري رمز المقاومة؛ ليس المهدي مناضلا فحسب بل هو مشروع استراتيجي ونظرة بعيدة المدى، ولم يختلف على هذا بقية رفاقه مثل اليوسفي وبوعبيد وعبد الله إبراهيم، فرغم قيمة كل منهم ودورهم النقابي والمقاوم والسياسي فإن المهدي كان الدماغ الموجه والمسير، وحتى بالنسبة للنظام لم يختلف الأمر فمكمن الخطر كان دوما المهدي لأنه هو من يملك التوجيه ويصنع الأفكار.[12]

---

[9]- المهدي بن بركة ، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص:39، 46.

[10] – انظر الفصل الثاني.

[11] – المهدي بن بركة ، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص:30، 31.

[12] – HASSANE II, op-cit, p: 106.

وعندما انتقل للنضال على مستوى عالمي نقل معه نفس النزعة، وهو الأمر الذي جعله سريعا يجتاز كثير من المراحل ويحقق مكانة على الصعيد العالمي، كان دائما يعطي أفكارا جيدة في كل المؤتمرات، وهو صاحب فكرة الاستعمار الجديد، التي اجتهد في تعريفها وتقديمها للعالم، لقد أدرك كثير من الزعماء أهمية طروحاته وأفكاره لهذا وضعوا فيه الثقة لتصدر كثير من الهيئات والمنظمات، وكانت فكرته الكبرى التي سهر في بعثها مد حركة التحرر لتشمل كل العالم وجميع القارات.

إن المتتبع لمسار المهدي وحياته سيدرك أنه أمام إنسان مفكر وله القدرة على إبداع أفكار وطرق وتوجيهات، فكان فكره ونزعته التنظيرية أيضا جالبا للانزعاج منه ودافعا للتخلص منه من كثير من الأطراف، فبالقدر الذي جعلت اسمه يبرز سريعا ويلمع بين الشخصيات التحررية العالمية سلطت عليه الأضواء، وعرفت العالم بمدى خطورته، فالنضال لا يمكن أن يحقق شيء إن لم يواكبه عقل مدبر ومشاريع وتصورات وتخطيط محكم، والمهدي كان يستطيع توفير هذه الشروط لهذا كان هذا عاملا مهما في المصير الذي لقيه وفي تفسير مبررات التخلص منه.

ب- خصائص وأسس فكر المهدي بن بركة.

إذا كان علال الفاسي يصنف كمرجع مغربي إسلامي إصلاحي، فقد نحا المهدي بن بركة في اتجاه مغاير، وإن كان يصنف كمرجع ومنظر لتيار فكري وسياسي معين، إلا أن فكره وأسلوبه قد عرفا خصائص محددة جعلته يعتبر حالة فريدة متميزة في المغرب، وصنعت له مكان تختلف عن بقية المناضلين والمفكرين والسياسيين، فيمكن إجمال منطلقات المهدي في تكوين مذهب فكري وتوجه سياسي في التالي:

❖ **العلمية والحداثة:**

كان المهدي مسكونا بهاجس النهوض وضرورة الأخذ بأسرع ما يمكن بالعلوم الحديثة والأساليب المعاصرة، كان ذلك هو الذي صنع الفارق بين الشعوب والأمم، فبفضل العلماء وإعطاء

قيمة للعلم استطاعت كثير من الشعوب تدارك ما فاتها وتدارك الهوة وتحقيق تطور[13]، فقد وقع خلل في تاريخ الأمة جعلها تتخلف عن متابعة مسيرة البشرية الطبيعية، والتي عرفت الثورة الصناعية والاكتشافات العلمية والمكتسبات على الصعيد السياسي والمؤسساتي التي غيرت وجه أوروبا والعالم[14]، فليس هناك عدو لدود مثل الجهل والتخلف عن الركب، وكما قال: "فلا يزال المستوى العام منحطا عندنا، لأن التقدم الذي غمر العالم وشمل دول البحر المتوسط على الخصوص لا زال لم يشملنا، فنحن إذا متخلفون عن الركب"[15].

كان المهدي في أسلوبه وفكره حالة استثنائية من بين السياسيين المغاربة الذين يميلون للتقاليد والانتماء والتأصيل الديني والتاريخي والعاطفة الجياشة، وفي هذا الإطار ما يرويه محمد عابد الجابري: "كنا متحلقين حول المهدي وكان الحديث يدور حول القرويين وعقلية المتخرجين منها، أذكر أن المهدي تدخل وقال: القرويين مركز الوطنية ولكن السياسة شيء آخر، ثم أضاف: إن من لم يكسر رأسه مع المسائل الحسابية من نوع الصهريج الذي تملؤه أنابيب مياه وتفرغه في نفس الوقت أنابيب أخرى، ليعرف متى وكيف سيمتلئ، لا يستطيع أن يعمل في السياسة في العصر الحاضر، ، فعلا كانت السياسة عنده حسابات"[16].

كان يطبع كل تقاريره ومحاضراته ومقالاته بالأسلوبي العلمي الذي يعتمد الدليل والتحليل والبرهنة والاستنتاج، كان دائما هناك حضور للأرقام والإحصاءات والمقارنات، ودائما ينطلق من توصيف دقيق للأوضاع وبسطها بإيجابياتها وسلبياتها، ثم يستخلص مكامن الضعف أو القوة وأسباب الفشل أو النجاح وينطلق منها ليبين تصوره لرؤية مستقبلية بناء على النتائج، كما هو الحال في تحليله لأسباب وكيفية ظهور الشعوذة في المغرب: "فقد بلغ إعجاب المغاربة ببطولة المجاهدين ضد الغزاة الإسبان والبرتغاليين والإنجليز درجة كبرى، حتى أصبح هؤلاء الأشخاص – بعد وفاتهم- محل

---

(13) - Zakya DAOUD, **Ben Barka son rôle dans l'évolution du Maroc**, op-cit,p :141.

(14) – المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق.

(15) – جبرو ، مرجع سابق، ص: 17.

(16) – الجابري، مرجع سابق، ص، ص: 25، 26.

عبادة وتقديس، وأصبحت أضرحتهم مقصدا للكثيرين وأصبحت تقام الاحتفالات السنوية وأخذت الشعوذة تظهر في هذه الاجتماعات، ونشأ عنها فرق الحمادشة وعيساوة وغيرها، وأخذ أصحاب الطرق يتنافسون في إظهار قدرة أقطابهم على علاج العقم وشفاء المرضى، فتعددت الإدعاءات وكثرت الخرافات "[17].

فعندما تتأمل تقرير المهدي حول التسرب الإسرائيلي في إفريقيا ستقف على مثال آخر واضح بهذا الخصوص، فبعد استعراض مفصل ومستفيض للمعطيات والحقائق والأرقام يعطي فكرة دقيقة عن الواقع وما هو ممكن وقابل للنجاح وما هو زائف ومجرد دعاية وتضليل، وأيضا بالنسبة لمحاضرته "نحو مجتمع جديد"، أو مشروعه بخصوص الإصلاح الزراعي، والأمر نفسه بالنسبة لحواراته الصحفية مثل حواره مع المنبر الحر بخصوص عملية بناء المغرب، فكلها تظهر حضورا علميا وميلا وتأثرا بالمدرسة الغربية الحديثة، التي تعتمد العقل والحداثة، وتعلي من قيم العلم والبحث والتجربة والتقنية، وخصوصا هذه الأخيرة فقد كان المهدي مفتونا بها، وظهر ذلك في زياراته الميدانية للمصانع والورشات كل ما زار الصين ويوغوسلافيا [18].

درس المهدي الاقتصاد السياسي والرياضيات، وكان يسخر هاته العلوم ويوظفها في بناء أفكاره، وفي كتابة تقاريره ومقالته وفي تحديد توجهاته، فتحليل الوضعيات وتحديد النجاح والفشل خاصة في الجانب الاقتصادي تحتاج وجود قاعدة علمية ملمة بجوانب الموضوع، وأيضا عملية إنتاج الأفكار ورسم الاستراتيجيات تحتاج لزاد علمي محترم، لقد كانت أفكار المهدي تنطلق وتصب في توجه علمي، وتكتسي صبغة علمية.

---

[17]– المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق، ص: 78.

[18] – المهدي بن بركة، **دور إسرائيل في إفريقيا**، مصدر سابق. / صورة المهدي في أحد المصانع الصينية، ملحق رقم: 21.
Mehdi BEN BARKA, **problemes d'edification du Maroc et du Maghreb**, op-cit.

❖ الشمـــولية.

ينطلق المهدي من نظرة واسعة وتصور شامل لمشاريعه ولشكل النهضة، ولا يترك شيء لا يتعرض له في كتاباته وأحاديثه، السياسة والاقتصاد والاجتماع؛ كلها مواضيع حاضرة في تفكير المهدي، ويعالجها ويبحث لمشكلاتها عن حلول، فلم يكن سياسيا ديماغوجيا مجردا، أو كان يبني طروحاته في الحكم والإدارة على مجرد كلام حماسي تقتضيه ظروف المزايدة السياسية، لكن الحقيقة أنه كان يؤسس لفكر بديل حقيقي يقوم على أفكار ومشاريع في الاقتصاد والاجتماع والثقافة، بل حتى في الشؤون الإدارية والعسكرية، فبالنسبة لمفكر لا يمكن فصل السياسة عن الشؤون الأخرى مثل الاقتصاد والجانب الاجتماعي، فكلها مترابطة وبينها تأثيرات متبادلة.

كثير من المفكرين ينحازون لمجال واحد، فالسياسيون لا يبلون البلاء الحسن في المجال الاقتصادي والعكس، والمهدي الذي كان يتحدث عن الديمقراطية والملكية الدستورية ويضع مشروعا لدولة المؤسسات وأسلوب الحكم، هو نفسه الذي ينظر للإصلاح الزراعي وأسباب النجاح والفشل ويتعمق في التفاصيل التقنية، وكذلك بخصوص كثير من أفكاره الأخرى مثل طريق الوحدة، الذي كان فكرة عميقة ومتكاملة، هدَف من وراءها لنتائج عدة كان أبرزها تكوين جيل بنَّاء والتأسيس للتنمية، وأيضا طروحاته حول الصحراء ومواردها وسعيه لجعلها أساسا للانطلاق والنهضة، وبخصوص الجوانب الاجتماعية فيبدي كذلك إلماما ملحوظا وقدرة على الطرح ويعطي أفكارا قيمة ووجهات نظر ذات وزن، سواء في تحليل الوضع والتطور التاريخي للمجتمع المغربي والحركة الوطنية واستخلاص أسباب التخلف والفشل أو في نظرته المستقبلية وأساليب ووسائل الإصلاح[19].

---

[19]- أنظر المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق،/ المهدي بن بركة، نحو مجتمع جديد، مصدر سابق./
Mehdi BEN BARKA, **problèmes d'édification**, op-cit./
Mehdi BEN BARKA , BERQUE, op-cit.

❖ **النقد الذاتـــي:**

وهي خاصية مهمة في أسلوب المهدي بن بركة، حيث لا يغفل كل مرة في أي مقال أو خطاب أو كتاب تخصيص جزء لتحليل الأوضاع والتركيز على الجوانب السلبية، وهو أمر ينبع مما عابه على المجتمع المغربي في فترة ما قبل الحماية والذي رآه سببا في ما لحقه بعد ذلك "الجمود مع الغرور"، لهذا فمن الواجب التعامل مع الأمور بواقعية مطلقة، وإظهار الأخطاء والاعتراف بها، لأن ذلك يساعد في تصحيح المسار والوصول للحلول أو كما قال هو: "حتى نستخلص من كل ذلك العبرة لسلوكنا في المستقبل"[20].

يتعرض المهدي بالنقد كثيرا للمجتمع المغربي بكل تفاصيله، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ويبين مكامن الخطأ ويظهر المظاهر السلبية والتي كانت السبب الرئيسي في وقوعه في براثن الاحتلال، ينتقد العادات والتقاليد والجمود كما ينتقد دور العلماء والطبقة التقليدية والتصوف، "اكتشفنا بأن مجتمعنا لم يكن نادر المثال كما كنا نعتقد، ولو كان كذلك لما تغلب علينا الفرنسي والإسباني، ولما استطاعت وسائلهم العلمية والفنية والحضارية التغلب على ما كان لدينا من وسائل"، إنه لا يتوانى في التذكير أن البلاد التي عاش فيها ابن خلدون أضحت معقلا للشعوذة والخرافات وغيرها من مظاهر التخلف، ويقول: "كنا نعيش في قعر بئر وداخل ستار كثيف"[21].

كثيرا ما وجه المهدي نقده أيضا للحركة الوطنية وخياراتها، فتطرق لمسيرتها ونقاط قوتها ونجاحها وكثيرا ما ركز على أخطاءها وخيباتها وفشلها موضحا الأسباب وشارحا بإسهاب تفاصيل التقصير ونتائجه، "ولماذا لم تدرك حركة التحرير الوطني، التي كنا من مسيريها، الأغراض الأساسية للاستعمار؟ ولماذا لم نتول توضيح هذه الأغراض، وما يترتب عنها من مسائل للمناضلين مع ما ينتج عن ذلك من تحديد لمتطلبات معركة تحريرية جذرية"، ولا يتحرج في توجيه اللوم لنفسه ورفاقه ويتبنى

---

[20]- المهدي بن بركة ، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص: 06.

[21] - المهدي بن بركة ، نحو مجتمع جديد، مصدر سابق، ص: 73.

الأخطاء :"إننا في الحقيقة لم ندرك معنى المنعرج الذي وصلت إليه حركتنا، ولم نتخذ له العدة في وقته"، وسيقف المتتبع لكتابات المهدي على أمثلة كثيرة من مثل هذا .

وكانت فترة ما بعد الاستقلال قد حظيت بجزء هام من نقد المهدي لمسيرته، فيولي نفسه ورفاقه المقربين – وهو ما يمثل تيار اليسار– نسبة معتبرة من النقد على الخط الذي سلكوه وعلى الفرص الضائعة التي تسربت من بين أيديهم، ويركز على مجموعة أخطاء مثل: القبول بالتسويات والتحالف مع تيارات لا يتوافقون مع فكرها وطرحها، وخوض المعارك السياسية بعيدا عن المشاركة الشعبية، وبعض المواقف من القضايا الرئيسية والتي مثلت في نظره تنازلات عن مبادئ وأساسيات كانت كلها السبب في الفشل[22].

وحتى في الفترة التي مارس فيها المهدي النضال العالمي وكتب عن التحرر والاستقلال والتضامن الدولي ومواجهة الاستعمار، لم يغفل عن هذا الجانب، وتوجيه النقد للوسائل والأهداف وللأخطاء المرتكبة من الشعوب والحركات التحررية وزعمائها، وتبيين عدم جدوى بعض السياسات والمناهج والخيارات، بل كان يضع أصبعه على مكامن الخلل في المسارات، ويوضح بالدليل النتائج الحتمية لها، وهو ما قدمه في نقده لسذاجة كثير من التحرريين ووقوعهم في مناورات الاستعمار، والقبول بالاستقلال الشكلي، في الوقت الذي يواصل الاستعمار الحفاظ على مصالحه[23].

لا يمارس المهدي النقد من أجل النقد ولا يركز على السلبيات من أجل ممارسة جلد الذات وحسب، لكن لأنه يعتبره السبيل الوحيد لعدم تكرار الأخطاء والتطلع بشكل أفضل للمستقبل: "وقد اقتنعت أن العرض الموضوعي لأخطائنا في الماضي هو السبيل الوحيد لإعداد المناضلين لمعارك المستقبل"، وقوله بخصوص تسوية إيكس ليبان: "إن هذا التحليل النقدي لتسوية إكس ليبان ، ، ، حتى نستخلص منه في سياستنا الداخلية موقفا واضحا ومحددا بالنسبة للتسويات التي قد نضطر للقبول بها في المستقبل"، فهذا هو الغرض الرئيسي من نزوع المهدي كثيرا نحو ممارسة النقد، فلا يجب

---

[22] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص– ص:43– 45.

[23] – المهدي بن بركة، **الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف**، مقال سابق.

أن يتم الوقوع في الأخطاء من جديد، كما أن الأخطاء السابقة ينبغي تحليلها للمناضلين، حتى يتم وضع حد لمزاعم الرجعية والاستعمار[24].

حتى وإن صنف نقد المهدي في إطار تحوله نحو الثورية، وسياق المراجعة الشاملة التي قام بها وما اعتبره هو ضرورة تفرضها الثورية، "لقد منحتنا الظروف التاريخية الوسائل الكفيلة لكي نقوم بدور التوضيح الذي كانت تفرضه علينا مهمتنا الثورية"[25]، لكن يظل هذا ميزة مهمة لأسلوب تفكيره، ويمكن أن يميز به عن بقية رفاقه أو عن الطبقة التقليدية من رجال السياسة والتفكير المغاربة، الذين يبدي جلهم حرصا على تمجيد انجازات الماضي والحاضر.

[24]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص:06، 43، 45 .

[25]- نفسه، ص:41.

المبحث الثاني:العوامل والمؤثرات التي صاغت التوجه الفكري للمهدي بن بركة.

ساهمت عوامل مختلفة مر بها المهدي وعايشها منذ صغره في تكوين قناعاته وتصوراته، فوضع العائلة وظروفها المادية ووفاة أخيه إبراهيم واحتكاكه المباشر بمعانات المغاربة عموما والظلم المسلط عليهم، وملابسات التحاقه بالمدرسة، وكذلك التحاقه الجزائر لإكمال تعليمه الجامعي، ومطالعته النهمة وسنوات الاعتقال وانخراطه في الحركة الوطنية ومعايشته لرجالها وأطيافها وتطوراتها؛ كلها عوامل وجهت بوصلة تفكير المهدي بدرجات متفاوتة.

أ–ظروف العائلة و طبيعة الطفولة.

كان المغرب إبان فترة الحماية يتوفر على خصائص وظروف ميزته عن كثير من البلاد المستعمرة، فلم يقضي شكل الاحتلال الممارس والتاريخ القريب له على المؤسسة السياسية والدينية التقليدية وظلت قائمة، وتحولت إلى واجهة للاستعمار يمارس عن طريقها فرض سيطرته وهيمنته، فلم يكن الاستعمار بنفس الشكل الذي عرفته الجزائر لكونه كان عسكريا بحتا ولم يشكل المستوطنون الأوربيون نفس النسبة لعدد الشعب ككل، فبقيت البنية التقليدية والاجتماعية للشعب المغربي، خاصة بقاء طبقة برجوازية من كبار التجار والملاك، وحتى طبقة متوسطة نوعا ما، واللتين كانتا ذوات ارتباط بالمؤسسة الدينية التقليدية، وهذه الطبقة هي التي شكلت الخزان والخلفية الفكرية والسياسية للمغرب، وحتى مع رزوح غالبية المغاربة تحت الفقر والحرمان، فوجود طبقة قليلة من الوجهاء والأغنياء جعلت نظام الحماية يقيم مجموعة مدارس فرنسية من أجل تخريج إطارات مرتبطة به وبسياسته، وفي نفس الوقت كانت المؤسسات الدينية التقليدية تمارس دورها من خلال الكتاتيب والمساجد.

كان المهدي رغم الظروف العامة العصيبة محظوظا نوعا ما بمولده في الرباط المدينة السياسية وذات التقاليد، والتي تتواجد بها مدرسة فرنسية، وهو أمر مهم كما وصفه محمد عابد الجابري: "أما على المستوى الخاص فيمكن التميز بين مشروعي الفاسي وبن بركة، بربط فكر علال الفاسي بفاس، فاس الزاوية والقرويين، وبربط فكر المهدي بالرباط، رباط الحرفيين وليس رباط المخزن، رباط التعليم العصري المخصص لأبناء المغاربة المسلمين وليس المخصص للأوربيين ورواده من المغاربة،

(ليسي مولاي يوسف)، التعليم الذي أعطى الحركة الوطنية المغربية منذ بداية الأربعينات جيلا من الشبان سيشكلون (النخبة السياسية) الجديدة التي ستكون أكثر ارتباطا بنموذج الحزب، بالمفهوم الحديث منها بنموذج الزاوية"[26]، وأيضا محظوظ بالنظر لوضع والده التاجر، وهذا ما أهله لارتياد المدرسة رفقة أخيه إبراهيم.

شكل رفض قبول المهدي بالمدرسة في البداية دافعا له طول حياته، لقد عرَّفه أن هناك نوعين من المغاربة؛ المحظوظين أبناء البرجوازية، والطبقة المحرومة والمهمشة، ومكنه فقط إصراره من لوج باب المدرسة وسيترك انطباعا لديه بوجوب كسر كثير من الأبواب الموصدة، وعن هذا تحدث عبد القادر شقيقه: "قضية بن بركة بدأت سنة 1929 عندما ترك المهدي على باب المدرسة المخصصة لأبناء الذوات، خمس وثلاثون سنة فيما بعد أسر لأحد الطلاب أن هذا الباب الذي وصد في وجهه مثل صدمة وترك أثره على حياته كلها"[27].

ترك حادث آخر بالغ الأثر في حياة المهدي وهو موت شقيقيه إبراهيم الذي كانت تجمعه به علاقة وثيقة، والطريقة التي توفي بها عن طريق خطأ طبي كان من الممكن تفاديه وإنقاذ حياته لو كانت وضعية العائلة المادية أحسن، "ولا زال المهدي إلى وقت حديث من حياته يعبر بمرارة أن الظروف المادية للعائلة هي التي حالت دون إنقاذ حياة إبراهيم"، ويضيف عبد القادر" الاختفاء المفاجئ لإبراهيم كان المأساة الكبرى في شباب المهدي"[28].

دفع المهدي في بداية الثلاثينات للعمل من أجل المساهمة في مصاريف العائلة، فاشتغل في سوق الخضر وفي مركز هاتفي وفي مصلحة لتحصيل الضرائب من الفلاحين، وهي وظائف فتحت

---

[26] - الجابري، مرجع سابق، ص:41.

[27] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit ,p:16.

[28] - Ibid, p:20.

عيني المهدي على معانات البسطاء في مواجهة الاستعمار والإدارة المتحالفة معه، والذين يساهمون في حالة البؤس التي تطال جزء كبير من المغاربة، خاصة الفلاحين وأهل الريف[29].

سنة 1930 كان الحادث البارز في التاريخ المغربي وهو الظهير البربري وما رافقه من أحداث ومظاهر، وقد ساهم في تكوين جيل مغربي كامل، حيث كان الصدام الأول بعد إخماد حرب الريف، والذي تجاوبت معه الأمة المغربية جمعاء وتوحدت في مواجهته، وكان المهدي وأقرانه من الصبية في هذه الفترة يتأثرون بما يحدث فكان هذا بداية الشعور الوطني لديهم.

فميز بداية تشكل الوعي الوطني لدى المهدي اقترانه بتشكل الوعي الاجتماعي، فكانت مأساة أمثال المهدي مضاعفة؛ الاحتلال وغياب السيادة الوطنية من جهة والفقر المدقع الذي يحرمهم أبسط الحقوق، لقد كانت النخبة السياسية المغربية انعكاسا تاما للطبقة البرجوازية التي تعادي الاستعمار من منطلق ديني، ثقافي وتاريخي، لكن كان هناك سبب إضافي للمهدي هو الوضعية الاجتماعية الصعبة التي يعيشها جل الشعب، والمتسبب فيها أساسا الاحتلال والمتحالفون معه من المنتفعين "ونتيجة لكل هذا أصبح الشعب المغربي محروما ليس فقط من استقلاله القومي بل حتى من حقوقه الأولية " [30].

نشأ المهدي بن بركة في إحدى مدن البرجوازية المغربية الرئيسية؛ الرباط وأمضى نزرا كبيرا من حياته في حزب البرجوازية المغربية "الاستقلال"، وستكون لمرحلة الطفولة الصعبة وظروف العائلة إبان تلك الفترة أثرها على توجهاته، وسيظل ولاءه دائما للطبقات الشعبية البسيطة، وبقي نفوره من الطبقة التقليدية المغربية التي كانت تتوزع الثروة والنفوذ، وسيطبع تفكيره وتوجهه السياسي بخصائصه من هاته الحقبة[31].

---

[29] – الجابري، مرجع سابق، ص، ص : 42، 43.

[30] - Rapport du Mehdi BenBarka, aux ONU, op-cit.

[31]– الجابري، مرجع سابق، ص: 43.

ب- الدراسة و المطالعة .

يعتبر المهدي بن بركة من القلائل في المغرب في تلك الفترة الذين جمعوا بين التعليم التقليدي بحفظه للقرآن وإتقانه للغة العربية، ونجاحه الباهر بإكمال الدراسة بالمدارس الفرنسية الحديثة والتي كللت بشهادة البكالوريا وتفوق في المواد العلمية، فقد كون من خلال دراسته ثقافة غربية واطلع على كثير من الأفكار وتطور لديه منهج فكري قائم على النقد والتجربة والتحليل،"لا أحد تبين عند المهدي ميلا للتصوف بل بالعكس مسيرته العقلية كانت في تطور، ، ، إنها الرغبة لديه في التعرف مباشرة ومعرفة كل شيء عن كثب"[32]، من دون أن يكون المهدي منفصلا عن ثقافته الأصلية والخلفية الحضارية.

لقد تعلم المهدي في المدرسة الفرنسية النظر إلى الأمور بنظرة واقعية بعيدة عن العاطفة والتعصب والإعجاب بالذات، كما أخذ أسلوب ممارسة النقد الذاتي، وانفتحت عينيه على حجم التخلف الذي يعيشه المجتمع المغربي خاصة من الناحية الذهنية والثقافية والعلمية، "عندما اقتحم علينا الاستعمار ستارنا الكثيف، أحدث في نفوسنا وأفكارنا هزة عنيفة جعلتنا نستيقظ تدريجيا من سباتنا ونخرج من عزلتنا وندرك بأنه يوجد عالم واسع غير العالم الضيق الذي كنا نعيش فيه متخلفين، وأنه توجد علوم وفنون أرقى من علومنا وفنوننا وأفكار نيرة نفضت عنها كل جمود وتعصب"، وضل هذا دائما أسلوبه؛ النقد والتحليل وتتبع مواضع الخلل[33].

من خلال الدراسة كان انفتاح المهدي على السياسة والوطنية، وعلى الانتماء وعلى تاريخ المغرب، فعلى قدر ما فتحت أمامه الثقافة الفرنسية من أبواب كان هناك شعور لديه بالإقصاء الممارس في حق ثقافة الشعب الأصيلة، وهو ما جعله في فترة من حياته خاصة عندما بدأ العمل كأستاذ للرياضيات في الثانويات الفرنسية بالمغرب يتعصب للباس المغربي ويرتدي الطربوش والجلابة،

---

[32] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p: 37.

[33]- المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق.

لقد طبع نجاحه الدراسي في شخصيته الإحساس بالوجود وبالقوة والتفوق، وعودته تلك السنوات على الجد والكفاح وعدم الاستسلام.

والدراسة هي من أهلت المهدي ليبني تصوره ويؤسس موقفه من الطبقة البرجوازية التقليدية، "المهدي وأغلب رفاقه السياسيين كانوا أقرب إلى فرنسا بالنظر إلى ثقافتهم وميولهم من أي قايد حقير أو برجوازي معتدل"[34]، فالدراسة من فتحت عينيه على ظروف الشعوب الأخرى وتحدياتها وإنجازاتها، وكذلك فتحت عينيه على ظروف الشعب المغربي وتضحياته ومعاركه وبطولاته وأيضا خيباته ومحنه وأزماته، فشخصية المناضل المثقف كانت بنسبة كبيرة نتاج مسار دراسي ناجح.

استفاد المهدي من إتقانه للغتين العربية والفرنسية ومن هوسه بالقراءة والعلم ومن نهمه للمعرفة ، وأيضا من بعض فترات الفراغ التي مر بها مساره النضالي والتي لم تكن إلا فترات الاعتقال، فسعى للتعلم والتزود من كل شيء، درس اللغة الإنجليزية عن طريق المراسلة وكذلك سجل في تخصص الاقتصاد السياسي، كما انكب على مجموعة ضخمة من الكتب في التاريخ والسياسة، وخاصة تلك التي ألفها ضباط فرنسيون عن المقاومات والخصائص الاجتماعية والسياسية والديموغرافية والتاريخية للمغرب، كان لديه نهم لا يتوقف، تُرجِم في خزانة الكتب التي كانت ترافقه في عمليات نقله من سجن لآخر، هذا الأمر جعل المهدي يكون رصيدا معرفيا جيدا ينتج أسلوبا من التفكير يعتمد على أدلة وشواهد تاريخية وعلمية ومؤسس على قاعدة صحيحة[35].

لقد غاص في هذه الفترة في كتب المفكرين والمنظرين والمؤرخين، حول أساليب التسيير والبناء والطرق الحديثة، وترسخ لديه أن الفرق بين الغرب والمجتمعات المتخلفة ومنها المجتمع المغربي قد صنعه العلم والأخذ بالحداثة والوسائل العصرية: "كان الثمن الذي أداه الشعب المغربي هو تقلص العلم وانتشار الأمية في صفوفه وانعزاله عن التيار الثقافي والفكري"[36].

---

[34] - Abdelkader BEN BARKA, op-cit ,p,p :90,91.

[35] -Ibid, p :68.

[36]- جبرو ، مرجع سابق، ص:18.

كان تفكير المهدي في جزء كبير منه مدين لنهمه للقراءة واستغراقه في المطالعة، وأيضا لسنوات اعتقاله وعزلته والتي جعلته يندم ويحزن حين نقل من معتقله الانفرادي إلى معتقل أغبالو نكردوس وسط رفاقه، حيث بدا تفرغه للمطالع ينقص، لكن بقي تفكيره مطبوعا بكم الكتب وأفكارها وتوجهاتها التي اغترف منها في تلك الفترة[37].

كما تأثرت أفكار المهدي كثيرا بالفترة التي قضاها في الجزائر، فالمهدي ما قبل الجزائر غير المهدي بعد إكمال دراسته الجامعية، فقبل الجزائر؛ عرف المهدي الوسط المغربي التقليدي بأفكاره وتوجهاته التي تكونت في ظل انغلاق كبير على الذات، وكانت كلها تصب في الانتماء الإسلامي العربي، لكن بعد عيشه في الجزائر بوجود تيارات فكرية حديثة خاصة الفرنسية النازحة إلى الجزائر، وباختلاطه بالحركة الوطنية الجزائرية التي كانت متقدمة نوعا ما في مطالبها الاستقلالية، بدأ نوع من التمايز والتطور يطرأ على أفكاره، بخصوص الاستعمار وحقيقة أهدافه وسيطرته وقوته وأساليب مواجهته، وأيضا بخصوص طبيعة المعركة وامتدادها فلم تعد المغرب وحدها المعنية بالنضال من أجل التحرر بل كل دول شمال إفريقيا؛ لاشتراكها في النفس الخصائص ونفس المصير.

في الجزائر تعرف المهدي على التيار اليساري ومناضليه وأفكاره وأساليبه في العمل، خاصة اليسار الفرنسي، وتأثر ولو قليلا بطروحاته خاصة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي، كما تأثر بأفكار حزب الشعب الجزائري وطريقة نضاله التي تختلف كليا عن أسلوب الحركة الوطنية المغربية التقليدية، بالنظر لجذور حزب الشعب اليسارية وطريقته النضالية القريبة من العلمانية، وتقديسه للتنظيم والتكوين السياسي وطريقة الانتشار وسط العمال والطبقات الشعبية والاعتماد على النقابات بدل النخبة والبرجوازية.

خرج المهدي بكثير من الانطباعات من هذه الفترة، فقد هزمت الإمبراطورية الفرنسية العظمى واحتلت وأضحت مجرد نظام تابع وعميل، وشاهد عن قرب في الجزائر تعامل الفرنسيين مع الألمان وتبعيتهم لهم، كما أدرك أن الاستعمار شيء واحد والدول الغربية جميعها متحدة في وجه

---

[37]- نفسه، ص: 202.

المستعمرات، كما كون أفكارا عن طرق الألمان في التكوين والتدريب والعمل، وكانت النتيجة الأبرز للمهدي من هذه المرحلة هو نزوحه أكثر وأكثر نحو العقلانية والابتعاد عن الأساليب التقليدية في التفكير والعمل، وتكوين رصيد كبير عن النضال السياسي وأساليبه وترسخ مفهوم ضرورة مواجهة الاحتلال ومقاومة الوجود الاستعماري، وأهمية توحيد الجهود المغاربية في سبيل تحقيق الاستقلال [38].

ج – الاحتلال ونظام الحماية والبرجوازية:

مثّل فرض الحماية على المغرب بالنسبة للمهدي الصدمة التي دفعت المغاربة للإفاقة من حالة الغيبوبة التاريخية التي دخلوها منذ زمن طويل، وحاول السلطان الحسن الأول التخفيف منها رغم مواجهة التيار التقليدي الذي يتزعمه العلماء، لكن موته أوقف مسيرة النهوض تلك، وكانت الحماية من عرفَّت المغاربة بحجم التخلف الذي كانوا فيه حسب المهدي[39]، وهؤلاء الفرنسيون وغيرهم من الأوروبيون الذين استوطنوا المغرب واندمجوا في محيطه الاجتماعي كان وجودهم مفيدا نوعا ما حيث ساهم في الانفتاح من خلال تلك المدارس التي فتحت بالمغرب [40].

بقي تأثير الوجود الاستعماري ماثلا في تفكير المهدي وموجها له، فلم يتوقف عن الحديث عنه كأهم عامل ارتكاسي يواجه الشعوب وكمعضلة تسبب التخلف وتعطل النهوض، وضرورة بذل الجهود لمجابهته، فمن يتابع فكر المهدي سيجده يتمحور حول معاداة الاستعمار، ورغم ارتباطه بالثقافة الغربية وبالأوساط الفرنسية وكذلك عمله في مؤسسات التي تتبع إداريا نظام الحماية لم تتغير نظرته للاستعمار، وسخَّر جزء مهما من حياته وفكره للحديث عن الظاهرة وتحليليها وتبيين أسبابها ومخططاتها وطبيعة المعركة معها.

كان نظام الحماية ردة حقيقة إلى الوراء من الناحية السياسية والإدارية، فقد شوه التنظيم السياسي المغربي التقليدي وأفسده وحرف حقيقة المؤسسة الحاكمة وطريقة ممارستها لسلطتها "فعلى

---

[38]– أوريد، مقال سابق.

[39]– محمد فرج(ماو) ، مصدر سابق.

[40]– الجابري، مرجع سابق، ص: 41.

المستوى الدستوري قضى على جنين التمثيل الوطني، فكان السلطان يمارس سلطته بمقتضى تفويض من الأمة وتوليته كانت بمثابة عقد، وبعد توليته يصبح السلطان متمتعا بحقوقه ومحاطا أيضا بواجبات محددة، وعندما جاءت الحماية تبدل كل شيء، وأضحى السلطان ملك يجمع كل السلطات بما فيها تلك التي تعود للأمة مثل التشريع، ويفوض سلطته لأي كان حتى الأجنبي"[41].

كثيرا ما عالج المهدي الظاهرة الاستعمارية من خلال الحالة المغربية بالذات، محاولا تحليلها تحليلا دقيقا من أجل فهم طبيعة النضال ووسائله ضدها، لقد تضافرت عوامل عديدة جعلت الدول الضعيفة تسقط في فخ الاستعمار ومنها المغرب التي حاول الفرنسيون تصوير نظام الحماية فيها كحماية للسلطان نفسه من شعبه، ولم تكن في النهاية إلا صورة من صور الاستعمار مع المحافظة على وجود اسمي وشكلي للسيادة ممثلة في نظام المخزن والتي يتصرف من وراءها المستعمرون تصرفا مطلقا ضد الشعب، ويحاولون استغلال ذلك اللبس لتصوير أن هذا النظام يستمد مشروعيته من إرادة السلطان، لكن انتشار الوعي أظهر الحقيقة [42].

ونتيجة كل هذا أضحى الشعب المغربي محروما ليس فقط من استقلاله القومي بل حتى من حقوقه الأولية كالحريات الأساسية، حيث لا يوجد ما يضمن ممارسة حقوق الإنسان في المغرب والحريات الضرورية من حيث التشريع والقوانين في المحاكم، وهذا النظام الظالم المنافي للديمقراطية في المغرب الذي أسسته فرنسا وضع المواطنين المغاربة في خوف سياسي واقتصادي واجتماعي[43].

دور الاستعمار والنتائج التي ترتبت عليه لم تغادر تفكير المهدي حتى بعد الحصول على الاستقلال بسنوات عديدة، بل زاد رسوخا بعد وقوفه على حقيقة هذا الدور حين كان يمارس وظائفه من خلال مؤسسات الدولة مباشرة، وحتى بعد خروجه من المغرب وانخراطه في النضال العالمي، ظل

---

[41]- المهدي بن بركة ، **مقدمة أطروحة لحبابي**، الحكومة المغربية في القرن العشرين، 1957.

[42]- المهدي بن بركة، جريدة التحرير، 07 دسيمبر 1962.

[43] - Rapport du Mehdi Ben Barka, aux ONU, op-cit.

يشدد على أهمية الانتباه لمناورات الاستعمار وأساليبه ويذكر بالتحول الذي طرأ في بنية الاستعمار وشكله ولم يمس جوهره [44].

ولعب التفاوت الطبقي الموجود في المجتمع المغربي أيضا دورا في ممارسة تأثير على طبيعة فكر المهدي بن بركة، فالمغرب تتميز بخصوصية وجود برجوازية وطنية من كبار الملاك والتجار والإداريين والعلماء تتحالف في مجملها مع الاستعمار لضمان مصالحها، وساهمت شخصيات مثل التهامي الكلاوي وعبد الحي الكتاني وغيرهم من الباشاغات والقياد بشكل مباشر في تثبيت أركان وقواعد الاستعمار وإلحاق أكبر الضرر بعموم الطبقات الشعبية من المجتمع المغربي.

ورغم دور البرجوازية في تحريك العمل السياسي والمطالبة بالاستقلال، ورغم أن المهدي بحصوله على شهادة البكالوريا وانخراطه في العمل الوطني اقترب من هذه الطبقة، إلا أن مواقفها بالنسبة له خاصة في السنوات الأخيرة من عمر النضال لم تكن ثورية وحاسمة، بل كانت تميل للحلول التي تضمن مصالحهم وطبعها التردد والمناورة، مما أجهض المسار الطبيعي لتطور ونضوج العمل الوطني الذي كان سيتوج بالكفاح المسلح الثوري.

كانت نظرة المهدي اتجاه البنية الاجتماعية المغربية التقليدية تتلخص في كونها قديمة ولا تتماشى مع روح العصر ومستوى الوعي وتضحيات الشعب المغربي، وكذلك مع متطلبات النهوض، "الرجعيون أضاعوا علينا فرصة التطور والتقدم في نفس الوقت الذي أتاح علماء آخرون التطور لبلدانهم"، وفوق ذلك تواطأ جزأ مهم من الطبقة التقليدية ضد الأمة نفسها ووقف مع الاستعمار وشارك في عزل السلطان ومبايعة آخر بطلب من المقيم العام الفرنسي [45]، ووحده القضاء على هذه الطبقة سيفتح أمام المغرب فرصة الخروج من الركود الذي يرزح تحته منذ قرون، وهو هاجس ظل المهدي مسكونا به طيلة عمره ويَرْشُحُ كثيرا من بين سطور كتاباته، فكل أسلوب نضالي لا يهدف

[44]- المهدي بن بركة، **الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف**، مقال سابق.

[45]- المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق، ص،ص: 76، 77.

لاستئصال الهيكل الإقطاعي البرجوازي الحليف للاستعمار هو سير في طريق الاستعمار نفسه مهما كان شكله السياسي، وهذا صلب العدالة الاجتماعية والفكر الاشتراكي[46].

د- حرب الريف ومختلف المقاومات:

إضافة لما تركته حرب الريف في كامل المغرب من صدى ساهمت العديد من المقاومات والمواجهات مع الوجود الفرنسي والإسباني في ترك أثارها في نمو وعي أجيال مغربية، وقد تعمق المهدي بن بركة خلال فترة اعتقاله ما بين 1951 و1955 في دراسة مقاومات الشعب المغربي، مثل حركتي الخطابي وموحا أوحمو الزياني، ودراسة أسباب نجاحها المرحلي وعوامل فشلها الاستراتيجي، وتتبع مكامن القوة في المجتمع المغربي وأيضا مداخل الهزيمة والضعف.

مثلت حرب الريف النموذج الفريد ليس في انتصاراتها وصمودها فحسب، ولكن أيضا في أساليبها وتنظيماتها وتوظيفها لمصادر القوة الذاتية المحلية واعتمادها على وحدة الشعب وصموده، كانت ثورة الخطابي نموذج يتماهى مع أحلام المهدي، في شكل إدارة الحرب وتسيير شؤون الشعب، فقد أسست جمهورية حقيقية تعتمد الديمقراطية في تكوين مؤسساتها وفي تسييرها، ونجحت بوسائل بسيطة وفي ظروف حرجة وفي زمان ومكان محدودين في إعطاء المثال على قدرة الشعب البسيط المحروم الأمي على صناعة أرقى صور المدنية والدولة، وخوض صراع وجوده بأفضل الأساليب، وبقيت ثورة الريف وجمهورية الخطابي ذلك المثال الرائع الذي عاش المهدي حياته فيما بعد يحاول تحقيقه وإعادة بعثه، "ثورة الريف التي خلقها محمد بن عبد الكريم الخطابي من لا شي ونجح في ضمان الاستمرارية لها أكثر من أربع سنوات كانت كلها حروبا ومعارك طاحنة حقق خلالها أروع الانتصارات، وما ذلك إلا لأن ابن عبد الكريم كان يؤمن بالشعب، واثقا به فلم يكن مستبدا ولا إقطاعيا" [47].

---

[46]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مرجع سابق، ص: 62.

[47]- المهدي بن بركة، خطابه في مهرجان ال (UNFP) في الذكرى الأربعين لوفاة محمد بن عبد الكريم الخطابي، 30 مارس 1963، جبرو، مرجع سابق: ص51.

كان جزء كبيرا من أفكار المهدي مقتبسا من هذه الثورة وإنجازاتها، وحاول بشتى السبل مواصلة الطريق الذي بدأه الخطابي وقضى عليه الاستعمار، "فكان أول ما فكر فيه بن عبد الكريم بعد تحقيق انتصاراته الأولى؛ جمع عام انتخب جمعية وطنية هي صاحبة السلطة، ، ، على أساس الأخذ برأي الشعب في إطار دستور جعل الشعب مصدر السلطات"، فبنى المهدي جزء مهم من عقيدته الفكرية على أساس ثورة الخطابي واستلهم كثير من طروحاته ومطالبه من خطها ومنجزاتها، فاتجاهه الفكري ومعه كثيرون من أصحاب طرح إزاحة النظام الملكي لصالح آخر جمهوري كان مثالهم النموذجي فيه هو ثورة الخطابي ومشروع الخطابي[48].

لم تكن دولة محمد بن عبد الكريم الخطابي النموذجية في رأي المهدي تهديدا للاستعمار فحسب بل أيضا للطبقة التقليدية المستفيدة من الاستعمار وهي المنظومة السياسية والاجتماعية المغربية العتيقة وجزء منها المخزن، "لقد أقام بن عبد الكريم أسس دولة حديثة في قلب المناطق المحررة وأعلن عن قيام هذه الدولة، هادفا بذلك إلى أن يجعل منها نقطة انطلاق لتحرير باقي أجزاء المغرب، ولم يرتعد لهذه المبادرة الاستعمار فحسب بل ارتعشت لها فرائض الإقطاع والرجعية مما حملهما على الوقوف ضدها ائتمارا للاستعمار وحماية لمصالحها"، كان موقف هذه الطبقة التقليدية من هذه الثورة أيضا سببا في عداء المهدي المبدئي لها[49].

هـ – تأثير مدينة الدار البيضاء:

عرفت الحركة الوطنية المغربية خطا سياسيا محددا، طبع بميزات المدن المغربية العريقة؛ فاس وسلا ومكناس والرباط ومراكش، حيث سيطرة البرجوازية المغربية التقليدية على المشهد الثقافي والسياسي، لكن بروز مدينة الدار البيضاء كمركز ديموغرافي واقتصادي مهم وبداية تأثيرها في الحياة المغربية، أدخل تغييرات كثيرة على طبيعة توجه الحركة الوطنية، حيث تأثرت وتطبعت بميزات المناضلين القادمين من المدينة الناشئة والآخذة في الزحف على تراث المدن التاريخية و تأثيرها .

---

[48]– نفسه.

[49]– نفسه.

ليست مدينة الدار البيضاء بذات تاريخ سياسي واجتماعي وثقافي يوازي من حيث العراقة باقي المدن المغربية، لكن موقعها الجغرافي وتوفر ميناء مهم بها جعلها تكون الاختيار الاقتصادي الأول للفرنسيين، ونتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية وبسبب الاحتلال الألماني نقل المئات من رجال المال والصناعيين الفرنسيين مصانعهم وشركاتهم من فرنسا إلى مدينة الدار البيضاء، ونظرا لمتطلبات هذه المصانع والاقتصاد الناشئ وأيضا تحت تأثير عمليات انتزاع الأراضي وطرد الفلاحين والقرويين من البوادي والريف ومعاقبة القبائل المقاومة؛ تدفق آلاف السكان على المدينة طلبا للعمل وللقمة العيش، فنتج عن ذلك أحياء ومدن كاملة في ضواحي الدار البيضاء، كانت عبارة عن تجمعات مهمشة من بيوت الصفيح والطوب[50]، هذه الظروف الجديدة خلقت شروطا موضوعية للتحولات الاجتماعية التي سيعرفها المجتمع المغربي وكان من الطبيعي أن تترك أثرها على الحركة الوطنية[51].

لعبت طبيعة المجتمع الذي ظهر في الدار البيضاء دورا مهما في تحول فكر وتوجه ومطالب وأساليب الحركة الوطنية المغربية من خلال عاملين مهمين، الأول: العدد، حيث أن تجمع مئات الآلاف من العمال في مكان واحد كان سابقة في تاريخ المغرب، فرضت تحديا على الحركة الوطنية في كيفية احتواءهم وتأطيرهم، والثاني: طبيعة هذا التجمع الذي تأثر بطبيعة نشأته وبخصائصه الاجتماعية فظهرت بينه النشاطات النقابية والعمالية الجديدة على المجتمع المغربي الفلاح والتجاري، وبدأت الأفكار التي تتغذى من الحرمان والمعانات والتي تعادي الملاك والأغنياء، وقد وصف المهدي هذا التطور: "فبعد فشل الثورات القروية المسلحة ضد الاحتلال، وبانتشار البرجوازية الصغيرة في المدن التقليدية، انتقلت الحركة الوطنية كما وكيفا إلى تطور جديد إثر الحرب العالمية الثانية، بعد أن انخرطت فيها أفواج الكادحين المكدسين في الضواحي الفقيرة المسماة بمدن القصدير، فقد كان للنمو السريع في قطاع الصناعة الاستعماري نتيجة إيجابية هي نشوء طبقة عاملة ما فتئت أن تسربت إليها التنظيمات الوطنية"[52].

---

[50]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:38.

[51] – المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق، ص،ص: 81، 82.

[52]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:38.

ترك تغلغل حزب الاستقلال في هذا الوسط تأثيرا وتأثرا، فانخرط آلاف العمال في العمل الوطني وبدأ ظهور مناضلين ناشطين ومؤثرين من بين هذا الجموع، وإن لم يكن أصلهم من المدينة لكن مرورهم وإقامتهم بها جعلهم يتطبعون بطباعها، مثل: محمد البصري، وعبد الرحمن اليوسفي، وعبد الله الصنهاجي، والمحجوب بن الصديق، وبدأت أفكار هؤلاء تطغى داخل الحزب وتجد لها امتدادا لدى مناضلين من مدن أخرى مثل المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد، الذين تتشابه ظروفهم ونشأتهم بظروف مدينة الدار البيضاء رغم كونهم من الرباط وسلا.

تشبع المهدي كثيرا بأفكار الطبقات الشعبية والبروليتارية متأثرا برفاقه من مناضلي المدينة، فكان أقرب إليهم في التصور والأسلوب والتفكير ومنذ بدأت علاقته بهؤلاء بدأت الفجوة تكبر بينه وبين القيادة التقليدية في الرباط وفاس وحتى بأبيه الروحي اليزيدي، وبدأت أفكاره تتحول تدريجيا وخلفيته الإيديولوجية تتجه نحو اليسار، فمناضلي الدار البيضاء يختلفون جذريا عن مناضلي فاس ومكناس وسلا، كان اليوسفي والبصري والصنهاجي والمحجوب والمسيعدي ؛ كلهم قد نشأوا في أحياء المدينة المكتظة والمهمشة، وحملوا معهم معاداة البرجوازية وكذلك سيفعل المهدي.

" البعض كان ينظر لهذه الانخراطات نظرة عددية، بينما كانت هذه الجماهير في الحقيقة بحكم تركيبتها تشكل التحالف بين الفلاحين والعمال، وبقي قسم من قيادة الحركة الوطنية غير واعي للمعنى العميق لهذا التحول، ولما كان ينبغي أن ينتج عنه من تحول في الأهداف وأساليب النضال، ومن هنا ندرك الأسباب العميقة للتطورات في الحركة الوطنية"[53]، فكانت في السنوات اللاحقة الكلمة الفصل والحضور البارز في النضال والمقاومة وجيش التحرير والعمل النقابي لمناضلي مدينة الدار البيضاء، كما كان للمدينة دائما دور في أحداث ما بعد الاستقلال، وهي من ستحتضن تأسيس أول حزب يساري مغربي ال(UNFP)، وهي التي ستعرف أول انتفاضة مدنية ضد النظام والملكية.

[53]- نفسه، ص: 38.

المبحث الثالث: فترة التوجه الإصلاحي في فكر المهدي بن بركة "زمن الأوهام".

تدرج المهدي بن بركة، الذي عرف خاصة بأفكاره التي أنهى بها حياته السياسية، في مسار فكري طويل تطور وتحور وترجم في مراحل نضالية، حتى توج بالشكل الذي عرفه العالم، لكن قبل ذلك كانت هناك محطات مر بها فكره جعلت من هذا المسار مجموعة مسارات مختلفة من حيث الطبيعة والمضمون بل متعاكسة تماما، ولم يكون هذا التحول بالعفوي والعبثي بل كان محصلة لواقع سياسي بمواقفه ومعاركه ومعالمه.

أ- طبيعة الفكر الإصلاحي للمهدي:

لا يمكن تحديد تاريخ معين بالضبط لبداية ونهاية توجهات المهدي بن بركة الفكرية، بحكم أنه كان هناك تدرج في الانتقال وتداخل بين مرحلة وأخرى، ومناطق رمادية في مسيرته، لكن يمكن بالتقريب اعتبار فترة النزعة الإصلاحية تمتد من سنة 1940 وحتى سنة 1955، أي من بداية بروزه في الحركة الوطنية والعمل السياسي وحتى خروجه من المعتقل، وتبدأ من هذا التاريخ في الخفوت حتى سنة 1959 حيث تنتهي تماما، فتكون بذلك المرحلة من 1955 وحتى سنة 1959 فترة تداخل في تحول فكر المهدي وانتقال من الإصلاح إلى الثورية.

❖ الإصلاح وسيلة من أجل التحرر:

فرضت طبيعة مرحلة الحركة الوطنية ومقارعة وجود الاستعمار، بكل ما حملته من خصائص على المهدي أن يوجه جهده البدني والفكري لخدمة القضية الوطنية ومجابهة طروحات الاستعمار، كان همه الرئيسي تكوين أجيال وطنية ذات صلة بقيم المغرب ومقوماته وفي نفس الوقت لها القدرة السياسية والحضارية والنضالية التي تمكنها من خوض المواجهة.

كان الإصلاح ظاهرا في خطة الحركة الوطنية، وكان المهدي كعنصر منفذ لأهداف وبرامج هذه الحركة يصبو إل إصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي، إصلاح سياسي؛ يقوم أساسا على بناء مؤسسات سياسية وطنية بديلة لمؤسسات الاستعمار، وبالتعاون مع جميع الأطياف المشكلة للطبقة

السياسية المغربية، باستثناء أولئك الذين هم امتداد للاستعمار، خلال هذا الفترة كان هناك إيمان بالإصلاح عبر الوسائل السياسية، وهو ما جسده انخراطه في حزب الاستقلال، وإمضاءه على بيان الاستقلال، وكذلك عمله في جريدة العلم ومشاركته في مؤسسات الحماية، مثل مجلس شورى الحكومة، وسعيه الدؤوب لدحض مزاعم مسؤولي الاستعمار عبر الحجة والدليل.

ظهر الفكر الإصلاحي للمهدي من خلال الوسائل المتبعة والأهداف المرجوة، وكانت أهدافه هي توطين الحكم شيئا فشيئا وجعله ديمقراطيا، فقد تسببت الحماية في إفساد النظام السياسي المغربي وجعله ذو طابع استبدادي، وكذلك حرم المغاربة من حريتهم ومن أسباب عيشهم الكريم، فلابد من تحقيق مزيد من الحرية وتحسين الظروف المعيشية، فكان أحد أهداف تأسيس حزب الاستقلال هو إصلاح الأوضاع الاجتماعية: "لقد تأسس الحزب للقيام بمهمة اجتماعية إلى جانب المهمة السياسية التي أخذ على نفسه أن يقوم بها، ولم يغفل لحظة واحدة عن مهمته الاجتماعية التي نعتبرها في كل حين أساس عملنا ومحور حركتنا، بحيث كنا نعمل لها ونجاهد من أجلها في ظل النظام الاستعماري، ووسائلها قليلة، وبإيماننا القوي، وكان في مقدمة برامجنا فتح المدارس ورعاية الجمعيات الخيرية والقيام بشؤون الإسعاف والاعتناء بحركات الشباب، كل هذه المسائل كنا نعتبرها واجبا لا بد من القيام به مع أن أيدينا كانت مغلولة ووسائلنا قليلة"[54].

بدأ فكر المهدي في فترة نهاية اعتقاله في سنة 1955 ينزع نوعا ما نحو التغير في طريقة التعامل مع المستعمر، لكن سرعة الأحداث وبداية المفاوضات إيكس ليبان أعادته لنهج الإصلاح والتسويات من جديد، فكان أحد الذين أصروا على عودة الملك للمغرب [55]، ولم يكن مطلقا مطروحا في ذهنه مغرب من دون ملكية، كانت عودة الملك مقدسة ووجوده ضامن للاستقلال والوحدة، "اقترح علينا الفرنسيين أن يعترفوا باستقلال المغرب وبأن ننتخب مجلس تأسيسي وتشكل

[54]– المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق.

[55]– بوشتا، مصدر سابق.

الحكومة وبعد ذلك يعود الملك، لكننا رفضنا وفاء منا لذلك الميثاق الذي يربط الملك والشعب، وإيمانا بأن تسليم السيادة الوطنية والسلطة لمنتخبي الشعب المغربي لا يتم إلا بحضور الملك"[56].

وصرح المهدي في مهرجان الاحتفال بعودة الملك: "لقد قبلنا هذه التجربة من منطلق شجاعة ومسؤولية"[57]، تماما كما كان إطلاق العمل الوطني من قبل شعورا بالمسؤولية[58]، لقد قبل بتسوية إيكس ليبان متأملا في غد مغربي مزدهر واحتفل بعودة الملك، "نحتفل بعيد ملك عاد من منفاه ليتربع على عرش مستقل، عاد إلى بلاده ليقود شعبه نحو الاستقلال والحرية والعدالة ، ، ، إن احتفالنا اليوم بعيد العرش هو غير احتفالنا بالأمس، شعب جديد يحتفل بملك مظفر مجيد" [59]، كانت طموحاته كبيرة، وأماله أكبر، كان يرى المغرب من خلال الملكية، ويتحمس لبذل الكثير لجعله ينهض، لم يظهر عليه أي عداء أو عدم رضى، بل كانت كل أقواله وأفعاله تصب في اتجاه استعداده للعمل تحت رعاية الملك من أجل إصلاح الأوضاع.

كانت نبرة المهدي في نهاية الاحتفال بعودة الملك تفاؤلية جدا ببداية عهد جديد، وتنم عن رضاه عن سير الأحداث، وإقراره بنجاح وتتويج كفاح الحركة الوطنية وقبوله بالخيار الذي انتهى بعودة الملك: "إن الكفاح الذي خضتم سيكشف مغرب جديد، والمغرب الجديد الذي نريده هو المغرب المستقل، الحر، الذي يبني حياته الجديدة على أساس يتمتع بسيادته الكاملة وتحرير جميع الطبقات، لقد أصبح كل المغاربة سادة أنفسهم واثقين من تحرير بلادهم، إنه عهد جديد نريد أن ندشنه تحت قيادة عاهلنا المفدى المحرر الأول محمد بن يوسف نصر الله"[60].

---

[56]- جبرو، مرجع سابق، ص:238./ محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص، ص:17، 18.

[57]- كلمة المهدي في مهرجان الاحتفال بعودة الملك، 18، نوفمبر 1955، مصدر سابق.

[58] - المهدي بن بركة، **محاضرة مسؤوليتنا**، مصدر سابق، ص:48.

[59] - كلمة المهدي في مهرجان الاحتفال بعودة الملك، 18، نوفمبر 1955، مصدر سابق.

[60]- نفسه .

❖ الإصلاح في عهد المغرب المستقل:

بعد الاستقلال انخرط المهدي في العملية السياسية بكل تفاصيلها، وبذل كثير من جهده في إعادة تنظيم المجتمع المغربي وعملية نهوضه، لقد شارك بفعالية وحماس في مؤسسات المغرب المستقل ومشاريعه التنموية والاقتصادية، كان يرى في إمكانية بعث مغرب قوي تسوده الحرية والعدالة، كان اهتمام المهدي في هذه الفترة منصبا على ثلاثة محاور؛ إصلاح الحزب، إصلاح النظام الملكي وإصلاح المجتمع.

يتم إصلاح الحزب في نظره عبر؛ تولي القوى الحية والمناضلون الحقيقيون في الميدان، من الذين تحملوا وزر الكفاح والتضحية من المقاومة والعمال والطلبة، مقاليد التسيير، وعبر انفتاحه على الطبقات الشعبية، وكذلك بسيطرته على جيش التحرير والمقاومة والنقابة كممثل وحيد للشعب المغربي وتطلعاته [61]، ولهذا يجب أن تعاد هيكلة الحزب وفق توجهات المغرب الجديد فكرا وممارسة، ولا يجب أن يبقى مجرد واجهة سياسية لتطلعات الطبقة السياسية البرجوازية التقليدية أو للنظام، إنما يجب أن يكون قويا وممارسا للحكم، ومعبرا بالأساس عن تطلعات الشعب، فلم يقبل المهدي في هذا السياق بوجود منافس للحزب خاصة أولئك الذين وقفوا مواقف غير مشرفة في مواجهة المستعمر بالأمس، كان يرى في الحزب وقوته ضمانا لوجود توازن يمنع القصر من الاستفراد بالحكم، وبذل جهده كي يكون هناك أيضا توازن قوة من خلال جهاز مسلح يتبع الحزب، والذي جسده جيش التحرير المغربي الجنوبي لمدة سنوات[62].

خاض المهدي وفي إطار توجهه ومشروعه هذا معارك عديدة ضد قيادة الحزب التقليدية، وضد أعداء الحزب من الطبقة السياسية، وضد القصر والحكومة والجهاز الإداري، وضد كثير من

---

[61] - Mehdi BEN BARKA, **problèmes d'édification**, op-cit.p :29.

[62]- المهدي بن بركة، **نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق، ص، ص:95، 96.

المنافسين على الميدان من المقاومة وجيش التحرير والحزب الشيوعي، وكان الثمن أحيانا باهظا وصل حد التصفية والمواجهة المسلحة [63].

كان إصلاح الملكية ونظام الحكم هدف المهدي بعد الحزب، وهذا يمر حتما عبر العملية الديمقراطية وتحديث المنظومة الإدارية الحاكمة، أو ما يمكن أن يسمى الملكية الدستورية، حيث يملك الملك ولا يحكم ويبقى حكما بين السلطات، عن طريق إيجاد مؤسسات منتخبة شرعية مثل البرلمان والمجالس المحلية، وقبلهم دستور تخرجه جمعية تأسيسية منتخبة تنظم السلطات، وفي نظر المهدي الشعب وحده هو المرجع.

ويتطلب إصلاح الملكية حتما القضاء على المنظومة التقليدية التي يستند عليها القصر، من قياد وباشاغات وإقطاع، "إذ لا يكفي أن نوجه ضرباتنا لنظام الحكم المطلق في الميدان السياسي وحده بل ينبغي كذلك إضعاف حلفاؤه في الميدان الاقتصادي، وهم المستعمرون والإقطاعيون والبرجوازية التجارية الطفيلية" [64]، لقد شن حربا من خلال الصحافة والمقاومة والحكومة على الإقطاع لحرمانه من أسباب قوته؛ الأرض والمال، عبر عمليات التأميم والمراقبة.

إنّ من أهم المداخل لإصلاح النظام الحاكم هو منع القصر من احتكار السلطة: "كانت الدعاية المحكمة تمهد السبيل لاحتكار القصر السلطة بيده مدعيا فشل نظام الأحزاب"[65]، كانت أفكار المهدي حول الملكية تتركز حول تحديد صلاحيات الملك وإخراج الجيش والشرطة وسائر الأجهزة من تحت سيطرة القصر وجعلها بيد الحكومة، وهي نفس الأفكار التي اقتبسها الطلبة ونادوا بها في مؤتمرهم.

شكلت تجربة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي مثال المهدي بن بركة الحاضر دوما في ذهنه، والذي جسد حكم الشعب على أرض الواقع والذي مباشرة بعد انتصاراته أقام جمعية منتخبة

---

[63] – انظر الفصل الثاني، المبحث الثاني.

[64]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 49.

[65]– نفسه، ص: 16.

تولت قيادة الثورة مكونة من مختلف القبائل، وبقيت هذه التجربة علامة فارقة في تاريخ المغرب، لهذا لا يتوقف المهدي عن معاداة الحكم المطلق مهما كان شكله ومبرراته ويسعى لتصحيحه ليفتح المجال للديمقراطية وتطلعات الشعب.

وكانت الخطوة الثانية في إصلاح منظومة الحكم هي الحكومة، والتي يجب أن تنشأ من عمق شعبي حقيقي، أي من قوة سياسية فاعلة على الميدان ويشفع لها تاريخ نضالي، والتي بالضرورة لن تكون إلا من حزب الاستقلال بانبثاثه وتجذره، كذلك يجب أن تكون متجانسة حتى تستطيع العمل وتحقيق أشياء ملموسة، مع وجوب توفرها على كل الصلاحيات وتحديد مسؤولياتها ومهامها وحدود عملها بدقة، وتوضع تحت تصرفها جميع الأجهزة الفاعلة مثل الأمن والجيش والإدارة.

يجب أن يمس الإصلاح الجهاز الإداري المترهل الفاسد، ويجب أن يبعد كل العناصر الفاسدة والخائنة والمتواطئة خارج الجهاز، ولابد أن تشدد الرقابة وتشكل لجان للتحقيق في أي تجاوزات إدارية، إن هذا الجهاز الذي يعتبر من مخلفات الاستعمار ونظام الحماية يجب أن يتحول لخدمة وتلبية حاجيات الشعب المغربي.

ويمثل إصلاح المنظومة الاجتماعية والاقتصادية؛ محور الإصلاح الثالث في مشروع المهدي الإصلاحي، اجتماعيا: عبر كثير من الإجراءات والمشاريع التي تستهدف بالدرجة الأول تحسين المستوى المعيشي، ورفع المستوى الثقافي والذهني وتحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على الفوارق الطبقية، واقتصاديا: صب فكره في جعل الاقتصاد أكثر مركزية وأكثر خضوعا للدولة عبر تشجيع سيطرة الحكومة على التجارة وحركة رؤوس الأموال وتأميم الممتلكات.

ب- أهم مظاهر الفكر الإصلاحي للمهدي بن بركة:

ميزت الفترة الإصلاحية في فكر المهدي بن بركة مجموعة خصائص ومرتكزات، كما أنها اتخذت مجموعة مظاهر على مستوى السلوك السياسي، فانطلاقا من قناعاته في هذا العهد اتخذ مجموعة مواقف وخطوات عبرت بشكل واضح عن التزام وليس عن ارتجال، فقد كان الرجل يتحرك

من تصورات مسبقة ولم يكن أبدا بالذي يتكلف أو يقبل بأفكار تحت أي ظرف لا تتوافق مع مبادئه وتوجهاته، وتميزت أهم محاور و أسس نظرته الإصلاحية في التالي.

❖ الالتزام بالشرعية الملكية:

لا يكاد يختلف المتابعون لمسيرة الرجل عن إيمانه في هذه الفترة بدور الملكية، فحتى في الفترات التي خالطه الشك في قيادة حزب الاستقلال والحركة الوطنية حافظ على الثقة في شخص الملك والملكية، فما يعيبه عليها من استبداد كان نتيجة تشويه عهد الحماية والاستعمار، الذي جعلها تنتقل من حكم عن طريق عقد مشترك بين الشعب والملك بموجب البيعة وممارسة للسلطات في إطار واضح من الحقوق والواجبات، لتتحول إلى حكم مطلق وتتداخل صلاحياتها مع الحاكم الفرنسي، ليصب الأمر في خدمة مصالح المحتل[66].

تجسد الحل في تصحيح هذا الأمر من خلال دستور يضمن وضوح الصلاحيات وفيه توزيع للسلطات بين القصر والحزب الذي قاد الكفاح، فقد حافظ المهدي بن بركة على الثقة في شخص محمد الخامس صديق الكفاح، "فهب محمد الخامس رحمه الله يستبين مطالب الحركة الوطنية ويربط مصيره بمصير شعبه، فأصبح في الحين في نظر الفرنسيين سلطان الأحياء الشعبية"[67]، لقد رفض ورفاقه عروض فرنسا بالاستقلال من دون الملك، ولم يكن هناك أي مشروع حتى اللحظة من دون الملكية.

وحتى العلاقة بالحسن الثاني لم تكن أبدا سيئة خلال هذه الفترة، فقد بدأ لقاء المهدي به كمدرس وتفاعل الحسن مع طروحاته وانخرط في نشاط الحركة الوطنية، وهو الذي أضحى شخصية شعبية بفضل حزب الاستقلال وجعل المهدي بن بركة الذي كان يسير المنظمات الشبابية، منه مثالا لكل الشباب بتسمية الحركة الكشفية باسمه "الحسنيين"، لقد كانت الجمعية التأسيسية برئاسة بن بركة

---

[66] – المهدي بن بركة، **مقدمة أطروحة الحبابي**، مصدر سابق.

[67] – المهدي بن بركة، التحرير، 07 ديسمبر 1962.

هي التي أصدرت قرار تنصيب الحسن كولي للعهد، لقد كان التقدميون يراهنون عليه كثيرا للمستقبل[68].

كان المهدي بن بركة في فارة توجهه الإصلاحي أحد الذين ساهموا في إخماد أصوات المعارضين من المقاومة وجيش التحرير والحزب الشيوعي، بتصفية الكثير من الأفراد وإرغام الكثير من المجموعات السرية المسلحة خاصة في الدار البيضاء على تسليم سلاحها، والقضاء على أشكال التمرد والفوضى، بل حتى المساهمة في إسكات أصوات السياسيين كما فعل مع مومن ديوري، ابن حزب الاستقلال واليسار والمعارض لتوجهات الحزب المهادِنة للنظام والقصر، والذي مثل أمام لجنة انضباط برئاسة المهدي، فبالنسبة لمومن ديوري: "المهدي بن بركة وحزب الاستقلال" هم من تسبب بخياراتهم الإصلاحية في هذه الفترة في إجهاض الثورة، وارتكبوا جرائم في حق المناضلين، فلم يكن صوت يعلوا على صوت السياسة في هذه الفترة، وشرعية الملك[69].

❖ إصلاحية الوسائل:

مثّلت وسائل النضال المنتهجة في هذه الفترة أهم المظاهر التي تجلى فيها ميل المهدي للإصلاح ، لقد كان حزب الاستقلال وسيلة مهمة، وكان المهدي يرى هيكله ومنظومته تتوفران على القدرة على تحقيق الإصلاح، لذا لم يعول في هذه الفترة على الجماهير الشعبية كثيرا، وكان اهتمامه محصورا في النخبة السياسية، فيمكن عن طريق الحزب النفاذ إلى الحكومة وأجهزة النظام، لذا كان مهما في هذه الفترة السيطرة على الحزب واحتكار الحكومة، ومحاولة الضغط لجعل كل أجهزة الدولة تحت وصاية الحكومة[70].

كانت الجمعية الاستشارية ميدان نشاط آخر ظهرت فيه نوايا الإصلاح، لقد كان هدف المهدي أن يجعلها مكانا للتدرب على الديمقراطية بين مختلف الأطياف السياسية والفكرية المتواجدة

---

[68] -Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p :157.

[69] - DIOURI, **Realités Marocaines**, p, p :134,135.

[70] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص:44، 45.

بها، ورغم كونها ذات مهمة استشارية وسلطة رمزية سعى ليعطيها الجدية والزخم المطلوبين، باحتضان نقاشات مهمة وإعطاء أراء وتوصيات في الصميم، وفي مختلف القضايا المطروحة، كما مثلت الانتخابات أيضا صورة عن قناعات المهدي الإصلاحية، فكانت لديه ثقة في جدواها ومصداقيتها وإمكانية حدوث تغيير عن طريقها، ومن أجل هذا كان هناك تحضير للحزب ونشر لخلاياه في كل مكان، والعمل على تقويته وبسط سيطرته، وأيضا كانت هناك دائما مطالبة بإجراء انتخابات لإخراج جمعية تأسيسية، وحتى داخل أطر الحزب كان هناك تعويل على الانتخابات في إحداث تحول، فلم يتوقف عن الإلحاح على تنظيم مؤتمر عام[71].

عندما يكون هناك ميل للتعامل مع الجزئيات فهذا دليل على القبول بالوضع العام، والمهدي حاول مرارا تصحيح بعض الأخطاء عبر تشكيل لجان تحقيق من أجل الوقوف على الخلل والوصول للحلول، مثل ما حدث في التعامل مع أملاك الخونة أو في قضية مكافحة الفساد الإداري، كان لديه أمل كبير في إصلاح الجهاز الإداري والسياسي.

ج- مشاريع المهدي الإصلاحية:

❖ اقتصاديا:

قدم المهدي العديد من الأفكار من أجل تحقيق نهضة صناعية وزراعية وفيما يخص البنية التحتية، فقد نظرّ وأطلق مشروع طريق الوحدة المغربية الذي رأى فيه نواة تنمية حقيقية وانطلاق عملية التشييد، ليس عبر الطريق في حد ذاته ولكن من خلال خلق جيل يحمل ذهنية العمل والإبداع وروح البناء، واستغلال الخبرة المكتسبة من المشروع للدفع بعمليات التنمية عبر كامل المغرب، كان يريد تدريب شباب المغرب على النشاط والإنتاج، وكانت مساهمة المهدي البارزة وفريقه في عملية إطلاق بنك المغرب وتوطين العملة، والتي تعتبر أكبر أثر لهم على عملية تصحيح الوضع الاقتصادي ودفعه للنهوض، وعبر الجمعية الوطنية الاستشارية كان له جهد ملحوظ في تدابير مراقبة تنقل الأموال والرساميل.

---

[71]- أنظر الفصل الأول .

وكتب وألقى كثير من المحاضرات التي تشرح كيفية الإقلاع الاقتصادي، معتمدا على مطالعاته ودراساته، وكذلك على الملاحظات التي جمعها من زياراته للدول خاصة الصين التي كان مفتونا بتجربتها ويريد اقتباسها في المغرب[72]، وكان جزء من عمليات التكوين السياسي للشباب المشارك في طريق الوحدة المغربية تتعلق بكيفيات إنشاء مشاريع اقتصادية صغيرة ناجحة، وقد احتوت العديد من مقالاته و كتاباته على نظرته لأساليب الإصلاح الاقتصاد والتجارة.

وبخصوص الفلاحة كان مشروعه أكثر وضوحا، فالإصلاح الزراعي الذي لم يتوقف عن طرحه كان بالنسبة له الحل الوحيد للنهوض بفلاحة المغرب، فالمغرب بلد زراعي بالدرجة الأولى، والاستعمار أفسد الوضع بمصادرة الأرض وطرد آلاف المزارعين من مناطقهم، وخلق حالة تخدم وتلائم مصالحه بإيجاد طبقة من الإقطاع وكبار الملاك التي تتعاون معه ضد مصلحة البلاد، لذا من الواجب المسارعة في إعادة تشكيل الخريطة الفلاحية، والأولوية لتأميم أراضي الخونة والمعمرين، وإعادة توزيعها توزيعا عادلا يراعي التوازنات الجهوية والتضحيات والحاجة الاجتماعية، كما كان مشروعه الإصلاحي يستهدف أيضا تحديث الزراعة واستخدام وسائل وأساليب وتقنيات حديثة[73].

❖ **اجتماعيا:**

أدرك المهدي صعوبة وضع المغرب بعد حصوله على الاستقلال وأن المعركة توشك على البداية وليست النهاية، فكثيرون يعتقدون أنّ المهمة قد انتهت بالحصول على الاستقلال وأنّ المغرب أصبح يحيا حياة مثالية، والمجتمع خال من العيوب، لكن حسبه: "لا يجب أن ننسى واقع المغرب، وحقيقة حالنا، إن الجمهور لازال متأخرا من الناحية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ولا يزال المستوى العام منحطا عندنا"، لذا من الواجب خوض معركة الإصلاح الاجتماعي[74].

---

[72] - HASSANE II, op,cit, p:.64

[73] - Mehdi BEN BARKA, BERQUE, op-cit.

[74] - المهدي بن بركة، **محاضرة مسؤوليتنا**، مصدر سابق، ص، ص:49، 50.

سيمر الإصلاح الاجتماعي عبر تقليم أظافر البرجوازية والإقطاع، ودعم الطبقات الشعبية والقضاء على الفوارق وتطبيق العدالة وإزالة مظاهر التخلف من المجتمع، ويتجسد كل هذا على أرض الميدان من خلال القرارات السياسية والاقتصادية المتخذة عبر الحكومة أو الجمعية التأسيسية مثل تأميم الأراضي ومصادرة أملاك المتحالفين مع الاستعمار وكبار الملاك لصالح الفقراء، وتوزيع الأراضي على المحرومين، وكذلك عبر المخطط الخماسي الذي كان يحوي مشروع بنية تحتية تحسن كثيرا من الظروف الاجتماعية، عن طريق بناء المدارس والمستشفيات [75].

كانت الخطة الخماسية تحاول بشكل مستعجل ترشيد موارد المغرب لصالح عملية إعادة النهوض بالمجتمع من الناحية المادية والذهنية، تم فرض الرقابة على صرف الأموال في الإدارة والهيئات الرسمية، واحتدم النقاش حول ميزانية الجيش والقصر، كان الهدف رفع الدخل الفردي وتحسين المعيشة، وضمان تعليم للجميع، وتمكين المرأة من دور فعال في المجتمع ، ونشر الثقافة [76].

هدف توجه المهدي الإصلاحي على الصعيد الاجتماعي والثقافي أيضا لتصحيح الوضعية الدينية في المغرب وتنقية الدين الإسلامي من كثير من التشويه الذي لحقه من تصرفات وسلوكيات رجاله والقائمين عليه: "إن بلادنا التي عاش فيها ابن خلدون أضحت معقلا للشعوذة والخرافات وغيرها من مظاهر الرجعية، مما أدى إلى إصدار أحكام جائرة في حق الإسلام، مع أنّ المسلمين برجوعهم إلى أصول دينهم السلفية يستطيعون أن يسترجعوا حيويتهم"[77]، فالمهدي يعرف خطورة وتأثير الدين في المجتمع المغربي ويحمل فكرة عن مدى الخلل الموجود، وأيضا فكرة عن ضرورة وكيفية ممارسة إصلاح هذا الجانب.

يحصل الإصلاح الديني في نظر المهدي بالعودة لمنابع الدين الصافية ومبادئه التي قام عليها أول مرة بعيدا عن كل ما أدخل عليه وألحق به من مظاهر انحطاط حضاري: "وعقب ظهور الحركة

---

[75] – المهدي بن بركة وبوعبيد، **حركة اليسار المغربية تحدد الموقف**، ج2، الشعب، عدد:108، 17 أفريل 1963، ص:04.

[76] – نفسه.

[77] – محاضرة المهدي في ملتقى البحر المتوسط بحيرة السلام، فلورنسا، 05 أكتوبر1958، جبرو، مرجع سابق، ص:19.

السلفية تبدلت نظرتنا إلى الدين وأخذنا نزيل عن أذهاننا طبقة الخرافات والقشور التي تكونت فوق لب العقيدة الإسلامية المبنية على حرية المناقشة والتفكير، وأعتقد بأنه لولا وجود هذه الحركة المباركة لتنكر شبابنا الذي تابع دراسته في إسبانيا وفرنسا للدين، فبفضل هذا الاحتكاك مع الاستعمار ظهرت حركة السلفية التي بدلت نظرتنا للدين وحفظت شبابنا من الإلحاد وجعلتنا نفهم الإسلام على حقيقته كما تجلى في دعوة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده"[78].

فهذا الطرح يظهر من دون أدنى شك التوجه الإصلاحي للمهدي بن بركة، والذي يعجب بالدور الإصلاحي لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده رائدا الإصلاح في المشرق ويقتبس منه، فهو يميز بين الإسلام كحقيقة طاهرة صادقة وبين تصرفات حَمَلَتِه، خاصة العلماء الرسميون الذين ساهموا في تدهوره، ولولا أن قدر الله للإسلام رجال مثل محمد العربي العلوي لربما انجذب كثيرون للثقافة الغربية بكل سلبياتها بعد الذي وقفوا عليه من انحياز من العلماء للظلم والاحتلال وللخرافات.

كان هدف المهدي هو الانتقال بالمغاربة لحياة أفضل على جميع النواحي، ولم يترك بابا كان يرى فيه تجسيدا وتحقيقا للإصلاح إلا طرقه، ولم يترك فكرة يرى فيها خطوة نحو الغد إلا طرحها وسعى لتنفيذها، لهذا فمعركة الاستقلال كانت أكبر وأصعب من معركة الحركة الوطنية التي توحدت فيها الجهود واتفقت الرؤى حولها، والصدام كان كبيرا ورافق كل خطوة، ويصف المهدي تجربة الإصلاح هذه والصراع الذي واكبها، والتضحيات التي بذلت من أجلها: "عندما نستعرض الإصلاحات الإدارية والسياسية والاقتصادية التي أنجزت بعد إعلان الاستقلال يتعين أن لا نقلل من قيمة الصراع الطويل والمعارك المتواصلة التي اضطررنا لخوضها بمناسبة استصدار كل تدبير من هذه التدابير الإصلاحية"[79].

---

[78] – المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق، ص: 81.

[79] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 54.

المبحث الرابع : فترة التوجه الثوري في فكر المهدي بن بركة.

لم ينتقل المهدي بشكل فجائي من الإصلاح إلى الثورية، ولم يحدث تغير طارئ في فكره، لكن انتقل شيئا فشيئا، ومثلت المرحلة من 1955 و1959 فترة انتقالية في مسيرته الفكرية، التي ساهمت فيها عوامل عديدة أبرزها نتائج النضال في الحركة الوطنية وفترة العمل في مرحلة ما بعد الاستقلال، والخيبة التي شهدتها مشاريعه الإصلاحية وما كان يراه من إفلاس للخط الوطني التقليدي، حيث بدا ما حدث أقرب إلى النضج.

أ- من الإصلاح إلى الثورة:

رغم فشل التجربة الإصلاحية فإنها في نظر المهدي مرحلة لا بد منها ومبررة الوجود: "لقد أثبتت التجربة أنه لا بد من مرور فترة طويلة أو قصيرة بين نهاية معركة التحرر السياسي وبين النقطة التي يمكن أن تنطلق منها حركة ثورية حقيقية، وغالبا ما تطول هذه الفترة اللهم إلا إذا استطاعت الحركة التحريرية تحطيم هيكل الدولة الاستعمارية مثل ما وقع في الفيتنام الشمالية"، ويضيف المهدي أنه يتبين من تحليل الأوضاع الداخلية والخارجية أن ظروف الاستقلال السياسي لم تكن تسمح بانتهاج خطة ثورية قبل المرور بمرحلة تحرر إصلاحية حتمية، وتوافق هذه الفترة المرحلة الزمنية التي تحتاج إليها التجربة الشعبية لكي تدرك أن الدولة المستقلة في إطار الاستعمار الجديد هي الوريث وأداة الاستمرار للحكم الاستعماري في الميادين الاقتصادية والاجتماعية.

وستؤدي المرحلة الإصلاحية الحتمية واختياراتها السياسية إلى أمرين اثنين:

- التعامل معها كتمهيد للمرحلة الثورية فهي تسلسل حتمي ومنطقي.
- الاكتفاء بانتقاد أسلوب الحكم الذي تسير عليه السياسة الإصلاحية وهو ما يسمى معارضة صاحب الجلالة، أي البقاء في هذه المرحلة وعدم المرور للثورية.

إلا أنه إذا كان ممكن أن تقوم في بلد متقدم معارضة مبنية على انتقاد وسائل الحكم، فإن التجربة أثبتت حتى الآن أن مثل هذه المعارضة لا يمكن أن تؤدي إلى طائل في بلد متخلف أو يمر بمرحلة انتقالية[80].

حاول المهدي تكرار الوصول إلى إحداث تغيير سياسي واقتصادي واجتماعي من خلال الوسائل المتوفرة؛ الحزب والحكومة والجمعية الوطنية التأسيسية والانتخابات، لكن النتائج كانت دوما مخيبة، وبقيت أفكاره وتصوراته مجرد نظريات ممنوعة من التطبيق، وتلاقي الرفض من الطبقة التقليدية والبرجوازية التي ترى فيها تهديدا لمصالحها وتجريدا لها من أسباب قوتها، وكذلك من قبل القصر والنظام المحيط به، الذي يتوجس من أفكار المهدي ويخشى من آثارها على مستقبله.

أدرك المهدي صلابة المقاومة من الداخل والخارج، وفشلت كل مشاريعه الاقتصادية كما السياسية وازدادت الملكية تجذرا ورسوخا، ونجحت في تكوين منظومة تتماشى مع أهدافها وأحاطت نفسها بطبقة موالية بات من الصعب اختراقها أو إزالتها، وبات من المستحيل تحقيق أي نتيجة عبر الوسائل التقليدية، فتفرد نظام الحكم بكل شيء واحتكر السلطة والتشريع، وفصّل الدستور وفق مصلحته ورغبته، ولم يلبي أي من تطلعات الشعب والطبقة السياسية، وغدت العملية الديمقراطية مجرد ديكور ولعبة زائفة، وكان إقصاء المناضلين من الوطنيين الذين خاضوا معركة التحرر، ودمج من كانوا بالأمس متعاونون مع الاستعمار آخر مسمار دق في نعش الإصلاح[81].

ب- نقد أنصاف الحلول والتسويات:

أجرى المهدي بن بركة في نهاية المرحلة الانتقالية من مساره الفكري نقدا ذاتيا ومراجعة لجميع الخطوات السابقة التي خطتها الحركة الوطنية وقواها الحية، وحاول البحث في أسباب الخطأ

---

[80] - نفسه، ص:63.

[81] - المهدي بن بركة وبوعبيد، **حركة اليسار المغربية تحدد الموقف**، ج1- 2، الشعب، عدد:108/107، 17/16 أفريل 1963، ص:04.

ومكامن الفشل، لماذا وصلت كل مشاريعهم وأفكارهم لطريق مسدود رغم أن الظروف كانت في كثير من الوقت في صالحهم.

كان أول خطأ كبير وقع فيه المهدي ورفاقه هو القبول بتسوية إيكس ليبان، التي صورت وكأنها انتصار ساحق على الاستعمار: "إننا في الحقيقة لم ندرك معنى المنعرج الذي وصلت إليه حركتنا، ولم تتخذ له العدة في وقته لأسباب يمكن مناقشة صلاحيتها ولكننا عللنا لأنفسنا بأن تلك التسوية السياسية إنما كانت توقفا مرحليا في مسيرتنا الثورية"، ولكنها كانت خدعة كبيرة من الاستعمار ليمرر سياسته، "ثم إننا صورنا انحلال مجلس العرش الذي نصبه الاستعمار كهزيمة له، بينما لم يكن في الواقع إلا فخا مدروسا" وكان الهدف الرئيسي من وراء ذلك هو تجنيب الحركة الوطنية التحول إلى حركة ثورية معادية من حيث الأساس والمبدأ لمصالح الاستعمار، "ودخلنا في اللعبة الاستعمارية باستبدالنا الهدف الأساسي لمعركتنا"، فقد كان الخطأ الكبير من الوطنيين حين ساعدوا في مصادرة حق الشعب في الكفاح بقبول التسويات التي لن تعطي أي حق بل التفاف وتحايل من الاستعمار الذي يملك خبرة أكثر[82].

ومثّل القبول بمسار إصلاحي كان يرتجى منه إصلاح الملكية الخطأ الثاني الذي وقعت فيه الحركة الوطنية وتيارها الشعبي، وهي خطوات لم تكن لتغير من حقيقة الوضع وجوهر السيطرة الاستعمارية وأعوانها، خاصة في الميدان الاقتصادي، طالما بقي أساس المشكل موجودا وهو شكل وطبيعة النظام الذي أفرزته إيكس ليبان، والذي جعل من المناضلين الذين خاضوا الكفاح ضد المستعمر مجرد ورثة يجلسون في مقعده وينفذون سياسيته، وكانت النتيجة رسوخ نظام برجوازي رجعي، وخيبة شاملة على مستوى المناضلين والطبقات الشعبية، ولهذا فإنه يجب أن يصبح واضحا لدى الجميع أنه لا يمكن التحرر تحررا كاملا عن طريق إصلاحات جزئية وفي نطاق النظام الرأسمالي، وإننا

[82] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص– ص: 40–42.

لن نكون في مستوى مهامنا التاريخية إلا بانتهاج سياسة مقاومة للاستعمار، تكون شاملة لمجالات العمل في الداخل والخارج[83].

والخطأ الثالث هو الموقف من الديمقراطية، حيث فرطت الحركة الوطنية في إجراء مراجعة شاملة وإعادة صياغة وبناء لنظام الحكم، والذي كان مطلبا شعبيا، بل كان اقتراحا فرنسيا، مقابل حالة من العاطفة العارمة، والتي اختصرت مشكلة المغرب كلها في قضية رجوع الملك وضحّت ببرنامجها من أجل توحيد المغرب خلف الملك وإعطاء فرصة لوحدة الصف، فقد دخلت القوى الحية في الساحة السياسية في مهادنة طويلة مع النظام وفضلت إجراء كثير من المعارك داخل غرف مغلقة وإبقاء الشعب في معزل وعدم إشراكه في هذه المعارك[84].

كما كان التحالف مع العناصر الإقطاعية أحد أهم أسباب الفشل والوصول إلى طريق مسدود، وخاصة في غياب برنامج واضح، وكانت نتيجة هذا التعاقد الرمزي بين القوة الشعبية وبين الملكية هي وضع مشكلة الدستور على الرف، "وكيف لنا اليوم أن نتساءل إلى أي حد كنا مخطئين في تجميد المطلب الدستوري حتى أظهرت التجربة بعد سنتين بصفة قاطعة أنه يستحيل نجاح أي إصلاح في دائرة الحكم المطلق القائم ، ، ، وأخيرا أدركنا بعد إقالة حكومة عبد الله إبراهيم أن كل تعاقد مع القوة المحافظة لا قيمة له ما لم يكن على أساس برنامج واحد وموحد"[85].

ج- معالم الخيار الثوري عند المهدي بن بركة:

" إن الحالة التي توجد عليها بلادنا الآن تحتاج إلى ثورة عميقة يجب أن نقوم بها، ولكي تتحقق يجب أن نقودها ونكون نحن الثوريين، والثوريون لن يتكونوا أبدا من خونة الأمس، ولا من ذئاب الاستعمار، إنهم يخرجون من صفوف هؤلاء المجاهدين الذين صهرهم الكفاح والذين ربما لا

---

[83] – نفسه، ص- ص: 56- 58.

[84] – محمد بن سعيد آيت إيدر، شهادة شفهية، برنامج بنبركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

[85] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 48.

يزالون ثوريين مبتدئين، ولكن يجب أن ينقلبوا إلى ثوريين حقيقيين، فهم الذين سيقلبون الأوضاع الفاسدة التي يوجد عليها المغرب"[86].

كان هذا هو نهاية النضج الفكري الذي وصل إليه المهدي بن بركة بعد سنوات من التفكير والمراجعات، وبعد مسيرة سياسية طويلة أكدت له فيها الأحداث والنتائج إفلاس كل الطروحات السابقة، فلذا يجب الإعلان عن هذا التوجه والإقرار به كطريق لحلحلة الوضع: "مضى علينا زمن طويل ونحن لا نريد الإفصاح عن الهدف الذي نرمي إليه، ، ، ولا بد من وضع حد لهذا الغموض ما دامت الصورة السياسية للقوى المتصارعة قد انكشفت فإن مزيدا من التوضيح لا بد منه حتى نحدد اتجاهنا كاختيار ثوري أمام الاختيار الرجعي الديماغوجي المتحكم في البلاد"[87].

إن التوجه هو الاختيار الاشتراكي الثوري ومضمونه من الناحية السياسية: هو إيجاد حل لمشكلة الحكم بإقامة مؤسسات سياسية تكمن الجماهير الشعبية من رقابة ديمقراطية على أجهزة الدولة، وعلى توزيع ثرواتها وإنتاجها القومي، وإنّ إقامة نظام جديد لن تكون إلا على أنقاض النظام الإقطاعي الحالي، "إن الجميع موقن والحالة هذه انه لا سبيل لإصلاح النظام القائم وعلاجه أو تزكيته، وإن ال(UNFP) لا يرى له دواء غير زواله"[88].

ولا سبيل للخروج من المأزق الذي زج المغرب فيه الحكم الملكي إلا بإقامة حكومة تتمتع بثقة الجماهير الشعبية، ومن أجل هذا الغرض وجه ال (UNFP) نداءه لجميع المواطنين والمواطنات لكي يتجندوا ويستعدوا لانطلاقة ثورية[89]، فالثورة السياسية تمر حتما بتغيير نظام الحكم ووضع آليات ووسائل وبرامج جديدة، فالثورية هدف ووسيلة، وكل برنامج لا يترجم في استئصال جذور الهيكل الإقطاعي والرأسمالي، إنما يخدم مصالح الاستعمار الجديد، حتى ولو أتخذ اسم ومفهوم

---

[86] – المهدي بن بركة، **مسؤوليتنا**، مصدر سابق، ص، ص: 49، 50.

[87]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 46.

[88] – بيان الUNFP، 02 ماي 1963، مصدر سابق.

[89] – قرارات المؤتمر الثاني للUNFP، مصدر سابق.

الاشتراكية، وهكذا فتوضيح البعد الثوري لل(UNFP) لا يحقق أهدافا سياسية فحسب بل يوضح الخلفية والحقيقة والتوجه الأيديولوجي للحزب ويساهم في ترسيخه مع كل خطوة وتحرك[90].

يجب على أي حركة تحررية وطنية حسب المهدي عدم السقوط في مناورات الاستعمار والتفريط في السلطة السياسية بأي شكل، فالمشكلة الرئيسية التي تواجه حركات التحرر في الواقع هي السلطة السياسية، فعليها الحرص على أن يتجلى الاستقلال فورا في نقل السلطة فعليا عاجلا إلى الممثلين الحقيقيين للثورة الشعبية في البلد ولو استدعى الأمر استئناف الكفاح المسلح غداة الاستقلال[91].

الوسيلة الثورية خلال هذه الفترة من توجه المهدي هي الحزب أولا والأمة ثانيا؛ فالحزب هو الممثل للطبقات الشعبية، والقوة الحية الفاعلة في المغرب، والاتحاد الوطني للقوات الشعبية حسب المهدي: هو وحده الذي يستطيع أن يقوم بالدور القيادي في نضال سائر فئات المجتمع الثورية، وذلك نتيجة وضوح خياره الأيديولوجي النازع نحو الثورية، والذي يلبي حاجات الأمة بأسرها، ولهذا فإن الحزب وحده من يحق له أن يحمل بوصلة النضال السياسي وأن يدرس ويحدد خطة العمل لمجموع الحركة الثورية في البلاد [92] .

وعلى هذا الأساس يجب أن يحظى الحزب بعناية لجعله جاهزا وقادرا على القيام بهذه المهمة من الناحية الإيديولوجية المذهبية ومن ناحية الكوادر، إن هذا التكوين الإيديولوجي يجب أن يقوم على أساس دراسة القوانين العلمية لتطور المجتمع المغربي، وقد أثْرَتها تجارب الثورات الاشتراكية والتحررية ضد الاستعمار، كما يجب أن تمتد جذوره إلى أعماق ثقافتنا العربية الإسلامية وأن تستمد قوتها من تراثنا القومي الزاخر بالقيم التقدمية والإنسانية[93].

---

[90]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 62.

[91] – المهدي بن بركة، **الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف**، مقال سابق.

[92] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 72.

[93] – نفسه، ص: 72.

وبخصوص الأفراد والإطارات فلن يكون الحزب في مستوى مهامه إلا إذا وجه عنايته القصوى لتكوين الكوادر، ولا يجوز قبول التبرير في هذا الجانب مطلقا، لأن الضعف العددي والتكويني للكوادر سينعكس على القوة الإيديولوجية للحزب نفسه، ومن دون إطارات مؤهلة وذات خلفية إيديولوجية عميقة فليس هناك معنى للخيار الثوري[94].

وبالنسبة للأمة؛ فإن الحزب بكونه معبرا عن الجماهير وحزبا للشعب المغربي، فيجب أن يكون قادرا على تحريك الجماهير من داخله عن طريق التنظيمات الجماهيرية الخاصة بكل فئة من المجتمع، سواء أكانت منظمات مهنية أو حركات شبابية ونسائية، وتوجيه هذا التحريك يتم بالاعتماد على خلايا الحزب في الأحياء والقرى والمؤسسات، وهي في نفس الوقت تعتبر مدارس للمناضلين، فهم يرسخون إيديولوجيتهم وصلابتهم الخلقية عن طريق نضالهم وسط الشعب، وعن طريق الاندماج وسط الشعب والتخندق معه ومناصرة معاركه وقضاياه؛ يتحقق تحريك الجماهير وتنجح الأهداف الثورية، ومن هذا تنبع أهمية النقابات والتنظيمات الاجتماعية، "إن دور كوادرنا ومناضلينا داخل المنضمات الجماهيرية، والتي لها أهدافها ومهامها الخاصة بها، يجب أن يكون هو صهر معاركهم الخاصة بهم في الأفق الشامل الذي سطره الحزب كأداة سياسية مفضلة، وبذلك نضمن الوحدة الإيديولوجية للقوى الشعبية كما تضمنه حركيتها وتماسكها وسيرها المنسجم بخطى ثابتة نحو غايتنا الأساسية"[95].

❖ الثورة الاقتصادية:

لا يكتمل الخيار الثوري السياسي عند المهدي بن بركة إلا إذا واكبته ثورة على الصعيد الاقتصادي الذي هو مناط الحكم على نجاح الثورة السياسية، وهو ميدان التطبيق، وتتمثل الثورة الاقتصادية حسب تعريفه في تصفية مخلفات السيطرة الأجنبية، وإنهاء تبعيتنا في الميادين الاقتصادية والمالية، ولكي يتحقق التحرر الاقتصادي يجب أن يتم رفض أي إصلاحات شكلية تبقي على شكل

---

[94]- نفسه، ص: 69.

[95] - نفسه، ص- ص: 70- 72.

الرأسمالي الليبرالي للاقتصاد، ويجب أن لا تقوم سياسة الاستقلال على مراعاة مصالح البرجوازية والاستعمار ولو كانت فيها فائدة آنية.

"يجب أن يكون هناك زلزال ثوري اقتصادي، مع العلم أنه قد يحمل معه احتمالات بعض التوقف في الإنتاج بل تراجع، كما يقضي بتغيير أساس نظام الأسعار والأجور ، ، ، يجب أن يصبح واضحا عند الجميع أننا لن نستطيع أن نتحرر تحررا كاملا، عن طريق بعض الإصلاحات في نطاق الرأسمالية، ومعنى ذلك من الوجهة الفنية أن كل محاولة لتحقيق التنمية في البلاد في إطار اقتصاد الليبرالية مآلها الفشل"، فالثورة الاقتصادية تحتاج تغييرا جذريا في الذهنيات والوسائل والأساليب، وتتطلب تعبئة لسائر الموارد الوطنية وتتطلب العمل، وكل طريقة للبناء تحقق أحسن السبل لإقامة مجتمع متوازن متحرر من الاستغلال وتحقق إضافة في الإنتاجية؛ هي هدف لهذه الثورة؛ وهي الاشتراكية بمعناها العلمي[96].

إن الثورة الاقتصادية ليست قضية تقنية يتعامل معها بقرار أو بتحضير إمكانيات مادية، إنها قبل كل شيء سياسة، يجب أن تكون مسبوقة بتحضير أيديولوجي يتضح معه الهدف منها كضرورة ملحة وكتلبية لمصلحة الشعب، وإلا كان استعمال كلمة اشتراكية من قبيل الاستغلال الديماغوجي المنتشر اليوم في كثير من أنحاء العالم، فالتغيير الاقتصادي يقوم على برنامج محدد يستطيع أن يجعل أهداف هذه الثورة حقيقة مثل العدل في توزيع الثروات والقضاء على الاستغلال وتحجيم البرجوازية والقضاء على التبعية الاستعمارية ومراقبة تحرك رؤوس الأموال، وأهم أبواب هذا البرنامج هي: الإصلاح الزراعي، تأميم وسائل الإنتاج، التخطيط.

والطريق للوصول إلى هذه الأهداف هي تمكين فئات المجتمع المختلفة من أن تكون لها رؤية واضحة وشاملة لمتطلبات تنمية اقتصادية، أي أن يكون هناك اقتناع بهذا البرنامج، وتفهما له واستعداد له ولاحتياجاته، ودور الحزب في ذلك هو إقناع هذه الفئات خاصة الثورية منها بضرورة

---

[96] – نفسه، ص – ص: 59 – 60.

تكوين الأداة الكفيلة بوضع وتطبيق الأساليب التي تحقق الخروج من التخلف وهذا الأسلوب هو الاشتراكية الثورية[97].

د- بعض المفاهيم في فكر المهدي الثوري.

هناك بعض المناطق في فكر المهدي بقيت رمادية ليومنا هذا، وتحدث عنها كثيرون محاولين إيجاد تفسير مناسب وتصنيف واضح لها ووضع إجابة مناسبة عن الأسئلة التي تطرح حول مواقفه منها، ورغم توفر الشواهد عن بعضها ويمكن الفصل فيها مثل موقفه من الشيوعية، تبقى أسئلة وقضايا أخرى؛ الإجابات عنها غير وافية ولا يمكن بشكل واضح أن تحدد أو يجزم بحقيقتها مثل موقفه من الانقلاب المسلح على النظام، وهناك بعض المفاهيم التي تطرق المهدي ونظّر لها من الواجب توضيحها مثل مفهوم الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف.

❖ هل كان المهدي يحمل فكرا انقلابيا:

من يتابع مسيرة المهدي وطروحاته سيجدها تتقاطع مع فكرة ضرورة إزالة الحكم الملكي خاصة في الفترة الثورية من حياته، والتي تظهر مفرداتها كثيرا في خطاباته وكتاباته وبيانات الحزب، مثل ما جاء في البيان الذي شجب فيه اعتداء المغرب على الجزائر، " لقد انكشف القناع عن وجه عملاء الاستعمار ، وهم الذين اغتصبوا الحكم منذ ثلاث سنوات، وأصبحوا اليوم يُسخّرون الدولة وأموالها وقوتها لخدمة الاستعمار ، ، ، ونحن على يقين أننا بفضل التضامن سنتغلب على الأزمة وننتهي بالقضاء التام على الاستعمار واستئصال جذوره من تراب مغربنا"[98]، أو في قوله "على أن يتجلى الاستقلال في نقل السلطة نقلا فعليا عاجلا إلى ممثلي الثورة الحقيقيين"[99]، وفي أماكن كثيرة

---

[97] – نفسه، ص – ص:59- 60.

[98] – المهدي بن بركة، بيان شجب الاعتداء على الجزائر، مصدر سابق.

[99] – المهدي بن بركة، **الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف**، مقال سابق.

من كراسه الاختيار الثوري ، مثل قوله: "كل سياسة لا تمر من استئصال جذور الهيكل الإقطاعي الرأسمالي، إنما تخدم مصالح الاستعمار الجديد"[100].

بل لا يتأخر كثيرا في التصريح بمعاداة الملكية كنظام للحكم في المغرب، وينتقد تصرف الحركة الوطنية بتجاهلها لمراجعة أسلوب النظام الحاكم في إيكس ليبان، ودخولها في تسويات وتفاهمات، وأيضا لا يتوانى في الحديث عن استخدام الثورة المسلحة، واستئناف الكفاح المسلح إذا لزم الأمر، فالنضال ضد أي نظام اقتصادي واجتماعي لا بد أن يكون مزيجا من الوسائل السياسية والعسكرية و والأساليب القانونية وغير القانونية[101].

وما يؤكده آخرون عايشوا المهدي مثل شهادة حميد برادة الذي يتمسك بوجود نوايا انقلابية لدى رفقاء المهدي ورغبة في إزاحة النظام الملكي، وما يستشفه الكثيرون من مفهوم الثورية خاصة إذا وضعت في السياق العام للمرحلة وظاهرة الانقلابات التي مارسها رفقاء المهدي وشركاء أفكاره في مصر وليبيا والعراق واليمن، لقد تبنى الطلبة المغاربة في مؤتمرهم أفكار المهدي وطروحاته والتي كانت غاية في الراديكالية وكانت تطالب بالتخلي عن الملكية ويشار للمهدي كمن يقف وراء ذلك[102].

لكن أيضا كان المهدي من الذكاء الذي يجعل من كلامه يحمل على وجوه أخرى، منها أنه كان لا يخفي سعيه للتغير لكن بوسائل سلمية في إطار بقاء الملكية، وأن هجومه على النظام يطال فقط الإدارة والإقطاع ويتجنب الملك، فعندما تحدث عن محو هذا النظام قال: "كي تخلفه بصفة حتمية مؤسسات شعبية منتخبة في دائرة الديمقراطية"[103]، وحتى حين الهجوم على الملكية فهو يخص شكلها المطلق الفردي وتسلطها وممارساتها والبديل هو الديمقراطية والدستور والمراقبة والشفافية، وحل أجهزة الدولة التابعة للحكومة، وحتى تهديده عبر مجلة (Jeune Afrique)

---

[100] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص : 62.

[101] – نفسه، ص، ص: 39، 40.

[102] – تقرير المهدي لمنظمة التضامن الأفرو – أسيوي، مصدر سابق.

[103]– بيان الUNFP، 02 ماي 1963، مصدر سابق.

بالثورة كان دفاعا عن نزاهة الانتخابات وإبعاد التزوير والحفاظ على العملية السلمية[104]، وهو ما يؤكده حميد برادة عندما ينفي علم المهدي بمخطط سنة 1963 لاغتيال الملك[105]، وأيضا تفسير عبد الرحمن اليوسفي مفهوم الثورية ليس بالمعنى العسكري وإطلاق الرصاص والقيام بالانقلابات، لكن روح التغيير ومواجهة التخلف، والتحريك الأمور بنفس ثوري، والانطلاق بالاعتماد على الطاقات وعلى عقلية التطوع[106]، وحتى الحسن الثاني يعترف بذلك: "بن بركة كان يتصور أن الملكية ضرورية لوحدة المغرب، لكن يجب نزع البعض من صلاحياتها" [107].

لكن ظل يُنظَر دائما للمهدي كمنظر ومحرك للتمردات وأنه العقل المدبر لكل رفاقه الذين لم يتوانوا في استخدام العنف كوسيلة مثل البصري المشارك في انقلاب 1971 (السخيرات) وشيخ العرب، ولعبت علاقته بالجزائر وبالأنظمة العربية التقدمية التي لم تكن تخفي معاداتها للأنظمة الملكية التقليدية دورها في تكوين هذا التصور عنه، وخاصة وهو أحد منظري هذا التوجه العربي.

❖ المهدي بن بركة والشيوعية:

لقد سبق الحديث في الفصل الأول عن علاقة المهدي بالشيوعية وأنها كانت مجرد زمالة كفاح له معه المناضلين الشيوعيين، ولم يكن خلال تلك الفترة أبدا يبدي ميولا نحو هذا الاتجاه، خاصة بعد خيبته من لقاءه مع بعض قادتها بالمغرب من الشيوعيين الفرنسيين سنة 1943، حيث فوجئ بموقفهم المناصر للاستعمار، وعمَّقت الهوة أحداث الاستقلال وما قام به المهدي اتجاههم عندما ساهم في حل الحزب الشيوعي ودوره في الصراع الذي أدى إلى تصفية بعض القيادات الشيوعية التي كانت ضمن المقاومة مثل حادثة مقتل عبد الكريم بن عبد الله[108]، ومتابعة العناصر

---

[104] – المهدي بن بركة وبوعبيد، **حركة اليسار المغربية تحدد الموقف**، ج2، مقال سابق.

[105] – حميد برادة شهادة شفهية، مصدر سابق.

[106]– عبد الرحمان اليوسفي، شهادة شفهية، برنامج بن بركة اللغز، مصدر سابق.

[107] - HASSANE II, op-cit , p :110.

[108]– برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte ، 2001.

الشيوعية داخل الحزب وتقديمها للتأديب مثل ما حصل مع مومن ديوري، وأيضا متابعة الأعضاء الشيوعيين واستئصالهم من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بعد تأسيسه.

ويظهر موقفه من الشيوعية أيضا في بعض مواقفه وكتاباته مثل ما وقع مع جبهة التحرير حين رفض في فترة من الثورة الجزائرية التعامل معها بحجة عدم الوضوح في إيديولوجيتها وخشية أن تكون شيوعية التوجه، أيضا في بعض محاضراته حيت يتحدث عن الدور الذي لعبته الحركة السلفية في الإصلاح الديني، فيقول" الحركة السلفية التي بدلت نظرتنا إلى الدين وحفظت شبابنا من الإلحاد وجعلتنا نفهم الإسلام على حقيقته" [109]، وإشارته في كراسه الاختيار الثوري لاعتبار الإسلام كأحد روافد تكوين الإطارات ومناضلي الحزب إيديولوجيا[110].

كثيرون يربطون مسار المهدي النضالي ببروز اليسار في المغرب، ويعتبرونه منظر اليسار الأول في المغرب، وإن كان هناك التقاء في الأهداف لا يخفى على أحد في الجانب الاقتصادي والسياسي، عبّر عنه المهدي في أحد لقاءاته مع قيادة الحزب الشيوعي بقوله: "نحن ننتمي لنفس العائلة، ويمكننا أن نصارح بعضنا"، لكنه حافظ على مسافة من الشيوعية تجلت في عدم استقباله مطلقا من قبل الحزب الشيوعي السوفياتي وفي مهاجمته دوما من قبل الشيوعيين المغاربة، مثل الذي حدث في مؤتمر براغ سنة 1963، حينما وصف أحد الشيوعيين المغاربة ال(UNFP) بأنه حزب البرجوازية الصغيرة[111]، وهذا الوصف أقرب إلى الحقيقة لمن يتابع أقوال المهدي، فهو لا يعادي البرجوازية المتوسطة والصغيرة وحرية الملكية، ويحصر مناهضته لكبار الملاك وللإقطاع المرتبطين بالاستعمار[112].

بعض من تتبع مسار المهدي الفكري مثل واتربيري (Waterbury) صاحب كتاب "أمير المؤمنين، الملكية المغربية ونخبتها"، وصفه بأن ليس برجل اليسار المتزمت الدغمائي، ولكن

---

[109] – – المهدي بن بركة، **محاضرة نحو مجتمع جديد**، مصدر سابق، ص: 81.

[110] – المهدي بن بركة ، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص: 69.

[111] – SAAF, op-cit.p, p : 110, 111.

[112] –أنظر المهدي بن بركة ، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق.

طريقته تركز على التفاصيل العملية وعلى المعرفة والنزعة التنظيمية والتكوين الدائم حول مختلف القضايا، فبن بركة يسجل تمايزا عن مختلف رجال الشيوعية في تلك الفترة.[113]

المتتبع لكتابات المهدي سيلاحظ وجود تلك المصطلحات التي يدندن حولها ماركس مثل:" الشعب، الإقطاع، البرجوازية، الإمبريالية، الرأسمالية، التبعية، الرجعية، الثورة، التقدمية"، ووجود نفس منهج وطريقة التحليل المتبعة من قبل الشيوعيين، لكن يبقى كل ذلك في إطار النظرة العربية ومفهوم الحركات اليسارية العربية للاشتراكية، خاصة المرتبطة بالناصرية التي تقتبس الاشتراكية كمنهج اقتصادي، لكنها تبقي على مسافة من الإيديولوجية الشيوعية.

وهناك معلومة مفيدة في هذا السياق يرويها محمد عابد الجابري عن المهدي: "في إطار تكوين الإطارات بعد حركة 25 جانفي، أصبحت (دار التوازني) بالدار البيضاء مدرسة لتكوين الإطارات، وكان المهدي هو المشرف على التكوين وكنت من بين المكوِنين، وكان المهدي يجمعنا ويتحدث إلينا عما يجب أن نركز عليه في دروسنا، وذات مرة أخذ يحدثنا عن العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص، والفوارق الاجتماعية، إلخ، وعندما انتهى وخرجنا إلى الاستراحة تحلقنا حوله، وقلت له: لقد حدثتنا عن العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص، فلماذا لا تقول اشتراكية بدل هذه التعبيرات المختلفة؟ نظر إلي رافعا حاجبيه الغليظين، وقال: لا تستعجل قل ما فيها، ولا تقلها إلى أن يحين وقتها، ثم أضاف: الناس عندنا مازالوا واقعين تحت تأثير الدعاية الاستعمارية فيعتقدون أنّ الاشتراكية هي الشيوعية وأنّ الشيوعية كفر".[114]

❖ مفهوم الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف:

أمضى المهدي بن بركة سنواته الخمس الأخيرة يحاول أن يوصل هذه فكرة للجميع، ويبين بالأدلة أن هناك استمرارية في الحركة الاستعمارية، وأن الاستقلال المحصل في العديد من البلدان لا يعدو أن يكون شكليا، وقد أدرك هذا رغم حماسته الشديدة عشية الاستقلال وبعد تلك المعارك

---

[113] – SAAF, op-cit. p:114.

[114] – الجابري، مرجع سابق، ص: 25.

السياسية الطاحنة التي خاضها على الصعيد الداخلي لتحقيق شيء أدنى من الأحلام ومتطلبات الاستقلال، لكن عوامل كثيرة داخلية وخارجية وقفت كعائق في الطريق، والمهدي لا يرى تفسيرا لها سوى يد الاستعمار وسياسته.

خدع الاستعمار الشعوب الفقيرة وانتقل من مرحلة استعمارية إلى أخرى جديدة، "يجدر بنا في هذا المجال أن نلاحظ هذه الحقيقة؛ أن الاستقلال الذي نالته بعض البلاد ليس سوى اسمي وهذه الظاهرة الرئيسية التي يتم بها الاستعمار الجديد، ، ، وظهر اتجاه جديد بالنسبة لروح السيطرة والاستغلال في العلاقات بين إفريقيا والدول الاستعمارية"، لهذا لا يجب قياس نهاية الاستعمار باسترجاع الاستقلال وتنصيب مؤسسات وطنية لتسيير شؤون البلاد، "فلقد انقضى ذلك الزمان الذي كان الحصول على الاستقلال يعتبر أمرا تقدميا، فقياس التقدمية أصبح ينحصر اليوم في مدى الحرية السياسية والاقتصادية التي يضمنها الاستقلال "[115].

فالدول الاستعمارية حين اصطدمت بمرحلة من تطور الوعي لدى الشعوب وبات يستحيل الاستمرار في نفس شكل السيطرة لم يعد أمامها إلا الاعتراف بالاستقلال السياسي، لكن مع إفراغ هذا الاستقلال من مضمونه التحرري الصحيح، إما عن طريق اتفاقيات اقتصادية مجحفة تضمن استمرار عملية الاستغلال واتفاقيات عسكرية تبقى على السيطرة والتبعية أو عن طريق تنصيب حكومات عميلة تبقى على خدمة مصالح الاستعمار[116].

إن خير معبر عن حالة الاستقلال الحقيقي من عدمه هو طبيعة السلطة الناشئة نفسها وما إن كان القائمون عليها يعبّرون حقا عن إرادة الشعب أم هم مجرد خدام للمصالح الاستعمارية بشكل أو آخر، وفي هذا السياق فإن معركة التحرر الحقيقة والمعضلة الكبرى التي تواجه التحرريين

[115] – المهدي بن بركة ، **الاستقلال المزيف والاستعمار الجديد**، مقال سابق.

[116] – المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص:21.

والثوار والشعوب هي طبيعة البديل والسلطة السياسية التي تخلفه، هل هي شعبية أصيلة أم مجرد وريث يكفل استمرار السيطرة الاستعمارية الاقتصادية عبر التوجيهات التي يتلقاها [117].

وأهم أسباب الوقوع في هذه المعضلة هي حالة التوقف الثوري، واعتبار تحقيق الاستقلال انتصار كبيرا، وانتهاج الخط الإصلاحي الهادف إلى تحسين شروط الاستعمار والمسارعة بإصلاحات على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي لتسوية بعض الأزمات والتنازل قليلا لصالح العمال والفلاحين، لكن فقط في إطار وحدود الرأسمالية وفي سياق ما يخدم مصالحها ويجعلها مستمرة، ولن تكون هناك أي إصلاحات جذرية من دون صدام، والمهدي وهو يتجه لهذا التحليل يستحضر الحالة المغربية كمثال؛ فبمجرد ما اتجهت الحركة الوطنية والحكومات المنبثقة من الشعب لإجراء إصلاحات تمس بجوهر مصالح الاستعمار وأعوانه أعلنت الحرب عليها وبدأ الهجوم الإعلامي والسياسي ووضعت العراقيل في الطريق وحدث الانقلاب[118].

وهناك حالات أخرى مثل ما حدث في الجزائر حيث الحل الذي تم التوصل إليه في مفاوضات إيفيان هو حل ثوري، بمعنى أن الثورة نجحت رغم مناورات الاستعمار في فرض شروطها والاحتفاظ بالأداة الضاربة والتي هي السلطة السياسية والقوة العسكرية المنظمة المنبثقة عن الثورة؛ لصالح القوة الثورية، وكذلك مثال غينيا الذي رغم عدم إراقة الدماء فيه فإنه تم النجاح في استرداد السلطة السياسية لصالح الشعب بفضل كفاح الحزب الديمقراطي الغيني، رغم أن الحالات التي نجح فيها الاستعمار في تزييف العملية السياسية وتنصيب أنظمة عميلة كثيرة وهي حالة المغرب مثلا ودول أخرى مثل كوريا الجنوبية [119].

ولمواجهة هذا النكوص الثوري والتجدد الاستعماري ومناوراته هناك مهام على الصعيد الداخلي والخارجي وبينهما ترابط كبير، فعلى الصعيد الخارجي التأكيد على التضامن والتوحد المطلق بين حركات التحرر، ومن أجل ذلك فإن منظمة التضامن الأفرو- أسيوي تشكل فعلا عاملا هاما

---

[117] – المهدي بن بركة ، **الاستقلال المزيف والاستعمار الجديد**، مقال سابق.

[118]– المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص- ص:54- 57.

[119]– المهدي بن بركة ، **الاستقلال المزيف والاستعمار الجديد**، مقال سابق.

لحشد القوة للتوعية والتعجيل بزحف التحرير الوطني، وعلى الصعيد الداخلي؛ تتلخص المهمة في تصفية مخلفات الاستعمار وإنهاء التبعية في الميادين الاقتصادية والمالية والثقافية، ولتحقيق كل ذلك يجب بداية رفض الجلوس في مقعد ورثة الاستعمار وثانيا: عدم تحديد سياستنا بالمقاييس والتقديرات التي تتلاءم مع المصالح الأجنبية[120].

إن السبيل الوحيد المضمون هو الحرص على انتقال السلطة بشكل فوري ومباشر إلى الممثلين الحقيقيين للثورة الشعبية في البلد ولو استدعى الأمر لاستئناف الكفاح المسلح غداة الاستقلال، وإن الدور الرئيسي للثورة الوطنية هو أولا الاستيلاء على أجهزة الدولة لوضعها في خدمة الشعب وإن الشرط الأساسي لكي لا ينجح الاستعمار في إجهاض الاستقلال هو وجود تنظيم تؤمن قيادته أن كل شيء عدا السلطة السياسية والاقتصادية إنما هو أضغاث أحلام، والنظام السياسي الوحيد الذي سيغلق الباب لعودة الاستعمار وسيطرة الامبريالية هو بالطبع النظام الاشتراكي[121].

كان المهدي بن بركة يهدف إلى إحداث تغيير سياسي، اقتصادي واجتماعي في المغرب، و كانت وسائله وإيديولوجيته في ذلك هي الاشتراكية، التي رأى فيها المواجه الوحيد لتسلط الإقطاع والرأسمالية والملكية والاستعمار، ووجد كثير من محتضنيه وحلفاءه في العالم الثالث يدينون بهذا التوجه لكنه أيضا أبقى على العلاقة الأيديولوجية الوطيدة بالقيم المغربية الدينية، شأنه شأن كثير من الاشتراكيين العرب.

إن التوجه الفكري للمهدي بن بركة لم يعرف نسقا واحدا بل كان مسارا تأثر بكثير من العوامل المحيطة، وتغير تبعا لتغير المراحل، والذي كان في نظره ونظر كثيرين نضجا أكثر منه تحول وتغير، متأثرا في هذا بنتائج التجربة النضالية بكل تفاصيلها، وبكم المعرفة التي كونها من خلال مطالعته، وحجم العلاقات المتشعبة بالسياسيين والمثقفين، كما أثر فيه بشكل كبير طريقة تعامل

---

[120]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص- ص:50-60./ المهدي بن بركة، **الاستقلال المزيف والاستعمار الجديد**، مقال سابق.

[121]- المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري**، مصدر سابق، ص، ص: 60، 61./ المهدي بن بركة، **الاستقلال المزيف والاستعمار الجديد**، مقال سابق.

النظام المغربي الذي أصم أذنيه ودفع بجموع كبيرة من المواطنين إلى التشدد اتجاهه برفضه المطلق لأي تغير أو إصلاح.

وصف الحسن الثاني المهدي بأنه كان المحرض الذكي صاحب آلاف الأفكار والذي لا يتوقف عن التفكير[122]، وآخرون وصفوه بأنه مزيج من إدغار فور ولينين[123]، أي مزيج من الثورية والإصلاح الاشتراكي، لكنه في الحقيقة كان كل ذلك، كان مناضلا ميدانيا وأكثر منها منظرا ومفكرا حاول جاهدا أن يجد الدواء والعلاج لوضع المغرب وإفريقيا والعالم الثالث من خلال دراسته المشاكل الواقعية وتحليلها ووضع ما يناسبها من حلول، كان المهدي سابقا في كثير من الطروحات مثل نظريته حول الاستعمار الجديد والتي أثبتت التطورات خلال سنوات معدودة أنها حقيقة ثابتة، وكذلك توقعاته حول مستقبل العلاقة بين القصر والجيش في المغرب.

هذه الميزة التي جعلت المهدي علامة فارقة بين السياسيين المغاربة، جعلت منه أيضا العنصر الخطير الذي يجب التخلص منه في أقرب الآجال، لأنه ليس مناضلا سطحيا يريد تنفيذ سياسة بسيطة، ويتوقف في حال الفشل، لكنه كان صاحب فكرة يعمل على نقلها وتعميمها على الساحة الداخلية والخارجية، ودائم البحث عن منافذ وطرق وأساليب تجعله يحقق أهدافه وكل هذا يجعله في منتهى الخطورة داخليا وخارجيا.

---

(122) - SAAF, op-cit.p :114

(123) - DAOUD, **Ben Barka son rôle dans l'évolution du Maroc**, op-cit, p: 133.

الخاتمة

الـــــخاتـــــــمة

إن المتتبع للمسار النضالي للمهدي بن بركة، سيقف على أهمية الرجل والدور الذي لعبه، بالنسبة لتاريخ المغرب الأقصى، وللمنطقة العربية وإفريقيا وللدول الفقيرة، التي كانت لتوها خارجة من سيطرة الاستعمار، سواء على الصعيد السياسي بنشاطه الدءوب الحيوي الذي لا يتوقف، ولا يعرف الكلل من خلال سهره على المتابعة والتنظيم وربط العلاقات وإقامة الزيارات، ومن خلال التنسيق وتوفير الدعم المادي والمعنوي، وأيضا على الصعيد الفكري، عبر التنظير والتوجيه، والتنبه للمخططات والفخاخ، والقدرة على رسم السياسات وإعداد الاستراتيجيات.

المهدي الطفل القادم من الوسط الفقير المحروم عبر مقاعد الدراسة والتفوق، تأثر بكل تلك الظروف لتكون له خير داعم على شق طريقه وسط الصعاب، وكوّن شخصية ليس عمادها إلا المؤهلات العلمية والقدرة على الحوار والنقاش والإقناع، ارتبطت مسيرته بمسيرة الحركة الوطنية المغربية، وساهم فيها مساهمة معتبرة عبر حزب الاستقلال، من خلال كل نشاطات الحزب الإعلامية والتنظيمية والسياسية، فسجل حضوره في أخطر لحظة ومنعطف وأهم حادث وطني تاريخي في المغرب وهو بيان الاستقلال وعمره فقط أربع وعشرون سنة، ولا زال التاريخ يحفظ له إمضاءه بين أساطين حزب الاستقلال والحركة الوطنية المغربية، وكان له الفضل رفقة اليوسفي والبصري وبوعبيد في مد جذور الحزب عبر الطبقات الشعبية بعد أن كان حكرا على البرجوازية المغربية التقليدية، وهي كلها أمور أثرت في تطور مسيرة الحزب، وسياسته وتوجهه.

أدرك مبكرا خطأ الحزب الفادح في التنكر للمقاومة والتركيز على الوسائل السياسية فقط، فحاول جاهد العمل على تدارك تقصير القيادة، واجتهد في ربط علاقة الحزب بالمقاومة وجيش التحرير، وكان له دور معتبر بفضل قدرته التنظيمية والذهنية على تقوية موقف المقاومة من خلال مساعدتها على تنظيم صفوفها وإنشاء شبكة اتصال وتنسيق، ومكنه هذا الدور من أن يبقى قريبا من مركز القرار والتأثير وقريب من العمل الميداني، ورغم إيمانه بهذا الدور تراجع تحت تأثير رفاقه في الحزب

وتأثير انضباطه والتزامه وشارك في لقاءات إيكس ليبان، فكان له دور مسجل ومميز في عودة الملك محمد الخامس.

ساهم بكل قوته في انطلاقة مسيرة المغرب المستقل وكله طموح وأمل في مغرب الغد، الذي ملئه العدل والحرية، والعمل والازدهار، وبذل في سبيل ذلك الكثير من خلال دوره الرسمي في المجلس الوطني الاستشاري، الذي رغم محدودية صلاحياته، إلا أنه أراد جعله أفضل مكان للتدرب على الديمقراطية، ومن خلال مبادراته وأفكاره، مثل طريق الوحدة المغربية الذي حاول فيه اقتباس النموذج الاشتراكي بحذافيره عبر المشاريع التطوعية العملاقة المصحوبة بهالة الدعاية، وكان يرمي من خلاله لتكوين جيل مغربي عامل ومبادر، بل إنه ساهم بشكل كبير في مساعدة القصر على فرض الهدوء وتحقيق الأمن وترسيخ وجوده، ودخل في معارك مع رفاق الأمس من أجل ذلك، كما حاول عبر الحكومة التي ناضل لتكون من نصيب حزب الاستقلال، فعجز سواء عبر تيار الحزب اليميني أو اليساري في تحقيق اختراق في جدار النظام البرجوازي التقليدي المعادي لكل تطور يضر بمصالحه.

ورغم هذه الحماسة كان المهدي يدرك صعوبة المعركة والأخطار المحدقة إذا لم يستلم المشعل الوطنيون الحقيقيون، فعمل بكل قوته وخاض العديد من المعارك ليجعل مقاليد الأمور سواء في الحزب أو في المقاومة أو في الدولة بيد من يراهم أحق بها من القوى الحية التي بذلت التضحيات، وحاول أن يمنع القصر من احتكار القوة لوحده، وتحقيق شيء من التوازن يحفظ للحزب وجوده ويجعله قوة فاعلة تفاوض من مركز قوة، لكن مسعاه في تشكيل جيش مسلح باء بالفشل نتيجة العديد من العوامل الموضوعية، التي على رأسها دعم الغرب للنظام الرسمي.

ورغم كل ما قدم في سبيل المغرب والملك، شاهد مشاريعه تسقط الواحد يلي الآخر، وشاهد من كانوا في صف العدو يتسللون بهدوء لمفاصل البلاد الحساسة ويتحكمون من جديد في مصير المغاربة، وشاهد استمرار مصالح الاستعمار وحلفاءه من البرجوازية والإقطاع والخونة، فبدأت الخيبة تتسلل إليه، وأخذ شيء من التحول والتغير الفكري ينتقل إليه، فعبر عن تلك الخيبة مرارا، وأن الصبر قد نفذ، وعندما عجز عن التغيير بالوسائل التقليدية التي ألفها وعلى رأسها حزب الاستقلال، وانتهى أمله من القيادة، قاد ثورة داخلية رفقة شباب الحزب وأسسوا حزب الاتحاد من أجل القوات

الشعبية الذي ضمنوه مشروعهم ووضحوا من خلاله أهدافهم، وصاروا أكثر راحة فيه باعتباره يعبر فعلا عن توجهاتهم.

لكن هذا الخروج للعلن بحقيقة مشروعهم فتح عليهم أيضا معارك متعددة مع النظام وحلفاءه من التقليدين والبرجوازيين وكبار الملاك، وجعل المعارضة تصبح أكثر حدة والصراع ينتقل لمستويات جديدة، انتهت بموجة قمع غير مسبوقة من النظام الذي قاتلوا من أجله، وانتهت بمغادرة المهدي للمغرب وبداية مرحلة جديدة من المنافي والتغريب، وفتحت بابا جديدا أمامه على النشاط العالمي الذي بزغ فيه نجمه، وحقق فيه حضورا متميزا، فبات المناضل العالمي من أجل الحرية ومواجهة الاستعمار ومشاريعه، مستفيدا في كل ذلك من حنكته السياسية وزاده المعرفي وقدراته اللغوية، وتجربته النضالية.

المهدي لم يكن فقط ذلك المناضل المتجرد البسيط، لكن أيضا كان صاحب فكر وتوجه، وقناعات، وصاحب مشروع، أينما ذهب كان يتحول لمنظر، وهي ميزة دفعته على الصعيد الداخلي أو الخارجي للتصدر وقيادة المشهد، ومنحته كاريزمة وشخصية فريدة يتحلق حولها الجميع، ويتبعها الكثير، لكن في نفس الوقت جلبت له الأعداء الذين كانوا ينظرون إليه كمحرض ومحرك وعنصر خطير، وقائد مؤامرات، وموجه للأحداث، وربما كانت هذه هي الحقيقة التي عجلت بنهايته، فهو لا يتوقف عن التفكير، وإيجاد الحلول والمبادرات.

البعض يرى في المهدي أسطورة حقيقية، والبعض يحمله وزر كثير من الأخطاء التي حصلت، فهو ورفاقه من ساهموا في ترسيخ الملكية وتحطيم المقاومة لما كانت تملك الميدان، والبعض يصل لتسميتهم بقراصنة الاستقلال، ويذهب آخرون لتحميلهم مسؤولية إجهاض مسار الثورة الحقيقية سنة 1955 عندما وقعوا في سياسة الاستعمار وفي فخه، بالدخول في مسار تفاوضي استسلامي صادر حقهم وقدرتهم في التغيير لاحقا، ومكن لاستمرار الاستعمار، وأيضا يرى فيهم البعض من كانوا وراء تصفية كثير من عناصر المقاومة التي يشهد لها بالعمل والإخلاص مثل المسيعدي، في سبيل تحقيق سلطتهم ومكانتهم باسم حزب الاستقلال، والمهدي لا ينكر هذا ويدرجها في خانة نقص الخبرة والأخطاء القاتلة، التي جنت على الحركة الوطنية ومشاريعها.

لا ينكر المهدي كثيرا من الأخطاء ومنها ذلك التقوقع الذي ميز سنوات ما بعد الاستقلال، والنكوص عن بعض المبادئ والمفاهيم، خاصة بالنسبة للدور القومي، الذي تأخر لخيارات أخرى قطرية، وبالنسبة لخيارات راديكالية ذات جدوى لصالح تسويات مرحلية وتوجهات إصلاحية أثبت الزمن فشلها، فعاد من جديد لإجراء المراجعات وخطّ توجها جديدا، يقترب فيه أكثر من قناعاته، وتصوراته الثورية.

هاته الثورية التي فسرها البعض على أنها ذلك المد الجارف الذي يعادي جذريا كل ما هو موجود ويسعى لمحوه من الأساس وإقامة منظومة جديدة مكانه، بكل الوسائل وفي مقدمتها السلاح، مستدلين بتلك المؤامرات التي سارعت أجهزة الأمن لكشفها وتحميل رفاق المهدي مسؤوليتها ولو تحت سياط التعذيب في مخافر أوفقير والدليمي، وفسرها البعض بذلك المشروع الذي يسعى للتغير السلمي الديمقراطي، وإحلال نموذج أكثر تقدمية، ولكن في إطار الشرعية الملكية التي لم يطعن فيها المهدي يوما، لكنه عارض توجهاتها الفردية المطلقة.

لقد اجتهد النظام الملكي المغربي في جعل المهدي خائنا، وعمل على توريطه في مؤامرات غير منتهية، تستهدف الاستقرار والأمن، لم يستطع بكل ترسانته الإعلامية والإدارية والقانونية والأمنية أن يثبت حقيقة تورطه فيها، وإثبات سعيه الحقيقي لقلب النظام أو التورط ضد المغرب بأي شكل من الأشكال، وبقيت كل تلك التهم محصورة في إطار الدعاية والتسويق الإعلامي، وبقي طول حياته وبعد مماته يمثل خطا موجودا داخل المغرب ومعارضة لم تنتهي يوما لتوجهات القصر، ولتقصيره في حق الشعب وتفضيله للمصالح الأجنبية على الخيارات الوطنية والقومية والإقليمية.

لقد عمل النظام المغربي ومن وراءه حلفاءه بالداخل والخارج على تغييب المهدي وإنهاء أسطورته، سواء جسديا وهو ما جسدته عملية الاختطاف، أو المعنوي بمحو اسمه من التاريخ المغربي المعاصر، وإغفال دوره في تحرر المغرب ونشأته، لكن يبقى اسم المهدي المطبوع في بيان الاستقلال الذي يمثل شهادة ميلاد المغرب المعاصر، أكبر دليل على استحالة ذلك، وبقاءه كشخصية وطنية طبعت جزء من تاريخ المغرب، بنضالها وحركيتها وفكرها، وسواء اتفق معه أو اختلف، فهو صاحب مسار سياسي كبير ومتميز.

الملاحق

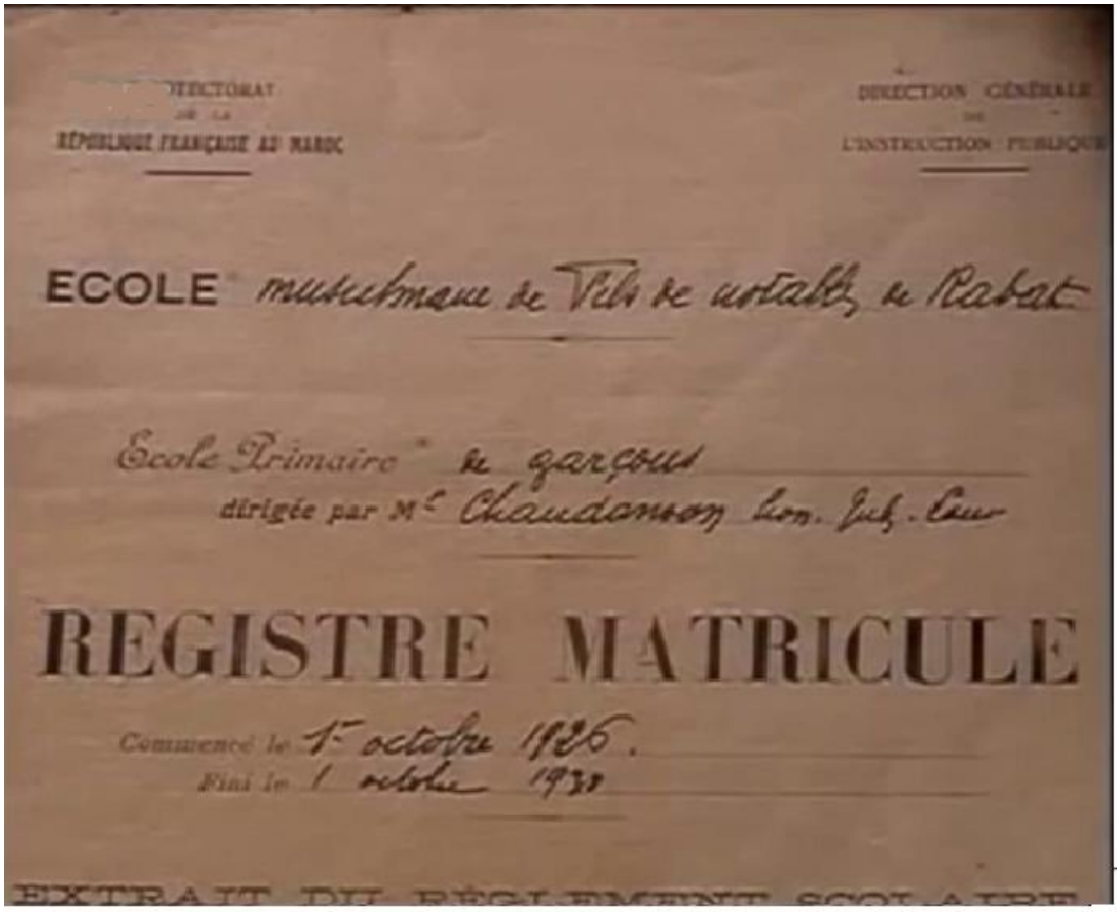

DIRECTORAT
DE LA
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE AU MAROC

DIRECTION GÉNÉRALE
DE
L'INSTRUCTION PUBLIQUE

ECOLE musulmane de Ville de notables de Rabat

Ecole Primaire de garçons
dirigée par Mr Chaudanson Lic. ès. Lettres

REGISTRE MATRICULE

Commencé le 1er octobre 1926.
Fini le 1 octobre 1930

EXTRAIT DU RÈGLEMENT SCOLAIRE

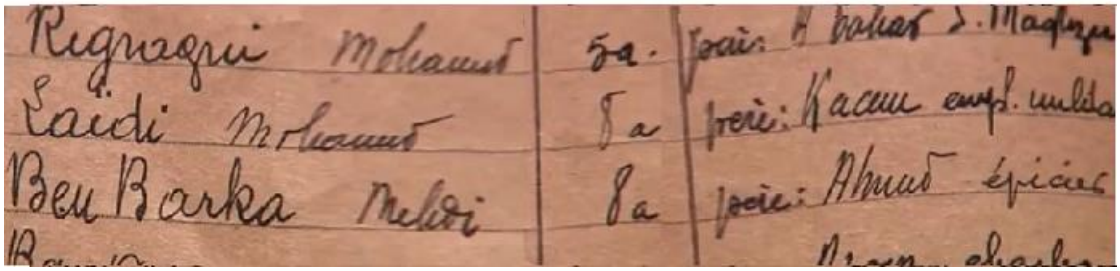

Regragui Mohamed	5a.	père: H. Bahar à Maghzen
Laidi Mohamed	8a	père: Kacem emplo. milita
Ben Barka Mehdi	8a	père: Ahmed épicier

اسم المهدي بن بركة في سجل مدرسة أبناء الوجهاء بالرباط.

المصدر، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte ، 2001.

ملحق رقم:01

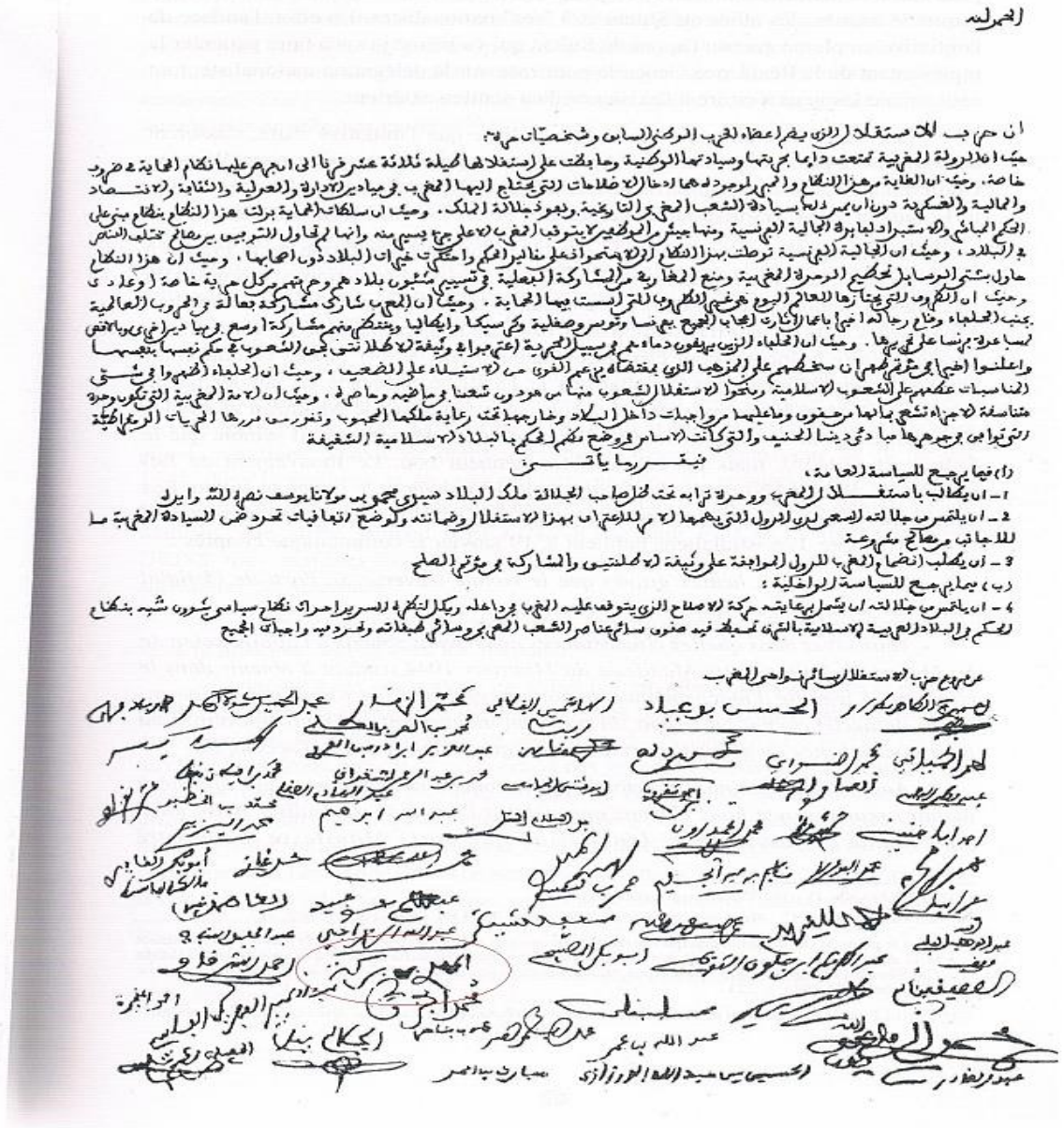

بيان الاستقلال، ويظهر إمضاء المهدي بن بركة، المصدر:

Bouaziz Mostafa, aux origines de la koutla démocratique ,edit : faculté des lettres,Casablanca ,1997.

ملحق رقم : 02

المملكة المغربية الشريفة — اللجنة الوطنية لبناء طريق الوحدة

شهادة

تشهد اللجنة الوطنية بأن الشاب السيد [illegible]
قد تطوع للعمل في بناء «طريق الوحدة» استجابة لنداء الذي وجهه جلالة الملك نصره الله
من مراكش يوم الجمعة ١٥ ذي القعدة عام ١٣٧٦ موافق يونيه سنة
وقد اشتغل بالورش ٦ في شهر يوليوز تحت رقم 3475 بوصفه متطوع
كما تابع الدروس الخاصة بالتربية الوطنية و بالتدريب العسكري
الرباط في ١٤ يوليوز 1957

رئيس اللجنة الوطنية
صاحب السمو الملكي ولي العهد

امضاء المتطوع:

التجنيد
لبناء صرح
الاستقلال

صورة للشهادة التي سلمت للمشاركين في طريق الوحدة المغربية، المصدر:

Bouaziz Mostafa, aux origines de la koutla démocratique ,edit : faculté des lettres,Casablanca ,1997.

الملحق رقم : 03.

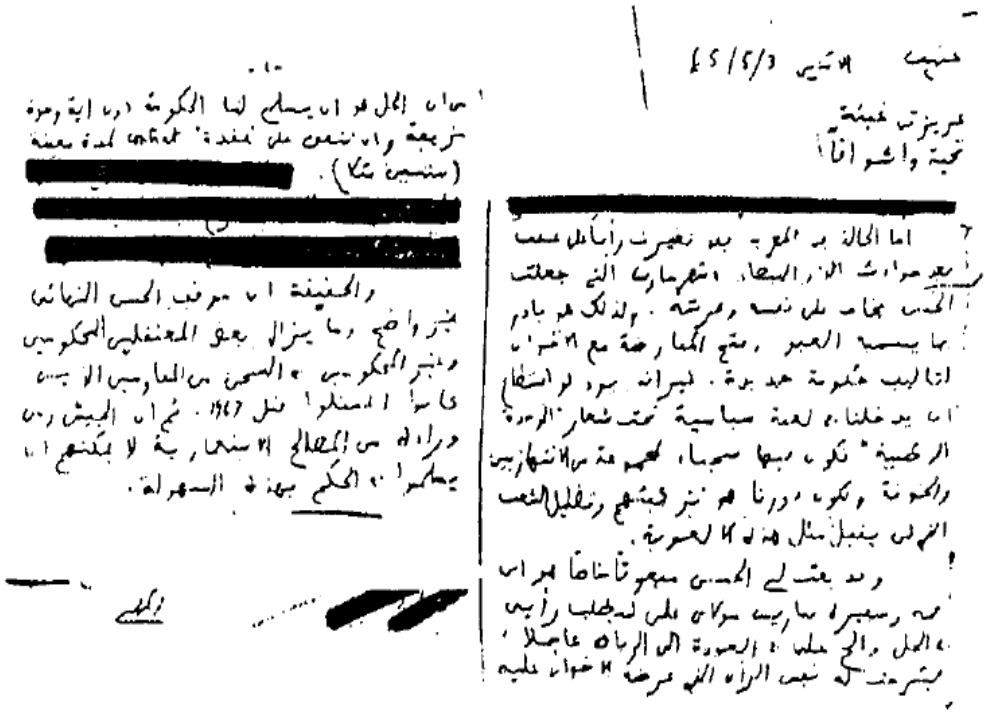

صورة رسالة المهدي بن بركة إلى زوجه السيدة غيثة بتاريخ [3 أيار/ مايو 1965 م]. جاك درجي ، فريديريك بلوكان ،
خفايا إغتيال المهدي بن بركة

ملحق رقم : 04.

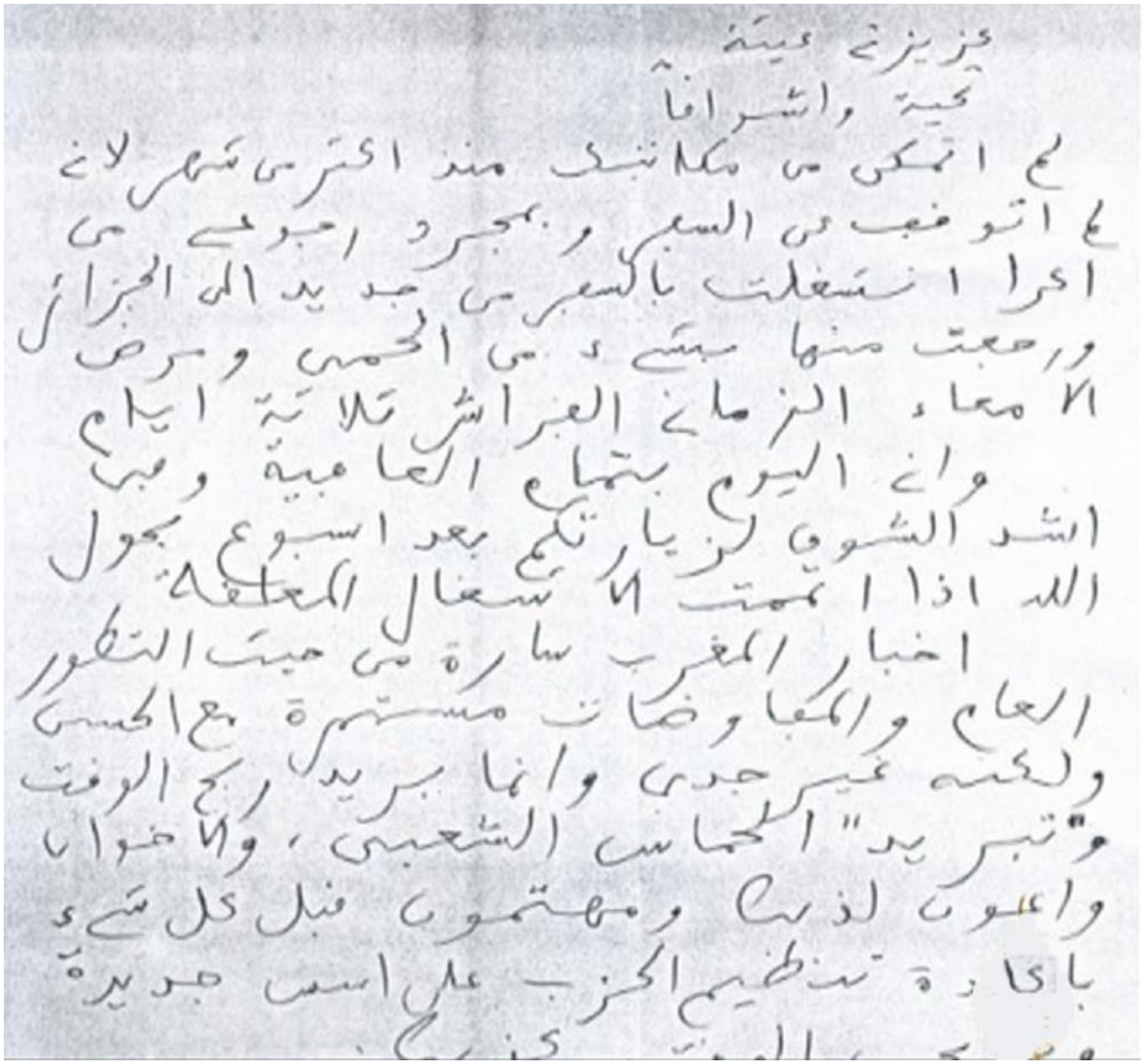

صورة من رسالة المهدي الثانية لزوجته، المصدر برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

ملحق رقم: 05.

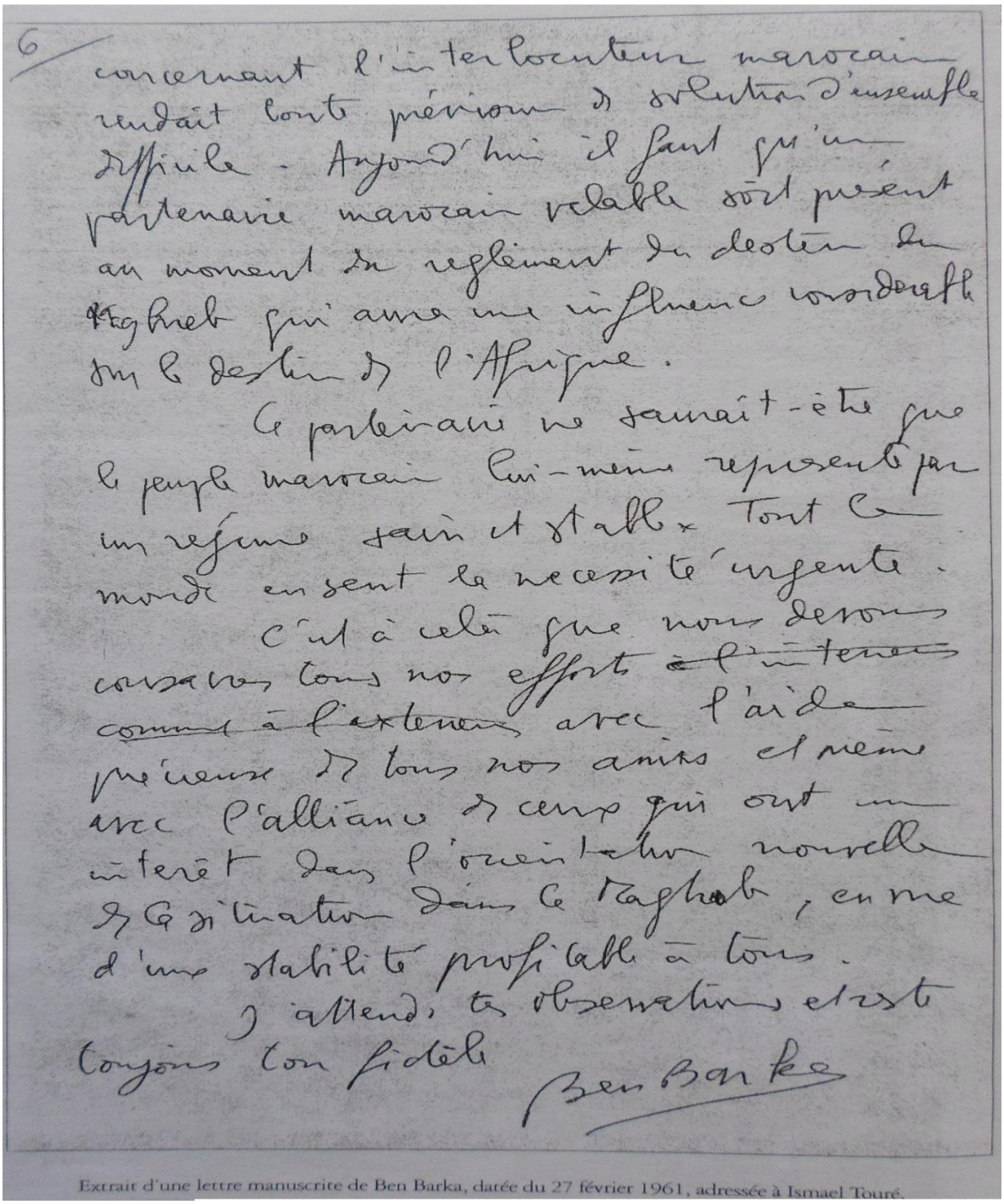

6/

concernant l'interlocuteur marocain rendait toute prévision d'évolution d'ensemble difficile. Aujourd'hui il faut qu'un partenaire marocain valable soit présent au moment du règlement du destin du Maghreb qui aura une influence considérable sur le destin de l'Afrique.

Ce partenaire ne saurait être que le peuple marocain lui-même représenté par un régime sain et stable. Tout le monde en sent la nécessité urgente.

C'est à cela que nous devons consacrer tous nos efforts ~~à l'intérieur comme à l'extérieur~~ avec l'aide précieuse de tous nos amis et même avec l'alliance de ceux qui ont un intérêt dans l'orientation nouvelle de l'évolution dans le Maghreb, en vue d'une stabilité profitable à tous.

J'attends tes observations et reste toujours ton fidèle

Ben Barka

Extrait d'une lettre manuscrite de Ben Barka, datée du 27 février 1961, adressée à Ismael Touré.

صورة لرسالة المهدي لإسماعيل توري، رئيس صندوق منظمة التضامن OSPAA،

المصدر: Zakya Daoud –Maati Monjib,Ben Berka, édition Michalon,Paris, 1996.

ملحق رقم : 06.

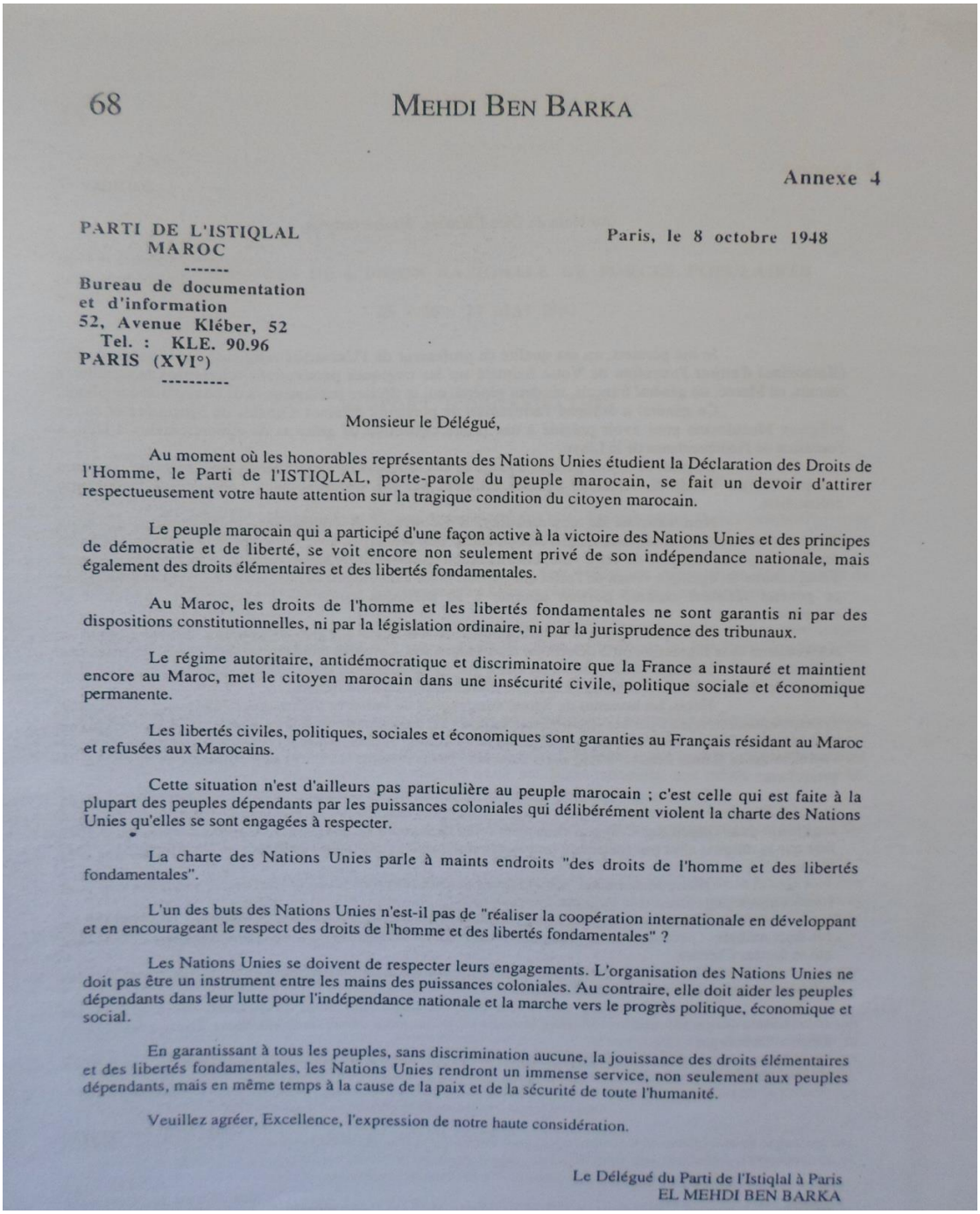

68 MEHDI BEN BARKA

Annexe 4

PARTI DE L'ISTIQLAL
MAROC

Bureau de documentation
et d'information
52, Avenue Kléber, 52
Tel. : KLE. 90.96
PARIS (XVI°)

Paris, le 8 octobre 1948

Monsieur le Délégué,

Au moment où les honorables représentants des Nations Unies étudient la Déclaration des Droits de l'Homme, le Parti de l'ISTIQLAL, porte-parole du peuple marocain, se fait un devoir d'attirer respectueusement votre haute attention sur la tragique condition du citoyen marocain.

Le peuple marocain qui a participé d'une façon active à la victoire des Nations Unies et des principes de démocratie et de liberté, se voit encore non seulement privé de son indépendance nationale, mais également des droits élémentaires et des libertés fondamentales.

Au Maroc, les droits de l'homme et les libertés fondamentales ne sont garantis ni par des dispositions constitutionnelles, ni par la législation ordinaire, ni par la jurisprudence des tribunaux.

Le régime autoritaire, antidémocratique et discriminatoire que la France a instauré et maintient encore au Maroc, met le citoyen marocain dans une insécurité civile, politique sociale et économique permanente.

Les libertés civiles, politiques, sociales et économiques sont garanties au Français résidant au Maroc et refusées aux Marocains.

Cette situation n'est d'ailleurs pas particulière au peuple marocain ; c'est celle qui est faite à la plupart des peuples dépendants par les puissances coloniales qui délibérément violent la charte des Nations Unies qu'elles se sont engagées à respecter.

La charte des Nations Unies parle à maints endroits "des droits de l'homme et des libertés fondamentales".

L'un des buts des Nations Unies n'est-il pas de "réaliser la coopération internationale en développant et en encourageant le respect des droits de l'homme et des libertés fondamentales" ?

Les Nations Unies se doivent de respecter leurs engagements. L'organisation des Nations Unies ne doit pas être un instrument entre les mains des puissances coloniales. Au contraire, elle doit aider les peuples dépendants dans leur lutte pour l'indépendance nationale et la marche vers le progrès politique, économique et social.

En garantissant à tous les peuples, sans discrimination aucune, la jouissance des droits élémentaires et des libertés fondamentales, les Nations Unies rendront un immense service, non seulement aux peuples dépendants, mais en même temps à la cause de la paix et de la sécurité de toute l'humanité.

Veuillez agréer, Excellence, l'expression de notre haute considération.

Le Délégué du Parti de l'Istiqlal à Paris
EL MEHDI BEN BARKA

صورة من تقرير المهدي بن بركة لهيئة حقوق الإنسان لمنظمة الأمم المتحدة، يوم 08 أكتوبر 1948 المصدر:

le colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale, organisé par université de Paris 8 et l'institut Maghreb-Europe , 17-18 novembre 1995, sous la direction de René Gallissot et Jacques Kergoat, Karthala,1997.

ملحق رقم : 07.

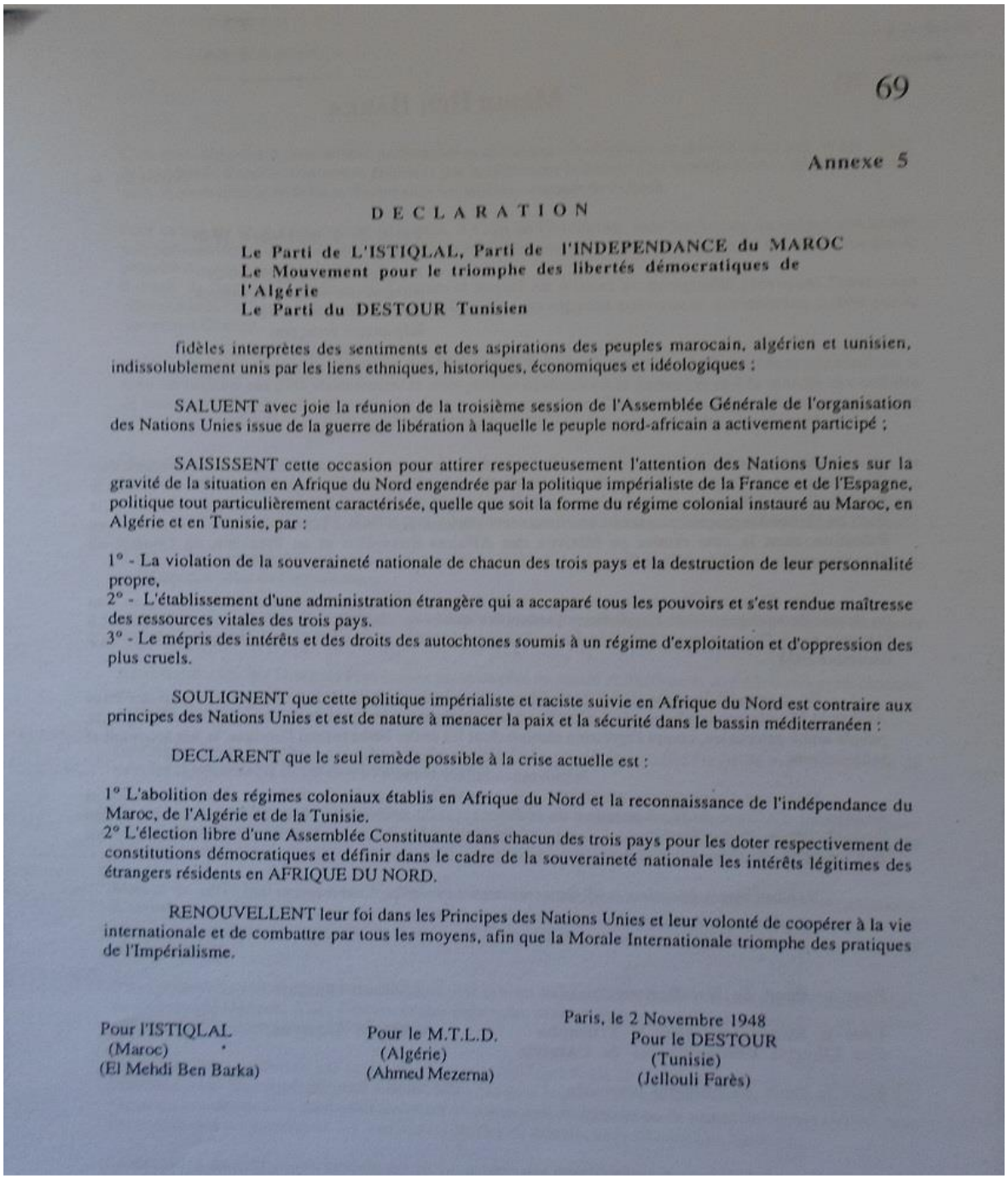

69

Annexe 5

DECLARATION

Le Parti de L'ISTIQLAL, Parti de l'INDEPENDANCE du MAROC
Le Mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques de l'Algérie
Le Parti du DESTOUR Tunisien

fidèles interprètes des sentiments et des aspirations des peuples marocain, algérien et tunisien, indissolublement unis par les liens ethniques, historiques, économiques et idéologiques :

SALUENT avec joie la réunion de la troisième session de l'Assemblée Générale de l'organisation des Nations Unies issue de la guerre de libération à laquelle le peuple nord-africain a activement participé ;

SAISISSENT cette occasion pour attirer respectueusement l'attention des Nations Unies sur la gravité de la situation en Afrique du Nord engendrée par la politique impérialiste de la France et de l'Espagne, politique tout particulièrement caractérisée, quelle que soit la forme du régime colonial instauré au Maroc, en Algérie et en Tunisie, par :

1° - La violation de la souveraineté nationale de chacun des trois pays et la destruction de leur personnalité propre,
2° - L'établissement d'une administration étrangère qui a accaparé tous les pouvoirs et s'est rendue maîtresse des ressources vitales des trois pays.
3° - Le mépris des intérêts et des droits des autochtones soumis à un régime d'exploitation et d'oppression des plus cruels.

SOULIGNENT que cette politique impérialiste et raciste suivie en Afrique du Nord est contraire aux principes des Nations Unies et est de nature à menacer la paix et la sécurité dans le bassin méditerranéen :

DECLARENT que le seul remède possible à la crise actuelle est :

1° L'abolition des régimes coloniaux établis en Afrique du Nord et la reconnaissance de l'indépendance du Maroc, de l'Algérie et de la Tunisie.
2° L'élection libre d'une Assemblée Constituante dans chacun des trois pays pour les doter respectivement de constitutions démocratiques et définir dans le cadre de la souveraineté nationale les intérêts légitimes des étrangers résidents en AFRIQUE DU NORD.

RENOUVELLENT leur foi dans les Principes des Nations Unies et leur volonté de coopérer à la vie internationale et de combattre par tous les moyens, afin que la Morale Internationale triomphe des pratiques de l'Impérialisme.

Paris, le 2 Novembre 1948

Pour l'ISTIQLAL
(Maroc)
(El Mehdi Ben Barka)

Pour le M.T.L.D.
(Algérie)
(Ahmed Mezerna)

Pour le DESTOUR
(Tunisie)
(Jellouli Farès)

صورة من نداء أحزاب شمال إفريقيا لمنظمة الأمم المتحدة، المصدر:

le colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale, organisé par université de Paris 8 et l'institut Maghreb-Europe , 17-18 novembre 1995, sous la direction de René Gallissot et Jacques Kergoat, Karthala,1997.

ملحق رقم : 08.

Annexe 6

Paris, le 2 décembre 1948

Monsieur Robert SCHUMAN
Ministre des Affaires Etrangères
du Gouvernement de la
République Française
QUAI D'ORSAY - PARIS

Monsieur le Ministre,

Au moment où le Conseil de sécurité s'apprête à examiner la demande d'admission du soi-disant Etat d'Israël au sein de l'organisation des Nations Unies, les trois Mouvements Nationaux d'Afrique du Nord : le Parti du Destour Tunisien, le Mouvement pour le Triomphe des Libertés démocratiques en Algérie, et le Parti de l'Istiqlal marocain, tiennent à réaffirmer leur position déjà prise à l'égard de l'agression sioniste en Palestine, dans la note remise au Ministre des Affaires Etrangères et au Président du Conseil du Gouvernement de la République Française le 24 mai 1948.

Sûrs d'exprimer les sentiments et la volonté de leurs pays respectifs, les trois mouvements se font un devoir de souligner toute l'importance particulière que vingt cinq millions de musulmans accordent à l'attitude que le Gouvernement de la République Française prendrait au Conseil de sécurité dans sa séance du 2 décembre 1948.

Ils expriment leur conviction profonde qu'une politique d'amitié de la France à l'égard des Pays Arabes et Musulmans implique nécessairement une attitude solidaire, pour le droit naturel et historique du peuple arabe palestinien, contre l'agression sioniste dont les seules bases restent l'intrigue, le fait accompli et le terrorisme.

Dans ces circonstances sanglantes que connait à présent la Terre Sainte, les pays arabes et musulmans d'Afrique du Nord attendent de la France qu'elle s'élève, aux côtés des Etats Arabes, contre l'attitude désinvolte des Sionistes qui, après avoir ensanglanté la Palestine, se proposent à présent d'obtenir du Conseil de sécurité une consécration de leur invasion criminelle.

Veuillez agréer, Monsieur le Ministre, nos sentiments de profond respect.

Pour le Parti du Neo-Destour tunisien : **(Jellouli Farès)**

Pour le Mouvement pour le Triomphe Des Libertés Démocratiques de l'Algérie **(Ahmed Mezerna)**

Pour le Parti de l'Istiqlal marocain **(El Medhi Ben Barka)**

صورة من رسالة أحزاب شمال إفريقيا لوزير الخارجية الفرنسي ، المصدر:
le colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale, organisé par université de Paris 8 et l'institut Maghreb-Europe , 17-18 novembre 1995, sous la direction de René Gallissot et Jacques Kergoat, Karthala,1997.

ملحق رقم : 09.

صور المهدي في المدرسة، المصدر برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق رقم : 10.

صور المهدي في المعتقل ، تالسينت ، قصر السوق، وأغبالو نكردوس، 1951-1954.

المصدر برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق رقم : 11

صورة لإحدى زيارة عائلة المهدي له في المعتقل

المصدر : برنامج بن بركة المعادلة المغربية،arte، 2001.

ملحق رقم : 12

صورة الوفد الاستقلالي الذي شارك في لقاء إيكس ليبان

المصدر : برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte ، 2001.

ملحق رقم : 13

صورة المهدي بن بركة يشرف على عودة الملك محمد الخامس.

المصدر :

http://www.gettyimages.fr/creative-images

ملحق رقم : 14

صورة بن بركة في حفل عودة الملك محمد الخامس.

المصدر : برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

ملحق رقم : 15

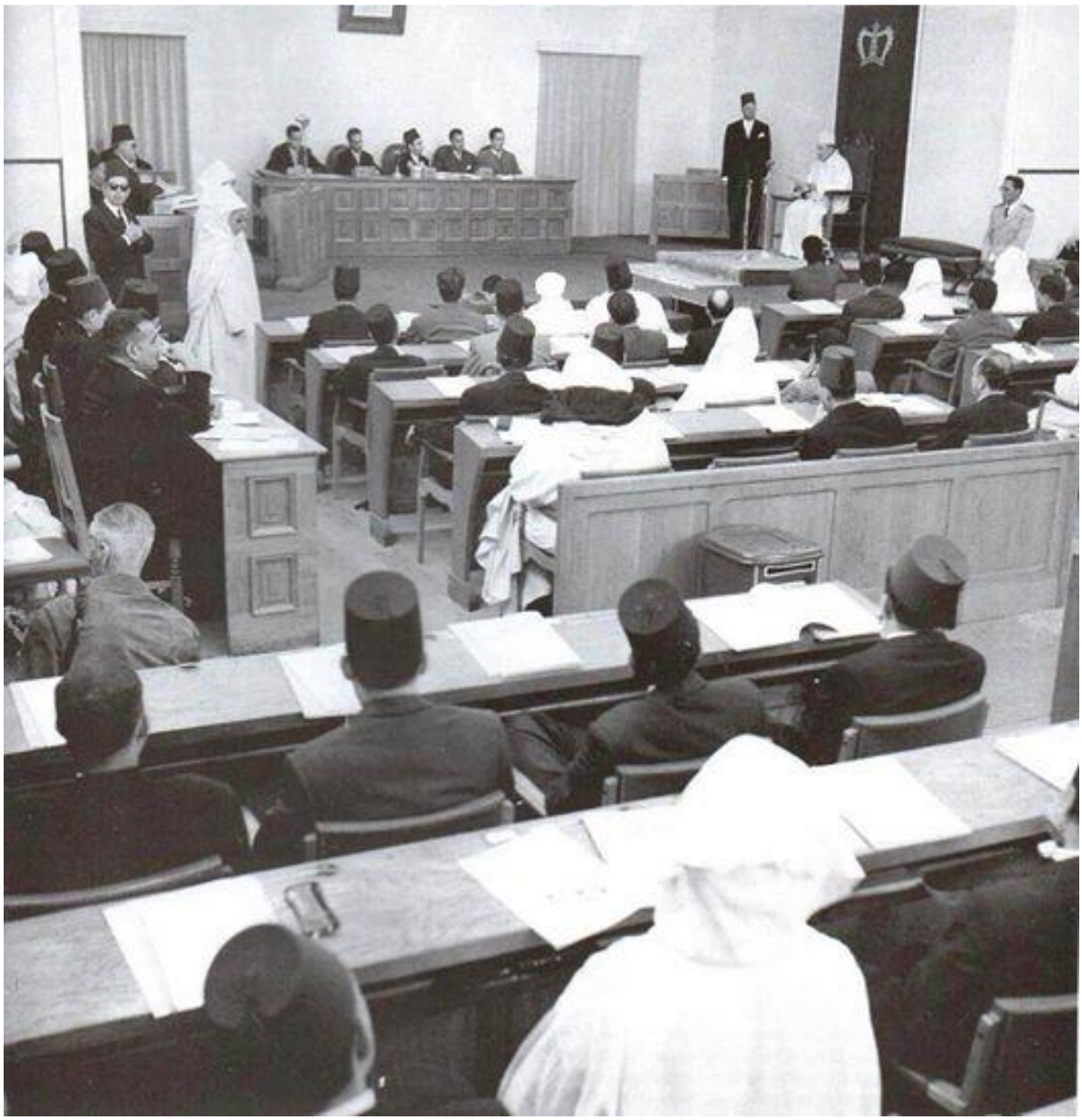

صورة المهدي بن بركة يترأس اجتماعا في الجمعية الوطنية الاستشارية

المصدر:

https://www.facebook.com/rif84?fref=ts

ملحق: 16.

صورة المهدي مع قيادات حزب الاستقلال سنوات الوفاق

المصدر: برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

ملحق رقم : 17.

صورة المهدي مع قيادات حزب الاستقلال والأمير لحسن.

المصدر: برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية ، 2012.

ملحق رقم : 18.

صور لبعض لقاءات المهدي مع زعماء العالم.

المصدر: برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

ملحق رقم : 19.

صور لبعض لقاءات المهدي مع زعماء العالم.

المصدر: برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق رقم : 20.

صورة المهدي في أحد زياراته الخارجية ، بأحد المصانع

المصدر: بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق، رقم : 21.

قيادة حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في أحد الاجتماعات

المصدر:

http://tarrykh.blogspot.com/2011/09/histoire-lunion-nationale-des-forces.html

ملحق رقم: 22.

صورة منصة المؤتمر الثاني للUNFP

المصدر:

http://www.houarapress.com/?p=13247

ملحق رقم : 23.

صورة المهدي بن بركة لحظة عودته من نفيه الاختياري الأول، 16 ماي 1962.

المصدر: برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

الملحق رقم : 24.

صورة المهدي بن بركة ، في تجمع الحملة الانتخابية لتشريعيات 1962 ، بيعقوب المنصور.

المصدر:

https://www.facebook.com/rif84?fref=ts

الملحق رقم : 25.

صورة المهدي بن بركة بعد حادث طريق الدار البيضاء- الرباط يوم 16 نوفمبر 1962.

المصدر: برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.

الملحق: 26.

صورة جلسة محاكمة أفراد الUNFP، في المؤامرة البلانكية، التي ترافع فيها اليوسفي

المصدر: بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق رقم: 27.

المهدي بن بركة بكوبا في تحضيراته لمؤتمر القارات الثلاث

المصدر: بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق رقم : 28.

التحرير

حديث خاص للسيد وزير الاقتصاد الوطني الى التحرير

التحرير

بوعبيد يقول: للمرة الاولى منذ سنوات عديدة يسجل الميزان التجاري رصيدا يبلغ 295 مليونا من الفرنكات المغربية

جريدة التحرير،

ملحق رقم : 29

UNE ÉPREUVE SALUTAIRE

OU LA LEÇON DU TAFILALET

Al-Istiqlal

HEBDOMADAIRE DU PARTI DE L'ISTIQLAL

Prix : 30 frs

EXAMEN DU BUDGET 1957

LE BUDGET 1956 EST ENFIN ÉTABLI

Al-Istiqlal

HEBDOMADAIRE DU PARTI DE L'ISTIQLAL

Prix : 30 frs

L'EST-IL SOUS LE signe de l'austérité ?

L'ETERNEL COMPLOT

جريدة الاستقلال

ملحق رقم : 30

شروط الإصلاح الزراعي في المغرب

بقلم الأستاذ المهدي بن بركة
نقلها إلى العربية: ابن العربي

مغرب الحسن الثاني

شروط الإصلاح الزراعي في المغرب

بقلم الأستاذ المهدي بن بركة
نقلها إلى العربية: ابن العربي

العوامل التي عرقلت الثورة الاجتماعية

الاتحاد السوفياتي

الشعب

يومية إخبارية وطنية

المتهم الأول في قضية اختطاف بن بركة يكشف عن معلومات خطيرة

جريدة الشعب،

ملحق رقم : 31.

مقال الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف، جريدة الشعب، عدد:99، 06 أبريل 1963.

ملحق رقم :32.

المهدي بن بركة في سن الرابعة والعشرين

المصدر: بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق رقم: 33.

عبد الرحمن اليوسفي في "دار المقري" غشت 1963

رفاق بن بركة في السجن بعد حوادث المؤامرة البلانكية 1963، والصور ملتقطة بمركز دار المقري، للتعذيب والاستنطاق.

المصدر:
https://www.facebook.com/ril
?fref

عمر بن جلون في دار المقري

ملحق رقم : 34.

بوشعيب الحريري

مناضلون جزائريون ومغاربة في القاهرة ، ينسقون لإطلاق الكفاح المسلح سنة 1954.

المصدر:

http://ar.wikipedia.org/wiki/H أحمد_بن_بلة

ملحق رقم :35.

علال الفاسي ، أحمد بلافريج، عبد الرحيم بوعبيد، عمر بن عبد الجليل

المصدر: بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق رقم : 36.

شيخ العرب

عباس المسيعدي

عبد الكريم بن عبد الله

المصدر:

http://www.alhoukoul.com/article/7108

بن بركة المعادلة المغربية،arte ، 2001.

ملحق رقم: 37 .

عائلة المهدي بن بركة في القاهرة سنة 1965.

المصدر: بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.

ملحق رقم : 38.

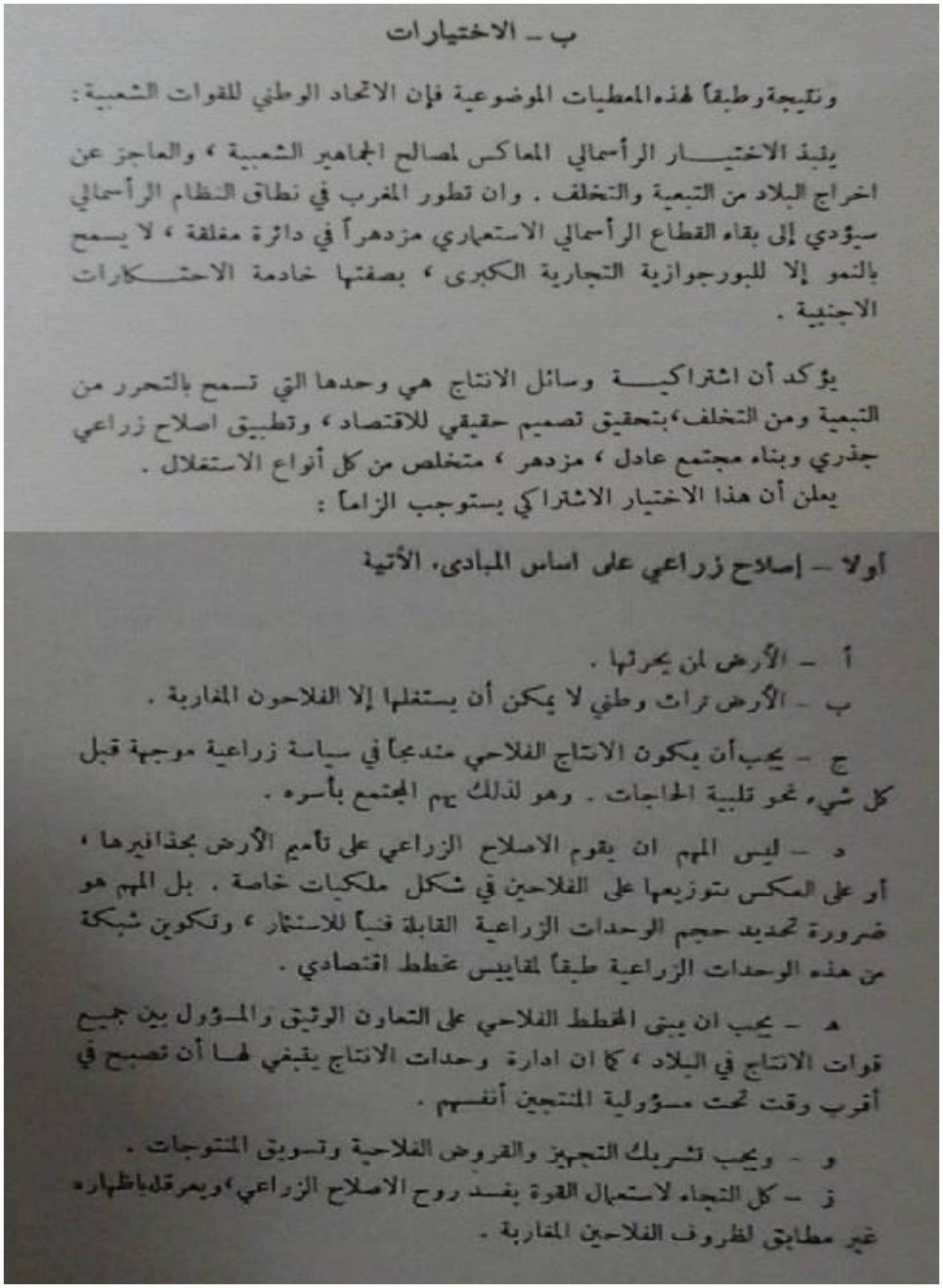

ب ـ الاختيارات

ونتيجة وطبقاً لهذه المعطيات الموضوعية فإن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية:

ينبذ الاختيـــار الرأسمالي المعاكس لمصالح الجماهير الشعبية ، والعاجز عن اخراج البلاد من التبعية والتخلف . وان تطور المغرب في نطاق النظام الرأسمالي سيؤدي إلى بقاء القطاع الرأسمالي الاستعماري مزدهراً في دائرة مغلقة ، لا يسمح بالنمو إلا للبورجوازية التجارية الكبرى ، بصفتها خادمة الاحتـــكارات الاجنبية .

يؤكد أن اشتراكيـــة وسائل الانتاج هي وحدها التي تسمح بالتحرر من التبعية ومن التخلف، بتحقيق تصميم حقيقي للاقتصاد ، وتطبيق اصلاح زراعي جذري وبناء مجتمع عادل ، مزدهر ، متخلص من كل أنواع الاستغلال .

يعلن أن هذا الاختيار الاشتراكي يستوجب الزاماً :

أولا ـ إصلاح زراعي على اساس المبادىء الأتية

أ ـ الأرض لمن يحرثها .

ب ـ الأرض تراث وطني لا يمكن أن يستغلها إلا الفلاحون المغاربة .

ج ـ يجب أن يكون الانتاج الفلاحي مندمجاً في سياسة زراعية موجهة قبل كل شيء نحو تلبية الحاجات . وهو لذلك يهم المجتمع بأسره .

د ـ ليس المهم ان يقوم الاصلاح الزراعي على تأميم الأرض بحذافيرها ، أو على العكس بتوزيعها على الفلاحين في شكل ملكيات خاصة . بل المهم هو ضرورة تحديد حجم الوحدات الزراعية القابلة فنياً للاستثمار ، وتكوين شبكة من هذه الوحدات الزراعية طبقاً لمقاييس مخطط اقتصادي .

هـ ـ يجب ان يبنى المخطط الفلاحي على التعاون الوثيق والمسؤول بين جميع قوات الانتاج في البلاد ، كما ان ادارة وحدات الانتاج ينبغي لها أن تصبح في أقرب وقت تحت مسؤولية المنتجين أنفسهم .

و ـ ويجب تشريك التجهيز والقروض الفلاحية وتسويق المنتوجات .

ز ـ كل التجاء لاستعمال القوة يفسد روح الاصلاح الزراعي، ويعرقل مظاهره غير مطابق لظروف الفلاحين المغاربة .

برنامج الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذي رسمه المؤتمر الثاني، ج1

المصدر: ملحق كراس الاختيار الثوري ، طبع دار الطليعة، بيروت، 1966.

ملحق رقم: 39

ثانياً – سياسة اقتصادية تتضمن

أ – تحويلا جذرياً لهيا كل الاقتصادالوطني بتنسيق منطقي،وإدماج مختلف النشاطات القطاعية ، طبقاً لمقاييس وآفاق تصميم الاقتصاد لصالح الشعب .

ب – تحقيق سياسة تخطيطية للتصنيع ، تضع في المقام الأول اقامة صناعة ثقيلة في نطاق نظام اشتراكي ، تكون قادرة على الاسهام بفعالية في التجهيز الذاتي السريع للبلاد .

ج – الاعتماد على الرأسمال البشري ، وتوظيفه من اجل تحويل الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية .

ج – المغرب العربي والتعاون الدولي

يؤكد المؤتمر أن وحدة المغرب العربي ، لا يمكن بأي حال من الأحوال ، أن تكون هدية من السياسيين ، أو موضوع مساومات .

ولا يمكن أن تكون إلا من صنع الجماهير الواعية المنظمة داخل النقابات العمالية والفلاحية والحركات التقدمية ، والاتحادات الطلابية ، ومنظمات الشباب والنساء والمنظمات المهنية للحرفيين .

إن وسائل تحقيق الوحدة لها نفس الأهمية التي للوحدة في مواقفها الثورية ، حيث أن المغرب العربي ، هو اطار وليس غاية ، في حد ذاته .

– لا يمكن فصل معركة الوحدة عن معركة الديموقراطية ، التي يجب أن تكون أداتها الوحيدة الفعالة حركة موحدة للجماهير ، قادرة على تعبئة الطاقة الخلاقة الكامنة في شعوب المغرب العربي .

– هذه الوحدة تدخل في أفق أوسع للوحدة العربية والافريقية ، يجب تحقيقها طبقاً لنفس المبادىء .

– ان معركة الشعب المغربي ، متداخلة مع المعركة التي تخوضها جميع الشعوب التي تحارب التخلف في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية . والواقع أن

برنامج الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذي رسمه المؤتمر الثاني، ج2

المصدر: ملحق كراس الاختيار الثوري ، طبع دار الطليعة، بيروت، 1966.

ملحق رقم : 40

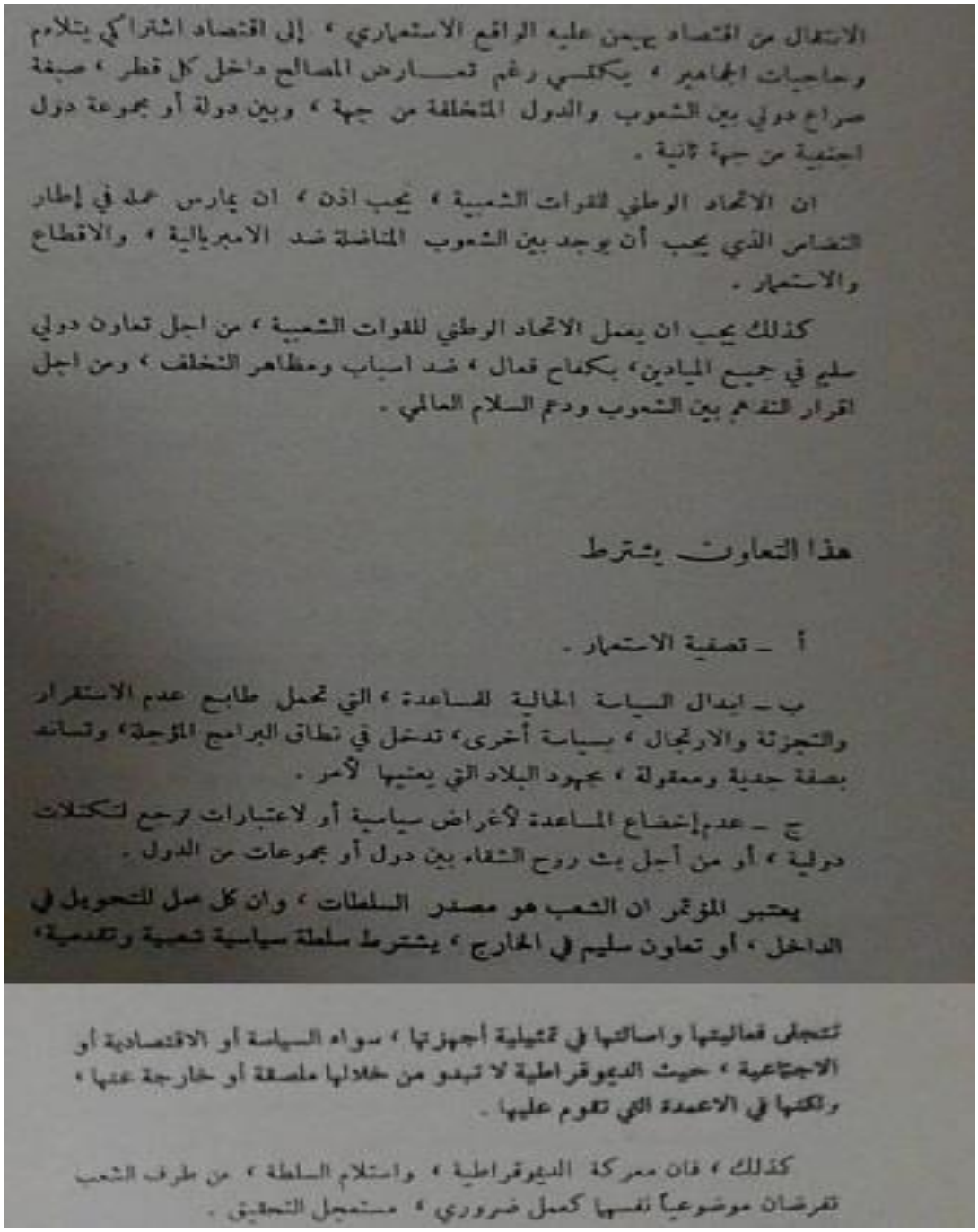

الانتقال من اقتصاد يهيمن عليه الواقع الاستعماري ، إلى اقتصاد اشتراكي يتلاءم وحاجيات الجماهير ، يكتسي رغم تعارض المصالح داخل كل قطر ، صبغة صراع دولي بين الشعوب والدول المتخلفة من جهة ، وبين دولة أو مجموعة دول اجنبية من جهة ثانية .

ان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، يجب اذن ، ان يمارس عمله في إطار التضامن الذي يجب أن يوجد بين الشعوب المناضلة ضد الامبريالية ، والاقطاع والاستعمار .

كذلك يجب ان يعمل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، من اجل تعاون دولي سليم في جميع الميادين، بكفاح فعال ، ضد اسباب ومظاهر التخلف ، ومن اجل اقرار التفاهم بين الشعوب ودعم السلام العالمي .

هذا التعاون يشترط

أ ـ تصفية الاستعمار .

ب ـ ابدال السياسة الحالية للمساعدة ، التي تحمل طابع عدم الاستقرار والتجزئة والارتجال ، بسياسة أخرى، تدخل في نطاق البرامج المؤجلة، وتساند بصفة جدية ومعقولة ، مجهود البلاد التي يعنيها الأمر .

ج ـ عدم إخضاع المساعدة لأغراض سياسية أو لاعتبارات ترجع لتكتلات دولية ، أو من أجل بث روح الشقاء بين دول أو مجموعات من الدول .

يعتبر المؤتمر ان الشعب هو مصدر السلطات ، وان كل عمل للتحويل في الداخل ، أو تعاون سليم في الخارج ، يشترط سلطة سياسية شعبية وتقدمية، تتجلى فعاليتها واصالتها في تمثيلية أجهزتها ، سواء السياسة أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، حيث الديموقراطية لا تبدو من خلالها ملصقة أو خارجة عنها ، ولكنها في الاعمدة التي تقوم عليها .

كذلك ، فان معركة الديموقراطية ، واستلام السلطة ، من طرف الشعب تفرضان موضوعياً نفسها كعمل ضروري ، مستعجل التحقيق .

برنامج الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذي رسمه المؤتمر الثاني، ج3

المصدر: ملحق كراس الاختيار الثوري ، طبع دار الطليعة، بيروت، 1966.

ملحق رقم: 41

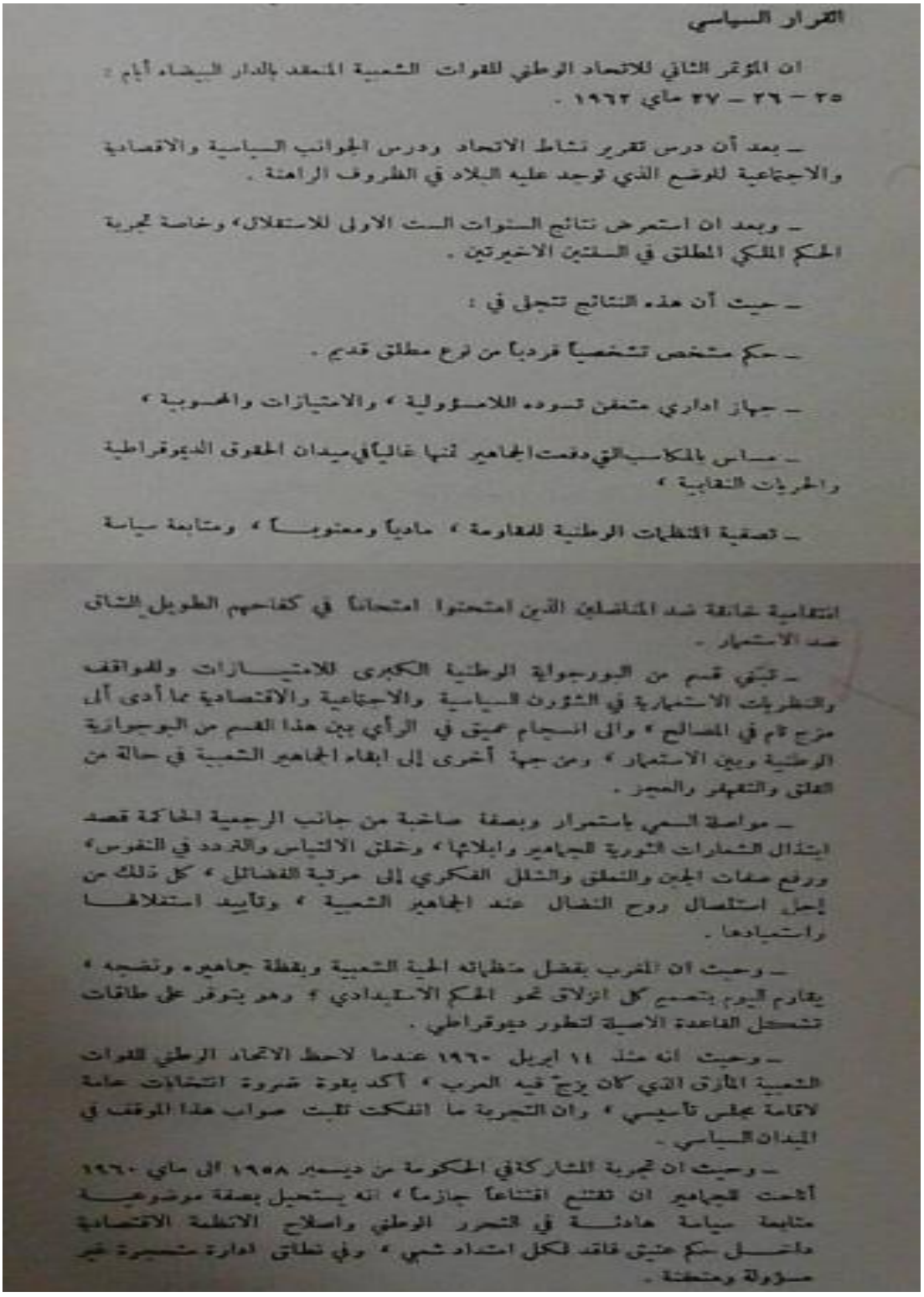

القرار السياسي

ان المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني للقوات الشعبية المنعقد بالدار البيضاء أيام : ٢٥ – ٢٦ – ٢٧ ماي ١٩٦٢ .

– بعد أن درس تقرير نشاط الاتحاد ودرس الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للوضع الذي توجد عليه البلاد في الظروف الراهنة .

– وبعد ان استعرض نتائج السنوات الست الاولى للاستقلال، وخاصة تجربة الحكم الملكي المطلق في السنتين الاخيرتين .

– حيث أن هذه النتائج تتجلى في :

– حكم متخلف تشخصياً فردياً من نوع مطلق قديم .

– جهاز اداري متفسخ تسوده اللامسؤولية ، والامتيازات والمحسوبية ،

– مساس بالمكاسب التي دفعت الجماهير ثمنها غالياً في ميدان الحقوق الديموقراطية والحريات النقابية ،

– تصفية التنظيمات الوطنية للمقاومة ، مادياً ومعنوياً ، ومتابعة سياسة انتقامية خانقة ضد المناضلين الذين امتحنوا امتحاناً في كفاحهم الطويل الشاق ضد الاستعمار .

– تبني قسم من البورجوازية الوطنية الكبرى للامتيازات والمواقف والنظريات الاستعمارية في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية مما أدى الى مزج تام في المصالح ، والى انسجام عميق في الرأي بين هذا القسم من البورجوازية الوطنية وبين الاستعمار ، ومن جهة أخرى إلى ابقاء الجماهير الشعبية في حالة من القلق والتقهقر والعجز .

– مواصلة السعي باستمرار وبصفة صاخبة من جانب الرجعية الحاكمة قصد ابتذال الشعارات الثورية للجماهير وابلائها ، وخلق الالتباس والتردد في النفوس، ورفع صفات الجبن والتملق والشلل الفكري إلى مرتبة الفضائل ، كل ذلك من أجل استئصال روح النضال عند الجماهير الشعبية ، وتأبيد استغلالها واستعبادها .

– وحيث ان المغرب بفضل منظماته الحية الشعبية وبقظة جماهيره ونضجه ، يقارع اليوم بتصميم كل انزلاق نحو الحكم الاستبدادي ، وهو يتوفر على طاقات تشكل القاعدة الاصلية لتطور ديموقراطي .

– وحيث انه منذ ١١ ابريل ١٩٦٠ عندما لاحظ الاتحاد الوطني للقوات الشعبية المأزق الذي كان يزج فيه المغرب ، أكد بقوة ضرورة انتخابات عامة لاقامة مجلس تأسيسي ، وان التجربة ما انفكت تثبت صواب هذا الموقف في الميدان السياسي .

– وحيث ان تجربة المشاركة في الحكومة من ديسمبر ١٩٥٨ الى ماي ١٩٦٠ أتاحت للجماهير ان تقتنع اقتناعاً جازماً ، انه يستحيل بصفة موضوعية متابعة سياسة هادفة في التحرر الوطني واصلاح الانظمة الاقتصادية داخل حكم حتيق فاقد لكل امتداد شعبي ، وفي نطاق ادارة متحيزة غير مسؤولة ومتعفنة .

برنامج الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذي رسمه المؤتمر الثاني، ج4

المصدر: ملحق كراس الاختيار الثوري ، طبع دار الطليعة، بيروت، 1966.

ملحق رقم: 42

ـ وحيث ان تجربة الجالس البادية والقروية أثبتت أن سلوك الحكم الملكي المطلق ، يقوم على الحـــذر تجاه الجماهير الشعبية ، ويتجلى في العرقلة المنظمة والاستفزاز والاعتقال والسجن والتحديات التي يلاقيها المنتخبون في هذه المجالس .

ـ وحيث انه بينما ترفض الملكية المطلقة اعطاء الكلمة للشعب فإنها تستعد لاصدار دستور ممنوح يضعه لها فنيون اجانب .

ـ وحيث أن اسلوب معالجة القضايا الوطنية الكبرى ، وخاصة منها تحرير أجزاء الوطن التي ما زالت تحت الاستعمار المباشر وغير المباشر من طرف الحكم المطلق قوّت كل الفرص بسبب الارتجال والتصرفات المتناقضة مما أدى مثلا الى خلق البلبلة والحيرة في نفوس العناصر الوطنية المخلصة داخل موريطانيا نفسها ، والى فسح المجال لوحدة مزيفة تسدل مشروعية على الاستعمار الجديد المسيطر من طنجة الى السينغال ..

ـ وحيث ان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ما فتىء يعبر عن سخط الجماهير الشعبية على هذه الاوضاع الفاسدة ، وينذر بسوء عواقب السياسة المرتجلة المتجاهلة للارادة الشعبية ، ويعرض الحلول الناجعة التي تضع المصلحة الوطنية العليا فوق كل اعتبار مثلما فعل في مذكرته المؤرخة في ١٤ مارس ١٩٦١ .

١ ـ يؤكد المؤتمر العام ان نظام الحكم بالمغرب في الظروف الراهنة لا يخرج أساسا عن أحد أمرين : أما أن يكون شعبيا تقدميا وأما أن يكون على العكس مبنيا على القوة ، مدعما من قبل الاستعمار الجديد ومستمدا نفوذه من الخارج .

٢ ـ يفضح المؤامرة المبيتة ضد الشعب المغربي في تحضير دستور يصنع في الخفاء ويتواطؤ مع الاجانب .

٣ ـ يعلن انه لا سبيل للخروج من المأزق الذي زج فيه المغرب الحكم الملكي المطلق ، الا باقامة حكومة تتمتع بثقة الجماهير الشعبية ، تسهر على تنظيم انتخابات حرة لمجلس تأسيسي يضع الدستور الذي ينظم الحكم ، ويلبي مطامح الشعب في الديموقراطية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

٤ ـ يترك لاجهزة الاتحـــاد المختصة لكي تعمل على تحقيق هذا الهدف المستميل بالوسائل التي تراها مناسبة .

٥ ـ يعتبر ان نجاح خطة الاتحاد السياسية ، وتحقيق الاهداف التي يرسمها التقرير المذهبي ، متوقف على احكام تنظيم الاتحاد الوطني وتعبئة سائر الفئات الجماهيرية العمالية والفلاحية والمهنية والطلابية والنسائية ، والمحافظة على وحدتها ويقظتها ، وعلى رفع وعيها الى مستوى المسؤوليات التي يواجهها المغرب في الداخل والخارج .

٦ ـ يوجه النداء الى سائر المواطنين والمواطنات لكي يتجندوا في انطلاق ثوري ، يفيض أخوة وتفاؤلا من اجل بناء مغرب متحرر تقدمي رقيه يخدم المثل الانسانية والسلام .

برنامج الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذي رسمه المؤتمر الثاني، ج5

المصدر: ملحق كراس الاختيار الثوري ، طبع دار الطليعة، بيروت، 1966.

ملحق رقم: 43

قائمة المصـادر و المراجـع.

أولا: الوثائق الأرشيفية

أ– الوثائق المصورة.

1- صورة لوثيقة بيان الاستقلال.

2- صورة لوثيقة تسجيل المهدي في مدرسة أبناء الوجهاء.

3- صورة للشهادة الشرفية التي أعطيت للشباب المشارك في طريق الوحدة المغربية.

4- صورة لرسالة المهدي لإسماعيل توري، 27 فيفري 1961.

5- صورة لرسالة المهدي لزوجته (1).

6- صورة لرسالة المهدي لزوجته بالقاهرة، 05 ماي 1965 (2).

7- مجموعة صور فوتوغرافية للمهدي عبر مساره.

ب– الوثائق المطبوعة.

باللغة العربية:

1 – بن بركة المهدي، الاختيار الثوري، دار الطليعة بيروت، 1966.

2 – بن بركة المهدي، نحو مجتمع جديد، محاضرة ، تطوان، 31 جويلية 1958، نشر محمد عابد الجابري، سلسلة مواقف، عدد:06، أوت 2002، دار النشر المغربية، 2002.

3 – بن بركة المهدي، مسؤوليتنا، محاضرة ،الدار البيضاء، 19 ماي 1957، نشرها محمد عابد الجابري، سلسلة مواقف، عدد:06، أوت 2002، دار النشر المغربية، 2002.

4 – بن بركة المهدي، إسرائيل في إفريقيا، وثيقة مطبوعة، القسم الثالث من كتاب الاختيار الثوري.

5 – بن بركة المهدي، محاضرة كيان المجتمع المغربي، مركز الدراسات الإسلامية،28 نوفمبر1959.

6 – بن بركة المهدي، تقرير المقدم لمنظمة التضامن الأفرو أسيوي، 15نوفمبر،1960، وثيقة مطبوعة، القسم الثاني، كتاب الاختيار الثوري، دار الطليعة ،بيروت، 1966.

7 – بيان المهدي لشجب اعتداء المغرب،17 أكتوبر1963، ملحق رقم: 04، الاختيار الثوري، دار الطليعة، بيروت، 1966.

8 - بيان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية رقم: 03، يوم: 17ماي 1963، وثيقة مطبوعة ، ملحق، الاختيار الثوري، دار الطليعة، بيروت، 1966.

9 – بيان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بمناسبة انتخابات مجلس النواب، 02 ماي 1963، وثيقة مطبوعة، ملحق الاختيار الثوري، دار الطليعة، بيروت، 1966.

10- آيت إيدر محمد بن سعيد، وثائق جيش التحرير في جنوب المغرب، نشر مركز محمد بن سعيد آيت إيدر، الدار البيضاء، 2011.

11 - ميثاق المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وثيقة مطبوعة، ملحق الاختيار الثوري، دار الطليعة، بيروت، 1966.

12- القانون الأساسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وثيقة مطبوعة، ملحق الاختيار الثوري، دار الطليعة، بيروت، 1966.

13- قرارات المؤتمر الثاني للUNPF، ملحق رقم : 02، الاختيار الثوري ، دار الطليعة ، بيروت، 1966.

باللغة الفرنسية:

14- Rapport du Mehdi BenBarka, aux ONU,08,October1948, colloque Mehdi Ben Berka de l'indépendance a la tricontinentale, karthala,paris,1997.

15 - Correspondence des Partis d'Afrique du Nord aux Ministre des Affaires Etrangères Française,02 Décembre1948, de l'indépendance a la tricontinentale. colloque Mehdi Ben Berka, karthala,paris,1997.

16 - Déclaration des Partis d'Afrique du Nord aux ONU,02 Novembre1948, de l'indépendance a la tricontinentale. colloque Mehdi Ben Berka, karthala,paris,1997.

17 - Rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella, traduit par Abderrahmane El youssefi, publie par

colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale, karthala,paris,1997.

ثانيا: الشهادات الشفهية.

1- آيت إيدر محمد بن سعيد، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.
2- بوشتا أمحمد، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.
3- بوتان موريس، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائيقية، 2012.
4- بلوكان فريديريك، صحفي، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائيقية،2012.
5- بناني عثمان، صهر بن بركة، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.
6- بن بلة أحمد (الرئيس)، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.
7- بن بركة زبيدة (شقيقة المهدي الصغرى)، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.
8- بن بركة المهدي، كلمة مسجلة أمام الشباب المشارك في طريق الوحدة، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.
9- بن بركة المهدي، كلمة في مهرجان الاحتفال بعودة الملك، 18، نوفمبر 1955.برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائيقية، 2012.
10- بن بركة عبد القادر، تسجيل مصور، 31 أكتوبر 1965، برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.
11- بن عمرو عبد الرحمن، امين عام حزب الطليعة و الديمقراطي الاشتراكي،برنامج بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية، 2012.
12- البصري الفقيه، برنامج المعادلة المغربية، arte، 2001.
13- برادة حميد، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte، 2001.
14- البخاري أحمد، برنامج لقاء اليوم، الجزيرة، 2001.
15- جبرو عبد اللطيف، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.
16- ديغول شارل (الرئيس)، تسجيل مصور، برنامج بن بركة اللغز،الجزيرة الوثائقية،2012.
17- اليازيغي محمد، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.

18- اليوسفي عبد الرحمن ، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.
19- كليري فرنسوا، طبيب محمد الخامس الخاص، القناة التلفزيونية الفرنسية الثالثة.
20- مبارك زكي، صحفي، بن بركة اللغز، الجزيرة الوثائقية ، 2012.
21- ناكديمون شلومو، صحفي إسرائيلي، برنامج بن بركة اللغز،الجزيرة الوثائقية، 2012.
22- عواد أمحمد، سكرتير المهدي بن بركة، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.
23- عثمان أحمد، مدير سابق للديوان الملكي، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.
24- فرج محمد (ماو)مناضل يساري، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.
25- القادري أبوبكر، برنامج المعادلة المغربية، arte، 2001.
26- تابات جون، برنامجبن بركة المعادلة المغربية، arte،2001.

ثالثا: الكتب والمذكرات.

أ- باللغة العربية.

1-أوفقير فاطمة، حدائق الملك، تر: حسن عمر، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010.
2-أشقرا عثمان، الحركة الاتحادية أو مسار فكرة تقدمية 1959-1999، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001.
3- بيرو جيل، صديقنا الملك، تر: ميشيل خوري، دار الطباعة للنشر والتوزيع، دمشق، 2002.
4-بلقزيز عبد العزيز، مفضال العربي، البقالي أمينة، الحركة الوطنية المغاربية والمسألة القومية، م د و ع، بيروت، 1992.
5- بن بركة المهدي ، مقدمة أطروحة لحبابي، الحكومة المغربية في القرن العشرين، 1957.
6- بنونة الطيب، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، ط1، مطبعة دار الأمل، طنجة، 1980.
7- بن عزوز محمد، أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة حياته ونضاله.

8- جبرو عبد اللطيف، المهدي بن بركة، الرياضيات مدرسة للوطنية ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ،1986.
9- الجراري عبد الله، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، مطبعة الأمنية، الرباط،ط1، 1971، ج1،ج2.
10- ديرجي جاك، بلوكان فردريك، خفايا اغتيال المهدي بن بركة –كشف جريمة دولية، تر: محمد صبح، قدمس، بيروت، 2006.
11- الوزاني محمد حسن ، مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية- مرحلة الانطلاق والكفاح 1930-1934، مؤسسة محمد حسن الوزان، الطبعة الأولى، 1984.
12- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، مذكرات، دار البصائر، 2009.
13- معنينو الحاج أحمد، المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956-1959،ط1، الدار البيضاء، 1986.
14- السوسي مختار، معتقل الصحراء، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ،2011.
15- القادري أبو بكر، مذكراتي في الحركة الوطنية 1930-1940، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992،ج1.
16- غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية المغربية ،مطبعة الرسالة، الرباط ،1987ج1،ج2.
17- غلاب عبد الكريم، قصة المواجهة بين المغرب والغرب،دار الغرب،الإسلامي، بيروت، د س.

ب- باللغة الفرنسية.

1- BALTA Paul, le Grand Magreb,des indépendance a l'an 2000 ,laphomic , paris ,alger ,1990.
2-BEN BARKA Abdelkader,El mehdi ben Benbarka mon frère, Robert Lafont, paris , 1966.
3-BEN BARKA Bachir, Mehdi Ben barka recueil de textes, CETIM, Geneve, 2013.

4-BEN BARKA Mehdi ,jacques Berque et d'autre la réforme agraire au Maghreb, François Maspéro, paris,1966.
5-BEN BARKA Mehdi, problèmes d'édification du Maroc et du Maghreb , 4 entretiens avec Ben barka, Tribune libre , recueillis par Raymond Jean , Plon, paris, 1959.
6-BOUAZIZ Mostafa, aux origines de la koutla démocratique ,edit : faculté des lettres,Casablanca ,1997.
7-BOUKHARI Ahmed, le secret –Benbarka et le Maroc, Lafon, Cedex, 2002.
8-BOUREQUAT Ali-Augste, Tazmamart dix-huit ans de solitude, recueilli par Francois Thibaux, Lafon, paris,1993.
9-BUTTIN Maurice, Ben Barka, Hassan II, De Gaulle: ce que je sais d'eux, Karthala, paris,2010.
10- CAVIGLIOLI François, Ben Barka chez les juges, la table ronde, 1967.
11- CHAFFARD Georges, Les Carnets secrets de la décolonisation, Calmann-levy, Paris,p :1967.
12- CLEMENT Claude, Oufkir,édit :Jean Dullis, Paris, 1974.
13- DAOUD Zakya – MONDJIB Maati,Ben Barka, édition Michalon,Paris, 1996.
14- DIOURI Moumen , réalités marocaines-la dynastie allaouite de l'usurpation al'impasse Harmattan,paris,1987.

15- DIOURI Moumen, réquisitoire contre un despote, pour une république au Maroc, edit Albatros, Paris,s a.
16- FAJANS Roman, alert en Afrique du nord, J.Pyronnet et cie,1953.
17- GAUDIO Attilio , Allal Elfassi ou l'histoire de l'istiqllal, edit :Alain moreau,1972.
18- GAUDIO Attilio , Guerres et Paix aux Maroc, karthala, Paris, 1991.
19- HASSANE II, la mémoire d'un roi, entretiens avec Eric laurent, Plon, Paris, 1993.
20- HERAULT André, le Maroc a visage découvert, nouvelle édition debresse , paris.
21- LACOUTURE Jean, Profils perdus, éditions A.M.Métailié, Paris,1983.
22- LAROUI Abdallah, Le Maroc et Hassan II un témoignage, les presse inter universitaire, québec,centre cultturel arabe , casablanca,2005.
23- JULIEN Charles-André, le Maroc face aux impérialisme 1415-1956, Edition J.A , Paris, 1979.
24- MAURIAC François, la drame marocaine.
25- MONTEIL vincent, Maroc, edit :petite planète,s a.
26- MOURAD Kamal-Eddine, le Maroc a la recherche d'une revolution , sindibad , paris,1972.
27- MURATER Roger, on a tue Ben barka, plon, paris,1967.

28- OUARDIGHI Abderrhim,l'itinériraire d'un natoinaliste, Mehdi Ben Barka 1920-1965, Moncho, Paris,1982.
29- OVED Georges, la gauche française et le nationalisme Marocain 195- 1955, l'harmattan, tome 2.
30- PALAZZOLI Claude,Maroc Poltique, Sindibad, Paris, 1974.
31- PEDRON François, Echec au rois, Table ronde, paris, sa,
32- SARNE Daniel,l'affaire Ben Barka, la table ronde, Paris, 1966.
33- SMITH Stephen, Oufkir un destin Marocain, levy, Paris,1999.
34- TEITLER .M, NOUSCHI . A , CAMAU .M, et D'autre, Elites, Pouvoir et Légitimité au Maghreb, edit: Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1973.

ج- باللغة الإنجليزية.

1-BERNARD Stephane, Franco-Marocaine conflit 1943-1956, new haven and london, yale university press,1968.

رابعا: المحاضرات.

1- ELMANDJRA Mehdi, Ben Barka l'internationaliste, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale.

2- HARBI med, Ben barka et les nationalistes arabes, colloque Mehdi Ben Berka de l'indépendance a la tricontinentale.

3- GALLISSOT René, le rêve brisé du Meghreb des peuples, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale.

4- GARCIA Barnabé Lopez, Ben Berka et le Maroc dans la lutte contre la dictature en Espagne, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance a la tricontinentale.

5- SAAF Abdallah, Ben Barka et les communistes, intervention dans le colloque Mehdi Ben Berka de l'indépendance a la tricontinentale, organisé par université de Paris 8 et l'institut Maghreb-Europe , 17-18 novembre 1995, sous la direction de René Gallissot et Jacques Kergoat, Karthala,1997.

خامسا: الجرائد.

أ- باللغة العربية.

1- التحرير (الجريدة)، عدد: 40، 28 أبريل 1959، عدد: 60، 21 ماي 1959.
عدد: 62، 23 ماي 1959، عدد: 69، 01 جوان 1959.
عدد: 95، 01 جويلية 1959، عدد: 128، 08 أوت 1959.
عدد: 153،07 سبتمبر1959، عدد:210، 11 نوفمبر 1959.
عدد: 07 ديسمبر 1962.

2- الشعب (الجريدة)، عدد: 99، 06 أبريل 1963، عدد: 107، 16 أبريل 1963
عدد: 145، 31 ماي 1963، عدد: 146، 01 جوان 1963.
عدد: 147، 03 جوان 1963، عدد: 148 ، 04 جوان 1963.

عدد: 154، 11 جوان 1963، عدد: 155، 12 جوان 1963.
عدد: 156، 13 جوان 1963، عدد: 157، 14 جوان 1963.
عدد: 159، 17 جوان 1963، عدد: 160، 18 جوان 1963.
عدد: 161، 19 جوان 1963، عدد: 162، 20 جوان 1963.
عدد: 163، 21 جوان 1963، عدد: 166، 25 جوان 1963.
عدد: 266، 17 أكتوبر 1963، عدد: 267، 18 أكتوبر 1963.
عدد: 270، 21 أكتوبر 1963، عدد:271، 22 أكتوبر 1963.
عدد: 272، 23 أكتوبر 1963، عدد: 273، 24 أكتوبر 1963.
عدد: 274، 25 أكتوبر 1963، عدد: 276، 28 أكتوبر 1963.
عدد: 277، 29 أكتوبر 1963، عدد: 279، 31 أكتوبر 1963.
عدد: 901، 11 نوفمبر 1965، عدد: 902، 12 نوفمبر 1965.
عدد: 904، 15 نوفمبر 1965.

3- المساء (الجريدة)، عدد: 2173، 19 سبتمبر 2013.
4- المساء الأسبوعي (الجريدة)، 02 أفريل 2012.
5- الشرق الأوسط (الجريدة)، عدد: 8099، 30 جانفي 2001.
6- الشرق الأوسط (الجريدة)، عدد: 10095، 19 جويلية 2006.

ب- باللغة الفرنسية.

1- AL-Istiqlal (journal) n°:10, 01 juin 1956.
n°:18, 27 juillet 1956.
n° :37,07 décembre 1956.
n°: 67, 29 juin 1957, p:01.
n°:68 ,06 juillet 1957.

2- les phares (journal), n° :04, 1959.

3-le monde déplomatique (journal), n°: 528, avril1998.

4- l'expresse (journal) ,10 octobre,1966.

5-

سادسا: الدوريات.

أ- باللغة العربية

1- محمد عابد الجابري، إضاءات وشهادات- المهدي بن بركة ، مواقف، الجزء الأول، العدد السادس، ،دار النشر المغربي، الدار البيضاء، 2002.

2- تواصل، نشرية تصدر عن المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير ،عدد.09، يناير2009.

3- دورية كان التاريخية، العدد:04، جوان 2009.

ب- باللغة الفرنسية.

1-Recherches internationales, n° 77, 3 – 2006.

سابعا: الرسائل الجامعية.

1-عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية أثناء الثورة التحريرية 1954- 1962، رسالة دكتورة، جامعة قسنطينة 2008/2007.

2-جليلة المؤدب، ثلاثة رموز فكرية مغاربية، الحبيب ثامر، على الحمامي، محمد عبود، رسالة ماجستير، جامعة تونس، 2005-2006.

ثامنا: المواقع الإلكترونية.

1-رينيه غاليسو، المهدي بن بركة ومؤتمر القارات الثلاث، الحوار المتمدن، عدد:1558، 2006.05.22.

2-يوسف أبو سهى، المهدي بن بركة أسطورة الفكر الثوري في المغرب، الحوار المتمدن، عدد:1714 ، 25 أكتوبر 2006.

3- http://www.bibliomonde.com/auteur/rene-gallissot-135.htm.

4-http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=65470.

5-http://www.marefa.org/index.php/

6-http://tarrykh.blogspot.com/2011/09/histoire-lunion-nationale-des-forces.html
7-http://www.houarapress.com/?p=13247
8-https://www.facebook.com/rif84?fref=ts
9-http://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الرحيم_بوعبيد
10- http://fr.wikipedia.org/wiki/Maurice_Thorez.
11- http://fr.wikipedia.org/wiki/Lucien_Saint
12- http://ar.wikipedia.org/wiki/ عبد_الرحمن_اليوسفي

فهرس الأعلام :

أ–

ابن خلدون عبد الرحمن:237 ،263.

إبراهيم عبد الله: 53، 56، 63، 94، 102، 123، 124، 128، 129، 130، 131، 135، 138، 146، 147، 148، 149، 150، 153، 155، 268.

الإبراهيمي لخضر: 207.

إدريس (مولاي) : 50، 55.

إدغار فور: 91، 92، 94، 181، 182، 281.

أوبيهي عدي : 116، 224.

أوفيد جورج: 19.

أوفقير محمد: 90، 96، 101، 125، 150، 167، 170، 218، 220، 221، 224، 286.

أوفقير فاطمة: 19.

أوريول فانسنت: 72.

أحاجي حسين: 142.

أحميدو الوطني: 66.

أحرضان المحجوب: 111، 120، 122، 136، 163.

إيرود: 83..

أكديرة عبد السلام: 69.

أنطوان بيناي: 91، 92، 94.

الأعور المدني: 86.

الأعرج حسن: 113.

الأفغاني جمال الدين: 264.

أراغون لويس: 167.

أرسلان شكيب 36، 39، 183.

أتيليو غوديو : 14، 179.

ب–

الباهي لدغم: 181.

باهي محمد: 19.

باحنيني أحمد: 56.

بالطا بول: 84.

بارك جاك:28، 30.

بوبو محمد بن الحاج: 113.

بو طالب عبد الهادي: 93، 122، 140، 142، 151، 163، 203.

بوزار عبد القادر: 112، 179.

بومنجل: 45، 181.

بومدين هواري: 84، 181، 208.

بونعيلات السعيد: 86، 180.

بونيفاس: 83.

بوعبيد عبد الرحيم : 47، 52، 53، 55، 56، 57، 59، 63، 65، 66، 67، 68، 69، 76، 77، 79، 87، 91، 92، 93، 94، 102، 103، 105، 106، 123، 128، 129، 130، 133، 134، 135، 136، 140، 150، 151، 153، 159، 161، 162، 167، 169، 170، 181، 182، 188، 192، 197، 252، 283.

بوعزيز مصطفى: 19.

بوعنان بن عيسى: 26.

بوعناني فطومة:24، 26، 28.

بوصوف عبد الحفيظ: 183، 184.

بورقيبة الحبيب: 107، 202.

بوشتا أمحمد: 17، 79.
بوشسيش:218، 219.
بوتان موريس: 17، 19، 79.
بوضياف محمد:86، 87، 89، 179، 180.
بطيش:219.
بيو غابريال: 57.
البيطار صلاح: 195.
بيري واتر: 276.
بيرنيه: 217، 218، 219.
بيرتون: 40.
بيشون فرنسوا: 168.
بيتون سيمون: 16.
البيضاوي بوشعيب: 85.
البيضاوي عمر: 85.
البكاي مبارك: 92، 93، 103، 117، 122.
بكداش أحمد: 72.
بلوكان فريديريك: 17.
بلافريج أحمد: 25، 34، 35، 36، 37، 45، 56، 57، 59، 64، 64، 68، 78، 86، 89، 92، 123، 124، 127، 128، 131، 135، 136، 137.
بلاشي ريجيس: 30، 62.
بلهاشمي أحمد بوزان: 138.
بلهواري علي: 181.
بلير (المقدم): 148.
بلمولدي عباس: 112.
بلمعطي سي الطيب: 32.
بلمختار: 142.
بلفور: 194.
بناني عثمان: 17.
بناني غيثة: 31.
بن بلة أحمد : 17، 86، 179، 180، 188، 197، 207، 208، 205، 212، 213، 214، 217، 218، 224.
بن بركة إبراهيم: 24، 27، 28، 241.
بن بركة أحمد: 24، 27، 28.
بن بركة البشير: 17، 19، 31، 73، 216.
بن بركة زبيدة: 31.
بن بركة كنزة: 26.
بن بركة عبد القادر: 18، 24، 27، 28، 29، 30، 31، 38، 39، 52، 59، 70، 78، 82، 94، 126، 145، 172، 173، 216، 221، 225، 241.
بن بركة فاطمة: 28.
بن جيلالي أحمد: 78.
بن جلول العباس: 69.
بن جلول عبد اللطيف: 86.
بن جلون عبد الكريم: 56، 60، 64، 72.
بن جلون عبد القادر: 93.
بن جلون عمر: 156، 167، 168، 170، 197.
بن دريس الحسن: 93.
بن دريس عبد العزيز: 37، 39، 56، 57، 72.
بن هيمة: 163.
بنونة محمد: 35.
بنونة عبد السلام: 36، 37، 192.

بن مهيدي العربي: 86، 89.
بن موسى محمد: 86.
بن الميلود: 124.
بن سعيد محمد: 17، 85، 86، 145، 179.
بن سودة أحمد: 140، 142.
بن سعود أحمد: 55.
بن عبد الجليل محمد: 26.
بن عبد الجليل عمر: 26، 36، 37، 40، 41، 43، 44، 56، 60، 72، 80، 81، 93، 122، 135، 183.
بن عبد الله عبد الكريم: 115، 275.
بن عبد الله علال: 83.
بن عبود محمد: 192.
بن علال الحاج: 118.
بن عمار عبد الرحمن: 138.
بن عمرو عبد الرحمن: 17.
بن عرفة محمد: 82، 91، 93.
بن هيمة: 163.
بن الصديق المحجوب: 79، 104، 124، 129، 138، 153، 170، 252.
البصري الفقيه: 17، 66، 83، 85، 86، 89، 102، 110، 112، 113، 114، 134، 135، 142، 143، 144، 145، 150، 152، 153، 159، 165، 166، 168، 170، 172، 179، 180، 181، 184، 192، 232، 252، 275 ، 283.
برادة الحسين: 86، 179.
برادة عبد الحميد: 17، 198، 275.
برلانج: 43، 44، 74.
البخاري أحمد : 17، 19، 162، 216، 217، 219، 222.

ج –

الجابري محمد عابد: 16، 19، 143، 193، 196، 197، 234، 239، 277.
الجبلي عبد السلام: 85، 86.
جبرو عبد اللطيف:16، 18.
جوان ألفونس:68، 68، 69، 71، 72.
جوليان شارل أوندري: 19، 30، 167.
جولي: 92.
الجزائري عبد الملك: 192.
جياب: 176.
جيوم: 75، 83.
جيرار (المسيو): 71.

د–

داود زكية: 18، 19.
دباغين الأمين: 45، 183.
دوباي: 218،
الدكالي بوشعيب: 85، 86،
ديوري أمحمد: 34، 37،40، 56، 163، 165.
ديوري مومن: 19، 116، 117، 155، 165، 167، 172، 260، 276.
ديفرجي موريس: 157.
ديرجي جاك: 18.
ديغول شارل: 19، 56، 63، 224، 226.

الدليمي أحمد: 217، 219، 224، 286.
دريش جون: 30.
درفوني: 219.
الدغمومي أحمد: 86.

هـ –

هوشي منه :202.
هيكل محمد حسنين: 173، 196،
هنري الرابع: 94.
هتلر أدولف: 44، 45.

و–

الوالي عبد القادر: 217.
الوجدي عبد الحميد: 84.
الوزاني محمد بن الحسن: 36، 37، 40، 41،
55 ، 57، 63، 122.
الوزاني التهامي: 140، 142.
ولد الحاج عبد الله سعد: 86.
الورديغي عبد الرحيم: 18.

ز–

الزياني موحا أوحمو : 32، 249.
الزيدي محمد: 69، 72.
الزموري عبد الحميد: 56.
الزموري التهامي: 61، 173، 219، 225،
زنيبر المهدي: 69،
الزرقطوني: 81، 82، 83، 85، 89.
الزغاري أحمد: 50، 56، 103.

ح–

الحبيب محمد: 69.
حجاج: 117.
الحمامي علي: 192.
الحمياني أحمد: 56.
الحنصالي أحمد: 82.
الحسن الأول: 32، 246.
الحسن الثاني: 19، 29، 30، 58، 61، 86،
97، 109، 110، 111،
113، 114، 117، 118،
123، 125، 126، 127،
136، 139، 143، 144،
145، 146، 147، 148،
151، 152، 153، 158،
159، 160، 161، 166،
168، 169، 170، 171،
172، 173، 186، 188،
192، 211، 216، 220،
221، 222، 259، 260،
275، 281.
حربي محمد: 19، 184، 280.
حشاد فرحات: 76.

ط –

طاهري محمد: 129، 156، 163.
طود الهاشمي: 17، 84.
الطويل الناصري:86، 88، 179.
الطويل مبارك: 115.
طوريس موريس: 52،

ي–

اليازغي : 17، 156، 163، 168،

يوسف (مولاي): 26، 27، 28، 29، 34، 38، 50، 51، 55، 58، 64، 241.
اليوسفي عبد الرحمن: 17، 48، 53، 65، 66، 67، 77، 85، 86، 88، 102، 110، 129، 133، 140، 142، 143، 144، 145، 150، 152، 162، 166، 167، 167، 170، 171، 179، 180، 187، 192، 232، 233، 252، 275، 283.
اليزيدي محمد: 26، 34، 35، 36، 37، 39، 40، 41، 43، 57، 59، 60، 61، 62، 66، 67، 69، 70، 72، 79، 89، 92، 93، 124، 130، 133، 252.

ك–

كابرال إميل كار: 214.
كايتا ماديبو: 198، 204،
كاسترو فيديل:173، 176، 211، 212، 224.
كديرة عبد الرحيم: 62.
كوني (الجنرال):182.
كونيج: 92.
كوريال هنري: 17، 188، 225.
الكلاوي التهامي: 71،79، 82، 85، 92، 94، 113، 248.
كليري فرنسوا: 219.
الكتاني (الجنرال): 205.
الكتاني عبد الحي: 92، 248.

ل–

لابون إيريك: 63، 68.
لابيرا جورجيو: 136.
لاكوست فرنسيس: 91.
لامي (مسيو): 69.
لوبيز: 221.
لوني: 218.
لونتان ألبرت بول: 45، 178.
لوسي إدغار فور: 182.
لوران إيريك: 19.
ليوتي: 28، 40، 68.
ليوسي لحسن: 116.
ليوسي (العقيد): 220.
لحبابي محمد: 17، 129.
لينين فلادمير: 281.
لومبا باتريس: 204، 207.
لشرف مصطفى: 180، 187.

م –

ماو تسي تونغ: 202، 209.
مالك رضا: 187.
مانديلا نيلسون: 188.
مانويل دالغادو: 214.
مالكوم إيكس: 214.
الماسي عبد العزيز: 86.
ماركس كارل: 276.
مارتي أوندري: 52.

مارتن لوثر كينغ: 214.
مارتن (العقيد): 166.
مارغريت دورا: 218.
مبارك زكي:17.
المدني توفيق: 183، 184.
مزغنة أحمد: 178.
موبوتو سيسيسيكو :200، 205.
موليير: 33.
مولين رشيد: 122.
موراتي روجي: 18.
موریاك فرنسوا: 167.
محمد الخامس: 20، 39، 50، 54، 55، 61، 62، 71، 72، 82، 83، 91، 92، 93، 94، 95، 97، 101، 104، 106، 107، 108، 110، 111، 114، 116، 117، 118، 119، 122، 123، 126، 127، 128، 138، 141، 145، 149، 150، 157، 159، 160، 180، 183، 184، 202، 204، 205، 219، 229، 255، 259، 283.
المحمدي ادريس: 56، 65، 113، 118، 121، 128، 170،
ميتيران فرنسوا: 167.
مكوار أحمد: 41، 43، 56.
المكي (سيدي): 75،
المكناسي محمد: 86،
منجب معطي: 18.
منوزي: 112،
المنجرة المهدي: 19، 206،
منصور علي: 214.
المسيعدي: 86، 88، 112، 117، 119، 179، 252.
مسيغلي: 57.
المسناوي:
المسفيوي بن حمو: 112، 113، 114، 169، 180.
معمري: 57.
معنينو الحاج أحمد: 19،
مصالي الحاج: 36، 45، 178،
مصطفاي شوقي: 45، 68، 178، 220 ،
المقري أمحمد: 93.
مريك: 101.
المذبوح : 125، 166، 168،

ن –

الناصري المكي: 35، 37، 122،
نباتي الجيلالي: 69.
نوجاس: 40، 42.
نيريري جوليوس: 206،
نكروما: 204،
النعمان التهامي: 85.

س–

سارتر جون بول: 167.
سوكارنو: 214، 224،
سومايلو غاستون: 207،
السوسي المختار: 77، 107، 230،

سوشون: 218، 221،
السلاوي ادريس: 163.
السملالي التهامي: 25، 33.
السعاف عبد الله: 19.
سقا: 219.
السرفاتي أبراهام: 19، 140.
السرغيني: 26.
ستيق تيودور: 35.

ع-

عبابو: 166.
عبد الحفيظ (السلطان):26.
عبد الناصر جمال: 89، 107، 176، 195، 196، 197، 201، 204، 207.
عبد العزيز (السلطان):27، 107.
عبد الرزاق محمد:142، 153.
عواد أمحمد: 17.
العلوي أحمد:163.
العلوي المهدي: 158، 163.
العلوي مولاي أحمد: 63.
العلوي مولاي مصطفى:62.
العلوي محمد بن العربي153، 159، 264.
مصطفى بن العربي: 168.
العلوي العربي بن الحسن: 50.
علي (مولاي):172، 173، 221.
عمار التهامي: 153.
عموري م: 142.
عمور محمد : 68.
العمراوي عبد العزيز: 40.
عفلق ميشال: 195.
العراقي محمد: 69.
العراقي الغالي: 86.
العرايشي أحسن:85.
العرايشي سليمان:85، 86.
العروي عبدالله: 150.
العشعاشي: 220.
عثمان محمد: 17.

ف-

الفاطمي بن سليمان: 92، 93.
الفاكيني: 67.
فانجاس رومان: 19.
الفاسي عبد الكبير: 28، 55، 86، 88.
الفاسي علال: 12، 15، 23، 28، 34، 35، 36، 37، 40، 41، 43، 48، 63، 67، 83، 84، 85، 86، 87، 89، 92، 93، 95، 96، 128، 135، 137، 181، 182، 192، 229، 232.
فارس جلولي: 67، 182.
الفجيجي الفقيه: 85، 113.
فواتو: 218.
الفيلالي الهاشمي: 56، 57.
فرحات عباس: 181، 187، 204.
فرونجي جورج: 218.
فرنكو: 179.
فرنسيس أحمد: 45.

ص–

الصنهاجي عبد الله: 82، 84، 85، 86، 111، 140، 142، 179، 252.

صفي الدين حسن: 86،

ق–

القابي بلحاج: 86،

القادري أبو بكر: 17، 19، 38، 40، 135، 138، 163.

القباج عباس: 69.

القباج عبد الجليل: 63، 143.

قباج محمد: 35.

قديرة أحمد رضا: 111، 117، 121، 149، 159، 160، 162، 163، 166، 167، 168.

قورو : 39.

قرواني بالناصر:217،

ر–

الروداني إبراهيم: 66.

رو (المدير): 58.

روزفلت فرانكلين: 54.

الريفي حمادي العزيز: 84.

الزكراكي الطيبي بن المعطي: 25، 32.

ش–

شوان لاي: 176، 209.

شيخ العرب: 112، 155، 165، 167، 169، 180، 275.

شنطر أحمد: 86.

شفارد جورج: 182.

شرمان: 92.

الشرقاوي أحمد: 29، 37، 38، 151.

الشتوكي: 219، 220، 221.

ت–

تابات جون: 17، 188،

التادلي محمد: 62.

توري إسماعيل: 17، 207.

توري سيكو: 204.

تيبو: 109.

تيلي ديالو: 207.

خ–

الخطابي بن عبد الكريم: 12، 32، 35، 84، 86، 159، 166، 179، 193، 249، 250، 257.

الخطيب عبد الكريم: 86، 88، 110، 111، 122، 136.

الخياط: 26، 39.

خير الدين الشيخ: 183.

خيضر محمد: 86، 180.

غ–

غازي محمد: 37، 39، 40، 56، 72.

الغازي الفقيه: 183.

غاليسو رينيه: 17، 19، 189.

الغزاوي محمد: 60، 69، 70، 71، 111، 117، 146.

غيفارا تشي: 176، 188، 214.

غلاب عبد الكريم: 19.

غريزا جاك: 53.

فهرس الأماكن:

أ–

أبي رقراق: 24، 90.

أديس أبابا: 199، 205، 207.

أجدير: 124.

أزرو: 58، 65.

أولي: 218.

أو الزهراء: 25.

الأطلس: 65، 73، 74، 75، 116، 163.

الأطلس الأوسط: 87، 112، 125.

الأطلس الأعلى: 112.

إيكس ليبان: 91، 92، 93، 94، 95، 100، 154، 182، 238، 254، 255، 267، 273، 284.

إيملشيل: 78.

إيمونار مرموشة: 87، 179.

إيفني: 112.

إيفيان: 187.

آيت سعيد: 82.

أكرا: 190، 208.

ألمانيا: 31، 52، 145، 159، 189، 217، 218.

ألمانيا الشرقية: 189.

أم حشر: 184.

أندونيسيا: 208.

إسبانيا: 86، 87، 179، 264.

أفورار: 82.

إفريقيا الجنوبية: 213، 223.

إتزر: 63.

الاتحاد السوفياتي: 186، 206، 209، 211، 213.

الأرغواي: 213.

إثيوبيا: 199، 207.

أغادير: 183.

أغبالو نكردوس: 77، 78، 134، 229، 245.

ب–

باب الحد: 27.

باندونغ: 203، 208، 214.

باريس: 37، 42، 45، 63، 64، 67، 82، 146، 150، 152، 166، 174، 188، 204، 205، 214، 215، 218، 219، 220، 221، 224.

بوذنيب: 74.

بوفكران: 42.

بوزنياد: 87، 179.

بوزنيقة: 158.

بون: 145، 172.

بوقرون : 25، 63.

بكين: 152

بلجيكا: 67.

بن سليمان: 24.

براغ: 275.

بركبة: 87، 187.

ج–

جبل حمدون: 77.

الجزائر: 28، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 52، 57، 64 ،66، 83، 112، 126، 152، 165، 166، 167، 168، 174، 176، 177، 178، 181، 185، 186، 187، 188، 190، 194، 196، 197، 207، 208، 210، 213، 217، 218، 225، 226، 240، 245، 273، 275.

جنيف: 151، 152، 217، 218، 224.

د–

الدار البيضاء: 24، 28، 38، 40، 44، 53، 54، 65، 66، 76، 77، 78، 81، 83، 85، 88، 89، 109، 115، 117، 133، 134، 140، 149، 158، 163، 165، 169، 170، 172، 194، 204، 205، 217، 250، 251، 252، 260.

دار السلام :204.

دار التوازني: 277.

دهنات: 83.

ديور الجامع: 65، 80.

دمشق: 195.

الدرب الكبير: 65.

درب العفو: 65.

هـ –

هافانا: 152، 208، 213، 214، 223، 224.

الهند: 210، 213.

الهند الصينية: 166.

و–

وجدة: 83، 85.

وهران: 217.

الولايات المتحدة الأمريكية: 59، 77، 148، 214، 215، 223، 225.

ز–

الزايير: 200، 207.

زنقة بواتي: 63.

زنقة القناصل: 24.

زعير: 24.

ح –

حي بلكور: 217.

حي الليمون: 64.

الحسيمة: 109.

ط –

طنجة: 67، 68، 70، 137، 162، 163، 181، 218.

طرابلس: 187.

طرفاية: 114.

ي–

اليابان: 213.

يوغسلافيا: 235.

اليمن: 274.

يعقوب المنصور: 162.

ك –

الكاميرون: 199.

كاريار سونترال: 76.

كوبا: 173، 204، 212.

كوناكري: 152، 204، 211.

كونغو: 204، 223.

كورسيكا: 59، 63، 83.

كليميمة: 77.

كتامة: 108.

ل –

لاسيل سان كلود: 94.

لبنان: 126.

ليبيا: 66، 274.

الليمون (حي): 65.

لندن: 52.

لعلو: 25، 60، 66.

م–

مدريد: 68، 112، 166.

مدغشقر: 83، 93.

موسكو: 152.

موريطانيا: 112، 114، 183.

موشي: 212.

ميديلت: 43، 73.

مكناس: 41، 65، 73، 170، 192، 250، 252.

المكسيك: 213.

مليلية: 112، 125.

مصر: 86، 87، 107، 108، 154، 166، 179، 196، 201، 202، 204، 207، 210، 213، 274.

مراكش: 42، 43، 45، 50، 66، 83، 85، 170، 192، 220، 250.

مرسيليا: 217.

ن–

الناظور: 87، 180.

نيجريا: 199.

نيويورك: 68.

س –

سان جيرمان: 219.

سان فرانسيسكو: 60.

سبتة: 112.

سويسرا: 145، 169، 171، 221، 224.

السوس: 163.

سوريا، 54، 126، 196.

سيدي عثمان: 169.

سيدي بن عيسى: 24، 26، 27.

سلا: 27، 37، 40، 47، 58، 72، 96، 132، 192، 250، 252.

سنغال: 184، 199.

السخيرات: 166، 275.

ع–

عطا: 114.

عكا: 184.

العراق: 126، 127، 274.

ف–

فاس: 26، 33، 35، 36، 38، 40، 41، 44، 47، 50، 55، 59، 61، 72، 93، 112، 117، 118، 132، 163، 170، 192، 221، 240، 250، 252.

فيجيج: 113، 184.

الفيتنام: 107، 108، 189، 202، 207، 210 ، 212، 213، 265.

فونتي لي فيكومت: 2194.

فلورنسا: 136،

فلسطين: 194، 197، 198، 223، 225.

فران الزيتونة: 25.

فرنسا: 28، 36، 41، 45، 49، 52، 53، 54، 55، 57، 63، 65، 66، 68، 69، 71، 77، 83، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 105، 112، 114، 127، 134، 135، 148، 150، 151، 165، 167، 172، 216، 219، 220، 223، 225، 244، 264.

فضالة: 163.

ص–

الصويرة: 163،

الصين: 186، 202، 203، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 235، 262.

صفرو: 163.

ق–

القاهرة: 31، 59، 68، 76، 83، 87، 89، 93، 152، 166، 169، 192، 194، 197، 198، 207، 209، 211.

القبة: 188.

القرح: 26.

قلعة السراغنة: 34.

القنيطرة: 148، 149، 159، 162، 163، 165، 167، 170.

قسنطينة: 46.

قصر السوق: 43، 73، 74، 134، 180، 229.

القرويين: 234، 240.

قرية با حمد: 112.

ر–

الرباط: 24، 26، 29، 34، 35، 40، 43، 44، ،48، 50، 51، 54، 58، 59، 60، 62، 63، 64، 65، 72، 76، 80، 85، 96، 101، 111، 113، 126، 132، 136، 145، 149، 152، 158، 159، 162، 163، 170، 182، 212، 217، 221، 240، 241، 250، 252،

روندا: 199.

رحبة القمح: 89.

الريف: 24، 38، 53، 78، 79، 87، 89، 112، 116، 125، 128، 133، 192، 242، 249.

ش–

الشاوية: 113.

شارع كليبر: 66.

شارع لوريستان: 204.

الشيلي: 213.

الشرق الأوسط: 36.

ت–

تادلة: 82.

تاونات: 108.

تازا: 87، 179.

تازيغزاوت: 75.

تالسينت: 74.

تامسنا: 24.

تافيلالت: 73، 116.

تونس: 45،64، 65، 66، 107، 108، 145، 178، 181، 185، 187، 202.

تطوان: 35، 36، 86، 125، 126، 134، 135.

تنزانيا: 204، 206، 212.

تيزي وزلي: 87، 179.

تيندوف: 183، 184.

تمارا: 88، 92.

تشاد: 199.

خ –

خليج الخنازير: 211.

الخنيفرة: 163.

الخميسات: 42.

غ –

الغابون: 42، 62.

غانا: 199، 207، 213.

غواتيمالا: 213، 214.

غينيا: 204، 207، 213.